

تَفْسِيرُ الْأَمَلِ الْغَرَامِيِّ

٤٥٠ - ٥٥٠ هـ / ١٠٥٨ - ١١١١ م



دار السلام

الطباعة والنشر والتوزيع والزينة



مؤسسة البحوث والدراسات العلمية

(مطبعة)

تهران - المعز

الكتاب في سُطور

تكمن أهمية هذا البحث في جمع التراث بصفة عامة، وتراث التفسير بصفة خاصة، ليصبح بعد عملية الجمع والتوثيق مادة علمية صالحة للدراسة والتحليل والاستنتاج، خصوصاً أن ما تم جمعه لحد الآن من تراث التفسير ليس سوى قليل من كثير. ومن ثم ما زالت فهوم كثيرة للكتاب الله تعالى غائبة عن الساحة العلمية الحديثة. وما زالت أماكنها شاغرة في المكتبات الإسلامية.

فكان هذا البحث لجمع تفسير علم من أعلام العرب والإسلام - وهو حجة الإسلام أبي حامد الغزالي الذي اهتم به الباحثون من عدة جوانب: اهتموا به فقهياً وأصولياً وفلسوفاً ومتصوفاً، لكن لم يسبق لأحدهم - حسب علمي - أن اهتم بأبي حامد الغزالي مفسراً، أضف إلى ذلك أن بعض العلماء أجمعوا على وجود تفسير واحد للإمام الغزالي .. ولا يعلم عن هذا التفسير شيئاً، وأرجو أن يقرب هذا التفسير المجموع من تفسير الإمام الغزالي المفقود.

مؤسسة البحوث والدراسات العلمية

(مجمع)

الهاتف: 011 23283630 - الفاكس: 011 23283630

البريد: ص.ب. 1011 - القاهرة - مصر

البريد الإلكتروني: makd@arabmail.com

الناشر

دار الأمل للدراسات والبحوث الإسلامية

القاهرة - مصر - 1011 شارع الأزهر - ص.ب. 1011

هاتف: 011 23283630 - 011 23283630 - 011 23283630

فاكس: 011 23283630

الإلكترونية - هاتف: 011 23283630 - فاكس: 011 23283630

www.dar-alam.com info@dar-alam.com

ISBN 978-977-242-709-4



9 789773 429294

تَفْسِيرُ الْأَمْثَلِ الْعَرَبِيِّ

(٤٥٠ - ٥٥٠ هـ / ١٠٥٨ - ١١١١ م)

جَمْعُ وَتَوْثِيقُ وَتَقْدِيرُ
مُحَمَّدُ الرَّيْحَانِي

دارُ السَّلامِ

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة



مؤسسة البحوث والدراسات العلمية

(مبدع)

فاس - المغرب

Foundation For Scientific Research and Studies

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة

لِلنَّاشِرِ

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة



مؤسسة البحوث والدراسات العلمية

(مبدع)

فاس - المغرب

Foundation For Scientific Research and Studies

بطاقة فهرسة : فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشؤون الفنية .

الغزالي ، محمد بن محمد بن محمد ، ١٠٥٨ - ١١١١ . تفسير الإمام الغزالي / جمع وتوثيق وتقديم محمد الريحاني .
ط ١ - القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ؛ فاس ، المغرب : مؤسسة البحوث والدراسات
العلمية ، (مبدع) ٢٠١٠ .

٤٠٠ ص ؛ ٢٤ سم . تدمك ٤ ٩٢٩ ٣٤٢ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - القرآن - تفسير .

أ - الريحاني ، محمد (جامع وموثق ومقدم) .

٢٢٧

ب - العنوان .

نشر مشترك

الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - جمهورية مصر العربية

الإدارة : ١٩ شارع عمر لطفى مواز لشارع عباس العقاد

خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية

وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر

٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +)

٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي -

هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع

من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس -

مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع الأمسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر -

الأزاريطة قسم باب شرق بجانب جمعية الشبان المسلمين

هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)

بريداً : ص.ب ١٦١ الغورية الرمز البريدي ١١٦٣٩

البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com

موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com



مؤسسة البحوث والدراسات العلمية

(مبدع)

فاس - المغرب

Foundation For Scientific Research and Studies

مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)

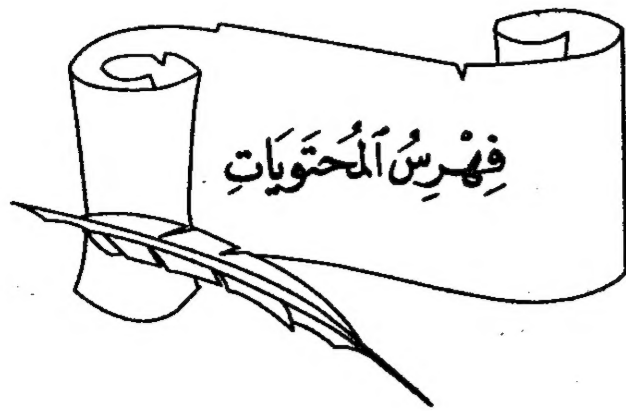
الهاتف : 535962884 (212)

الفاكس : 535962920 (212)

البريد : ص.ب 6012 الإدارة فاس المغرب

البريد الإلكتروني : mobdii@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



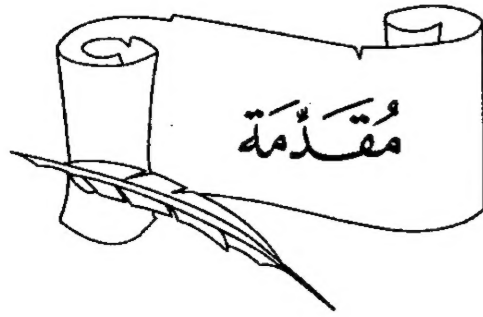
٧	مقدمة
١٥	* القسم الأول: الإمام أبو حامد الغزالي ومنهجه في التفسير
١٧	* الفصل الأول: الإمام أبو حامد الغزالي وتفسيره
١٧	المبحث الأول: حياة الإمام أبي حامد الغزالي
٢٠	المبحث الثاني: توثيق تفسير الإمام أبي حامد الغزالي
٢١	المبحث الثالث: مصادر جمع تفسير الإمام أبي حامد الغزالي
٢٧	* الفصل الثاني: منهج الإمام أبي حامد الغزالي في التفسير
٢٨	المبحث الأول: منهجه في التفسير بالمأثور
٢٨	أ - بالقرآن الكريم
٣٠	ب - بالحديث النبوي الشريف
٣٥	ج - بأقوال الصحابة والتابعين
٣٨	المبحث الثاني: منهجه في التفسير بالرأي
٣٨	أ - مفهوم التفسير بالرأي عند الإمام الغزالي
٤١	ب - اجتهاده في التفسير
٤١	١ - استنباط الأحكام الفقهية
٤٤	٢ - استنباط المعاني الإشارية
٤٦	٣ - استنباط المعاني الوعظية
٤٨	خاتمة

٥٣	* القسم الثاني: تفسير الإمام أبي حامد الغزالي (المتن)
٣٥٥	الفهارس
٣٥٧	فهرس التفسير
٣٦٠	فهرس الآيات المفسرة
٣٦٤	فهرس الآيات المستشهد بها
٣٧١	فهرس القراءات
٣٧٢	فهرس الأحاديث
٣٧٩	فهرس الأعلام
٣٨٢	فهرس أسماء القبائل والشعوب والطوائف والجماعات ونحوها
٣٨٥	فهرس أسماء الأماكن والبلدان والمواضع
٣٨٦	فهرس القوافي
٣٨٧	فهرس كتب الإمام الغزالي المذكورة في المتن
٣٨٨	فهرس كتب غير الإمام الغزالي المذكورة في المتن
٣٨٩	فهرس المصادر والمراجع

أهدى

إلى أبوي اللذين سهرتا على تربيتي في
الصغر وتعليمي في الكبر، إلى أستاذي
وشيخي الدكتور الشاهد البوشيخي
حفظه الله عني، إلى رفيقة العمر في
طريق الله عني، إلى من ندبوا أنفسهم لخدمة
كتاب الله تعالى حفظاً وفقهاً وعملاً.
أهدي هذا الكتاب

مُحَمَّدُ الرَّيْحَانِي



الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأنزل القرآن مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه، وحفظه - سبحانه - من التحريف والتبديل والعبث البشري الذي لحق بالكتب السماوية السابقة، وهياً له أوعية الحفظ من كتبة الوحي وحفظته في كل حين ومن كل جيل « كتاباً وقرآناً » مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُمُ الْحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

فكان معجزاً في بيانه، معجزاً في إتقانه، أذهل البلغاء وأعجز قرائح الأدباء والشعراء، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۗ ﴾ [الجن: ١، ٢].

والصلاة والسلام على رسول الله، الرسول الأمي المبعوث رحمة للعالمين، الذي صار بالقرآن الكريم سيد الحكماء؛ حيث أمر ﷺ بتبيينه وإيضاحه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل: ٦٤].

أما بعد ؛ فمما لا شك فيه أن الأمة الإسلامية تعيش في هذا العصر ظروفًا حالكة وأيامًا عصيبة على جميع مستويات عيشها، ولعلنا لا نتجاوز الحقيقة كثيرًا إذا قلنا: إن الأمة تعيش مرحلة « القصعة » بكل أبعادها ؛ وهي مرحلة الوهن الحضاري.

ومن رحمة الله - تعالى - بهذه الأمة أنها لم تصب في مقاتلها، فهي قابلة للشفاء والرجوع للشهود الحضاري مرة ثانية؛ لأن الله تعالى الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر - سبحانه - على بعث الحياة من جديد في هذه الأمة، فمرضها قابل للشفاء إن شاء الله تعالى، ولا يعني بحال من الأحوال الموت الميؤوس منه صاحبه.

ولتحقيق هذا النهوض مرة أخرى والرجوع إلى الشهود الحضاري على الناس، لا بد من العمل المستمر والدؤوب على جميع المستويات، وخصوصًا ما يتعلق بتصحيح وتقوية علمها بالشرعية وبالحياة الذي تتحقق به مقاصد الإسلام في بناء المجتمع الصالح النافع.

أما العلم بالحياة فأهميته واضحة، ويقصد به علم نافع تصلح به الحياة وترتقي. وأما العلم بالشرعية فلا يعني حفظ نصوصها وتقديمها فقط، بل لا بد من الاجتهاد في فقه أسرارها واستنباط الأحكام الكفيلة بتوجيه واقع الناس في الاتجاه الصحيح.

فقد أدرك المسلمون - بالمقارنة بين حياة الجاهلية وحياة الإسلام - أن للتشريعات الإسلامية آثارًا بعيدة وقوية في تغيير واقع الناس وأوضاعهم؛ ولذلك عكف علماء الإسلام على كتاب الله تعالى، إيمانًا منهم أن الرفعة لا تكون إلا بالإقبال على القرآن الكريم تلاوةً وفقهًا وعملاً، مصداقًا لقوله ﷺ: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين» (١).

لذلك فمن أوجب الواجبات الإقبال على التراث الإسلامي، الذي نشأ حول كتاب الله تعالى بالمطالعة والتحقيق والتكشيف والجمع.. إلخ؛ لأجل اكتشاف كنوز التراث وتوظيفها، ثم الوقوف على الثغرات ملئها، والأخطاء لتصويبها. ومن هنا تتبين قيمة جمع التراث بصفة عامة، وما يتعلق بالقرآن الكريم بصفة خاصة.

١ - موضوع البحث:

إن البحث في تفسير كتاب الله تعالى من أجل العلوم قدرًا، وأشرفها منزلة؛ لأن «أحق ما صُرفت إلى علمه العناية وبلغت في معرفته الغاية ما كان لله في العلم به رضا، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدى، وأن أجمع ذلك لباغيه كتابُ الله الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مرية فيه» (٢).

ولذلك فعلم التفسير أشرف العلوم موضوعًا وغرضًا وحاجة إليه؛ لأن موضوعه كتاب الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة، ولأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية، وإنما اشتدت الحاجة إليه؛ لأن كل كمال ديني ودنيوي لا بد وأن يكون موافقًا للشرع، وموافقه تتوقف على العلم بكتاب الله تعالى الذي هو «الرأس والعمود وذروة السنام في العلوم الإسلامية كلها؛ منه جاءت، وبسببه كانت، وعليه دارت، وإياه خدمت فلا فقه لكليات الدين وجزئياته إلا بعد التفقه فيه، ولا فقه لأصول الفقه وفروعه إلا بعد التضلع منه وفيه، وإنما فقه من

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، عن عمر بن الخطاب ؓ.

(٢) تفسير الطبري (٣/١).

فَقَّةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﷻ فَعِلْمٌ وَعِلْمٌ، وَقَضَى وَأَفْتَى وَاجْتَهَدَ فِي النَّوَازِلِ الْكُبْرَى وَالصَّغْرَى بِسَبَبِ امْتِلَاثِهِ مِنْ عِلْمِ الْقُرْآنِ وَبَيَانِ الْقُرْآنِ « (١).

وعلى هدي ما ذكر وجدتني أميل إلى ارتياد مجال التفسير، ولاقتناعي أن من الأدب الاستماع إلى ما قاله السابقون قبل أن نقول شيئاً، حتى لا تضعيع الجهود في شيء قد أبدعوا فيه وأحسنوا وفرغوا منه؛ لأن « الوعي الصحيح بالماضي شرط في فهم الحاضر، وبناء المستقبل، ولن يُستطاع إبداع فكري جاد، ولا إقلاع حضاري متميز، إلا بعد الاستيعاب التام لما كان، وتحليله وتعليقه، ثم من بعد ذلك يأتي التركيب لما ينبغي أن يكون انطلاقاً مما كان، والمقطوع الأبر من بُتر من الذات بانقطاعه أو قطعه على التراث » (٢) ارتأيت بتوجيه من أستاذي المشرف الدكتور الشاهد البوشيخي - حفظه الله تعالى - أن أقوم بجمع ما أثر من تفسير لأحد مشاهير العلماء، وهو حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (٤٥٠ هـ - ٥٠٥ هـ) ومن هنا يأتي هذا البحث الذي أقدمه بعنوان: « تفسير الإمام الغزالي، جمع وتوثيق وتقديم ».

٢ - دوافع البحث:

وهي تنقسم في عمومها إلى ثلاثة أقسام: دوافع عامة، ودوافع ذاتية، وأخرى موضوعية.

أ - الدوافع العامة:

أهمية جمع تراث التفسير: إن تراث علماء هذه الأمة غني بمختلف العلوم والنظريات، ولو جُمع وفتح واستُخدم استخداماً صالحاً لأغنانا عن جل ما هو دخیل في ثقافتنا وحضارتنا؛ لأن الله تعالى هدى علماء هذه الأمة إلى كثير مما يعود به النفع العظيم والعام للعالمين أجمع، وذلك لصلتهم القوية بالله تعالى وقلوبهم الصافية وبصيرتهم النافذة.. إلخ.

لذلك فأهميته جمع التراث بصفة عامة، وتراث التفسير بصفة خاصة واضحة، ليصبح بعد عملية الجمع والتوثيق مادة علمية صالحة للدراسة والتحليل والاستنتاج، خصوصاً وأن ما تم جمعه إلى الآن من تراث التفسير، ليس سوى قليل من كثير، فما زال علماء مشاهير لم يجمع تفسيرهم، ومن ثم ما زالت فهم كثيرة لكتاب الله تعالى غائبة عن الساحة

(١) من تقديم الدكتور الشاهد البوشيخي لكتاب « تفسير الإمام مالك » للأستاذ حميد لحر، المنشور خطأ بعنوان: « الإمام مالك مفسراً ».

(٢) نصوص المصطلح النقدي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين للدكتور الشاهد البوشيخي (ص ٥).

العلمية الحديثة، وما زالت أماكنها شاغرة في المكتبات التفسيرية.

ب - الدوافع الذاتية:

وتتمثل في حبي للعلوم الإسلامية عامة، وكتاب الله وما نشأ حوله من علوم بصفة خاصة منذ الصغر - ولله الحمد - غير أنها ازدادت توثقًا بمتابعة دراستي الجامعية بكلية الآداب شعبة الدراسات الإسلامية.

بالإضافة إلى اقتناعي بضرورة جمع التراث وتحقيقه بصفة عامة، وما يتعلق بالتفسير بصفة خاصة، وذلك لتيسير الاطلاع عليه ودراسته والاستفادة منه، وقد زاد هذا الاقتناع على يد أستاذي الدكتور الشاهد البوشيخي الذي وجهني في بحث شهادة الإجازة إلى تحقيق مخطوط بعنوان « الجيش الكمين لقتال من كفر عامة المسلمين » لمحمد شقرون المغراوي (ت ٩٢٩ هـ)، وفي بحث شهادة استكمال الدروس إلى الاشتغال بجمع « تفسير أبي حامد الغزالي من خلال كتابه إحياء علوم الدين »، وكان مناسبة مباركة للاطلاع على قيمة هذا التراث، والاقتناع بضرورة جمعه.

ج - الدوافع الموضوعية:

وهي في عمومها تتعلق بشخصية حجة الإسلام أبي حامد الغزالي وما أسهم به في مجال التفسير.

مما لا شك فيه أن أبا حامد الغزالي عَلمٌ من أعلام العرب والإسلام، وعلمٌ من أعلام الفقه والتصوف، وعلمٌ من أعلام الفكر الإنساني بشتى نواحيه ومرامييه، ويمكن القول ولا حرج: إن الإمام الغزالي أمة وحده في علمه ومعرفته.

لقد خلف من ورائه كتبًا كثيرة يرتفع بها المحضون أحيانًا إلى الأربعمئة - رغم أنه لم يعيش إلا خمسة وخمسين عامًا -، وهذه الكتب تنوعت في موضوعاتها بين الفقه والفلسفة والتصوف... وغيرها، وبذلك يكاد يقع إجماع بين المسلمين على أن مجدد القرن الخامس الهجري هو حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، وللإمام جلال الدين السيوطي أرجوزة عن المجددين في الإسلام حتى عصره سماها: « تحفة المهتدين بأخبار المجددين »: وفيها يقول:

خليفة العدل بإجماع وقر

لما له من العلوم الساريه

والأشعري عده من أمه

فكان عند المائة الأولى عمر

والشافعي كان عند الثانيه

وابن سريج ثالث الأئمه

والباقلاني رابع، أو سهل، أو الأسفراييني، خلف قد حكوا
والخامس الحبر هو الغزالي وعده ما فيه من جدال^(١)

وبالإضافة إلى هذا كله، فإن الباحثين اهتموا بالإمام الغزالي من عدة جوانب، اهتموا به فقيهاً وأصولياً، وفيلسوفاً ومتصوفاً، لكن لم يسبق لأحد منهم - حسب علمي - أن اهتم بأبي حامد الغزالي مفسراً.

٣ - الخطوات الأولية في البحث:

إن أول خطوة لي في هذا البحث ابتدأت كما تقدم في سنة استكمال الدروس؛ حيث تناولت تفسير أبي حامد الغزالي من خلال كتابه: « الإحياء » بحكم أن حجة الإسلام يعرف بإحيائه، وأن أغلب نصوص التفسير توجد فيه^(٢).

وحين اقتنعت بجمع تفسير الإمام الغزالي من كتبه التي ثبتت صحة نسبتها إليه، بما في ذلك المخطوطات، عمدتُ أولاً إلى استخراج نصوص التفسير من كتبه المطبوعة فتجمع لدي الشيء الكثير.

بعد ذلك حاولت الاطلاع على المخطوطات التي تنسب إلى الإمام الغزالي، وقد واجهتني صعوبات عدة؛ من بينها:

- ١ - صعوبة الاطلاع عليها في الخزانات المغربية، وبالأخص خزانة القرويين بفاس.
- ٢ - صعوبة التسليم بصحة نسبة تلك المخطوطات إلى الإمام الغزالي بل تيقنت بأن العديد منها منسوب إلى الإمام الغزالي كذباً واستغلالاً لشهرة الإمام وذووع اسمه^(٣).

(١) « إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين » للسيد محمد بن الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى (٣٦/١) و « الغزالي » للدكتور أحمد الشرباصي (٩٥).

(٢) ن: مبحث مصادر جمع تفسير الإمام الغزالي (ص ٢١).

(٣) من ذلك كتاب الأوقاف الموجود بخزانة القرويين تحت رقم (٤٠/٨٥٩) وهو مملوء بالخرافات والسحر والطلاسم والجداول.. إلخ، قال عنه د. عبد الرحمن بدوي: « ومن هذا يتبين ما في هذا الكتاب من تلفيق غث، وأن نسبته إلى الغزالي هي من وضع طابعه ومصححه، لا في النسخة الخطية القديمة المزعومة » مؤلفات الغزالي (٤٥٣).

وكتاب: « مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب » الذي أورده د. عبد الرحمن بدوي ضمن قسم الكتب المنحولة؛ لأنه يعتمد في نقوله على مؤلفين بعد الإمام الغزالي؛ كالإمام القرطبي المتوفى سنة (٦٧١ هـ) وغيره، وذلك عند كلامه عن الأمانة وشرحه للآية: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ﴾ [الأحزاب: ٧٢] ن: مكاشفة القلوب (ص ٥٢) ومؤلفات الغزالي (٣٢٧).

وبعد استشارة أستاذي المشرف، اقتضت على ما ورد من نصوص تفسيرية في كتب الإمام الغزالي المطبوعة الصحيحة النسبة إليه؛ لاقتناعي أن عدم الاطمئنان إلى النصوص يؤدي إلى الاضطراب في الدراسة، ولعلمي أن ما تجمع لدي من نصوص كافٍ أن يظهر بجلاء الشخصية التفسيرية للإمام الغزالي.

وقد ظننت أن هذا الأمر سهل هين لا يعدو أن أمر مرًا سريعًا على كتب الإمام الغزالي أجمع منها مادة التفسير، ثم أرتبها وأعيد كتابتها وفق ترتيب سور وآيات المصحف الكريم، ولكن ما أن شرعت في جمع هذه المادة حتى أدركت أن الأمر صعب من عدة وجوه:

١ - صعوبة تتبع الدقيق المتأني للنصوص التفسيرية كلها، وقد اضطررت إلى إعادة تتبع نصوص التفسير أكثر من مرة في كتب الغزالي، وخصوصًا منها: « الإحياء » و « المستصفى » وغيرهما.

٢ - صعوبة تمييز النص التفسيري من غيره في بعض الأحيان، مما اضطرني إلى استشارة أستاذي المشرف، وبعض الأساتذة الذين لم ييخلوا عليّ بتوجيهاتهم في نصوص معينة.

٣ - ضعف إمكانات الطالب الباحث وخصوصًا الإمكانات المادية.

هذا وقد استغرق مني جمع مادة التفسير ما يقرب من سنتين، تجمع فيها لدي الشيء الكثير من آثار الإمام الغزالي وآرائه التفسيرية. وبعد دراستها وتصنيفها عرضتها حسب الخطة التالية:

٤ - خطة إنجاز البحث:

ارتأيت أن أقسم خطتي في هذا البحث إلى مقدمة وقسمين رئيسيين تتخللهما فصول ومباحث فخاتمة وفهارس.

أما المقدمة فقد خصصتها لما تخصص له المقدمات.

وأما القسم الأول قد خصصته للحديث عن الإمام الغزالي وتفسيره ومنهجه في هذا التفسير، وقسمته إلى فصلين:

الفصل الأول: الإمام الغزالي وتفسيره.

وقد اشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حياة الإمام الغزالي.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: توثيق تفسير الإمام الغزالي.

الْمَبْحَثُ الثَّلَاثُ: مصادر جمع تفسير الإمام الغزالي.

الفَصْلُ الثَّانِي: منهج الإمام الغزالي في التفسير.

وقد اشتمل على مبحثين:

الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ: منهجه في التفسير بالمأثور:

أ - بالقرآن الكريم.

ب - بالحديث النبوي الشريف.

ج - بأقوال الصحابة والتابعين.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: منهجه في التفسير بالرأي:

أ - مفهوم التفسير بالرأي عند الإمام الغزالي.

ب - اجتهاد الإمام الغزالي في التفسير:

١ - استنباط الأحكام الفقهية.

٢ - استنباط المعاني الإشارية.

٣ - استنباط المعاني الوعظية.

وختمت هذا القسم الأول بخاتمة تحدثت فيها عما يؤخذ على هذا التفسير المجموع،

وكذا عن بعض النتائج المتوصل إليها.

ثم بعد ذلك يأتي القسم الثاني الذي أوردت فيه تفسير الإمام الغزالي المجموع مراعيًا

ما يلي:

١ - أوردت الآيات القرآنية على رواية حفص مشكّلة، وقد أوردت بعضها بين

معقوفتين [] تنبيهًا على أن الإمام الغزالي لم يوردها، وإنما أورد تفسيرها فقط.

٢ - خرجت الآيات القرآنية المستشهد بها داخل المتن ووضعته بين معقوفتين.

٣ - أوردت أرقام النصوص التفسيرية مرقمة ترقيمًا تتابعيًا في الهامش الأول.

وفي الهامش الثاني:

١ - خرجت الأحاديث النبوية المروية عن رسول الله ﷺ في مصادرها ما وجدت

إلى ذلك سبيلًا.

- ٢ - عرفت الأعلام الواردة في المتن إلا من لم أجد له ترجمة أو لم أستطع تمييزه عن غيره أو من كان معروفاً.
- ٣ - شرحت الكثير من الألفاظ والمصطلحات مما يحتمل أن يشكل فهمه.
- ٤ - وثقت بعض الأقوال التي استشهد بها الإمام الغزالي في تفسيره.
- ٥ - أوردت بعض الإضافات التي توضح ما يحتمل أن يشكل فهمه في نصوص التفسير.

هذا وقد ألحقت بهذا البحث فهارس ضمت:

- ١ - فهرس التفسير.
- ٢ - فهرس الآيات المفسرة.
- ٣ - فهرس الآيات المستشهد بها داخل المتن.
- ٤ - فهرس القراءات.
- ٥ - فهرس الأحاديث.
- ٦ - فهرس الأعلام.
- ٧ - فهرس أسماء القبائل والشعوب والطوائف والجماعات ونحوها.
- ٨ - فهرس أسماء الأماكن والمواضع والبلدان.
- ٩ - فهرس القوافي.
- ١٠ - فهرس كتب الإمام الغزالي المذكورة في المتن.
- ١١ - فهرس غير كتب الإمام الغزالي المذكورة في المتن.
- ١٢ - فهرس المصادر والمراجع.

القنيم الأول

الإمام أبو حامد الغزالي
ومنهجه في التفسير

• ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: الإمام أبو حامد الغزالي وتفسيره.
الفصل الثاني: منهج الإمام أبي حامد الغزالي في التفسير.



الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ حياة أبي حامد الغزالي

١ - اسمه ونسبه:

١ - هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي^(١).

٢ - ولادته ونشأته: طوس - جرجان: (٤٥٠ - ٤٧٣ هـ):

ولد الغزالي سنة (٤٥٠ هـ / ١٠٥٩ م) بمدينة طوس^(٢) من والد فقير صالح، كان يشتغل بغزل الصوف، ويحب مجالسة الفقهاء والمتصوفة ويشاركهم في حلقاتهم ويتأثر بأقوالهم، وكان يتضرع إلى الله أن يرزقه ولداً صالحاً مثلهم، ويجعله فقيهاً واعظاً^(٣). لما احتضر والده أوصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له صوفي صالح، فعلمهما الخط وأدبهما، وبعد أن فني ما خلف لهما أبوهما من رزق وتعذر عليهما تحصيل قوتهما، انتظما في سلك مدرسة، تُعَلِّمُ الفقه لتلاميذها وتوفر لهم القوت، وكان الإمام الغزالي يحكي هذا ويقول: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله^(٤).

تلقى الإمام الغزالي في مبدأ أمره بطوس الفقه على شيخه أحمد الراذكاني ثم ارتحل إلى أبي نصر الإسماعيلي بجرجان، فأقام عنده إلى أن أخذ عنه التعليقة في الفقه^(٥).

(١) شذرات الذهب (١٠/٤).

(٢) طوس: عبارة عن مدينتين أكبرهما طابران والأخرى وقان، ن: معجم البلدان: مادة: طابراه (٣/٤).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى (١٠٢/٤).

(٤) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي (٢٦٩/١).

(٥) سير أعلام النبلاء (٣٣٥/١٩).

٣ - ملازمته إمام الحرمين: بنيسابور (٤٧٣ - ٤٧٨ هـ):

رحل بعد ذلك إلى إمام الحرمين أبي المعالي الجويني بنيسابور ^(١) رغبة منه في زيادة تحصيله العلمي، فتخرج في مدة قصيرة وصار من الأعيان المشار إليهم في زمن أستاذه ^(٢)، بحيث جلس للإقراء بعد أن برع في الفقه ومهر في الكلام والجدل، كما شرع في التصنيف في ذلك الوقت، وقد لازم الإمام الغزالي أستاذه إلى حين وفاته سنة (٤٧٨ هـ).

٤ - إقامته عند نظام الملك: العسكر (٤٧٨ - ٤٨٤ هـ):

خرج الإمام الغزالي بعد موت إمامه من نيسابور إلى العسكر ^(٣)، ولقي هناك نظام الملك، وكان مجلسه محط رحال العلماء ومقصد الأئمة الفصحاء، ونظرًا لعلو شأن الغزالي ناظر الفحول والكبار هناك بحضرة نظام الملك فظهر الغزالي عليهم وانبهر له الوزير، فأقبل عليه وحل منه محلًا عظيمًا، فعظمت منزلته وولاه الملك التدريس في نظامية بغداد سنة (٤٨٤ هـ) ^(٤).

٥ - التدريس في المدرسة النظامية: بغداد (٤٨٤ هـ - ٤٨٨ هـ):

بدأ الإمام الغزالي يدرّس في نظامية بغداد، فأعجب به أهل العراق وارتفعت عندهم منزلته، ونفذت كلمته وعظمت حشمته، وضرب به المثل، وشدت إليه الرحال، قال القاضي أبو بكر بن العربي: رأيت في بغداد يحضر مجلس درسه نحو أربعمئة عمامة من أكابر الناس وأفاضلهم يأخذون عنه العلم ^(٥).

٦ - تزهده وانقطاعه عن التدريس: دمشق - مكة (٤٨٨ - ٤٩٠ هـ):

بلغ الإمام الغزالي قمة المجد، وأتته الدنيا خاضعة ذليلة، أتته من جانبها المالي، ومن جانبها الذي يتصل بالشهرة وذبوع الاسم، ومن جانبها الذي يتصل بالجاء والنفوذ. وفي سنة (٤٨٨ هـ) شرفت نفس أبي حامد عن رذائل الدنيا فرفضها، وأقبل على العبادة والسياسة، وسلك طريق الزهد والانقطاع عن الناس ^(٦) تاركًا جميع ما كان عليه

(١) شذرات الذهب (١١/٤). (٢) شذرات الذهب.

(٣) عسكر نيسابور: المدينة المشهورة بخراسان، فيها محلة تسمى العسكر، والعسكر مجتمع الجيش؛ حيث يأتي لدخول مدينة عسكر خارجها أحيانًا، أو بعد أن يفتحها عسكر خارجها في ناحية من نواحيها، ومع مرور الزمن يصبح العسكر هذا لمدينة أو بلدة أو محلة تابعة لمدينة. ن: معجم البلدان، مادة: عسكر (١٢٤/٤).

(٤) شذرات الذهب (١٢/٤).

(٥) الوافي بالوفيات (٢٧٥/١)، وشذرات الذهب (١٢/٤).

(٦) شذرات الذهب (١٢/٤)، ووفيات الأعيان (٢١٧/٤).

في بغداد من شهرة وصيت ومركز، مظهرًا العزم على الخروج لمكة لأداء فريضة الحج، فتوجه إلى الشام واعتكف في زاوية بالمسجد الأموي، وظل في دمشق حتى (٤٩٠ هـ)؛ حيث قصد الحج^(١).

٧ - اشتغاله بالعبادة وإثاره للعزلة: دمشق (٤٩٠ - ٤٩٨ هـ):

لما رجع الغزالي من أداء فريضة الحج توجه إلى الشام، وأقام في مدينة دمشق يذكر الدروس في زاوية الجامع في الجانب الغربي منه، وفي هذه الأثناء صنف كتبًا عديدة يقال: إن الإحياء منها^(٢).

٨ - السياحة والاجتهاد في العبادة: بيت المقدس - مصر (٤٩٨ - ٥٠٠ هـ):

توجه الإمام الغزالي من دمشق إلى بيت المقدس واجتهد في العبادة وزيارة المشاهد والمواقع المعظمة وجاور في القدس^(٣)، ثم قصد مصر وأقام مدة بالإسكندرية، ويقال إنه عزم منها على ركوب البحر للاجتماع بالأمير يوسف بن تاشفين لما بلغه عنه من محبة أهل العلم والإقبال عليهم، فبلغه نعيه وكان ذلك (٥٠٠ هـ) فصرف عزمه عن تلك الناحية وعاد إلى وطنه بطوس^(٤).

٩ - العودة إلى الوطن والاشتغال بالعبادة (٥٠٠ - ٥٠٥ هـ):

عاد الإمام الغزالي إلى وطنه طوس، وصنف بها كتبًا نافعة، وأقبل على العبادة وملازمة التلاوة ونشر العلم وعدم مخالطة الناس^(٥)، إلى أن انتقل إلى رحمة ربه في رابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة بالطابران، وهي قصبة طوس^(٦).

١٠ - شيوخه:

أول مشايخه في الفقه - كما تقدم - الإمام أبو حامد أحمد بن محمد الراذكاني بطوس، ثم أبو نصر الإسماعيلي بجرجان، ثم إمام الحرمين الجويني بنيسابور^(٧).

وفي التصوف الإمام الزاهد أبو علي الفضل بن محمد بن علي الفارمدي الطوسي ثم يوسف السجاج.

وفي الحديث أبو سهل محمد بن أحمد بن عبيد الله الحفصي المروزي، والحاكم أبو الفتح

(٢) شذرات الذهب (١٢/٤).

(٤) وفيات الأعيان (٢١٨/٤).

(٦) وفيات الأعيان (٢١٩/٤).

(١) المنقذ من الضلال (٣٧٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣٣٠/٩، ٣٣١).

(٥) شذرات الذهب (١٢/٤).

(٧) الإتحاف (٩/١، ١٠).

نصر بن علي بن أحمد الحاكمي الطوسي^(١) وغيرهما.

١١ - تلامذته:

منهم القاضي أبو نصر أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الخمقري (ت ٥٥٤ هـ)، وكذا الإمام أبو الفتح أحمد بن علي بن محمد بن برهان (ت ٥١٨ هـ)، ومنهم كذلك أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي الملقب بالمهدي، وغيرهم كثير^(٢).

١٢ - آثاره العلمية:

عاش الإمام الغزالي خمسة وخمسين عامًا، ألف فيها عددًا ضخمًا من الكتب والرسائل، وقد بالغ البعض في عدد هذه المؤلفات حتى زاد به على أربعمئة كتاب^(٣)، مما ألقى على الباحثين مؤونة شاقة؛ ألا وهي التمييز بين الصحيح منها والمنحول؛ ولذلك اقتصرنا في هذا البحث على الآثار العلمية المقطوع بصحة نسبتها إلى الإمام الغزالي، وهي الكتب التي أوردتها ضمن المبحث الثالث من هذا الفصل المتعلق بمصادر جمع تفسير الإمام الغزالي^(٤).

المبحث الثاني

توثيق تفسير الإمام أبي حامد الغزالي

أجمع بعض العلماء على وجود تفسير واحد للإمام أبي حامد الغزالي، غير أنهم اختلفوا في عنوانه:

منهم من أثبتته بعنوان « تفسير ياقوت التأويل » وهو أربعون مجلدًا؛ كعبد الرحمن الجامي (ت ٨٩٨ هـ) في كتابه « نفحات الأنس »^(٥).

ومنهم من أثبتته بعنوان « ياقوت التأويل في تفسير التنزيل » وهو أربعون مجلدًا؛ كالعلامة

(١) الإتحاف (٢٦/١).

(٢) الإتحاف (٦٠/١، ٦١).

(٣) مؤلفات الغزالي لعبد الرحمن بدوي (٥٥١ - ٥٦٧).

(٤) ن: (ص ٢١).

(٥) مخطوط رقم (ح ٩٧٩٥)، ورقة ٢١٦ ب ٢١٧ أ - بدار الكتب المصرية، ون: مؤلفات الغزالي

لعبد الرحمن بدوي (٤٨٣).

عبد القادر العيدروسي (ت ١٠٣٨ هـ) في كتابه: « تعريف الأحياء بفضائل الإحياء »^(١).
ومنهم من أثبتته بعنوان: « تفسير القرآن العظيم » كالعلامة السيد مرتضى الزبيدي في
كتابته: « إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين »^(٢).

ولا نعلم عن هذا التفسير شيئاً.
ولذلك فأهمية جمع ما أثر عن الإمام الغزالي في التفسير واضحة؛ إذ سيقربنا إلى حد
ما من تفسير الإمام الغزالي المفقود.
ولتحقيق هذا الغرض اعتمدت كتب الإمام أبي حامد الغزالي المطبوعة الصحيحة
النسبة إليه مصادر لجمع تفسيره.

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ

مصادر جمع تفسير الإمام الغزالي

وهي المصادر التي جمعت منها المادة التفسيرية مرتبة ترتيباً ألفبائياً، مع ذكر النصوص
التي استقل بها كل مصدر عن الباقي.

١ - الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام
الغزالي رقم (٤) طبعة (١٩٨٦) دار الكتب العلمية بيروت.

عدد نصوص التفسير: اثنان (٢) .

٢ - إحياء علوم الدين، الطبعة الثالثة (١٩٩١ م) دار الفكر.

عدد نصوص التفسير: تسعة وتسعون وخمسمائة (٥٩٩) .

٣ - إجماع العوام عن علم الكلام، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي
رقم (٤) طبعة (١٩٨٦ م) دار الكتب العلمية.

عدد نصوص التفسير: عشرة (١٠) .

٤ - الإملاء عن إشكالات الإحياء، ملحق بالجزء الخامس من كتاب الإحياء، الطبعة

(١) تعريف الأحياء بفضائل الإحياء: ملحق بكتاب الإحياء (١١/٥) .

(٢) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (٥٧/١) .

الثالثة (١٩٩١ م) دار الفكر.

عدد نصوص التفسير: أربعة (٤).

٥ - أيها الولد: حققها وعلق عليها وقدم لها بمبحث عن « آداب المتعلم والعالم » علي محيي الدين علي القرة داغي، طبعة دار الاعتصام (١٩٨٣ م).

عدد نصوص التفسير: اثنان (٢).

٦ - بداية الهداية مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٥) الطبعة الأولى (١٩٨٨ م) دار الكتب العلمية بيروت.

عدد نصوص التفسير: خمسة (٥).

٧ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك دراسة وتحقيق: د. محمد أحمد دمج، الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م)، المركز الإسلامي للبحوث بيروت.

عدد نصوص التفسير: اثنا عشر (١٢).

٨ - جواهر القرآن ودرره. الطبعة الأولى (١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م) دار الكتب العلمية بيروت.

عدد نصوص التفسير: ثمانية عشر (١٨).

٩ - الحكمة في مخلوقات الله ﷻ، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (١) طبعة (١٩٨٦ م) دار الكتب العلمية، بيروت.

عدد نصوص التفسير: ثلاثة عشر (١٣).

١٠ - خلاصة التصانيف في التصوف، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) طبعة (١٩٨٦ م) دار الكتب العلمية، بيروت.

عدد نصوص التفسير: اثنان (٢).

١١ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) طبعة (١٩٨٦ م) دار الكتب العلمية، بيروت.

عدد نصوص التفسير: تسعة عشر (١٩).

١٢ - الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، تقديم وتحقيق وتعليق: د. محمد عبد الله الشرقاوي، الطبعة الثانية (١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) دار الهداية مصر.

عدد نصوص التفسير: اثنان (٢).

١٣ - الرسالة اللدنية مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، رقم (٣) طبعة (١٩٨٦ م) دار الكتب العلمية.

عدد نصوص التفسير: أربعة (٤).

١٤ - الرسالة الوعظية، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، رقم (٤) طبعة (١٩٨٦ م) دار الكتب العلمية، بيروت.

عدد نصوص التفسير: واحد (١).

١٥ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، رقم (٢) طبعة (١٩٨٦ م) دار الكتب العلمية، بيروت.

عدد نصوص التفسير: خمسة وخمسون (٥٥).

١٦ - سر العالمين وكشف ما في الدارين، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، رقم (٦) الطبعة الأولى (١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م) دار الكتب العلمية، بيروت. عدد نصوص التفسير: عشرة (١٠).

١٧ - شفاء الغليل في بيان الشبه والخيال ومسالك التعليل، تحقيق / د. محمد الكبيسي مطبعة الرشاد بغداد (١٣٩٠ هـ / ١٩٧١ م).

عدد نصوص التفسير: ثلاثة وأربعون (٤٣).

١٨ - فضائح الباطنية أو كتاب المستظهري، حققه وقدم له / د. عبد الرحمن بدوي طبعة (١٩٦٤ م) الدار القومية.

عدد نصوص التفسير: اثنا عشر (١٢).

١٩ - فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي / رقم (٣) طبعة (١٩٨٦ م) دار الكتب العلمية، بيروت.

عدد نصوص التفسير: اثنان (٢).

٢٠ - القسطاس المستقيم، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، رقم (٣) طبعة (١٩٨٦ م) دار الكتب العلمية، بيروت.

عدد نصوص التفسير: أربعة عشر (١٤).

- ٢١ - قواعد العقائد في التوحيد، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) طبعة (١٩٨٦ م) دار الكتب العلمية، بيروت.
عدد نصوص التفسير: واحد (١).
- ٢٢ - كتاب الأربعين في أصول الدين، علق عليه محمد جابر، كتب المقدمة وترجم للمؤلف ونوه بالكتاب محمد مصطفى أبو العلا، طبعة (١٩٦٣ م) مكتبة الجندي، القاهرة.
عدد نصوص التفسير: تسعة وعشرون (٢٩).
- ٢٣ - كيمياء السعادة، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، رقم (٥) الطبعة الأولى (١٩٨٨ م) دار الكتب العلمية بيروت.
عدد نصوص التفسير: ثلاثة (٣).
- ٢٤ - مدخل السلوك إلى منازل الملوك تحقيق / محمد رياض المالح، الطبعة الأولى (١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م) مطبعة العلم، دمشق.
عدد نصوص التفسير: تسعة (٩).
- ٢٥ - المستصفى من علم الأصول طبعة دار الفكر.
عدد نصوص التفسير: أربعة وسبعون ومائة (١٧٤).
- ٢٦ - مشكاة الأنوار، مطبوع ضمن رسائل الإمام الغزالي، رقم (٤) طبعة (١٩٨٦ م) دار الكتب العلمية، بيروت.
عدد نصوص التفسير: عشرة (١٠).
- ٢٧ - المضمنون به على غير أهله، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، رقم (٤) طبعة (١٩٨٦ م) دار الكتب العلمية، بيروت.
عدد نصوص التفسير: أربعة عشر (١٤).
- ٢٨ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس منشورات دار الآفاق الجديدة، الطبعة الرابعة (١٩٨٠ م).
عدد نصوص التفسير: ستة وعشرون (٢٦).
- ٢٩ - المعارف العقلية حققه وقدم له / عبد الكريم العثمان، الطبعة الأولى (١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م) دار الفكر، دمشق.

- عدد نصوص التفسير: ستة عشر (١٦).
- ٣٠ - معراج السالكين، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، رقم (١) طبعة (١٩٨٦ م) دار الكتب العلمية، بيروت.
- عدد نصوص التفسير: اثنا عشر (١٢).
- ٣١ - معيار العلم في المنطق، طبعة دار الأندلس (١٩٨٣ م).
- عدد نصوص التفسير: ثمانية (٨).
- ٣٢ - المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت، طبعة (١٩٨٥ م) مكتبة القرآن، القاهرة.
- عدد نصوص التفسير: ثلاثة عشر (١٣).
- ٣٣ - المنحول من تعليقات الأصول، تحقيق: محمد هيتو (١٩٨٠ م) دار الفكر دمشق.
- عدد نصوص التفسير: ستة وأربعون (٤٦).
- ٣٤ - محك النظر، تحقيق وضبط وتعليق: د. رفيق العجم، الطبعة الأولى (١٩٨٤ م) دار الفكر اللبناني، بيروت.
- عدد نصوص التفسير: واحد (١).
- ٣٥ - مقاصد الفلاسفة أو مقدمة تهافت الفلاسفة، تحقيق: د. سليمان دنيا، طبعة (١٩٦١ م) دار المعارف.
- عدد نصوص التفسير: اثنان (٢).
- ٣٦ - المنقذ من الضلال، تحقيق: د. عبد الحليم محمود مع تقديم في قضية التصوف طبعة (١٩٨٨ م) دار المعارف.
- عدد نصوص التفسير: واحد (١).
- ٣٧ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين، تحقيق: د. محمد حلاوي، الطبعة الأولى (١٤٠٩ هـ / ١٩٨٣ م) مؤسسة الرسالة.
- عدد نصوص التفسير: واحد وخمسون (٥١).
- ٣٨ - ميزان العمل، حققه وقدم له: د. سليمان دنيا، سلسلة ذخائر العرب (٣٨) دار المعارف بمصر (١٩٦٥ م).

عدد نصوص التفسير: ثمانية وثلاثون (٣٨).

٣٩ - نصيحة من الإمام الغزالي، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

عدد نصوص التفسير: ثلاثة (٣).

٤٠ - الوجيز في فقه مذهب الإمام الشافعي، وقد تضمن أيضًا بيان مذهب الإمام مالك وأبي حنيفة والمزني، والأقوال والأجوبة البعيدة لأصحاب الإمام الشافعي بالرمز إلى كل منها باصطلاح مخصوص، دار المعارف، بيروت (١٩٧٩ م).

عدد نصوص التفسير: سبعة (٧).

٤١ - الوسيط في المذهب، دراسة وتحقيق وتعليق: علي محيي الدين علي القرة دراغي الطبعة الأولى دار النصر للطباعة الإسلامية بمصر.

عدد نصوص التفسير: عشرة (١٠).

وعليه فالعدد المجمل لنصوص التفسير المجموعة غير المكررة هو: ثلاثة وثلاثمائة وألف (١٣٠٣).



تمهيد:

مما لا شك فيه أن منهج التفسير عند الإمام الغزالي من خلال جميع آثاره المطبوعة والمخطوطة يستدعي جهداً خاصاً وقوياً، يكون الهدف منه اكتشاف مكونات ذلك المنهج، ولا أظن ذلك ممكناً إلا بالعثور على تفسيره المفقود، أو بجمع جميع نصوص التفسير خصوصاً من آثاره المخطوطة التي تحتاج إلى التحقيق والدراسة المعمقة والمدققة. واكتشاف هذا المنهج المتكامل للإمام الغزالي هو من قبل الأمل الذي أسأل الله تعالى أن يوفقني إلى تحقيقه في القريب العاجل.

وإذن فالحديث عن منهج الإمام الغزالي في التفسير يختص بما جمعته من نصوص التفسير من آثاره المطبوعة التي حصلت عليها.

غير أن تلمس العناصر المكونة لهذا المنهج من خلال هذا التفسير المجموع تعترضه عدة مشاكل؛ من بينها: ظاهرة الاقتباس والنقل في تفسير الإمام الغزالي لا تمكنا من القطع بمصادر الأفكار والمعاني، فكثيراً ما ينقل الإمام الغزالي أقوالاً ويوردها بصيغة النسبة للمجهول، فنجد عبارات؛ مثل: « قيل » و « روي » و « ورد في التفسير » وغير ذلك، وهذا يجعل من الصعب الوصول إلى اكتشاف جوانب الإبداع وحدوده.

غير أن هذا الأسلوب الذي اعتمده الإمام الغزالي في النقل يدل على أنه كان حريصاً على المعاني في ذاتها أكثر من حرصه على بيان مصدرها أو قائلها، لقد كان كمثله من العلماء الأجلاء حريصاً على الحكمة فحيث ما كانت أثبتوها في مصنفاتهم خوفاً عليها من الضياع، قال ابن جني: « إن القوم كانوا يعتبرون المعاني ويخلدون إليها، فإن حصلوها وحسنوها سامحوا أنفسهم في العبارات عنها »^(١).

هذا بالإضافة إلى غياب عدد من النصوص، وعدم القطع بمصادر الأفكار؛ فإن التعامل مع نصوص تفسيرية مجموعة من كتب متنوعة يختلف كثيراً عن التعامل مع تفسير كامل؛ إذ إن غالب المفسرين يرسمون في مقدمات تفاسيرهم معالم مناهجهم، بينما نكون مع النصوص مطالبين بالبحث عن تلك المعالم في ثنايا النصوص المتناثرة هنا وهناك؛ لأنها في حقيقتها تعتبر مكوناً من مكونات كتب أخرى في تخصصات أخرى، وغالباً ما ترد في سياق الاستدلال على مجموعة من الآراء والمواضيع والمعاني والأفكار والمذاهب...
إلا أن ما ذكر من الصعوبات لا يمنع من محاولة الكشف عن معالم المنهج التفسيري للإمام، وذلك من خلال ما يلي:

الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ منهجه في التفسير بالمأثور

أ - بالقرآن الكريم:

إن المتأمل في كتاب الله تعالى يجد أنه اشتمل على الإطلاق والتقيد وعلى العموم والخصوص وعلى الإجمال والتبيين؛ ولهذا كان لازماً على من يتعرض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر إليه باعتباره المصدر الأول في التفسير، وفي ذلك يقول ابن تيمية رحمته الله: «إن أصح الطرق في ذلك - أي التفسير - أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فُسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بُسط في موضع آخر» ^(١).
والإمام الغزالي في تفسيره المجموع لم يحد عن هذه الطريقة؛ فقد فسر القرآن بالقرآن، ولذلك نجده كثيراً ما يستعين بآية قرآنية ليوضح بها آيات أخرى، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥] يقول الإمام الغزالي: «ما أراد به الرؤية الظاهرة فإن ذلك غير مخصوص بإبراهيم عليه السلام حتى يُعرض في معرض الامتنان؛ ولذلك سمي ضد إدراكه عمى، فقال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَىٰ الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَىٰ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَدْيِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢]» ^(٢).

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، تحقيق: فريال علوان (٦٠).

(٢) نص التفسير رقم (٣٩٤).

كذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣] قال الإمام الغزالي: «فوجب بما أوحى إليه لا بما أوحى إلى غيره، وقوله: ﴿أَنْ اتَّبِعْ﴾ أي افعل مثل فعله، وليس معناه: كن متبعًا له وواحدًا من أمته، كيف والملة عبارة عن أصل الدين والتوحيد والتقديس الذي تتفق فيه جميع الشرائع؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠] ولا يجوز تسفيه الأنبياء المخالفين له، ويدل عليه أنه لم يبحث عن ملة إبراهيم، وكيف يبحث مع اندراس كتابه وإسناد أخباره؟!» (١).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الحاثية: ٢٩] يقول الإمام الغزالي: «ليس لكتابه آلة العبارة، ولا عدة الإشارة؛ لكن لما تضمن جميع الأشياء، وأحاط بكل المكونات، واستولى على لطائف الموجودات وكشافتها، كما قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] فبهذا المعنى سَمَّى الله كتابه «ناطقًا» ليعلم العاقل أن الناطق من الناس قد تكون نفسه» (٢).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤] قال الإمام الغزالي: «أكرموا بتعجيل الطعام إليهم، دل عليه قوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩]» (٣).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْسَدِرْجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤] قال الإمام الغزالي: «كلما أحدثوا ذنبًا، أحدث لهم نعمة ليزيد غرورهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]» (٤).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢] قال الإمام الغزالي: «﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] وهو معنى قوله: ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾» (٥).

ولم يكتفِ الإمام الغزالي بأن يستعين بآية ليفسر بها أخرى، بل كان أحيانًا يقرن الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد حتى يوفر لتفسيره الوحدة الموضوعية.

(٢) نص التفسير رقم (٩٨٦).

(٤) نص التفسير رقم (١١٨٥).

(١) نص التفسير رقم (٦١٢).

(٣) نص التفسير رقم (١٠٤٢).

(٥) نص التفسير رقم (١١٨٧).

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠] يقول الإمام الغزالي: «الهادي هو الذي هدى خواص عباده أولاً إلى معرفة ذاته حتى استشهدوا بها على ذاته، وهدى عوام عباده إلى مخلوقاته حتى استشهدوا بها على ذاته، وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد منه في قضاء حاجاته؛ فهدى الطفل إلى التقام الثدي عند انفصاله، والفرخ إلى التقاط الحب وقت خروجه، والنحل إلى بناء بيته على شكل مسدس لكونه أوفق الأشكال لبدنه وأحواله، وشرح ذلك يطول، وعنه عبر قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ٣]» (١).

كذلك لم يغفل الإمام الغزالي الإشارة إلى الآيات التي تتفق في الأسلوب والنظم والمعنى؛ ففي تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] قال الإمام الغزالي: «ثبت ذلك في كتابه العزيز في ثلاثة مواضع، وإنما أراد الله ﷻ الموتات الثلاث للعالمين ... إلخ» (٢).

ب - بالحديث النبوي الشريف:

تمهيد:

لا خلاف في اعتبار الحديث النبوي أهم الوسائل في فهم القرآن الكريم بعد فهم القرآن بالقرآن، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وفي هذه الآية الكريمة دلالة واضحة على وظيفة الرسول ﷺ في بيان التنزيل وشرحه حتى يتحقق فهمه والعمل به؛ ولذلك قال ابن تيمية: «إنها - أي السنة - شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبْنَا اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥] وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» (٣) يعني السنة» (٤).

(١) نص التفسير رقم (٧٠٦). (٢) نص التفسير رقم (٢٢٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٣١/٤)، وأبو داود في كتاب السنة (٤٦٠٤/٤) من حديث المقدم بن معد يكرب، وهو حديث في صحيح الجامع رقم (٢٦٤٣).

(٤) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص ٦٠، ٦١).

وقد حفلت هذه النصوص التفسيرية للإمام الغزالي بثروة حديثة وافرة، كان دائم الاستشهاد بها في تفسير النص القرآني وتوضيح أحكامه.

وقد كان توظيف الحديث النبوي في مصنفات الإمام الغزالي عامة و « الإحياء » خاصة من بين الأسباب الرئيسية لانتقاده من بعض العلماء والفقهاء؛ كالإمامين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم اللذين قالاه في: « بضاعة الغزالي في الحديث مزجاة »^(١). وقد كتب الإمام ابن الجوزي كتابًا مسماه « إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء » ردًا على الإمام الغزالي، كما تزعم فقهاء المغرب ومنهم القاضي عياض الطعن في كتاب الإحياء وأنكروا ما جاء فيه من أحاديث وأخبار، حتى بلغ بهم الحال إلى الإفتاء بإحراقه^(٢).

هذا وقد اعترف الإمام الغزالي بضعفه في الحديث حيث قال: « بضاعتي في علم الحديث مزجاة »^(٣).

- ورغم ذلك فهناك من الدلائل ما يدل على اهتمام الإمام الغزالي بالحديث الشريف، من بينها:

- قرر الحافظ العراقي أن أكثر ما ذكره الإمام الغزالي من الأحاديث في كتابه « الإحياء » ليس بموضوع، وأوضح ذلك في كتابه الذي وضعه في تخريج أحاديث « الإحياء » المسمى « المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار »^(٤).

- الإحالة على كتب الصحاح في جهوده التفسيرية المجموعة^(٥).

- اشتغاله في أواخر أيامه بالحديث وعلومه، وكان معظم تدريس الغزالي في عهده الأخير في التفسير والحديث والتصوف حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى^(٦).

هذا وقد تنوعت الأحاديث التي اعتمدها الإمام الغزالي في هذا التفسير المجموع ما بين

(١) الإتحاف (٣٨/١)، والغزالي (٦٣).

(٢) لمحات من تاريخ حياة حجة الإسلام أبي حامد الغزالي لأبي بكر القادري، السفر الثاني عشر من مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية (١٣٦).

(٣) قانون التأويل ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، رقم (٧) (ص ١٣٢).

(٤) تعريف الأحياء بفضائل الإحياء للعيدروسي ملحق بالإحياء (١٠/٥).

(٥) ن: نص التفسير، رقم (٥٢٠ و ١١٨٤).

(٦) تعريف الأحياء بفضائل الإحياء (١١/٥).

صحيح وحسن، وضعيف ومنكر وموضوع على قلته. ومن الأمثلة على ذلك:

١ - (الأحاديث المتفق عليها) :

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦] قال الإمام الغزالي: « أخبر الله تعالى بقرب رحمته من المحسنين، وقد قال ﷺ: « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه » (١) فهو يفيد بُعد رحمته من غير المحسنين » (٢).

وعند قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] قال: « هذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى، وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم أهل الجنة. وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة - وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده أهل البدعة. قال جرير بن عبد الله البجلي: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فرأى القمر ليلة البدر فقال: « إنكم ترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا » ثم قرأ: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه: ١٣٠] (٣) وهو مخرج في الصحيحين » (٤).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴾ [الواقعة: ٣٠] قال الإمام الغزالي: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، اقرأوا إن شئتم: ﴿ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴾ (٥) » (٦).

٢ - (الحديث الحسن) :

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ [البقرة: ٢٦٨] قال الإمام الغزالي: قال ﷺ: « في القلب لمتان: لمة من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله، ولمة من العدو وإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير، فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم » (٧).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان (ح ٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان (ح ١).

(٢) نص التفسير، رقم (٤٣٥).

(٣) الحديث رواه البخاري في كتاب التوحيد (ح ٧٤٣٧)، ومسلم في كتاب المساجد (ح ٦٣٣).

(٤) نص التفسير، رقم (٥٢٠).

(٥) رواه البخاري في كتاب التفسير، (ح ٤٨٨١)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (ح ٢٨٨٦).

(٦) نص التفسير، رقم (١٠٨٧).

(٧) أخرجه الترمذي في سننه، ن: أبواب تفسير القرآن (ح ٤٠٧٣).

ثم تلا قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾^(١).
وفي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]
قال الإمام الغزالي: «سئل النبي ﷺ عن الاستطاعة فقال: «الزاد والراحلة»^(٢)»^(٣).
وعند قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾
[المائدة: ١٠٥] قال الإمام الغزالي: روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته: يا أيها الناس
إنكم تقرؤون هذه الآية وتتأولونها على خلاف تأويلها ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ
لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من قوم عملوا
بالمعاصي وفيهم من يقدر عليهم فلم يفعل إلا أوشك أن يعمهم الله بعذاب من
عنده»^(٤)»^(٥).

٣ - (الحديث الضعيف):

عند تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾
[آل عمران: ١٩١]، قال الإمام الغزالي: «نظر رسول الله ﷺ إلى السماء وقرأ قوله تعالى:
﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ثم قال ﷺ: «ويل لمن قرأ هذه
الآية ثم مسح بها سبلته»^(٦) ومعناه: أن يقرأ ويترك التأمل»^(٧).
وفي تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ قال الإمام الغزالي: «رُوي أنه
لما نزل قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: كيف الفرح
بعد هذه الآية؟ فقال رسول الله ﷺ: «غفر الله لك يا أبا بكر، الست قمرض؟ ألسنت
يصيبك الأذى؟ ألسنت تحزن؟ فهذا ما تجزون به»^(٨) يعني أن جميع ما يصيبك يكون

(١) نص التفسير، رقم (١٥٥).

(٢) رواه الترمذي في سننه، ن: أبواب تفسير القرآن (ح ٤٠٤٨).

(٣) نص التفسير، رقم (١٩٩).

(٤) رواه الترمذي في سننه، ن: أبواب تفسير القرآن (ح ٥٠٥٠).

(٥) نص التفسير (٣٦٨).

(٦) قال الحافظ العراقي: أخرجه الثعلبي من حديث ابن عباس بلفظ: «ولم يتفكر فيها» وفيه أبو جناب يحيى

ابن أبي جبة ضعيف، ن: المغني بهامش الإحياء (١٢٣/٤).

(٧) نص التفسير، رقم (٢٣٧).

(٨) قال الحافظ العراقي: الحديث من رواية من لم يسم عن أبي بكر، ورواه الترمذي من وجه آخر وضعفه. =

كفارة لذنوبك» (١).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ [فاطر: ٢] قال: « هذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله ﷻ وغير مضمون بها على أحد، ولكن إنما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال ﷺ: « إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها » (٢) والتعرض لها بتطهير القلب وتركه من الخبث والكدورة الحاصلة من الأخلاق المذمومة » (٣).

هذه بعض أنواع الحديث التي اعتمدها الإمام الغزالي في شرحه لبعض آيات القرآن الكريم.

ومن خلال هذه الثروة الحديثية يتضح أن الإمام الغزالي كان مرة يورد الحديث كاملاً، ومرة يكتفي بإيراد بعضه ومرة يورد الأحاديث بألفاظها وأخرى بمعانيها، كما أن مواضع الترغيب والترهيب من هذا التفسير، كثر فيها إيراد الأحاديث الضعيفة.

أسباب النزول: بالإضافة إلى ما ذكر فإن أسباب النزول - التي لا يحل القول فيها إلا بالرواية والسمع - كانت حاضرة في هذا التفسير المجموع؛ لأن معرفة أسباب النزول من أهم أدوات التفسير؛ لما في ذلك من علاقة وثيقة بين السبب والمسبب، وفي ذلك يقول ابن تيمية رحمه الله: « معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب » (٤).

وقال الواحدي: « إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تُصرف العناية إليها؛ لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها، ولا يحل القول في أسباب نزول إلا بالرواية والسمع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب » (٥).

وقد أولاها الإمام الغزالي عناية خاصة شأنه في ذلك شأن سائر المفسرين، ومن ثم فإن من يطالع تفسيره - هذا - ليكشف عن منهجه يبدو له أن أسباب النزول كانت

= قال: وليس له إسناد صحيح. وقال الدارقطني: وروي أيضًا من حديث عمر، ومن حديث الزبير قال: وليس فيها شيء ثبت، ن: المغني بهامش (١٣٨/٤) وسنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن (ح ٥٠٣٠).

(١) نص التفسير، رقم (٣١٦).

(٢) قال السيوطي: حديث ضعيف، ن: الجامع الصغير للسيوطي (٣٦٧/١) (ح ٢٣٩٨)، والمغني

(٢١٩/١) والإتحاف (٤٦٠/٣) م.

(٤) مقدمة في أصول التفسير (ص ٦٠).

(٣) نص التفسير، رقم (٨٧٩).

(٥) أسباب النزول (ص ٤).

حاضرة عنده في فهم كتاب الله تعالى.

ومن أمثلة ذلك:

عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ قَدْ زَرَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ [البقرة: ١٤٤] قال الإمام الغزالي: « كان رسول الله ﷺ يستقبل الصخرة من بيت المقدس مدة مقامه بمكة - وهي قبله الأنبياء - وكان يقف بين الركنين اليمانيين؛ إذ كان لا يؤثر استدبار الكعبة، فلما هاجر إلى المدينة لم يكن استقبالها إلا باستدبار الكعبة، وعيرته اليهود، وقالوا: إنه على ديننا ويصلي إلى قبلتنا، فسأل الله تعالى أن يحوله إلى الكعبة، فنزل قوله تعالى: ﴿ قَدْ زَرَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ [البقرة: ١٤٤] »^(١).

وعند قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩] قال: « نزل هذا في رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئاً لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شيء »^(٢).

وعند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١] قال الإمام الغزالي: « لما نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨] قال بعض اليهود: أنا أخصم لكم محمداً، فجاءه وقال: قد عُبِدَت الملائكة وعُبد المسيح، فيجب أن يكونوا من حصب جهنم، فأنزل الله ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾^(٣).

هذه نماذج من تفسير الآيات بسبب نزولها، وهي توضح ضرورة هذا العلم لمن أراد تفسير كتاب الله تعالى؛ لأن العديد من الآيات لا يستطيع المفسر القول فيها إلا اعتماداً على ما نزل فيها وإلا فسيقع في المحذور.

ج - بأقوال الصحابة والتابعين:

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله في وصف تفسير الصحابة والتابعين للقرآن الكريم: « ... ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم، وأنهم كانوا أعلم بتفسير معانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ، فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف

(٢) نص التفسير، رقم (٦٣٤).

(١) نص التفسير، رقم (٧٧).

(٣) نص التفسير، رقم (٧٣١).

تفسيرهم، فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعاً» (١).

ولذلك فتفسير الصحابة ﷺ للقرآن الكريم يلي بالمكانة تفسير رسول الله ﷺ لعدة أسباب من بينها:

أولاً: كونهم شاهدي عيان لأحوال نزول الوحي وقرائنه وأسبابه.

ثانياً: كونهم أهل اللسان العربي، وأصحاب البلاغة والفصاحة والبيان.

ثالثاً: كونهم أعلم الناس بعادات العرب وأحوالها وأخبارها.

رابعاً: كونهم الجيل الراشد الذي لم يشهد التاريخ مثيلاً له.

كما أنه يلحق بتفسير الصحابة ﷺ تفسير التابعين؛ لأن منهم من تلقى جميع التفسير عن الصحابة ﷺ، كما قال مجاهد: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه، وأسأله عنها ...» ولهذا كان الثوري يقول: «إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به» (٢).

انطلاقاً مما ورد نجد الإمام الغزالي يأخذ بالمأثور عن الصحابة والتابعين، ويحتج به في مقام البيان والتفسير.

وأكثر الصحابة وروداً في هذه النصوص التفسيرية للإمام الغزالي: ابن عباس وابن مسعود، وأكثر التابعين: مجاهد والحسن البصري وقتادة.

فتارة يورد أقوالهم لتوضيح كلمة أو تفسير آية، وأخرى يستعين بها لبيان حكم فقهي، وأخرى يستشهد بها على معرفة أسباب النزول وغير ذلك...

ففي مجال الاستشهاد بهذه النقول في توضيح الآية وتفسيرها ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، قال الإمام الغزالي: «إن أضاف إلى المشي الإحرام من دويرة أهله، فقد قيل: إن ذلك من إتمام الحج، قاله عمر وعلي وابن مسعود ﷺ في معنى قوله ﷺ: ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾» (٣).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، قال الإمام الغزالي: «قال ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ

(١) دقائق التفسير لابن تيمية، جمع وتحقيق وتقديم: د. الجليلند (١٠٩/١).

(٢) أصول التفسير لابن تيمية (ص ٦٧، ٦٨). (٣) نص التفسير، رقم (١٠٥).

خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١﴾ يعني الفهم في القرآن « (١) ».

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ [آل عمران: ١٥] قال: « قال مجاهد: من الحيض والغائط والبول والبصاق والنخاسة والمني والولد » (٢).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] قال: « قال ابن عباس: أطيعوا الله حق طاعته، وقال مجاهد: هو أن يُطاع فلا يُعصى وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر » (٣).

وفي مجال بيان الأحكام الفقهية ما ذكره الإمام الغزالي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ﴾ [النساء: ١١]، قال: « عقل ابن عباس عليه السلام من قوله: ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ﴾ أنه إن كان له أخوان فلأُمِّه الثلث » (٤).

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَمْرُؤَا هَٰذَا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَدٌ خْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ﴾ [النساء: ١٧٦] قال الإمام الغزالي: « قال ابن عباس عليه السلام: الأخوات لا يرثن الأولاد لقوله تعالى: ﴿ إِنْ أَمْرُؤَا هَٰذَا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَدٌ خْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ﴾ فإنه لما جعل لها النصف بشرط عدم الولد دل على انتفائه عند وجود الولد » (٥).

وفي مجال الاستشهاد بها على معرفة أسباب النزول ما ذكره الإمام الغزالي عند قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٨] قال: « روي عن ابن عباس عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقنت على المشركين ويلعنهم في صلاته، فنزل قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ الآية، فترك الدعاء عليهم، وهدى الله تعالى عامة أولئك للإسلام » (٦).

وفي قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [مريم: ٧٧] قال: « روي عن خباب بن الارت أنه قال: كان لي على العاص بن وائل دين فجئت أتقاضاه فلم يقض لي فقلت: إني آخذه في الآخرة، فقال لي: إذا صرث إلى الآخرة فإن لي هناك مالا وولدا أقضيك منه، فأنزل الله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ » (٧).

(٢) نص التفسير، رقم (١٨٦) .

(٤) نص التفسير، رقم (٢٥٠) .

(٦) نص التفسير، رقم (٢١١) .

(١) نص التفسير، رقم (١٥٧) .

(٣) نص التفسير، رقم (٢٠٠) .

(٥) نص التفسير، رقم (٣٢٥) .

(٧) نص التفسير، رقم (٦٨٩) .

الْمَبْحَثُ الثَّانِي

منهجه في التفسير بالرأي

أ - مفهوم التفسير بالرأي عند الإمام الغزالي:

التفسير بالرأي هو ما يقابل التفسير بالمأثور، وهو يعتمد على الفهم العميق والمركز لمعاني الألفاظ القرآنية، كما أنه يقوم على الاجتهاد في فهم النصوص القرآنية وإدراك مقاصدها ومراميها، مستعيناً في ذلك بقواعد اللغة وأساليب البيان من غير أن يخالف تفسيراً ورد عن النبي ﷺ أو تفسيراً للصحابة رضي الله عنهم.

وهذا النوع من التفسير موضع خلاف بين العلماء، فبعضهم تشدد ومنع أن يفسر القرآن بالرأي، وبعضهم جوّز ذلك.

ومن المجوزين الإمام الغزالي الذي قال: « اعلم أن من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه، وهو مصيب في الإخبار عن نفسه، ولكنه مخطئ في الحكم برد الخلق كافة إلى درجته التي هي حده ومحطه، بل الأجبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعاً لأرباب الفهم » ^(١).

وقال بعد الاحتجاج والاستدلال على بطلان القول بأن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما يسمعه: « فبطل أن يشترط السماع في التأويل، وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله » ^(٢).

وأما التفسير بالرأي المنهي عنه في نظر الإمام الغزالي فهو التفسير المبني على الهوى، وعلى ظاهر العربية من غير استظهار بالسماع، وفي ذلك يقول: « وأما النهي فإنه ينزل على أحد وجهين:

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى.

والوجه الثاني: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار

والحذف والإضمار والتقديم والتأخير، فمن لم يحكم بظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زمرة من يفسر بالرأي، فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير أولاً ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط « (١) ».

من خلال ما تقدم يتبين أن الإمام الغزالي يستعمل اجتهاده في تفسير القرآن الكريم مستحضراً في ذلك الأداة اللغوية وغيرها من الأدوات؛ لأنه من بين الشروط التي يشترطها الإمام الغزالي في المفسر أن يكون محصلاً لعلم اللغة وما يتبعه؛ إذ يقول:

« من أراد أن يتكلم في تفسير القرآن وتأويل الأخبار، ويصيب في كلامه، فيجب عليه أولاً تحصيل علم اللغة والتبحر في علم النحو، والرسوخ في ميدان الإعراب، والتصرف في أصناف التصريف؛ فإن علم اللغة سُلّم ومراقبة إلى جميع العلوم، ومن لم يعلم اللغة فلا سبيل له إلى تحصيل العلوم .. » (٢).

وقال أيضاً: « يجب على المفسر أن ينظر في القرآن من وجه اللغة، ومن وجه الاستعارة، ومن وجه تركيب اللفظ، ومن وجه مراتب النحو، ومن وجه عادة العرب .. » (٣).

وهذا الشرط الذي اشترطه الإمام الغزالي على المفسر كان حاضراً لديه في اجتهاده في التفسير؛ ولذلك نجده يكثر من مثل هذه العبارات: « قال أكثر أهل اللغة »، « وفي اللغة » و « قالت العرب » وغيرها.

ومن الأمثلة التي تدل على ذلك:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ مِنْهُ ءَايَاتٌ تُحْكِمُكُمُ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ ﴾ [آل عمران: ٧] قال الإمام الغزالي: « في القرآن محكم ومتشابه كما قال تعالى: ﴿ مِنْهُ ءَايَاتٌ تُحْكِمُكُمُ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ ﴾، واختلفوا في معناه؛ وإذا لم يرد توقيف في بيانه فينبغي أن يفسر بما يعلمه أهل اللغة، ويناسب اللفظ من حيث الوضع » (٤).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَظْلَمُونَ قَتِيلًا ﴾ [النساء: ٧٧] قال: « اتفق أهل اللغة على أن فهم ما وراء الفتيل من المقدار الكثير أسبق إلى الفهم منه من نفس الفتيل » (٥).

(١) الإحياء (٣٤٢/١).

(٢، ٣) الرسالة اللدنية، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، رقم (٣)، (ص ٩٨).

(٤) نص التفسير (٢٩١).

(٥) نص التفسير، رقم (١٧٨).

وفي قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣] قال الإمام الغزالي: « لغة العرب منقسمة إلى حقيقة ومجاز، فالزكاة من حيث الصورة تنقيص، ومن حيث المعنى نمو وزيادة » إلى أن قال: « فثبت بهذا أن هذا الاسم بمعنى النمو حقيقة فيها من عالم الحقائق، وقد جاءت الشريعة بالحقيقة والمجاز، وكلاهما في لغة العرب »^(١).
وعند قوله تعالى: ﴿ وَسُبِّحَنَ اللَّهُ ﴾ [يوسف: ١٠٨] قال الإمام الغزالي: « ومعناها في كلام العرب: التنزيه والسلب »^(٢).

وعند قوله تعالى: ﴿ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾ [الإسراء: ٧٥] قال: « أي ضعف عذاب الأحياء وضعف عذاب الموتى، فحذف العذاب وأبدل الأحياء والموتى بذكر الحياة والموت، وكل ذلك جائز في فصيح اللغة »^(٣).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات: ١٢] قال الإمام الغزالي: « من عادات العرب في البيان التنبيه على الشيء بذكر نظيره وضرب مثل فيه، دون التعرض له في نفسه، وهو في الإفادة كالتعرض له؛ كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ يعني: أنه محرم كأكل لحم الغير »^(٤).

ومن الأمثلة التي توضح تفسير الإمام الغزالي لبعض الألفاظ القرآنية: عند قوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ [المائدة: ١٠٢] قال: « هم ذوو العقول، واشتقاق العقل من العقال، والمعدل: المنيع القلعة على رأس الجبل لا يصل إليها يد أحد لامتناعها وقوتها وإحكامها »^(٥).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَشَرَّوْهُ يَشْتَرِ بِخَيْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ [يوسف: ٢٠] قال: « معناه: باعوه، فقد يطلق الشراء بمعنى البيع »^(٦).
وعند قوله تعالى: ﴿ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ [إبراهيم: ٤٩] قال: « الصفد: هو اقتران القدمين معاً »^(٧).

وكذا عند قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرٌ ﴾ [الإسراء: ٢٣] قال: « الأف: وسخ الظفر »^(٨).

(٢) نص التفسير، رقم (٥٥٢).

(٤) نص التفسير، رقم (١٠١٦).

(٦) نص التفسير، رقم (٥٤٠).

(٨) نص التفسير، رقم (٦٢٤).

(١) نص التفسير، رقم (٥٠٩).

(٣) نص التفسير، رقم (٦٤٥).

(٥) نص التفسير، رقم (٣٦٧).

(٧) نص التفسير، رقم (٥٧٥).

وعند قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَيْكَ أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦] قال: «الروغان: الذهاب بسرعة» (١).

ب - اجتهاده في التفسير:

١ - استنباط الأحكام الفقهية:

اهتمامه بالناسخ والمنسوخ قبل بيان الأحكام الفقهية: لا خلاف بين العلماء في كون الناسخ والمنسوخ من أجل العلوم القرآنية وأوجبها التي بدون الإمام بها يصعب على المفسر التحدث في كتاب الله أو التجرؤ على تفسيره.

ولذلك « لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ، وقد قال علي لقاض: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلك » (٢). وقد تفتن الإمام الغزالي إلى أهمية الناسخ والمنسوخ، ومن ثم فقد كان دائم الإشارة إلى الناسخ والمنسوخ من الآيات.

يقول الإمام الغزالي في قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] «الناسخ هو الله تعالى ... هو المظهر على لسان رسوله ﷺ، المفهوم إيانا بواسطة نسخ كتابه ولا يقدر عليه غيره، ثم لو نسخ الله تعالى آية على لسان رسول الله ﷺ ثم أتى بآية أخرى مثلها كان قد حقق وعده، فلم يشترط أن تكون الآية الأخرى هي النسخة الأولى».

ثم نقول: ليس المراد الإتيان بقرآن آخر خير منها؛ لأن القرآن لا يوصف بكون بعضه خيراً من البعض كيفما قدر قديماً أو مخلوقاً، بل معناه: أن يأتي بعمل خير من ذلك العمل لكونه أخف منه أو لكونه أجزل ثواباً (٣).

ويقول في بعض معاني قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ [الرعد: ٣٩] «معناه: أنه يمحو الحكم المنسوخ ويثبت الناسخ ... إلخ» (٤).

(من أمثلة النسخ):

أ - نسخ القرآن بالقرآن:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢٧/٣).

(٤) نص التفسير، رقم (٥٦٢).

(١) نص التفسير، رقم (١٠٤٣).

(٣) نص التفسير، رقم (٦٥).

مَتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴿ [البقرة: ٢٤٠] قال: « نسخ التبرص حولًا عن المتزوي عنها زوجها.. مع بقاء التلاوة » ^(١).

ب - نسخ السنة بالقرآن:

قال الإمام الغزالي: « صلاة الخوف وردت في القرآن » ^(٢) ناسخة لما ثبت من السنة جواز تأخيرها إلى جلاء القتال حتى قال عليه السلام يوم الخندق وقد أخرج الصلاة: « حشا الله قبورهم نارًا » لحبسهم له عن الصلاة ^(٣).

ج - نسخ القرآن بالسنة:

قال الإمام الغزالي: أما نسخ القرآن بالسنة: فنسخ ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠] بقوله عليه السلام: « ألا لا وصية لوارث »؛ لأن آية الميراث لا تمنع الوصية للوالدين والأقربين؛ إذ الجمع ممكن ^(٤).

بيان الأحكام الفقهية: الإمام الغزالي فقيه على المذهب الشافعي، ألف كتبًا كثيرة في الفقه، ما بين المسهب والوسيط والبسيط والوجيز، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تفننه في التأليف وتنوع طريقته فيه.

من بين هذه المؤلفات « المستصفى » الذي يعد أحد كتب ثلاثة هي الدعائم لأصول الفقه على طريقة الإمام الشافعي، وثانيها: كتاب « العمدة » لأبي الحسين محمد ابن علي البصري (ت ٤١٣ هـ) وثالثها: كتاب « البرهان » لشيخ الغزالي: إمام الحرمين الجويني (ت ٤٨٧ هـ).

لذلك تعرض الإمام الغزالي في تفسيره - هذا - لمجموعة من الأحكام الفقهية، غير أنها معروضة بطريقتين: طريقة تناسب مقام التفسير فلم يفصل فيها كثيرًا في بيان الجزئيات، وطريقة مفصلة للجزئيات تكاد لا تناسب مقام التفسير وإنما أوردتها ضمن التفسير لتعلقها بالآية المفسرة.

(١) نص التفسير، رقم (١٣٤)، والآية الناسخة هي قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْيَقُمْ صَلَاتُكَ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ ﴾ الآية [النساء: ١٠٢].

(٤) نص التفسير، رقم (٩١).

(٣) نص التفسير، رقم (٣٠٨).

- مثال الطريقة الأولى:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ بَشِرُوا هُنَّ وَأَتَعَفُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] قال الإمام الغزالي: «من وطئ بالليل في رمضان، فأصبح جنباً لم يفسد صومه؛ لأنه قال: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ﴾، وقال: ﴿فَالَّذِينَ بَشِرُوا هُنَّ﴾ ثم مد الرخصة إلى أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، فتشعر الآية بجواز الأكل والشرب والجماع في جميع الليل، ومن فعل ذلك في آخر الليل، استأخر غسله إلى النهار، وإلا وجب أن الوطء في آخر جزء الليل بمقدار ما يتسع للغسل، فهذا وأمثاله مما يكثر ويسمى إشارة اللفظ» (١).

وكذا عند قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩]، قال الإمام الغزالي: «ورد ذلك في حق المؤمنات، ويلحق بهن الكافرات؛ لأنه فهم السبب وهو الطلاق قبل المسيس، فإذا كان سبباً لسقوط العدة في حق المؤمنة، فكذلك يكون في حق الكافرة» (٢).

وعند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦]، قال الإمام الغزالي: «الصحيح أنه يجب تعجيل النفقة قبل الوضع بنفس الحمل لظاهر الآية» (٣).

- ومن أمثلة الطريقة الثانية:

تحدثه عند الانتهاء من تفسير سورة الفاتحة عن سوابقها ولواحقها بإسهاب، بحيث تعرض لأحكام دعاء الاستفتاح والتعوذ بعده وقراءة البسملة والتأمين وغيره (٤).

وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤] أورد الإمام الغزالي في المسافر مذهبين ضعيفين كما قال؛ أحدهما: مذهب أصحاب الظاهر الذي يقول بفساد صوم المسافر لظاهر الآية، والثاني: مذهب الكرخي القائل بوجوب أيام آخر، وبين بعد ذلك فساد مذهبهما (٥).

وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]

(٢) نص التفسير، رقم (٨٦٦).

(٤) نص التفسير، رقم (٢٩).

(١) نص التفسير، رقم (١٠١).

(٣) نص التفسير، رقم (١١٥٦).

(٥) نص التفسير، رقم (٩٧).

أسهب الإمام الغزالي في أحكام المرأة الشابة إذا طُلق بعد المسيس ولزمتها العدة وتربصت الأقراء^(١).

٢ - استنباط المعاني الإشارية:

مما لا شك فيه أن الإمام الغزالي يعد من أقطاب الصوفية، فقد عرف التصوف منذ يفاعته: في أول الأمر عن طريقة شيخه الصوفي الأول الذي كلفه والد الغزالي برعاية ابنه محمد وأحمد.

في ثاني مرة عندما سرق اللصوص مخلاته فطلب من زعيمهم أن يردّها إليه؛ لأن فيها كتبًا هاجر الغزالي لسماعها ومعرفة علمها، فقال له زعيمهم: عيف عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم؟ ثم أعاد إليه المخلات، وفهم الغزالي - كما يفهم الصوفي بتبع الرموز والإشارات - أن هذه العبارة إشارة إلهية كي يحصل ما في الكتب ويحفظه في صدره حتى لا يضيع.

وفي ثالث مرة، عرفه وهو مقيم بالعسكر، بحيث كان نظام الملك من محبي الصوفية. ومن بين آراء الشخصيات الصوفية التي تأثر بها الإمام الغزالي: « آراء الحارث المحاسبي (ت ٢٤٣ هـ) وأبي طالب المكي صاحب « قوت القلوب » (ت ٣٨٢ هـ)، وكذلك القشيري صاحب الرسالة المشهورة في التصوف (ت ٤٦٥ هـ)، كما طالع الإمام الغزالي كلام الجنيد والبسطامي والشبلي وغيرهم »^(٢).

لذلك نجد الإمام الغزالي ينقل منهم أخبارًا وأحاديث، « وعليها مدار كتابه الإحياء »^(٣). والمطالع لهذا التفسير المجموع للإمام الغزالي يجده قد تأثر بهذه الإشارات الصوفية في استنباطاته، خصوصًا أنه من بين ما يشترطه على المفسر أن ينظر في القرآن من وجه كلام المتصوفة حتى يقرب تفسيره إلى التحقيق؛ إذ قال: « يجب على المفسر أن ينظر في القرآن من وجه اللغة، ومن وجه الاستعارة، ومن وجه تركيب اللفظ، ومن وجه مراتب النحو، ومن وجه عادة العرب، ومن وجه أمور الحكماء، ومن وجه كلام المتصوفة حتى يقرب تفسيره إلى التحقيق... إلخ »^(٤). وقال أيضًا: « كم من معاني دقيقة من أسرار

(١) نص التفسير، رقم (١٢٥).

(٢) المنقذ من الضلال، تحقيق: د. عبد الحليم محمود (ص ٣٧٢، ٣٧٣).

(٣) إتحاف السادة المتقين (٦/١).

(٤) الرسالة اللدنية مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، رقم (٣) (ص ٩٨).

القرآن تخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير، ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين، وإذا انكشف ذلك للمريد المراقب وعُرض على المفسرين استحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية وألطف الله تعالى بالهمم العالية المتوجهة إليه ^(١).

ولذلك كثرت المصطلحات الصوفية في هذه النصوص التفسيرية كالكشف ^(٢) والوجد ^(٣) والتحلية ^(٤) والتزكية ^(٥) وغيرها كثير.

أما الإشارات الصوفية في نصوصه التفسيرية فكثيرة من بينها:

عند قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] قال الإمام الغزالي: « قال الشيخ أبو سعيد الميهني - رحمه الله تعالى - لما قرئ عليه قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ فقال: بحق يحبهم، فإنه ليس يحب إلا نفسه، على معنى أنه الكل، وأن ليس في الوجود غيره، فمن لا يحب إلا نفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته، فهو إذن لا يحب إلا نفسه... إلخ ^(٦).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦] قال: « قال عليه السلام: « إن لله سبعين حجاباً من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدركه بصره » وتلك الحجب مرتبة، وتلك الأنوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب، ويبدو في الأول أصغرها ثم ما يليه، وعليه أول بعض الصوفية دراجات ما كان يظهر لإبراهيم الخليل عليه السلام في ترقيه، وقال: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ أي أظلم عليه الأمر ﴿رَأَى كَوْكَبًا﴾ أي وصل إلى حجاب من حجب النور، فعبر عنه بالكوكب، وما أريد به هذه الأجسام المضيئة، فإن آحاد العوام لا يخفى عليهم أن الربوبية لا تليق بالأجسام، بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم، فما لا يضلل العوام لا يضلل الخليل عليه السلام » ^(٧).

وقال الإمام الغزالي في سورة « هود »: « قوله عليه السلام: « شيتني هود وأخواتها » خبر عن الوجد، فإن الشيب يحصل من الحزن والخوف، وذلك وجد ^(٨). وقال: « والوجد هو الشوق الغالب على قلب الطالب » ^(٩).

(١) الإحياء (٨٧/١). (٢) ن: نصوص التفسير، رقم (٣٥٣ - ٤٦٥ - ٥٩٦).

(٣) ن: نصوص التفسير، رقم (٥٢٥ - ٥٤١). (٤) ن: نصوص التفسير، رقم (١٨ - ٢٦).

(٥) ن: التفسير، رقم (١٨ - ٢٦). (٦) نص التفسير، رقم (٣٥٣).

(٧) نص التفسير، رقم (٣٩٦) (ون ٣٩٥). (٨) نص التفسير، رقم (٥٢٥).

(٩) نص التفسير، رقم (٥٤١).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] قال: «أخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر، وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا، فالتقوى باب الذكر، والذكر باب الكشف، والكشف باب الفوز الأكبر، وهو الفوز بقاء الله تعالى» (١).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الأنعام: ١٧] قال الإمام الغزالي: «في الكلام حذف يدل على صحة تقدير الشرع الصادق والمشاهدة الصورية، وهو أن يكون معناه: إلا من ارتضى من رسول، ومن اتبع الرسول بالإخلاص والاستقامة، أو عمل بما جاء به النبي؛ لأن النبي ﷺ قال: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»، وهل يبقى إلا ما غاب عنه أن ينكشف إليه» (٢).

٣ - استبطاء المعاني الوعظية:

لقد كان لانهايار الروحي والأخلاقي الذي شهد عصر الإمام الغزالي أثر كبير في شخصيته؛ إذ ظهر الترف المادي، وشاعت في هذا العصر أفكار السوء وانحرافات الضالين والمضلين؛ ولذا كان صوت الإمام الغزالي من الأصوات التي عملت على إيقاظ الناس وتحريك النفوس والضمائر والإنذار بالعواقب والتذكير بروح الإسلام وسمو أخلاقه ومبادئه. ومن ثم فقد كثرت مواعظ الإمام الغزالي، وجاء تفسيره هذا مرآة صادقة لما ذكر سالفًا، ومن أوضح الأمثلة على ذلك:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨٤] قال الإمام الغزالي: «كان الحسن يقول في موعظة: المبادرة المبادرة فإنما هي الأنفاس، لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله ﷻ، رحم الله امرأً نظر إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه، ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ يعني الأنفاس. آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك» (٣).

وعند قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢] قال: «القرآن من أوله إلى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر، ولو لم يكن فيه إلا قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ لكان كافيًا؛ إذ علق المغفرة على

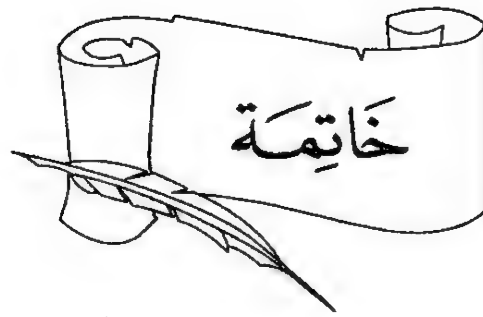
(٢) نص التفسير، رقم (١١٩٤).

(١) نص التفسير، رقم (٤٦٥).

(٣) نص التفسير، رقم (٦٩٠).

أربعة شروط يعجز العبد عن آحادها ^(١).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمُّهُ وَأَبْنَاهُ ۖ وَصَاحِبَتُهُ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٦] قال الإمام الغزالي: «يأتي الرجل إلى ولده فيقول له: يا بني: إني كسوتك حيث لا تقدر أن تكسو نفسك، وأطعمتك طعاماً وسقيتك شراباً حيث كنت عاجزاً عن ذلك، وكفلتك صغيراً حيث كنت لا تستطيع دفع الضراء ولا جلب السراء، فكم من فاكهة تمنيتها فابتعتها لك، حسبك ما ترى من هول يوم القيامة وسيئات أهلك كثيرة، فتحمل عني منها ولو سيئة فيخف عني، وأعطني ولو حسنة أزيدها في الميزان، فيفر منه الولد ويقول له: أنا أحوج منك إليها، وكذا يفعل الفصيل مع الفصيلة والصاحب والأخ، وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمُّهُ وَأَبْنَاهُ ۖ وَصَاحِبَتُهُ وَبَنِيهِ﴾ ^(٢).



مما يؤخذ على هذا التفسير المجموع:

أ - الأحاديث الضعيفة:

مما لا شك فيه أن هذا التفسير المجموع للإمام الغزالي، قد أثرى لنا المكتبة الحديثية بما حوى من أحاديث هائلة، استوعبت الكثير مما يشاع على ألسنة الناس في مجال الآداب والرقائق، غير أن هذه الثروة الحديثية ضمت عددًا من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ^(١)، كانت سببًا - كما تقدم - في انتقاد الإمام الغزالي من العلماء.

ب - مجانبته للصواب في تفسير بعض الآيات وإغرابه في بعض آخر:

من ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] قال الإمام الغزالي: «استعاذ إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ وعنى بها هذين الحجرين: الذهب والفضة... وإنما معنى عبادتهما: حبهما والاعتراض بهما» ^(٢). وفي هذا قال ابن القيم: «وهذا التفسير لم يقل به أحد من المفسرين؛ لأن المتبادر إلى الذهن من كلمة «الأصنام» هو الأحجار ذات الشكل الخاص التي كان يعبدها أهل الجاهلية» ^(٣).

وكذلك عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [النجم: ١٦] ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [النجم: ١٧] ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَكْفُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [النجم: ١٨] ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النجم: ١٩].

قال الإمام الغزالي: «إن لله سبعين حجابًا» ^(٤) من نور لا يصل السالك إلى حجاب

(٢) نص التفسير، رقم (٥٧٢).

(١) ن: (ص ٣٠).

(٣) الإتحاف (٥٠/١).

(٤) إشارة إلى قوله عليه السلام: «بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابًا من نور».

قال الحافظ العراقي: أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة بإسناد ضعيف، ن: المغني بهامش الإحياء (١٢١/١).

من تلك الحجب في الطريق إلا ويظن أنه قد وصل، وإليه الإشارة بقول إبراهيم عليه السلام؛ إذ قال الله تعالى إخباراً عنه: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾ وليس المعني به هذه الأجسام المضيئة... » (١).

وهذا التأويل من التأويلات الصوفية التي اعتمد عليها الإمام الغزالي في فهمه لهذه الآية الكريمة؛ حيث قال: « وتلك الحجب أيضاً مرتبة، وتلك الأنوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب، ويبدو في الأول أصغرها ثم ما يليه، وعليه أول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لإبراهيم الخليل عليه السلام في ترقيه، وقال: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ﴾ أي أظلم عليه الأمر ﴿ رَأَى كَوْكَبًا ﴾ أي وصل إلى أحجاب من حجب النور، فعبر عنه بالكوكب، وما أريد به هذه الأجسام المضيئة » (٢).

هكذا يفسر الإمام الغزالي هذه الآيات تفسيراً غريباً، وقد قال الإمام القرطبي فيها: « ورأى - أي إبراهيم عليه السلام - المشتري أو الزهرة ثم القمر ثم الشمس، وكان هذا في آخر الشهر » (٣) وفي ذلك قال ابن كثير: « والحق أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان في هذا المقام مناظراً لقومه مبيئاً لهم بطلان ما كانوا عليه... فبين أولاً - صلوات الله وسلامه عليه - أن هذه الزهرة لا تصلح للإلهية، فإنها مسخرة مقدرة بسير معين لا تزيع عنه يميناً ولا شمالاً... ثم انتقل إلى القمر فبين فيه مثل ما بين في النجم، ثم انتقل إلى الشمس كذلك، فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنوار ما تقع عليه الأبصار، وتحقق ذلك بالدليل القاطع ﴿ قَالَ يَتَقَوَّمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ » (٤).

ج - التعارض بين بعض آرائه:

أعرض الإمام الغزالي عن آراء اختارها في المنخول وأثناء عزلته وانصرافه إلى العبادة والرياضة، كمسألة التكليف بالمحال، فبينما يذهب في المنخول والإحياء - الذي صنفه في مرحلة العزلة - إلى جوازه، فيذهب في المستصفى (٥) إلى عدم جوازه واستحالة التكليف به. ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال الإمام الغزالي: « يجوز على الله سبحانه أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه - خلافاً للمعتزلة - ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه، وقد سألوا ذلك فقالوا: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا

(١) نص التفسير، رقم (٣٩٥).

(٢) نص التفسير، رقم (٣٩٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٥/٧).

(٤) ابن كثير (١٨٥/٢).

(٥) ألف الإمام الغزالي كتاب « المستصفى » بعد « الإحياء » ن: مقدمة المستصفى (٤/١).

لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴿١﴾.

وقال أيضًا: « ذهب شيخنا أبو الحسن عليه السلام إلى جواز تكليف ما لا يطاق مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ ولا وجه للابتهاال لو لم يتصور ذلك بالبال » (٢).

غير أنه عند قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال الإمام الغزالي: « من جَوَّز تكليف ما لا يطاق عقلاً، فإنه يمنعه شرعاً لقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ » (٣).

وعند قوله تعالى: ﴿ وَيسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥] قال الإمام الغزالي: « الروح أمر رباني، به وصفه الله تعالى، إذ قال سبحانه: ﴿ وَيسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ ومعنى كونه ربانيًا أنه من أسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في إظهاره؛ إذ لم يظهره رسول الله ﷺ » (٤).

غير أنه عند قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ [ص: ٧٢] قال الإمام الغزالي - عندما سئل عن الروح -: « هذا سؤال عن سر الروح الذي لم يؤذن لرسول الله ﷺ في كشفه لمن ليس له أهلاً، فإن كنت من أهله فاسمع... » (٥) واسترسل الإمام الغزالي في شرحه لسر الروح.

وأخيراً:

من خلال هذا البحث الذي تطلب مني ما يقرب من أربع سنوات يمكن أن أقول:

(١) نص التفسير، رقم (١٧٤).

(٢) نص التفسير، رقم (١٧٥).

(٣) نص التفسير، رقم (١٧٣).

(٤) نص التفسير، رقم (٦٤٩)، وحديث الرسول ﷺ الذي لم يظهر فيه سر الروح، أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود بلفظ: « بينما أنا أمشي مع النبي ﷺ في خرب المدينة - وهو يتوكأ على عسيب معه - فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه، لا يجيء فيه بشيء تكرهونه. فقال بعضهم لنسألنه فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم، ما الروح؟ فسكت. فقلت: إنه يوحى إليه، فقامت. فلما انجلي عنه قال: (ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتوا من العلم إلا قليلاً) قال الأعمش: هكذا في قراءتنا، ن: كتاب العلم، باب قول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ حديث، رقم (١٢٥). قال ابن حجر « هكذا في قراءتنا » أي قراءة الأعمش، وليست هذه القراءة في السبعة، بل ولا في المشهورة من غيرها، ن: فتح الباري (٢٢٤/١).

(٥) نص التفسير، رقم (٩١٩).

قد يتحدث الناس بعد اليوم - بحمد الله تعالى - عن الإمام الغزالي المفسر؛ ذلك أنه لم يكن معروفاً إلا في مجال الفقه والفلسفة والتصوف... واليوم، وقد جُمعت آراؤه في التفسير وأصبحت مؤلفة بعد أن كانت متناثرة في ثنايا كتبه، أصبح هذا التفسير المجموع رقماً مضافاً لكتبه المتعددة ذات الاختصاصات المختلفة - عدا التفسير -.

ولعل من أوضح محاسن هذا التفسير المجموع أنه يعد فهماً مهماً لكتاب الله ﷻ، خصوصاً وأن عصر الإمام الغزالي قريب من عهد الازدهار الفكري والعلمي والحضاري للأمة الإسلامية.

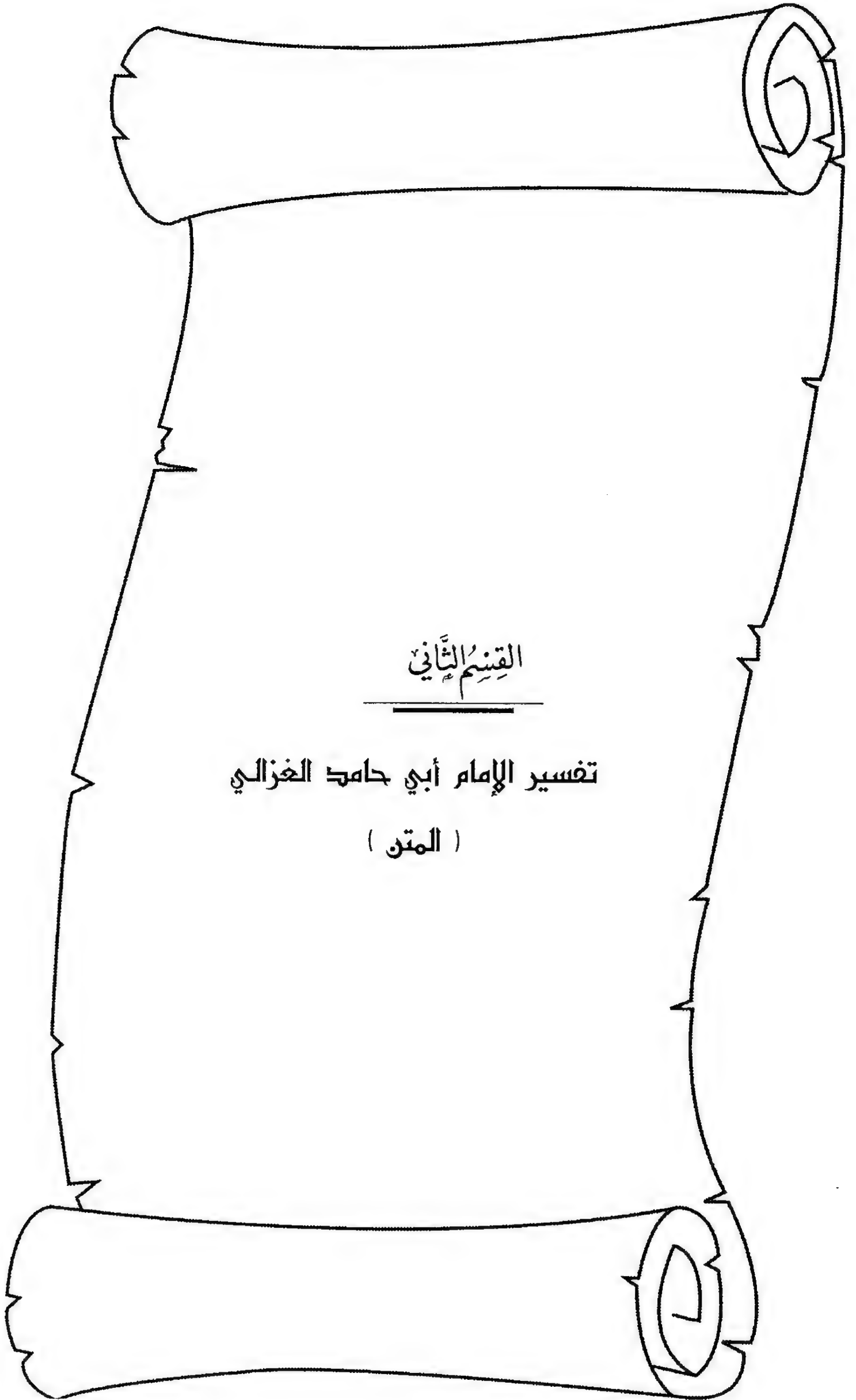
ومما لا شك فيه أن هذا الفهم لكتاب الله تعالى يفيد كثيراً في قراءتنا لكتاب الله ﷻ، وامتلاك القدرة على الاستنباط منه، والاجتهاد تحت ظلاله في سبيل بعث الأمة من جديد. ثم إن القسم الثاني من هذا البحث، الذي تضمن تفسير الإمام الغزالي المجموع موثقاً توثيقاً لا أدعي العصمة والإصابة في كل ما قمت به فيه، فإن ذلك لا يتيسر إلا لمن عصمه الله تعالى ولكني لم أدخر - فيما أعلم - وسعاً في إخراج هذا التفسير بصورة أزعم أنها تقرب من الجودة.

ثم إن الناظر في هذا التفسير يجد أن الإمام الغزالي لم يفسر جميع سور الكتاب العزيز، بل تناول بعض الآيات من سور القرآن الكريم، ولم يفسر إلا سورتي الفاتحة والإخلاص كاملين.

وفي الأخير: هذه بعض الاقتراحات التي أقترحها:

- ١ - الاهتمام بتحقيق ونشر ما تبقى من آثار الإمام الغزالي المخطوطة.
 - ٢ - إعادة تحقيق جل كتبه المطبوعة؛ لأنها طبعت طبعات تجارية دون تحقيق علمي يذكر.
 - ٣ - الاهتمام بجمع مادة التفسير لباقي العلماء المشاهير، لتكون بعد التوثيق مادة علمية صالحة للدراسة والتحليل والاستنتاج.
- وفي النهاية لا أدعي لهذا العمل المتواضع السلامة من النقص والبراءة من الخطأ والعيب، ولا أدعي له الإحاطة والشمول، وإنما أردت من خلاله إبراز جهد الإمام الغزالي المفسر، فإن وفقت فمن الله ﷻ وبفضله، وإلا فمن نفسي أُنيت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين!



القِسْمُ الثَّانِي

تفسير الإمام أبي حامد الغزالي

(المتن)



١ - التعوذ (م) (١) بعده (٢)، من غير جهر، مستحب (٣).

١ - الوجيز في فقه مذهب الإمام الشافعي (ص ٤٢).

(١) قال الإمام الغزالي في مقدمة الوجيز: « اكتفيت عن نقل المذاهب والوجوه البعيدة بنقل الظاهر من مذهب الإمام الشافعي المطلبى ﷺ، ثم عرفت مذهب مالك وأبي حنيفة والمزني، والوجوه البعيدة للأصحاب بالعلامات والرقوم المرسومة بالحمرة فوق الكلمات.

فاليم علامة مالك، والحاء علامة أبي حنيفة، والزاي علامة المزني، فأستدل بإثبات هذه العلامات على مخالفتهم في تلك المسائل، وبالواو بالحمرة فوق الكلمة على وجه أو قول بعيد مخرج للأصحاب... كل ذلك جذراً من الإطناب وتنحية للقشر عن الباب ». (ص ٣، ٤).

هذا، وقد استبدل طابع كتاب الوجيز بالعلامات الحمراء، رسم كل من الميم والحاء والزاي والواو بين قوسين بعد الكلمة لا فوقها.

(٢) أي بعد التكبير للإحرام.

(٣) قال القرطبي: « أبو حنيفة والشافعي يتعوذان في الركعة الأولى من الصلاة، ويريان قراءة الصلاة كلها كقراءة واحدة، ومالك لا يرى التعوذ في الصلاة المفروضة ويراها في قيام رمضان ». الجامع لأحكام القرآن (١/ ٨٦).

* سُورَةُ الْفَاتِحَةِ ^(١) *

٢ - إن هذه السورة، فاتحة الكتاب ومفتاح الجنة، وإنما كانت مفتاحاً؛ لأن أبواب الجنة ثمانية، ومعاني الفاتحة ترجع إلى ثمانية، فاعلم قطعاً أن كل قسم منها مفتاح باب من أبواب الجنة، تشهد به الأخبار. فإن كنت لا تصادف في قلبك الإيمان والتصديق به، وطلبت فيه المناسبة فدع عنك ما فهمته من ظاهر الجنة، فلا يخف عليك أن كل قسم يفتح باب بستان من بساتين المعرفة، كما أشرنا إليها من آثار رحمة الله تعالى وعجائب صنعه وغيرها ^(٢).

٣ - قال ﷺ: « فاتحة الكتاب أفضل القرآن » ^(٣).

٤ - السر في هذا التخصيص أن الجامع بين فنون الفضل وأنواعها الكثيرة يسمى فاضلاً، فالذي يجمع أنواعاً أكثر يسمى أفضل، فإن الفضل هو الزيادة، فالأفضل هو

٢ - جواهر القرآن ودرره (ص ٥٦).

٣ - نفسه (ص ٤٨).

٤ - نفسه (ص ٦٤).

(١) قال العلامة مرتضى الزبيدي في كتابه « الإتحاف » عند حديثه عن الشعر المنسوب إلى الغزالي قال: « وما ينسب إليه هذه الأبيات في أسرار الفاتحة رحمة الله عليه:

إذا ما كنت ملتمساً لرزق	ونيل القصد من عبد وحر
وتظفر بالذي ترجو سريعاً	وتأمن من مخالفة وغدر
ففاتحة الكتاب فإن فيها	لما أملت سرّاً أي سر
فالزم ذكرها عقبى مساء	وفي صبح وفي ظهر وعصر
وتمسي قارئاً في كل ليل	إلى التسعين تتبعها بعشر
تل ما شئت من عز وجاه	وعظم مهابة وعلو قدر
وستر لا تغيـره الليالي	بحادثة من النقصان تجري
وتوقـر وأفراح دوائـها	وتأمن من مخاوف كل شر
ومن عري وجوع وانقطاع	ومن بطش لذي نهـي وأمر

ن: الإتحاف (٣٤/١).

(٢) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ٥ ﴾ من سورة الفاتحة (ص ١٠).

(٣) روي ابن حبان في صحيحه عن أنس بن مالك قال: « كان النبي ﷺ في مسيره فنزل فمشى رجل من أصحابه إلى جانبه، فالتفت إليه فقال: (ألا أخبرك بأفضل القرآن) قال: فتلا عليه: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١ ﴾ ن: الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٧٤/٢، ٧٥)، باب قراءة القرآن حديث (٧٧١).

الأزيد، وأما السؤدد: فهو عبارة عن رسوخ معنى الشرف الذي يقتضي الاستتباع ويأبى التبعية، وإذا راجعت المعاني التي ذكرناها في السورتين ^(١) علمت أن الفاتحة تضمنت التنبيه على معان كثيرة ومعان مختلفة، فكانت أفضل.

• ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

٥ - آية (ح. م) ^(٢) منها ^(٣)، وهي آية من كل سورة، إما مع الآية الأولى أو مستقلة بنفسها على أحد القولين.

٦ - عندنا: آية من كل سورة كُتبت فيها، ولكنها آية مستقلة أم هي مع أول سورة آية؟ في قولان، وذكر الصيدلاني ^(٤) القولين في أنها هل هي من القرآن في أول سورة الفاتحة؟ والمشهور هو الأول.

٧ - وميل الشافعي رحمته الله إلى أنها آية من كل سورة، « الحمد » وسائر السور. لكنها في أول كل سورة آية برأسها، أو هي مع أول آية في سائر السور آية، هذا مما نقل عن الشافعي رحمته الله فيه تردد، وهذا أصح من قول من حمل تردد قول الشافعي على أنها هل هي من القرآن في أول كل سورة؟ بل الذي يصح أنها حيث كتبت مع القرآن بخط القرآن فهي من القرآن.

فإن قيل: القرآن لا يثبت إلا بطريق قاطع متواتر، فإن كان هذا قاطعًا فكيف اختلفوا فيه؟ وإن كان مظنونًا فكيف يثبت القرآن بالظن، ولو جاز هذا لجاز إيجاب التابع في صوم كفارة اليمين لقول ابن مسعود، ولجاز للروافض ^(٥) أن يقولوا: قد ثبتت إمامة

٥ - الوجيز في فقه الإمام الشافعي (ص ٤٢). ٦ - الوسيط في المذهب (٦١٠/٢).

٧ - المستصفى (١٠٢/١ - ١٠٥).

(١) أي سورتَي الفاتحة وآية الكرسي، ن: جواهر القرآن (ص ٦٤).

(٢) قال ابن العربي: « اتفق الناس على أنها آية من كتاب الله تعالى في سورة النمل، واختلفوا في كونها في أول كل سورة، فقال مالك وأبو حنيفة: ليست في أوائل السور بآية، وإنما هي استفتاح ليعلم بها مبتدأها. » وأحكام القرآن (٥/١).

(٣) أي من سورة الفاتحة.

(٤) هو الشيخ الفقيه الإمام الأديب المسند أبو صادق محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن شاذان النيسابوري الصيدلاني، سمع من أبي العباس الأصم وغيره، وحدث عنه البيهقي وغيره. توفي سنة (٤١٥ هـ)، ن: سير أعلام النبلاء (٤٠١/١٧).

(٥) قوم من الشيعة سمو بذلك؛ لأنهم تركوا زيد بن علي، وكانوا قد ظهوروا في زمان علي، وافترقوا بعده إلى =

علي بنص القرآن، ونزلت فيه آيات أخفاها الصحابة بالتعصب. وإنما طريقنا في الرد عليهم أن نقول:

نزل القرآن معجزة للرسول ﷺ، وأمر الرسول ﷺ بإظهاره مع قوم تقوم الحجة بقولهم، وهم أهل التواتر، فلا يظن بهم التطابق على الإخفاء ولا مناجاة الآحاد به حتى لا يتحدث أحد بالإنكار، فكانوا يبالغون في حفظ القرآن حتى كانوا يضايقون في الحروف ويمنعون من كِتَبَةِ (١) أسامي السور مع القرآن، ومن التعاشير (٢) والنقط كيلا يختلط بالقرآن غيره، فالعادة تحيل الإخفاء.

فيجب أن يكون طريق ثبوت القرآن القطع، وعن هذا المعنى قطع القاضي رحمه الله (٣) بخطأ من جعل البسملة من القرآن إلا في سورة « النمل »، فقال: لو كانت من القرآن لوجب على رسول الله ﷺ أن يبين أنها من القرآن بياناً قاطعاً للشك والاحتمال. إلا أنه قال: أخطئ القائل به، ولا أكفره؛ لأن نفيها من القرآن لم يثبت أيضاً بنص صريح متواتر، فصاحبه مخطئ وليس بكافر، واعترف بأن البسملة منزلة على رسول الله ﷺ مع أول كل سورة، وأنها كتبت مع القرآن بخط القرآن بأمر رسول الله ﷺ فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: « كان رسول الله ﷺ لا يعرف ختم سورة وابتداء أخرى حتى ينزل عليه جبريل بـ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (٤) ».

لكنه لا يستحيل أن ينزل عليه ما ليس بقرآن وأنكر قول من نسب عثمان رضي الله عنه إلى البدعة في كتبه: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (٥) في أول كل سورة، وقال: لو أبدع لاستحال في العادة سكوت أهل الدين عنه، مع تصلبهم في الدين، كيف

= أربعة أصناف: زيدية وإمامية وكيسانية وغلاة، ن: الفرق بين الفرق للبغدادى: (١٥) واللسان (رفض) والقاموس (رفض).

(١) الكتبة بالكسر اكتابك كتاباً تنسخه، ن: اللسان (كتب).

(٢) التعاشير: ج تعشير، وهو الزيادة والتمام، ن: اللسان (عشر).

(٣) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني أبو بكر: ولد سنة (٣٣٨ هـ) قاضٍ من كبار علماء التوحيد، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، كان جيد الاستنباط سريع الجواب، من كتبه « إعجاز القرآن » والإنصاف (ت ٤٠٣ هـ)، ن: وفيات الأعيان (٦٨١/١) وتاريخ بغداد (٣٧٩/٥) والوافي بالوفيات (١٧٧/٣).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه بلفظ: « كان النبي ﷺ لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (٥) ، باب من جهر بـ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (٢٠٩/١) حديث رقم (٧٨٨) ون: تفسير ابن كثير (٢٥/١).

وقد أنكروا على من أثبت أسامي السور والنقط والتعشير؟! فما بالهم لم يجيبوا بأنا أبدعنا ذلك كما أبدع عثمان رضي الله عنه كِتَبَةُ البسملة، لا سيما واسم السور يكتب بخط آخر متميز عن القرآن، والبسملة مكتوبة بخط القرآن متصلة به بحيث لا تتميز عنه، فتحيل العادة السكوت على من يبدعها لولا أنه بأمر رسول الله ﷺ.

والجواب أنا نقول: لا وجه لقطع القاضي بتخطئة الشافعي رحمته الله؛ لأن إلحاق ما ليس بقرآن بالقرآن كفر، كما أنه من ألحق القنوت أو التشهد أو التعوذ بالقرآن فقد كفر، فمن ألحق البسملة لم لا يكفر؟ ولا سبب له إلا أنه يقال: لم يثبت انتفاؤه من القرآن بنص متواتر. فنقول: لو لم يكن من القرآن لوجب على الرسول ﷺ التصريح بأنه ليس من القرآن، وإشاعة ذلك على وجه يقطع الشك كما في التعوذ والتشهد. فإن قيل: ما ليس من القرآن لا حصر له حتى ينفي، إنما الذي يجب التنصيص عليه ما هو من القرآن. قلنا: هذا صحيح لو لم تكتب البسملة بأمر رسول الله ﷺ مع القرآن بخط القرآن ولو لم يكن منزلاً على رسول الله ﷺ مع أول كل سورة، وذلك يوهم قطعاً أنه من القرآن، ولا يُظن برسول الله ﷺ أنه لم يعرف كونه مؤهلاً ولا جواز السكوت عن نفيه مع توهم إلحاقه. فإذا القاضي رحمته الله يقول: لو كان من القرآن لقطع الشك بنص متواتر تقوم الحجة به. ونحن نقول: لو لم يكن من القرآن لوجب على رسول الله ﷺ التصريح بأنه ليس من القرآن وإشاعته، ولنفاه بنص متواتر بعد أن أمر بكتبه بخط القرآن؛ إذ لا عذر في السكوت عن قطع هذا التوهم.

فأما عدم التصريح بأنه من القرآن، فإنه كان اعتماداً على قرائن الأحوال؛ إذ كان يملئ على الكاتب مع القرآن، وكان الرسول ﷺ في أثناء إملائه لا يكرر مع كل كلمة وآية أنها من القرآن، بل كان جلوسه له، وقرائن أحواله؛ تدل عليه، وكان يعرف كل ذلك قطعاً. ثم لما كانت البسملة أمر بها في أول كل أمر ذي بال، ووجد ذلك في أوائل السور، ظن قوم أنه كتب على سبيل التبرك، وهذا الظن خطأ؛ ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: تسرق الشياطين من الناس آية من القرآن؛ لما ترك بعضهم قراءة البسملة في أول السورة، فقطع أنها آية ولم ينكر عليه، كما ينكر على من ألحق التعوذ والتشهد بالقرآن. فدل على أن ذلك كان مقطوعاً به وحدث الوهم بعده.

فإن قيل: بعد حدوث الوهم والظن صارت البسملة اجتهادية، وخرجت عن مظنة القطع، فكيف يثبت القرآن بالاجتهاد؟! قلنا: جَوَّزَ القاضي رحمته الله الخلاف في عدد الآيات

ومقاديرها، وأقر بأن ذلك منوط باجتهاد القراء، وأنه لم يبين بياناً شافياً قاطعاً للشك. والبسمة من القرآن في سورة « النمل »، فهي مقطوع بكونها من القرآن. وإنما الخلاف في أنها من القرآن مرة واحدة أو مرات كما كتبت، فهذا يجوز أن يقع الشك فيه ويُعلم بالاجتهاد؛ لأنه نظر في تعيين موضع الآية بعد كونها مكتوبة بخط القرآن. فهذا جائز وقوعه، والدليل على إمكان الوقوع وأن الاجتهاد قد تطرق إليه أن النافي لم يكفر الملحق، والملحق لم يكفر النافي، بخلاف القنوت والتشهد. فصارت البسمة نظرية، وكتبها بخط القرآن مع القرآن مع صلاية الصحابة وتشددهم في حفظ القرآن عن الزيادة قاطع، أو كالقاطع في أنها من القرآن. فإن قيل: فالمسألة صارت نظرية وخرجت من أن تكون معلومة بالتواتر علماً ضرورياً فهي قطعية أو ظنية. قلنا: الإنصاف أنها ليست قطعية، بل هي اجتهادية، ودليل جواز الاجتهاد فيها وقوع الخلاف في زمن الصحابة رضي الله عنهم، حتى قال ابن عباس رضي الله عنهما: تسرق الشياطين من الناس آية، ولم يكفر بإلحاقها بالقرآن ولا أنكر عليه، ونعلم أنه لو نقل الصديق رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: « البسمة من سورة « الحمد » وأوائل السور المكتوبة معها »، لقبل ذلك بسبب كونها مكتوبة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو نقل: « إن القنوت من القرآن » لعلم بطلان ذلك بطريق قاطع لا يشك فيه.

وعلى الجملة، إذا أنصفنا وجدنا أنفسنا شاكين في مسألة البسمة، قاطعين في مسألة التعوذ والقنوت، وإذا نظرنا في كتبها مع القرآن بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سكوته عن التصريح بنفي كونها من القرآن بعد تحقق سبب الوهم كان ذلك دليلاً ظاهراً كالقطع في كونها من القرآن، فدل أن الاجتهاد لا يتطرق إلى أصل القرآن، أما ما هو من القرآن وهو مكتوب بخطه فالاجتهاد فيه يتطرق إلى تعيين موضعه، وأنه من القرآن مرة أو مرات، وقد أوردنا ذلك في كتاب « حقيقة القرآن » ^(١) وتأويل ما طعن به على الشافعي رحمته الله في ترديده القول في هذه المسألة.

فإن قيل: قد أوجبتم قراءة البسمة في الصلاة، وهو مبني على كونها قرآناً، وكونه قرآناً لا يثبت بالظن، فإن الظن علامة وجوب العمل في المجتهادات، وإلا فهو جهل؛ أي ليس بعلم، فليكن كالتتابع في قراءة ابن مسعود.

(١) هذا الكتاب أورده د. عبد الرحمن بدوي ضمن الكتب المقطوع بصحة نسبتها إلى الغزالي، وأشار إلى أنه كتاب مستقل قائم برأسه بعنوان: « حقيقة القرآن »، ن: مؤلفات الغزالي لعبد الرحمن بدوي (ص ٢١٥).

قلنا: وردت أخبار صحيحة في وجوب قراءة البسملة وكونها قرآناً متواتراً معلوماً، وإنما المشكوك فيه، أنها قرآن مرة في سورة « النمل » أو مرات كثيرة في أول كل سورة فكيف تساوي قراءة ابن مسعود ولا يثبت بها القرآن، ولا هي خبر؟ وهاهنا صحت أخبار في وجوب البسملة وصح بالتواتر أنها من القرآن.

وعلى الجملة فالفرق بين المسألتين ظاهر.

٨ - قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝١ ﴾ نبأ عن الذات، وقوله: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ نبأ عن صفة من صفات خاصة، وخاصيتها أنها تستدعي سائر الصفات من العلم والقدرة وغيرهما ثم تتعلق بالخلق - وهم المرحومون - تعلقاً يؤنسهم به، ويشوقهم إليه ويُرغَّب في طاعته، لا كوصف الغضب لو ذكره بدلاً عن الرحمة، فإن ذلك يحزن ويخوف ويقبض القلب ولا يشرحه.

٩ - المراد بالاسم هاهنا هو المسمى.

• ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٣ ﴾ ^(١).

١٠ - ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۝٤ ﴾ ومعناه: أن الشكر لله؛ إذ النعم من الله. ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكر - لا من حيث إنه مسخر من الله ﷻ - ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله تعالى.

١١ - وهي مشتملة على إثبات ضروب الكمال لذاته وصفاته ﷻ، فما كان من أسمائه متضمناً للإثبات؛ كالعليم والقدير والسميع والبصير فهو مندرج تحتها، فنفيها بسبحان الله كل عيب عقلناه وكل نقص فهمناه، وأثبتنا بالحمد لله كل كمال عرفناه، وكل جلال أدركناه، وراء ما نفيناه وأثبتناه شأن عظيم، قد غاب عنا، وجهلناه فنحققه من جهة الإجمال بقولنا: الله أكبر.

١٢ - لو أدرجت الباقيات الصالحات ^(٢) في كلمة على سبيل الإجمال وهي:

٨ - جواهر القرآن ودرره (ص ٤٩).

٩ - الإحياء (١٩٧/١).

١٠ - نفسه (١٩٧/١).

١١ - روضة الطالبين وعمدة السالكين ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، رقم (٢) (ص ٦٦، ٦٧).

١٢ - نفسه (٦٧، ٦٨).

(١) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ من سورة الفاتحة (ص ٦٣).

(٢) الباقيات الصالحات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ن: روضة الطالبين وعمدة السالكين =

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ لاندرجت فيها، كما قال السيد الجليل والإمام الحفيل ^(١) علي ابن أبي طالب عليه السلام: « لو شئت أن أوقر بغيراً من قول: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ لفعلت »؛ فإن ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ هو الثناء، والثناء يكون بإثبات الكمال تارة وسلب النقص أخرى، وتارة بالاعتراف بالعجز عن إدراك الإدراك، وتارة بإثبات التفرد بالكمال، والتفرد والكمال من أعلى مراتب المدح والكمال.

وقد اشتملت هذه الكلمة على ما ذكرناه في الباقيات الصالحات؛ لأن الألف واللام فيها لاستغراق جنس المدح، والحمد ما علمناه وجهلناه، ولا خروج للمدح عن شيء مما ذكرناه، ولا يستحق الإلهية إلا من اتصف بجميع ما ذكرناه، ولا يخرج عن هذا الاعتقاد ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا أحد من أهل الملك، إلا من خذله الله واتبع هواه وكان أمره فرطاً، وعصا مولاه، أولئك قوم قد غمرهم ذل الحجاب وطردوا عن الباب، أبعدوا عن ذلك الجنب، وحقق لمن حجب في الدنيا عن إجلاله ومعرفته أن يحجب في الآخرة عن إكرامه ورؤيته.

١٣ - وقوله: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ يشتمل على شيئين:

أحدهما: أصل الحمد، وهو الشكر، وذلك أول الصراط المستقيم، وكأنه شطره؛ فإن الإيمان العملي نصفان: نصف صبر، ونصف شكر، كما تعرف حقيقة ذلك إن أردت معرفة ذلك باليقين من كتاب « إحياء علوم الدين »، لا سيما من كتاب « الشكر » و« الصبر » منه ^(٢). وفضل الشكر على الصبر، كفضل الرحمة على الغضب، فإن هذا يصدر عن الارتياح وهزة الشوق وروح المحبة، وأما الصبر على قضاء الله فيصدر عن الخوف والرغبة، ولا يخلو عن الكرب والضيق. وسلوك الصراط المستقيم إلى الله تعالى بطريق المحبة وأعمالها أفضل كثيراً من سلوك طريق الخوف، وإنما يعلم سر ذلك من كتاب « المحبة والشوق » ^(٣) من جملة كتاب « الإحياء » ولذلك قال رسول الله ﷺ: « أول ما يُدعى إلى الجنة الحمدادون لله على كل حال » ^(٤).

١٣ - جواهر القرآن ودرره (ص ٥٠ - ٥٣).

= ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي (٢) (ص ٦٦).

(١) يقال: ذو حفيل في أمره أي ذو اجتهاد . اللسان (حفل).

(٢) ن: الإحياء (٦٣/٤) وما بعدها (٨٦/٤) وما بعدها.

(٣) نفسه (٣١١/٤) وما بعدها.

(٤) أخرجه الطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في « الشعب » من حديث ابن عباس وفيه قيس بن الربيع =

والثاني: قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ① إشارة إلى الأفعال كلها، وإضافتها إليه بأوجز لفظ وأتمه إحاطةً بأصناف الأفعال لفظ: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ①. وأفضل النسبة من الفعل إليه نسبة الربوبية، فإن ذلك أتم وأكمل في التعظيم من قولك: «أعلى العالمين» و «خالق العالمين».

• ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ②

إشارة إلى الصفة مرة أخرى، ولا تظن أنه مكرر، فلا تكرر في القرآن؛ إذ حد المكر ما لا ينطوي على مزيد فائدة. وذكر الرحمة بعد ذكر العالمين وقبل ذكر ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ③ ينطوي على فائدتين عظيمتين في تفصيل مجاري الرحمة:

إحدهما: تلتفت إلى خلق رب العالمين؛ فإنه خلق كل واحد منهم على أكمل أنواعه وأفضلها، وآتاه كل ما يحتاج إليه. فأحد العوالم التي خلقها عالم البهائم، وأصغرها البعوض والذباب والعنكبوت والنحل.

فانظر إلى البعوض: كيف خلق أعضاءها؛ فقد خلق عليها كل عضو خلقه على الفيل، حتى خلق له خرطومًا مستطيلًا حاد الرأس ثم هداه إلى غذائه إلى أن يمص دم الآدمي، فتراه يغرز فيه خرطومه، ويمص من ذلك التجويف غذاء، وخلق له جناحين ليكون له آلة الهرب إذا قصد دفعه.

وانظر إلى الذباب كيف خلق أعضاءه، وخلق حدقتيه مكشوفتين بلا أجفان؛ إذ لا يحتمل رأسه الصغير الأجفان، والأجفان يُحتاج إليها لتصقيل الحدقة مما يلحقها من الأقداء والغبار، وانظر كيف خلق له بدلًا عن الأجفان يدين زائدتين، فله سوى الأرجل الأربع يدان زائدتان، تراه إذا وقع على الأرض لا يزال يمسخ حدقتيه بيديه يصقلها عن الغبار. وانظر إلى العنكبوت: كيف خلق أطرافها وعلمها حيلة النسيج، وكيف علمها حيلة الصيد بغير جناحين؛ إذ خلق لها لعبًا لزجًا تعلق نفسها به في زاوية، وتترصد طيران الذباب بالقرب منها، فترمي إليه نفسها فتأخذه وتقيده بخيطها الممدود من لعبها، فتعجزه عن الإفلات حتى تأكله أو تدخره.

وانظر إلى نسج العنكبوت لبيتها، كيف هداها الله نسجه على التناسب الهندسي في ترتيب السدى واللحمة.

وانظر إلى النحل وعجائبها التي لا تحصى؛ في جمع الشهد والشمع. وننبهك على هندستها في بناء بيتها؛ فإنها تبني على شكل المسدس، كي لا يضيق المكان على رفقائها؛ لأنها تزدهم في موضع واحد على كثرتها، ولو بَنَت البيوت مستديرة ل بقي خارج المستديرات فرج ضائعة، فإن الدوائر لا تراص، وكذلك سائر الأشكال، وأما المربعات فتراص، ولكن شكل النحل يميل إلى الاستدارة فيبقى داخل البيت زوايا ضائعة، كما يبقى في المستدير خارج البيت فرج ضائعة، فلا شكل من الأشكال يقرب من المستدير في التراص غير المسدس، وذلك يعرف بالبرهان الهندسي.

فانظر كيف هداه الله خاصية هذا الشكل، وهذا أنموذج من عجائب صنع الله ولطفه ورحمته بخلقه، فإن الأدنى ينبه على الأعلى، وهذه الغرائب لا يمكن أن تُستقصى في أعمار طويلة، أعني: ما انكشف للآدميين منها، وإنه ليسير بالإضافة إلى ما لا ينكشف، أو استأثر هو والملائكة بعلمه، وربما تجد تلويحات من هذا الجنس في كتاب « الشكر » وكتاب « المحبة » فاطلبه إن كنت له أهلاً، وإلا فغض بصرك عن آثار رحمة الله ولا تنظر إليها، ولا تسرح في ميدان معرفة الصنع ولا تتفرج فيه، واشتغل بأشعار المتنبي وغرائب النحو لسيبويه وفروع ابن الحداد ^(١) في نواذر الطلاق وحيل المجادلة في الكلام، فذلك أليق بك، فإن قيمتك على قدر همتك ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾ [هود: ٣٤] و ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [فاطر: ٢]. ولنرجع إلى الغرض، والمقصود التنبيه على أنموذج من رحمة الله في خلق العالمين.

وثانيها: تعلقها بقوله: ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ فيشير إلى الرحمة في المعاد يوم الجزاء عند الإنعام بالملك المؤبد في مقابلة كلمة وعبادة، وشرح ذلك يطول. والمقصود: أنه لا مكرر في القرآن، فإن رأيت شيئاً مكرراً من حيث الظاهر، فانظر في سوابقه ولواحقه لينكشف لك مزيد في إعادته.

١٤ - الرحمة ترجع إلى الإرادة مضافة إلى قضاء حاجة المحتاج الضعيف.

١٤ - روضة الطالبين ضمن المجموعة، رقم (٢) (ص ٦٦).

(١) هو الإمام العلامة الثبت شيخ الإسلام، عالم العصر، أبو بكر محمد بن الحداد بن محمد بن جعفر الكناني المصري الشافعي ابن الحداد صاحب كتاب « الفروع » في المذهب، لازم النسائي كثيراً، ولم يحدث عن غيره، (ت ٣٤٤ هـ)، ن: وفيات الأعيان (١٩٧/٤، ١٩٨) وشنرات الذهب (٣٦٧/٢، ٣٦٨).

• ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ① •

- ١٥ - الملك: هو الذات التي لا تحتاج إلى شيء، ويحتاج إليها كل شيء.
- ١٦ - أما قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ①، فإشارة إلى الآخرة في المعاد، وهو أحد الأقسام من الأصول^(١)، مع الإشارة إلى معنى المُلْك والمَلِك وذلك من صفات الجلال.
- ١٧ - استشر^(٢) من قلبك التعظيم والخوف بقولك: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ①، أما العظمة: فلأن لا ملك إلا له، وأما الخوف: فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو ماله.

• ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ② •

- ١٨ - يشمل على ركنين عظيمين:
- أحدهما: العبادة مع الإخلاص بالإضافة إليه خاصة، وذلك هو روح الصراط المستقيم كما تعرفه في كتاب «الصدق والإخلاص»^(٣) وكتاب «ذم الجاه والرياء»^(٤) من كتاب «الإحياء».

والثاني: اعتقاد أنه لا يستحق العبادة سواه، وهو لباب عقيدة التوحيد، وذلك بالتبري عن الحول والقوة، ومعرفة أن الله منفرد بالأفعال كلها، وأن العبد لا يستقل بنفسه دون معونته.

فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إشارة إلى تحلية النفس بالعبادة والإخلاص، وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ② إشارة إلى تركيتها عن الشرك والالتفات إلى الحول والقوة.

وقد ذكرنا أن مدار سلوك الصراط المستقيم على قسمين:

أحدهما: التزكية بنفي ما لا ينبغي.

والثاني: التحلية بتحصيل ما لا ينبغي، وقد اشتمل عليهما كلمتان من جملة الفاتحة.

• ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ③ •

- ١٩ - أول دعاء علّمه رب العالمين عباده المسلمين الذين اصطفاهم الله من بين

١٦ - جواهر القرآن ودرره (ص ٥٣).

١٥ - روضة الطالبين (ص ٦٥).

١٨ - جواهر القرآن ودرره (٥٣، ٥٤).

١٧ - الإحياء (١٩٨، ١٩٧/١).

١٩ - منهاج العابدين (٣٣٦).

(١) ن: النص، رقم (٢٦) من البحث.

(٢) أي استكثر، يقال: سحاب ثر، أي كثير الماء، ن: اللسان (ثرر).

(٤) نفسه (٣ / ٢١٩) وما بعدها.

(٣) ن: الإحياء (٣٨١/٤)، وما بعدها.

خلقه: هذا الدعاء، قوله: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ أي: ثبتنا عليه وأدّمه لنا.

٢٠ - ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ سؤال ودعاء، وهو مخ العبادة كما تعرفه من الأذكار والدعوات ^(١) من كتب « الإحياء » وهو تنبيه على حاجة الإنسان إلى التضرع والابتهاال إلى الله تعالى، وهو روح العبودية، وتنبيه على أن أهم حاجة الهداية إلى الصراط المستقيم؛ إذ به السلوك إلى الله تعالى كما سبق ذكره.

٢١ - قال عليه السلام: « شيتتي هود وأخواتها » ^(٢) وأراد به قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [هود: ١١٢]، فإن الامتداد على الصراط المستقيم في طلب الوسط بين هذه الأطراف شديد، وهو أدق من الشعر وأحد من السيف كما وصف من حال الصراط في الدار الآخرة، بل يكون في الآخرة مستقيماً؛ إذ يموت المرء على ما عاش عليه، ويحشر على ما مات عليه؛ ولذلك يجب في كل ركعة من الصلاة سورة « الفاتحة » المشتملة على قوله تعالى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ ... فإنه أعز الأمور وأعصاها على الطالب، ولو كلف ذلك في خلق واحد لطال العناء فيه، فكيف وقد كلفنا ذلك في جميع الأخلاق مع خروجها عن الحصر.. ولا مخلص من هذه المخاطر إلا بتوفيق الله ورحمته.

٢٢ - الصراط المستقيم: عبارة عن الوسط الحقيقي بين الأخلاق المتضادة؛ لذلك قد بين الله بهذا الدعاء في سورة « الفاتحة »؛ حيث قال: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ ... مثال ذلك: السخاوة بين التبذير والبخل، والشجاعة بين التهور والجبن، والاقتصاد بين الإسراف والإقتار، والتواضع بين التكبر والدناءة، والعفة بين الشهوة والخمود. فهذه الأخلاق لها طرف إفراط وطرف تقصير، فهو على غاية البعد من كل طرف؛ ولذلك قال عليه السلام: « خير الأمور أوسطها » ^(٣).

٢٠ - جواهر القرآن ودرره (ص ٥٤). ٢١ - معارج القدس (ص ٨٨) وميزان العمل (٢٦٨).

٢٢ - المضمون به على غير أهله ضمن مجموع رسائل الإمام الغزالي رقم (٤) (ص ١٥٧ ، ١٥٨).

(١) ن: الإحياء (٣٤٩/١) وما بعدها.

(٢) ذكر السيوطي في الجامع الصغير هذا الحديث (٨١/٢) مع زياداته فبلغت ثمانية أحاديث بروايات ومصادر عدة، وقد حسنها جميعها من رقم (٤٩١١ - ٤٩١٨).

أما هذا الحديث فرواه الطبراني في المعجم الكبير عن عقبة بن عامر، وعن أبي جحيفة، ورمز السيوطي إلى صحته، ن: فيض القدير للمناوي (١٦٨/٤ ، ١٦٩) وكنز العمال، الحديث، رقم (٨٥٨٦).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان من رواية مطرف بن عبد الله معضلاً، ورواه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله -

الصراط المستقيم: هو الوسط الحق بين الطرفين الذي لا ميل له إلى أحد الجانبين، وهو أدق من الشعر، فالذي يطلب غاية البعد من الطرفين يكون على الوسط، ولو فرضنا حلقة حديد محماة بالنار وقعت نملة فيها وهي تهرب بطبعها من الحرارة، فلا تموت إلا على المركز؛ لأنه الوسط الذي هو غاية البعد من المحيط المحرق، وتلك النقطة لا عرض لها.

فإن الصراط المستقيم هو الوسط بين الطرفين، ولا عرض له، فهو أدق من الشعر؛ ولذلك خرج عن القدرة البشرية الوقوف عليه، فلا جرم يورد أمثالنا النار بقدر ميله عنه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۖ ﴾ [مريم: ٧١].

٢٣ - لأجل الاستقامة، وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾؛ إذ وجب قراءة الفاتحة في كل ركعة.

• ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝ ﴾.

٢٤ - ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ إلى آخر السورة: فهو تذكير بنعمته على أوليائه، ونقمته وغضبه على أعدائه؛ لسيثير الرغبة والرغبة من صميم الفؤاد. وقد ذكرنا أن ذكر قصص الأنبياء والأعداء قسمان من أقسام القرآن عظيم.

٢٥ - إذا فرغت من التعوذ ومن قولك: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ ﴾، ومن التحميد، ومن إظهار الحاجة إلى الإعانة مطلقاً، فعين سؤالك ولا تطلب إلا أهم حاجاتك، وقل: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ الذي يسوقنا إلى جوارك ويفضي بنا إلى مرضاتك، وزده شرحاً وتفصيلاً وتأكيذاً واستشهاداً بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين، ثم التمس الإجابة وقل: (آمين).

٢٤ - جواهر القرآن ودرره (ص ٥٤).

٢٣ - الإحياء (٦٩/٣).

٢٥ - الإحياء (١٩٨/١).

= ابن ياسر الجبائي في الأربعين العلوية من طريق أهل البيت، من حديث علي ولا يصح، ن: المغني بهامش الإحياء (٦٢/٣).

وقال الزبيدي: رواه ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد بسند مجهول عن علي مرفوعاً، وهو عند ابن جرير في التفسير من قول مطرف بن عبد الله ويزيد بن مرة الجعفي، ن: إتحاف المتقين (٢٤٦/٨).

وقد أورد القرطبي هذا الحديث في تفسيره (١٥٤/٢)، (٢٧٦/٦).

فإذا تلوت الفاتحة كذلك، فتشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبي ﷺ: « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل » ^(١) يقول العبد: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فيقول الله ﷻ: حمدني عبدي وأثنى عليّ، وهو معنى قوله: « سمع الله لمن حمده » الحديث... إلخ. فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته، فناهيك بذلك غنيمة، فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله؟!

٢٦ - اشتملت الفاتحة من الأقسام العشرة ^(٢) على ثمانية أقسام: الذات والصفات والأفعال، وذكر المعاد والصراط المستقيم بجميع طرفيه - أعني التزكية والتحلية - وذكر نعمة الأولياء وغضب الأعداء وذكر المعاد، ولم يخرج منه إلا قسمان: محاجة الكفار، وأحكام الفقهاء؛ وهما الفنان اللذان يتشعب منهما علم الكلام وعلم الفقه ^(٣)، وبهذا يتبين أنهما واقعان في الصنف الأخير من مراتب علوم الدين، وإنما قدمهما حب المال والجاه فقط.

٢٧ - الفاتحة بعده ^(٤) متعينة (ح) لا يقوم (ح) ترجمتها مقامها، ويستوي فيه الإمام والمأموم (ح) في السرية والجهرية (ح) إلا في ركعتي المسبوق، ونقل المزني ^(٥) سقوطها عن المأموم في الجهرية.

٢٦ - جواهر القرآن ودرره (ص ٥٤، ٥٥). ٢٧ - الوجيز (٤٢).

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة ؓ. كتاب الصلاة (٢٩٦/١)، حديث رقم (٣٨) بلفظ: (يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل إذا قال العبد: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قال الله: حمدني عبدي وإذا قال: ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ قال الله أثنى علي عبدي، فإذا قال: ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ قال الله: مجدني عبدي وإذا قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل) ون: تفسير ابن كثير (٢٧/١).

(٢) أي الموضوعات العامة الرئيسية التي يشتمل عليها القرآن الكريم. ن: جواهر القرآن (ص ٢١).

(٣) تراجع الإمام الغزالي عن رأيه في مقدمة المستصفى (ص ٤)، بعد أن نقص من أهمية الفقه والفقهاء في الإحياء (٤٤/١) وجواهر القرآن ودرره (ص ٥٥).

(٤) أي: بعد التكبير.

(٥) الإمام العلامة، فقيه الملة، علم الزهاد، أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى صاحب الشافعي، وهو من أهل مصر، كان زاهداً عالماً غواصاً على المعاني الدقيقة، وهو إمام الشافعيين وأعرفهم بطرقه وفتاويه وما ينقله عنه، صنف كتباً كثيرة في مذهب الإمام الشافعي الذي قال عنه: المزني ناصر مذهبي. توفي في مصر سنة (٢٦٤ هـ).

ن: وفيات الأعيان (٢١٧/١) وشذرات الذهب (١٤٨/٢) وسير أعلام النبلاء (٤٩٢/١٢).

٢٨ - بعد الفاتحة سنتان:

إحداهما: التأمين مع تخفيف الميم ممدودة أو مقصورة، وفي جهر الإمام به خلاف، والأظهر الجهر، وليؤمن المأموم مع تأمين الإمام لا قبله ولا بعده.

الثانية: السورة وهي مستحبة للإمام والمنفرد في ركعتين، والأولين من غيرهما.

٢٩ - النظر في الفاتحة وسوابقها ولواحقها^(١):

أما السوابق: فدعاء الاستفتاح عقب التكبير، وهو مشهور، والتعوذ بعده من غير جهر إلا في قول قديم. وأما استحباب التعوذ في كل ركعة فوجهان من حيث إن الصلاة في حكم شيء واحد، ولكن كل ركعة كالمنقطعة عما قبلها.

أما الفاتحة، فالنظر في القادر والعاجز. أما القادر فتلزمه أمور خمسة:

الأول: أن أصل الفاتحة متعين على الإمام والمأموم في الصلاة السرية والجهرية، إلا في ركعة المسبوق.

وقال أبو حنيفة: تقوم ترجمتها وغيرها من السور مقامها، وخالف قوله عليه الصلاة والسلام: « لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب »^(٢).

وقال: لا تجب القراءة على المأموم أصلاً. وهو الذي نقله المزني، ولكن في الصلاة الجهرية.

الثاني: تجب قراءة: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾؛ إذ روى البخاري أنه ﷺ عد الفاتحة سبع آيات وعد ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ آية منها^(٣).

الثالث: كل حرف من الفاتحة ركن، فلو ترك تشديداً فهو ترك حرفاً، ولو أبدل حرفاً بحرف لم يجزه، ولو أبدل الضاد بالظاء ففيه تردد لقرب المخرج وعسر التمييز.

٢٩ - الوسيط في المذهب (٦٠٧/٢ - ٦١٥).

٢٨ - الوجيز (ص ٤٣).

(١) في الصلاة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم (١٤٨/١) ومسلم في باب الصلاة (٢٩٥/١).

(٣) قال محقق الوسيط في المذهب: علي محيي الدين علي القرة درغي: تبع الإمام الغزالي أستاذه إمام الحرمين في أن البخاري روى هذا الحديث. قال الإمام النووي: « لم يورده البخاري في صحيحه ولا في تاريخه » وقال الحافظ بن حجر: « وهو من الوهم الفاحش » لكن روى ابن خزيمة في صحيحه أن النبي ﷺ عد ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ آية منها، ن: الوسيط في المذهب (٦٠٧/٢ - ٦١٥) وصحيح ابن خزيمة (٢١٨/١) باب ذكر الدليل على أن ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ من فاتحة الكتاب.

الرابع: رعاية الترتيب فيها شرط، فلو قرأ النصف الأخير أولاً، لم يجزه؛ لأن الترتيب ركن في الإعجاز، فأما التشهد إذا قدم المؤخر منه ولم يغير المعنى فهو قريب من قوله: «عليكم السلام».

الخامس: الموالاة شرط بين كلماتها، فلو قطعها بسكوت طويل وجب الاستئناف إلا على وجه بعيد ذكره العراقيون، ولو تخللها تسبيح يسير انقطعت الموالاة، بخلاف ما لو كرر كلمة من نفس الفاتحة، فإن ذلك لا يعد انتقالاً إلى غيرها؛ ولذلك لو قرأ الفاتحة مرات لم يضر، بخلاف تكرير الركوع، وفيه وجه ضعيف أنه كالركوع. فرعان:

لو قال الإمام: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ٧ وقال المأموم: «آمين» لا تنقطع به الفاتحة إذا كان أثنائها، ومنه وجه آخر أنها تنقطع، والأول أظهر؛ لأنه إذا جرى له سبب لم يعد انتقالاً، وهذا الخلاف يجري فيما إذا سأل أو استعاذ عند قراءة الإمام: آية رحمة أو عقاب، أو سجد مع الإمام عند قراءة الإمام آية سجدة، فإن هذه الأسباب متقاضية. الثاني: لو ترك الموالاة ناسياً نقل العراقيون أنه لا يضر، وللشافعي رحمته قول في القديم: إنه لو ترك الفاتحة ناسياً لم يضر؛ لأن النسيان عذر كالسبق، ولكن ليس هذا تفريقاً عليه؛ إذ فرق بينه وبين ترك ترتيبها ناسياً، ويتأيد ذلك بأنه لو طوّل ركناً قصيراً ناسياً لم يضر، وإن انقطعت به موالاة الأركان.

أما العاجز وهو الأمي ففيه أربع مسائل:

الأول: أنه لا تجزيه ترجمته، بل إن قدر فيأتي بسبع آيات من القرآن متوالية لا تنقص حروفها عن حروف الفاتحة، فإن نقصت الحروف دون عدد الآيات ففيه وجهان، فإن عجز عن آيات متوالية فتجزئه آيات متفرقة، فإن لم يكن آحادها مفهومة كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ [الذثر: ٢١] لم يبعد أن يرد إلى الأذكار، فإن لم يُحسن إلا آية واحدة، فيأتي بها وبالأذكار بدلاً عن البقية. وقيل: إنه يكرر الآية سبعاً فيكفيه، فإن لم يُحسن من القرآن شيئاً فيأتي بتسبيح وتهليل؛ كقوله: سبحان الله، والحمد لله، وما فيه ثناء على الله، ويراعي مساواته في الحروف. وفي الدعاء المحض اختلاف في: هل يقوم مقام التسبيح؟

الثانية: إذا لم يحسن النصف الأول من الفاتحة، فيأتي أولاً بالذكر بدلاً عنه ثم يأتي بما يحسن منها.

الثالثة: إذا تعلم الفاتحة في أثناء الصلاة قبل قراءة البدل لزمته، وإن كان بعد الركوع لم تلزمه، وإن قبل الركوع وبعد الفراغ فوجهان، ووجه الوجوه بقاء مظنة القراءة، ولو كان أثناء البدل لزمه ما بقي من البدل. وفي لزوم الاستئناف خلاف، والأصح أنه يجب.

الرابعة: إذا قرأ الأمي دعاء الاستفتاح، وقصد به بدل الفاتحة جاز، وإن قصد الاستفتاح لم تسقط به القراءة فعلية الإعادة، ولو أطلق، ففي سائر الأذكار تردد، ذكره صاحب التقريب^(١) في أنه هل يشترط قصد البداية؟ واشتراطه في دعاء الاستفتاح أوجه؛ لأن قرينة الحال تصرفه إلى الاستفتاح.

أما لواحق الفاتحة فشيئان:

الأول: التأمين، فهو مستحب عقب الفراغ للمأموم المنفرد، وفيه لغتان: القصر والمد، والميم مخففة على اللغتين، وهو صيغة وضعت لتحقيق الدعاء، ومعناه: ليكن كذلك، كقولهم: « صه » للأمر بالسكوت.

ثم اختلف نص الشافعي رحمته في جهر المأموم به، فقيل: إن كان في القوم كثرة جهروا ليلغ الصوت، وإلا فلا. وقيل: فيه قولان:

أحدهما: بنعم، لما روى أبو هريرة: « أن رسول الله ﷺ كان إذا أمَّن أمَّن من خلفه حتى كان للمسجد ضجة »^(٢).

والثاني: لا، كسائر الأذكار.

وأما الضجة فهي هينة حصلت من همس القوم عند كثرتهم.

وقيل: إن لم يجهر الإمام جهر المأموم، وإن جهر الإمام ففي المأموم قولان. ثم المستحب أن يؤمن مع تأمين الإمام لا قبله ولا بعده؛ لأنه يؤمن لقراءته لا لتأمينه. وقد روي عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه قال: « إذا قال الإمام: ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ﴿٧﴾ فقولوا: آمين، فإن الملائكة تؤمن عند ذلك، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر »^(٣).

(١) التقريب والإرشاد في طرق ترتيب طرق الاجتهاد للقاضي أبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ).

(٢) روى ابن ماجه معنى هذا الحديث عن أبي هريرة قال: « ترك الناس التأمين!! كان رسول الله ﷺ إذا قال: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ﴿٧﴾ قال: آمين، حتى يسمعها أهل الصف الأول فيرجع لها المسجد ». كتاب إقامة الصلاة (٢٧٨/١). حديث (٨٥٣).

(٣) الحديث متفق عليه من طريق الزهري. أخرجه البخاري في كتاب الأذان (١٨٩/١، ١٩٠)، ومسلم في =

٣٠ - لا يصل « آمين » بقوله: ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ۝ ﴾ وصلًا.

٣١ - آمين: سنة مؤكدة.

* سُورَةُ الْبَقَرَةِ *

• [﴿ اَلَمْ ۝ ﴾ ^(١)] •

٣٢ - قال بعض السلف: الحروف المقطعة في ابتداء بعض السور متشابهة ^(٢) وما عاداها فمُخَكَّمَةٌ.

٣٣ - نعم الحروف المقطعة إن كانت متشابهة فلتكن، فليس ذلك مما كلفنا فهمه.

٣٤ - فإن قيل: فما معنى الحروف في أوائل السور؟ إذ لا يعرف أحد معناها.

قلنا: أَكْثَرُ النَّاسِ فِيهَا. وأقربها أقاويل (وأجودها) ^(٣): أنها أسامي السور حتى تعرف بها، فيقال: سورة « يس » و « طه ». وقيل: ذكرها الله تعالى لجمع دواعي العرب إلى الاستماع؛ لأنها تخالف عاداتهم فتوقظهم عن الغفلة حتى تصرف قلوبهم إلى الإصغاء، فلم يذكرها لإرادة معنى. وقيل: إنما ذكرها كناية عن سائر حروف المعجم التي لا يخرج عنها جميع كلام العرب، تنبيهًا أنه ليس يخاطبهم إلا بلغتهم وحروفهم.

٣٥ - فمعانيها لا يمكن أن تدرك بالعقل؛ إذ اللغات تعرف بالاصطلاح، ولم يسبق اصطلاح من الخلق على حروف التهجي، وأن « المر » و « حم عسق » عبارة عن ماذا؟ فالمعصوم أيضًا لا يفهمه، وإنما يفهم ذلك من الله تعالى، إذا بين المراد به على لسان رسوله، فيفهم ذلك سماعًا وذلك لا يخلو:

إما أن لم يذكره الرسول؛ لأنه لا حاجة إلى معرفته ولم يكلف الخلق به، فالمعصوم

٣١ - نفسه (١٨٦/١).

٣٠ - الإحياء (١٨٢/١).

٣٣ - نفسه (ص ١٧٣).

٣٢ - المنحول (ص ١٧٠).

٣٥ - فضائح الباطنية (ص ١١٨).

٣٤ - المستصفي (١٠٦/١).

= كتاب الصلاة (٣٠٦/١، ٣٠٧ - ٣١٠).

(١) قوله تعالى: ﴿ اَلَمْ ۝ ﴾ لم يورده أبو حامد الغزالي، وإنما أورده بين معقوفين قصد البيان.

(٢) الضمير هنا يعود على القرآن الكريم.

(٣) في الأصل « أحدها » ولعل الصواب ما أثبتته.

شريك في (أن) (١) لا يعرفه؛ إذ لم يسمعه من الرسول (٢).

وإن عرضه وذكره فقد ذكر ما بالخلق مندوحة [عن] (٣) معرفته، فإنهم لن يكلفوه.

وإن ذكره الرسول فقد اشترك في معرفته من بلغه الخبر - متواتراً كان أو آحاداً -، وفيه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين نقل.

فإن كان متواتراً أفاد علماء، وإلا أفاد ظناً، والظن فيه كافٍ، بل لا حاجة إلى معرفته فإنه لا تكليف فيه.

• ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ... ﴾ (١٦) •

٣٦ - ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴾ أي: شك.

٣٧ - ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴾ لما كانوا لا ينتفعون بالقرآن.

٣٨ - ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴾ إشارة إلى مرض العقول.

• ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ... ﴾ (١٧) •

٣٩ - أمر التكليف جارٍ على خصوص الخلق لنظام وجود العالم الصغير؛ وذلك قوله

تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ وكذلك جميع الأوامر والنواهي.

• ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ... ﴾ (١٨) •

٤٠ - عمدة أدلة المتكلمين في النبوة: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا

بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾.

• ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ

سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١٩) •

٤١ - ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ قالوا: هكذا كان الناس على

المنهج القديم: ليس تحليل ولا تحريم، ولكن الأنبياء حللوا أشياء وحرموا أشياء.

٣٧ - ميزان العمل (ص ٣٣٨).

٣٦ - المستصفى (٣٥٩/٢).

٣٩ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ١٣٤).

٣٨ - الإحياء (١٠٧/٤).

٤٠ - الإحياء (١١٥/١).

٤١ - سر العالمين وكشف ما في الدارين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٦) (ص ٢٧).

(١) في الأصل « أنه » ولعل الصواب ما أثبتته. (٢) أي جبريل عليه السلام.

(٣) في الأصل « من » ولعل الصواب ما أثبتته.

٤٢ - قال مالك لما سئل عن الاستواء: « الاستواء معلوم والكيفية مجهولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة »^(١).

وقال سفيان بن عيينة^(٢): يفهم منه ما فهم من قوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾. وقد تحزب الناس فيه: فضل فريق وأجروه على الظاهر، وتبعهم آخرون؛ إذ ترددوا فيه، وإن لم يجزموا.

وفاز من قطع بنفي الاستقرار، فإن تردد في مجمله ورآه، فلا يعاب عليه. وتكلف تعلم الأدلة على نفي الاستقرار، لا نراه واجباً على آحاد الناس، بل يجب على شخص في كل إقليم أن يقوم به، يدفع البدع إذا ثارت عليه. فإذا تشابه: ما لا يفهم معناه، وذلك محال في محل التكليف، فنعلم قطعاً أن هذه الآية ما أريد بها الاستقرار، فلا تشابه فيها.

٤٣ - ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ باقي على العموم.

٤٤ - ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فإنه عالم بذاته.

٤٥ - ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ دل العقل على عمومته، ولا يعارضه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ [يونس: ١٨] إن معناه: ما لا يعلم له أصلاً، أي يعلم أنه لا أصل له، ولا يعارضه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١] إذ معناه: أنه يعلم المجاهدة كائنة حاصلة.

• ﴿قَالُوا أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ...﴾ (٣٥)

٤٦ - الملائكة عرفت أن الموجود في مادة يعصي فقالوا: ﴿أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾.

- ٤٢ - المنحول (ص ١٧٢، ١٧٣).
 ٤٣ - المستصفي (٩٩/٢).
 ٤٤ - المنحول (ص ٤٤).
 ٤٥ - المستصفي (١٣٨/٢).
 ٤٦ - معراج السالكين ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (١) (ص ١٠٥).

(١) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

(٢) هو الإمام الكبير شيخ الإسلام أبو محمد سفيان بن عيينة الهلالي الكوفي ثم المكي من تابعي التابعين، وقد اتفق العلماء على جلالته وعظم مرتبته. ولد سنة (١٠٨ هـ). وطلب الحديث وهو حدث، ولقي الكبار وحمل عنهم علماً جماً وأتقن وجود، وجمع وصنف، وعمر دهراً، وازدحم الخلق عليه وانتهى إليه علو الإسناد. توفي (٢٩٨ هـ)، ن: حلية الأولياء (٢٧٠/٧)، وتاريخ بغداد (١٧٤/٩)، وسير أعلام النبلاء (٤٠٠/٨).

• ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...﴾ ﴿٣٦﴾

٤٧ - ظاهر في كونه توقيفيًا، وليس بقاطع؛ إذ يحتمل كونها مصطلحًا عليها من خلق خلقه الله تعالى قبل آدم.

٤٨ - فإن قيل: قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ وهذا يدل على أنه كان بوحى وتوقيف، فيدل على الوقوع وإن لم يدل على استحالة خلافه. قلنا: وليس ذلك دليلًا قاطعًا على الوقوع أيضًا؛ إذ يتطرق إليه أربع احتمالات:

أحدها: أنه ربما ألهمه الله تعالى الحاجة إلى الوضع فوضع بتدبيره وفكره، ونسب ذلك إلى تعليم الله تعالى؛ لأنه الهادي والملمهم ومحرك الداعية، كما تنسب جميع أفعالنا إلى الله تعالى.

الثاني: أن الأسماء ربما كانت من الملائكة، فعلمه الله تعالى ما تواضع عليه غيره.

الثالث: أن الأسماء صيغة عموم، فلعله أراد به أسماء السماء والأرض وما في الجنة والنار، دون الأسامي التي حدثت مسمياتها بعد آدم عليه السلام من الحرف والصناعات والآلات، وتخصيص قوله تعالى: ﴿كُلَّهَا﴾ كتخصيص قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠]، إذ يخرج عنه ذاته وصفاته.

الرابع: أنه ربما علمه ثم نسيه، أو لم يعلم غيره، ثم اصطاح بعده أولاده على هذه اللغات المعهودة الآن، والغالب أن أكثرها حادثة بعده.

• [﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَتَّكِدُمْ أَنْبِئْتَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْني أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ﴿٣٨﴾].

٤٩ - علم الأنبياء أشرف مرتبة من جميع علوم الخلائق؛ لأن محصوله عن الله تعالى بلا واسطة ووسيلة، وبيان هذا يوجد في قصة آدم عليه السلام والملائكة، فإنهم تعلموا طول عمرهم، وحصلوا بفنون الطرق كثيرًا من العلوم، حتى صاروا أعلم المخلوقات

وأعرف الموجودات، وآدم عليه السلام ما كان عالماً؛ لأنه ما تعلم وما رأى معلماً، فتفاخرت الملائكة وتجبروا وتكبروا فقالوا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٢٩]، ونعلم حقائق الأشياء. فرجع آدم عليه السلام إلى باب خالقه وأخرج قلبه عن جملة المكونات وأقبل بالاستعانة على الرب تعالى، فعلمه جميع الأسماء: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٢٨﴾ فصغر حالهم عند آدم، وقل علمهم وانكسرت سفينة جبروتهم، فغرقوا في بحر العجز: ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ فقال تعالى: ﴿يَتَّكِدُمْ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾، فأنبأهم آدم عليه السلام عدة مكنونات العلم ومستقرات الأمر، فتقرر الأمر عند العقلاء أن العلم الغيبي المتولد عن الوحي أقوى وأكمل من العلوم المكتسبة، وصار علم الوحي إرث الأنبياء وحق الرسل، وأغلق الله باب الوحي من عهد سيدنا محمد ﷺ.

٥٠ - ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ الحكيم: يدل على العلم مضافاً إلى أشرف المعلومات.

• ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٩﴾

٥١ - كان الكبر بقلبه، فحملة الإباء والكفر بظاهره.

• ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ...﴾ ﴿٣٠﴾

٥٢ - إن الله تعالى جعل الزكاة إحدى مباني الإسلام، وأردف بذكرها الصلاة التي هي أعلى الأعلام، فقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾.

٥٣ - ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ للإيجاب.

• ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ...﴾ ﴿٣١﴾

٥٤ - ينبغي أن تقع البداية بإصلاح القلب وسياسة النفس، ومن لم يصلح نفسه وطمع في إصلاح غيره كان مغروراً، كما قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾، وفي الحديث أن الله تعالى قال لعيسى ابن مريم: «عظ نفسك فإن اتعظت، فعظ الناس، وإلا فاستحي مني».

٥٠ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ٦٢).

٥١ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ١٤٦).

٥٢ - الإحياء (٢٤٥/١).

٥٤ - فضائح الباطنية (١٩٩).

٥٣ - المستصفى (٣٩٥/١).

ومثال من عجز عن إصلاح نفسه وطمع في إصلاح غيره، مثال الأعمى إذا أراد أن يهدي العميان؛ وذلك لا يستتب له قط، وإنما يقدر على إصلاح النفس بمعرفة النفس. ٥٥ - ﴿ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ إنكار من حيث إنهم نسوا أنفسهم، لا من حيث أمروا غيرهم، ولكن ذكر أمر الغير استدلالاً به على علمهم، وتأكيذاً للحجة عليهم.

• ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ... ﴾ ٥٦

٥٦ - قيل: هي قيام الليل، يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس.

• ﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ... ﴾ ٥٧

٥٧ - المن: العسل، والسلى: اللحم، سمي سلى؛ لأنه يتسلى به عن جميع الإدام ولا يقوم غيره مقامه؛ ولذلك قال ﷺ: « سيد الإدام اللحم »^(١)، ثم قال بعد ذكر المن والسلى: ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ فاللحم والحلاوة من الطيبات. قال أبو سليمان الداراني رحمته الله:^(٢) أكل الطيبات يورث الرضا عن الله.

• ﴿ فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ ... ﴾ ٥٨

٥٨ - من عادات [العرب] الحذف والإيجاز في بعض المواضع، كقوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ ﴾ يعني: فضرب فانفجرت.

• ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ ٥٩

٥٩ - ترد صيغة الأمر للتعجيز كقوله تعالى: ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾.

• ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ... ﴾ ٦٠

٦٠ - وإنما أراد بقرة معينة ولم يفصل إلا بعد السؤال.

٥٦ - الإحياء (٣٤٢/٢).

٥٧ - نفسه (١٩/٢).

٥٨ - شفاء الغليل (ص ١٠٧).

٥٩ - المنحول (ص ٢٤).

٦٠ - المستصفى (٣٧١/١).

(١) قال الزبيدي: رواه أبو القاسم تمام الرازي في فوائده بزيادة: « وسيد الشراب الماء، وسيد الرياحين الفاغية » ن: الإتحاف (٦٥٤/٥). وعند ابن ماجه من حديث أبي الدرداء: « سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم » (١٠٩٩/٢) كتاب الأطعمة، باب اللحم، حديث (٣٣٠٥).

(٢) هو الإمام الكبير زاهد العصر أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد الداراني، أحد رجال الطريقة، كان من جملة السادات وأرباب المجاهدات. توفي سنة (٢١٥ هـ)، وفي رواية أخرى (٢٠٥ هـ) ن: حيلة الأولياء (٥٤/٩) وصفة الصفوة (٢٢٣/٤، ٢٢٤) وسير أعلام النبلاء (١٨٢/١٠).

• ﴿وَمَنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ أَلْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي...﴾ (٧٨) ﴿

٦١ - يعني: التلاوة المجردة.

• ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٨٧) ﴿

٦٢ - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هذا يدل على أن العمل وراء الإيمان

لا من نفس الإيمان، وإلا فيكون العمل في حكم المعاد.

• ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْهِخُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ

اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٨٨) ﴿بِئْسَمَا أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَقِيًّا...﴾ (٩٥) ﴿

٦٣ - لما جاء النبي ﷺ من ولد إسماعيل عليه السلام، عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم إياه،

فقال تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْهِخُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا

بِهِ﴾ إلى قوله: ﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَقِيًّا﴾ أي حسداً.

• ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ...﴾ (٩٦) ﴿

٦٤ - أي: حُبُّ العجل، فحذف الحب.

• ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا...﴾ (٩٧) ﴿

٦٥ - الناسخ هو الله تعالى،.... هو المظهر على لسان رسوله ﷺ، المفهم إيانا

بواسطة نسخ كتابه ولا يقدر عليه غيره، ثم لو نسخ الله تعالى آية على لسان رسوله ﷺ

ثم أتى بآية أخرى مثلها كان قد حقق وعده، فلم يشترط أن تكون الآية الأخرى هي

الناسخة الأولى.

ثم نقول: ليس المراد الإتيان بقرآن آخر خير منها؛ لأن القرآن لا يوصف بكون بعضه

خيئاً من البعض، كيفما قدر قديماً أو مخلوقاً، بل معناه: أن يأتي بعمل خير من ذلك

العمل لكونه أخف منه أو لكونه أجزل ثواباً.

• ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ

عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ...﴾ (٩٨) ﴿

٦٦ - فأخبر تعالى أن حبهم زوال نعمة الإيمان: حسد.

• ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٥٧ ﴿

٦٧ - الله سبحانه أبداع السموات، دفعة واحدة بالفطرة الأصلية، لا بجمع المواد وتركيبها بالدفعات وترتيبها وتنميتها بالمطعومات، بل أبداعها دفعة واحدة بلا مدة، ولا مهلة، كما قال جل ثناؤه: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فقلوه: إيجاده وإبداعه، وكتابته قوله، فإذا أصدر الإبداع عن أمره يكون قولاً، فإذا وصل إلى المحل وظهر المبدع يكون كتابة، وحروف المكتوب أشخاص الأفلاك، وكلمات المكتوب أجسام الأفلاك.

٦٨ - عبر القرآن بقوله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ عن نهاية القدرة.

٦٩ - ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ إخبار عن نهاية الاقتدار.

• ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾

٧٠ - النور الذي يشرق في عالم الولاية والنبوة، فيهدي به إلى ما لا يهتدي إليه ببضاعة العقل، الذي به يحصل التكليف وإمكان التعلم، وإياه عنى بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ فأضافه إلى نفسه وسماه الهدى المطلق.

٧١ - الهدى المنسوب إلى الله تعالى يوجد في هذا العالم؛ وهو عالم الأرواح وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾.

• ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ...﴾ ٥٨ ﴿

٧٢ - أي لا يجاوزون قنًا حتى يُحكموه علمًا وعملاً.

• ﴿رَبَّنَا ثَبِّثْ لَنَا مِنَّا إِنَّا نَسِيحُ الْغَيْبِ﴾ ٥٩ ﴿

٧٣ - قول خليله إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - لما فرغ من خدمته في بناء بيته.. ابتهل إليه في أن يتفضل عليه بالقبول.

٦٧ - المعارف العقلية (ص ٨٠).

٦٩ - المنحول (ص ١٣٤).

٦٨ - الإحياء (٢٦/٤).

٧١ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٢١٦).

٧٠ - ميزان العمل (ص ٣٠٢، ٣٠٣).

٧٢ - إحياء علوم الدين (٦٦/١) وميزان العمل (ص ٣٤٩).

٧٣ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ٣١٤).

• ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ﴾

٧٤ - العزيز: هو الذي لا نظير له، وهو ما تشتد الحاجة إليه ويصعب نيله والوصول إليه. والحكيم: يدل على العلم مضافاً إلى أشرف المعلومات.

• ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ ﴾

٧٥ - أراد بالإيمان: التصديق بالصلاة والقبلة.

٧٦ - [﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ ﴾] الرؤوف: الرأفة: شدة الرحمة وهي مبالغة في الرحمة.

• ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ... ۝ ﴾

٧٧ - كان رسول الله ﷺ يستقبل الصخرة من بيت المقدس مدة مقامه بمكة، وهي قبلة الأنبياء، وكان يقف بين الركنين اليمانيين؛ إذ كان لا يؤثر استدبار الكعبة، فلما هاجر إلى المدينة لم يكن استقبالها إلا باستدبار الكعبة، وعيرته اليهود، وقالوا: إنه على ديننا ويصلي على قبلتنا، فسأل الله تعالى أن يحوله إلى الكعبة فنزل قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ الآية.

• ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ ﴾

٧٨ - جعل اليهود شراً من النصاري، مع أنهم ما جعلوا لله سبحانه ولداً ولا قالوا: إنه ثالث ثلاثة، إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة؛ إذ قال الله: ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾.

٧٩ - ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ هو تحريم للكتمان.

• ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ... ۝ ﴾

٨٠ - أي نحوه. ومن قابل جهة الكعبة يقال: قد ولى وجهه شطرها.

٧٤ - روضة الطالبين وعمدة السالكين ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ٦٥).

٧٥ - المستصفى من علوم الأصول (٣٢٨/١).

٧٦ - روضة الطالبين وعمدة السالكين ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ٦٥).

٧٧ - الوسيط في المذهب (٥٧٧/٢).

٧٨ - إحياء علوم الدين (٧٤/١).

٨٠ - نفسه (٢٨٨/٢).

٧٩ - نفسه (٢٠/١).

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ... ﴾ ١٥٦ ﴿

٨١ - قال ثابت البناني رحمه الله ^(١): إني أعلم متى يذكرني ربي ﷻ، ففرعوا منه وقالوا: كيف تعلم ذلك؟ قال: إذا ذكرته ذكرني.

﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ ١٥٧ ﴿

٨٢ - جمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم، فقال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين.

٨٣ - كان عمر رضي الله عنه يقول: نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين. يعني بالعدلين: الصلاة والرحمة، وبالعلاوة: الهدى، والعلاوة: ما يحمل فوق العدلين على البعير ^(٢)، وأشار به إلى قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾.

﴿ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ... ﴾ ١٦٠ ﴿

٨٤ - انظر إلى عجائب السفن وكيف مسكنها على وجه الماء، تسير فيها العباد لطلب الأموال وتحصيل ما لهم من الأغراض، وجعلها من آياته ونعمته، فقال: ﴿ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ فجعلها بتسخيره تحملهم، وتحمل أثقالهم، وينتقلون بها من أقاليم إلى أقاليم، لا يمكن وصولهم إليها إلا بالسفن، ولو راموا التوصل بغيرها لأدى إلى أعظم المشقات وعجزوا عن نقل ما ينقل من المنقولات إلى ما بُعد من البلاد والجهات، فلما أراد ﷻ أن يلطف بعباده ويهون ذلك عليهم، خلق الأخشاب متخلخلة الأجزاء بالهواء ليحملها الماء ويبقى فيها من الفضاء عن نفسها ما يحمل بها الأثقال، وألهم العباد اتخاذها سفناً. ثم أرسل الرياح بمقادير في أوقات تسوق السفن وتسيرها من موضع إلى موضع آخر، ثم ألهم أربابها معرفة أوقات هبوبها وفترتها حتى يسيروا بالرياح

٨١ - إحياء علوم الدين (٣٥٠/١). ٨٢ - نفسه (٦٥/٤).

٨٣ - نفسه (٦٥/٤).

٨٤ - الحكمة في مخلوقات الله ﷻ، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (١) (ص ١٨، ١٩).

(١) هو ثابت البناني بن أسلم أبو محمد البصري، روى عن أنس وعبد الله بن الزبير، وأبي برزة الأسلمي وغيرهم، وعنه حماد بن سلمة وشعبة، وكان محدثاً أميناً، توفي سنة (١٢٧هـ)، ن: طبقات ابن الخياط

(١٢٥/١) والغاية لابن الجزري (١٨٨/١).

(٢) ن: اللسان، مادة: «علا».

التي تحملها شراعها. وانظر إلى ما يسره سبحانه في خلقه الماء؛ إذ هو جسم لطيف رقيق سيال متصل الأجزاء كائن شيء واحد، لطيف التركيب سريع القبول للتقطع، حتى كأنه منفصل مسخر للتصرف قابل للاتصال والانفصال حتى يمكن سير السفن فيه. فالعجب ممن يغفل عن نعمة الله في هذا كله، وفي بعضه متسع للفكر، وكل ذلك شواهد متظاهرة، ودلائل متضافرة وآيات ناطقة بلسان حالها، مفصحة عن جلال بارئها، معربة عن كمال قدرته وعجائب حكمته، قائلة: أما ترى تصويري وتركيبي وصفاتي زمنًا، واختلاف حالي وكثرة فوائدي؟ أيعظن ذو لب سليم وعقل رصين أنني تلونت بنفسي أو أبدعني أحد من جنس؟ بل ذلك صنع القادر القهار العزيز الجبار.

• ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ... ﴾ (١١٦)

٨٥ - يدل على إثبات الحب لله تعالى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ وهو دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت فيه.

• ﴿ صُمُّ بُكْمٌ عُتَىٰ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (١١٧)

٨٦ - لكون الشرع عقلاً من خارج، سلب الله تعالى اسم العقل من الكافر في غير موضع من القرآن، نحو قوله تعالى: ﴿ صُمُّ بُكْمٌ عُتَىٰ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾.

• ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ... ﴾ (١١٨)

٨٧ - الطيبات: هي الحلال، وأطب مطعمك ومشربك وما عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار، وطيب المطعم أصل كبير في طريق القوم، ولو قام العبد قيام السارية لم ينفعه ذلك، حتى يعلم ما يدخل جوفه.

٨٨ - وقال ﷺ: « إن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين » فقال: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (١).

• ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ

٨٥ - الإحياء (٣١٢/٤). ٨٦ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٥٨).

٨٧ - روضة الطالبين وعمدة السالكين ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ٨).

٨٨ - الإحياء (٩٨/٢).

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ؓ في كتاب الزكاة (٧٠٣/٢) حديث رقم (١٠١٥).

وَعَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴿١٧٨﴾

٨٩ - سئل أبو ذر عن الإيمان فقراً هذه الآية، فقيل له: سألتك عن الإيمان فقال: سألت رسول الله ﷺ عن الإيمان فقراً هذه الآية (١).

٩٠ - ﴿ وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ ﴾ أي المصيبة، ﴿ وَالضَّرَّاءِ ﴾ أي: الفقر ﴿ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ أي المحاربة ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾

• ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْآلَبِ ... ﴾ ﴿١٧٧﴾

٩١ - نبه الرب تعالى على مقصود القصاص بقوله: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾.

• ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ... ﴾ ﴿١٨٠﴾

٩٢ - الله تعالى سمى المال خيراً في مواضع من كتابه العزيز فقال: ﴿ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا ﴾.

٩٣ - إن النبي ﷺ بين أن آية وصية الأقارب نسخت بقوله: « إن الله تعالى قد أعطى كل ذي حق حقه، ألا لا وصية لوارث » (٢) مع أن الجمع بين الوصية والميراث ممكن، فليس ذلك متنافين تنافياً قاطعاً.

٩٤ - نسخ القرآن بالسنة: نسخ ﴿ الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾، بقوله ﷺ: « ألا لا وصية لوارث » لأن آية الميراث لا تمنع الوصية للوالدين والأقربين، إذ الجمع ممكن.

٩٥ - رفعوا عموم آية الوصية بقوله: « لا وصية لوارث ».

٩٦ - ﴿ الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ متلوة في القرآن، وحكمها منسوخ بقوله ﷺ: « لا وصية لوارث ».

- | | |
|-----------------------------|---|
| ٨٩ - الإحياء (٤١٣/٤). | ٩٠ - الإحياء (٧٠/٤) وميزان العمل (٣٢٥). |
| ٩١ - شفاء الغليل (ص ١٦١). | ٩٢ - الإحياء (٢٤٨/٣). |
| ٩٣ - المستصفى (١٢٢/١). | ٩٤ - نفسه (١٢٤/١). |
| ٩٥ - نفسه (١١٩/٢). | ٩٦ - نفسه (١٢٢/١). |

(١) قال الحافظ العراقي: رواه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة بأسانيد متقطعة لم أجد له سنداً، ن: المغني بهامش الإحياء (٤١٣/٤).

(٢) رواه أبو داود في سننه (١١٤/٣) كتاب الوصايا، باب ما جاء في الوصية للوارث، حديث رقم (٢٨٧٠). ون: تفسير ابن كثير (٢٦٣/١).

• ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا كُمُ تَنقُونَ ﴿١٨٧﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ... ﴿١٨٨﴾﴾

٩٧ - في المسافر مذهبان ضعيفان:

أحدهما: مذهب أصحاب الظاهر؛ إن المسافر لا يصح صومه في السفر، لقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ فلم يأمره إلا بأيام آخر. وهو فاسد؛ لأن سياق الكلام يفهمنا إضمار الإفطار، ومعناه: من كان منكم مريضاً أو على سفر فأفطر، فعدة من أيام آخر، كقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ﴾ [البقرة: ٦٠] يعني فضرب فانفجرت، ولأن أصحاب الرسول ﷺ - في السفر - كانوا يصومون ويفطرون، ولا يعترض بعضهم على بعض.

والثاني: مذهب الكرخي ^(١): إن الواجب أيام آخر، ولكن لو صام رمضان صح، وكان معجلاً للواجب كمن قدم الزكاة على الحول. وهو فاسد؛ لأن الآية لا تفهم إلا الرخصة في التأخير وتوسيع الوقت عليه، والمؤدي في أول الوقت الموسع غير معجل، بل هو مؤد في وقته [كمن] ^(٢) سبق في الصلاة في أول الوقت...

المريض: إن كان يخشى الموت من الصوم فهو كالمسافر، أما الذي يخشى الموت أو الضرر العظيم فيعصى بترك الأكل، فيشبه الحائض من هذا الوجه، فلو صام يحتمل أن يقال: لا ينعقد؛ لأنه عصي به، فكيف يتقرب بما يعصى به؟ ويحتمل أن يقال: إنما عصي بجنايته على الروح التي هي حق الله تعالى، فيكون كالمصلي في الدار المغصوبة، يعصى لتناوله حق الغير، ويمكن أن يقال قد قيل للمريض كل!، فكيف يقال له: لا تأكل؟ وهو معنى الصوم، بخلاف الصلاة: الغضب، ويمكن أن يجاب بأنه قيل له: لا تهلك نفسك، وقيل له: صم، فلم يعص من حيث إنه صائم بل من حيث سعيه في الهلاك...

(١) هو أبو محفوظ معروف بن فيروز، الصالح المشهور، كان من المشايخ الكبار، وكان مشهوراً بإجابة الدعاء، وهو أستاذ السري السقطي، وأخباره ومحاسنه أكثر من أن تحصى. توفي ببغداد (٢٠٠ هـ). انظر: تاريخ بغداد (١٣/١٩٩ - ٢٠٩) وشذرات الذهب (١/٣٦٠)، وسير أعلام النبلاء (٩/٣٣٩).
(٢) في النسخة المطبوعة: « كما » ولعل الصواب ما أثبتته.

٩٨ - ﴿فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ...﴾ ﴿١٠٧﴾ ﴿فَمَعْنَاهُ: فَأَفْطَرَ﴾ ﴿فَعِدَّةٌ﴾ ﴿فَحُذِفَ ذَلِكَ إِيْجَازًا، وَحَصَلَ الْفَهْمُ كَمَا لَوْ نَطَقَ بِهِ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ. ٩٩ - ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ﴿فَهُوَ عَلَى سَبِيلِ التَّخْيِيرِ، فَكَانَ الْوَاجِبُ أَحَدَهُمَا لَا بَعِيْنَهُ، إِلَّا أَنْ هَذَا الْبَدَلُ لَا يُمْكِنُ إِلَّا بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَّلِ، وَالْأَوَّلُ سَابِقٌ بِالزَّمَانِ، فَسُمِّيَ قَضَاءً لِتَعْلُقِهِ بِفَوَاتِهِ، بِخِلَافِ الْعَتَقِ وَالصِّيَامِ فِي الْكُفَّارَةِ؛ إِذْ لَا يَتَعَلَقُ أَحَدُهُمَا بِفَوَاتِ الْآخَرِ. ١٠٠ - ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ ﴿قَدْ بَقِيَتْ تَلَاوتُهَا وَنَسْخُ حُكْمِهَا بِتَعْيِينِ الصَّوْمِ.﴾

﴿فَالَّذِينَ بَشَرُوهُنَّ وَابْتَعَوْا مَا كُتِبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ...﴾ ﴿١٠٨﴾ ١٠١ - مِنْ وَطِئٍ بِاللَّيْلِ فِي رَمَضَانَ؛ فَأَصْبَحَ جَنْبًا لَمْ يَفْسِدْ صَوْمُهُ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ﴾ وَقَالَ: ﴿فَالَّذِينَ بَشَرُوهُنَّ﴾ ثُمَّ مَدَّ الرُّخْصَةَ إِلَى أَنْ يَتَبَيَّنَ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ، فَتَشَعَّرَ الْآيَةُ بِجَوَازِ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالْجَمَاعِ فِي جَمِيعِ اللَّيْلِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، اسْتَأْخَرَ غَسْلَهُ إِلَى النَّهَارِ، وَإِلَّا وَجِبَ أَنْ الْوُطْءُ فِي آخِرِ جُزْءٍ مِنَ اللَّيْلِ بِمَقْدَارِ مَا يَتَسَعُّ لِلْغَسْلِ، فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِمَّا يَكْثُرُ وَيُسَمَّى إِشَارَةً اللَّفْظِ.

١٠٢ - ﴿فَالَّذِينَ بَشَرُوهُنَّ﴾ نَسْخٌ لِتَحْرِيمِ الْمُبَاشَرَةِ، وَلَيْسَ التَّحْرِيمُ فِي الْقُرْآنِ. ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ...﴾ ﴿١٠٩﴾ ١٠٣ - قَدْ يُطْلَقُ الْخَاصُّ، وَنَرِيدُ الْعَامَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ وَالْمُرَادُ: هُوَ الْإِتْلَافُ الَّذِي هُوَ أَعْمُ مِنَ الْأَكْلِ، وَلَكِنْ عَبَّرَ بِالْأَكْلِ عَنْهُ. ﴿وَلَا تُنْفِقُوا بَيْنِكُمْ إِلَى الْهَلَكَةِ...﴾ ﴿١١٠﴾

١٠٤ - لَا خِلَافَ فِي أَنَّ الْمُسْلِمَ الْوَاحِدَ لَهُ أَنْ يَهْجُمَ عَلَى صَفِّ الْكُفَّارِ وَيُقَاتِلَ وَإِنْ عَلِمَ أَنَّهُ يُقْتَلُ، وَهَذَا رُبَّمَا يَظُنُّ أَنَّهُ مُخَالَفٌ لِمَوْجِبِ الْآيَةِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ، فَقَدْ قَالَ

٩٨ - شفاء الغليل (ص ١٠٦، ١٠٧). ٩٩ - المستصفى (١/ ٩٦). ١٠٠ - نفسه (١/ ١٢٤). ١٠١ - نفسه (٢/ ١٨٩). ١٠٢ - المستصفى (١/ ١٢٤). ١٠٣ - معيار العلم في المنطق (ص ١٩٦). ١٠٤ - الإحياء (٢/ ٣٤٧).

ابن عباس رضي الله عنه: « ليس التهلكة ذلك، بل ترك النفقة في طاعة الله تعالى ». أي من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه.

وقال البراء بن عازب ^(١): التهلكة: هو أن يذنب الذنب ثم يقول: لا يتاب عليه.

وقال أبو عبيدة ^(٢): هو أن يذنب ثم لا يعمل بعده خيراً حتى يهلك.

وإذا جاز أن يقاتل الكفار حتى يقتل جاز أيضاً له ذلك في الحسبة، ولكن لو علم أنه لا نكاية لهجومه على الكفار؛ كالأعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم آية التهلكة، وإنما جاز له الإقدام إذا علم أنه يقاتل إلى أن يقتل أو علم أنه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جرأته واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة وحبهم للشهادة في سبيل الله فتكسر بذلك شوكتهم.

• ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَن تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ... ﴿٣١١﴾﴾.

١٠٥ - إن أضاف إلى المشي ^(٣) الإحرام من دويرة أهله فقد قيل: إن ذلك من إتمام الحج، قاله عمر وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم في معنى قوله تلك: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾.

١٠٦ - ﴿فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ أي فأردتم الإحلال.

١٠٧ - ﴿فَمَن كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ﴾ يعني: فحلق فَفِدْيَةٌ.

١٠٦ - شفاء الغليل (ص ١٠٧).

١٠٥ - الإحياء (٣١١/١).

١٠٧ - نفسه (ص ١٠٧).

(١) البراء بن عازب: صحابي من الأنصار وأبوه صحابي، شهد أحدًا وغيرها، روى عنه الشعبي ومعاوية ابن سويد، ن: الاستبصار (ص ٢٤٩) وتهذيب الأسماء (١٣٢/١).

(٢) هو عامر بن عبد الله بن الجراح الصحابي الجليل، أمين هذه الأمة، روى أحاديث معدودة، وغزا غزوات مشهورة، حدث عن العرياض بن سارية وجابر بن عبد الله وأبي أمامة الباهلي وآخرين، كان موصوفاً بحسن الخلق، وبالحلم الزائد والتواضع. توفي سنة (١٨ هـ)، ن: حلية الأولياء (١٠٠/١ - ١٠٢) وشذرات الذهب (٢٩/١) وسير أعلام النبلاء (٥/١).

(٣) من الآداب الدقيقة للحج: الحج مشياً. الإحياء (٣١٠/١، ٣١١).

١٠٨ - ﴿ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ صريح في لفظه، أعني: كونه عشرة.

• ﴿ رَيْنَا ءَانِكَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ ... ﴾ (١٥٦)

١٠٩ - قال الحسن (١) في قوله تعالى: ﴿ رَيْنَا ءَانِكَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ

حَسَنَةٌ ﴾: إن الحسنه في الدنيا هي العلم والعبادة، وفي الآخرة هي الجنة.

١١٠ - قال محمد بن كعب القرظي (٢) في معنى قوله تعالى: ﴿ رَيْنَا ءَانِكَ فِي

الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ ﴾ قال: المرأة الصالحة.

١١١ - ليس من شرط حب الله أن لا يحب في العاجل حظاً البتة، إذ الدعاء الذي

أمر به الأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامه - فيه جمع بين الدنيا والآخرة، ومن ذلك

قولهم: ﴿ رَيْنَا ءَانِكَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ ﴾.

• ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ... ﴾ (١٧٧)

١١٢ - بات علي - كرم الله وجهه - على فراش رسول الله ﷺ، فأوحى الله

تعالى إلى جبريل وميكائيل ﷺ: إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من

عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة وأحباها فأوحى الله ﷻ

إليهما: أفلا كنتما كمثلي علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين نبيي محمد ﷺ، فبات

على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة؟ اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فكان

جبريل عن رأسه وميكائيل عند رجله وجبريل ﷺ يقول: بخ بخ من مثلك

يا ابن أبي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة! فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن

١٠٨ - معيار العلم في المنطق (ص ١٩٤). ١٠٩ - الإحياء (١٨/١).

١١٠ - نفسه (٣٥/٢). ١١١ - نفسه (١٧٨/٢).

١١٢ - نفسه (٢٧٣/٣).

(١) هو أبو سعيد بن أبي الحسن يسار التابعي البصري مولى زيد بن ثابت، أرضعته أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، رأى كثيراً من

الصحابه، وكان فصيحاً عالماً زاهداً، وروى عنه كثيراً من التابعين (ت ١١٠ هـ). انظر صفة الصفوة (٢٣٣/٣)

وتهذيب الأسماء (١٦١/١)، وطبقات المفسرين (١٥٠/١) وسير أعلام النبلاء (٥٦٣/٤).

(٢) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي أبو حمزة، روى عن العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب

وابن مسعود وغيرهم، وعنه أخوه عثمان وغيره. قال ابن سعد: كان ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً، وقال العجلي:

مدني تابعي ثقة، توفي سنة (١٠٨ هـ) وقيل غير ذلك. انظر: تهذيب التهذيب (٤٢٠/٩، ٤٢١)

وشذرات الذهب (١٣٦/١) وسير أعلام النبلاء (٦٥/٥).

يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿١﴾

• ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا يَنْتَهُمُ ﴿٢﴾﴾

١١٣ - قيل في التفسير: حسداً.

• ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ... ﴿٣﴾﴾

١١٤ - قال ﷺ: «أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس» (٢) فقول: معناه ما دخل عليه من الأمراض والمصائب، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ... ﴿٤﴾﴾

١١٥ - يعني أن الرجاء بهم أليق، وهذا لأنه ذكر أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال، قال الله تعالى: ﴿جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

١١٦ - معناه: أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله، وما أراد به تخصيص وجود الرجاء؛ لأن غيرهم أيضاً قد يرجو، ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء. فأما من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع، فرجاؤه المغفرة حمق، كرجاء من بث البذر في أرض سبخة وعزم على أن لا يتعهدده بسقي ولا تنقية.

• ﴿وَلَأَمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ... ﴿٥﴾﴾

١١٧ - معناه: وإن أعجبتكم.

١١٤ - نفسه (٣٠٥/٤).

١١٣ - الإحياء (٢٠٢/٣).

١١٦ - نفسه (١٥١/٤).

١١٥ - نفسه (٤٠٦/٣).

١١٧ - المنحول من تعليقات الأصول (ص ٩٢).

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه أحمد مختصراً من حديث ابن عباس: (شري على نفسه فلبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه ... الحديث) وليس فيه ذكر جبريل وميكائيل، ولم أقف لهذه الزيادة على أصل، وفيه أبو بلج مختلف فيه والحديث منكر. انظر: المغني بهامش الإحياء (٢٧٣/٣).

(٢) قال العراقي: لا أصل له مرفوعاً، وإنما هو من قول عمر بن عبد العزيز، هكذا رواه ابن أبي الدنيا، ن: المغني بهامش الإحياء (٦٤/٤).

• ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ... ﴾ ﴿١١٨﴾

١١٨ - ﴿قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ فهو تعليل حتى يفهم منه تحريم الإتيان في غير المأتى؛ لأن الأذى فيه دائم، ولا يجري في المستحاضة؛ لأن ذلك عارض وليس بطبيعي.

١١٩ - ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ الاستمتاع بما فوق السرة وتحت الركبة جائز، وفي الاستمتاع بما تحت الإزار مما سوى الجماع وجهان.

١٢٠ - ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ هذا تنبيه على أن ما جعل غاية للحكم مؤثر وسبب في ارتباطه.

• ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ... ﴾ ﴿١٢١﴾

١٢١ - ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ أي: أي وقت شئتم.

١٢٢ - أحد المعاني المذكورة في قوله تعالى: ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ تقديم الأطفال إلى الآخرة.

• ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ ﴿١٢٣﴾

١٢٣ - إذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشيء على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصميم، والمخالفة فيه، مع أنه لا فائدة فيه، لا يؤاخذ.

١٢٤ - ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ الحليم: هو الذي يشاهد معصية العصاة، ويرى مخالفة الأمر، ثم لا يستغزه غضب، ولا يعتريه غيظ، ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام - مع غاية الاقتدار - عجلة وطيش، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [النحل: ٦١].

• ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ... ﴾ ﴿١٢٥﴾

١٢٥ - إذا طُلقَت المرأة الشابة بعد المسيس، ولزمتها العدة، وتربصت الأقراء،

١١٨ - المستصفي من علم الأصول (٢/٢٨٩). ١١٩ - الوسيط في المذهب (١/٣٧٢، ٣٧٣).

١٢١ - إحياء علوم الدين (٢/٥٧).

١٢٠ - شفاء الغليل (ص ٤٨).

١٢٣ - نفسه (٢/٣٠٩).

١٢٢ - نفسه (٢/٣١).

١٢٥ - شفاء الغليل (ص ٢٦٤ - ٢٦٦).

١٢٤ - المقصد الأسنى (ص ٩٤).

فتباعدت حيضتها سنين، فقد قال العلماء: يلزمها التربص إلى سن اليأس، ولا يغنيها الاعتداد بالأشهر. وهذا ضرر عظيم ظاهر، وفيه تعطيل عمرها وشبابها ومنعها من النكاح. ولكن نرى هذه المسألة مجمعا عليها، وتكاد تهدم اتباع المصالح...

ولكن وجه الرأي فيه - والعلم عند الله - أن الله تعالى قال: ﴿وَالْمُطَلَّقَةُ يَتَرَبَّصُ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ والتربص واجب على كل من تحيض، ولسنا نعني بقولنا: تحيض وجود الحيض عند الطلاق، فالطاهرة، تطلق ويقال: إنها ممن تحيض، فتربص الحيض. فالمعنى إمكان الحيض، أما من لا يمكن في حقها الحيض حيلة كالصغيرة والعجوز الهرمة فلها العدول إلى الأشهر. وما دامت المرأة جارية في وسط العمرين طرفي الوجود فإمكان الحيض جارٍ في حقها، وقد أمر الشرع بتربص الطاهرة للحيض فعليها أن تنتظر الحيض، وما من لحظة تقتضي إلا وهي على رجاء هجوم الحيض، نعم: لو علمنا أنها ليست تحيض إلى منتهى الهرم، لكننا نعدل بها إلى الأشهر، ولكن ذلك إن كان، فهو في علم الله تعالى، وهي في كل ساعة تبغي الشروع في العدة بالأشهر، يتوقع الحيض لها حالا على حال.

فإن مضت سنة أو سنتان، لم ينقطع هذا الرجاء، فرب امرأة لا تحيض سنين ثم يعاودها الحيض، ومن لها إلى الانتظار سبيل، فليس لها في الشرع إلا التربص. وإنما الضرر ينتظم تقديره بتمادي الطهر سنين كثيرة. ونحن - في الحال - لا نعلم تراخيها سنين، وإنما ندرك ذلك بعد مضيتها ولا سبيل إلى تلافيها، وطريق الرجاء والأمل متسع في المستقبل، فهذا هو السبب، والعلم عند الله تعالى.

• ﴿وَيُعُولَهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ ...﴾ (١٢٦)

١٢٦ - ﴿وَالْمُطَلَّقَةُ يَتَرَبَّصُ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ عام، وقوله بعده: ﴿وَيُعُولَهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ خاص.

• ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ...﴾ (١٢٧)

١٢٧ - رد ما أخذته، فما دونه لائق بالفداء.

• ﴿فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ...﴾ (١٢٨)

١٢٨ - فهذا تنبيه على أن ما جعل غاية للحكم مؤثر وسبب في ارتباطه.

١٢٩ - رفعوا عموم قوله تعالى: ﴿ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ برواية من روى (حتى تذوق عسيلتها) (١).

• ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ... ﴾ (٢)
١٣٠ - أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب.

• ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ... ﴾ (٣)

١٣١ - صرح الإمام الشافعي في كتاب أحكام القرآن بتردد الأمرين النذب والوجوب، وقال: النهي على التحريم، فقال: إنما أوجبنا تزويج الأيم لقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ (٢).

١٣٢ - ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾ هذا منع من العضل ونهي عنه.

• ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ ... ﴾ (٤)

١٣٣ - قال الشافعي: قال الله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ ... ﴾ الآية، وأمر النبي ﷺ هذا: بأن تأخذ هند من مال أبي سفيان ما يكفيها وولدها بالمعروف، وكان الولد من الوالد، فأخبر على صلاحه في الحال التي لا يغني فيها عن نفسه (٣).

فكان الأب إذا بلغ أن لا يغني عن نفسه بكسب ولا مال، فعلى ولده صلاحه في نفقته وكسوته، قياساً على الولد، ولم يضيع شيئاً وهو منه، كما لم يكن للوالد ذلك، والوالدون وإن بعدوا، والولد وإن سفل في المعنى مشتركون.

• ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ... ﴾ (٥)

١٣٤ - نسخ التبرص حولاً عن المتوفى عنها زوجها... مع بقاء التلاوة.

١٢٩ - المستصفى من علم الأصول (١١٩/٢ ، ١٢٠).

١٣١ - المستصفى (٤٢٦/١).

١٣٣ - شفاء الغليل (ص ٣٣٧ ، ٣٣٨).

١٣٠ - الإحياء (٣٣٦/١).

١٣٢ - الإحياء (٢٥/٢).

١٣٤ - المستصفى (١٢٤/١).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب من قال لامرأته: أنت علي حرام (١٦٦/٦) حديث رقم (٥٢٦٥).

(٢) انظر: أحكام القرآن للإمام الشافعي (١٧١/١).

(٣) انظر: أحكام القرآن للشافعي (٢٦٣/١).

• ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا...﴾ ﴿١٣٥﴾

١٣٥ - لأجل محبة الله تعالى لبقاء النفوس أمر بالإطعام وحث عليه وعبر عنه بعبادة القرض فقال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾.

• ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ...﴾ ﴿١٣٦﴾

١٣٦ - قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾، قال: بالرغبة والرغبة والحياء والمداراة.

• ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ...﴾ ﴿١٣٧﴾

١٣٧ - نبه أن تكليم الله تعالى لمن كلمه من الرسل إنما هو على سبيل المبالغة في التفضيل، وهذا لا يصلح أن يكون لغيره ممن ليس بنبي ولا رسول.

١٣٨ - هذه الاختلافات بعضها لاختلاف الأحوال والمقامات، وبعضها لما سبق في الأزل في التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد، وقد قال: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ فكان عيسى عليه السلام من المفضلين، ولإدلاله سلم على نفسه، فقال: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مریم: ٣٣] وهذا انبساط منه لما شاهده من اللطف في مقام الأنس.

• ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ...﴾ ﴿١٣٩﴾

١٣٩ - ﴿أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أي مما ملكناكم.

• ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٤٠﴾

١٤٠ - قال عليه السلام: «آية الكرسي سيدة القرآن» ^(١).

١٣٦ - نفسه (٢٢٦/٢).

١٣٥ - الإحياء (٢٨/٢).

١٣٧ - الإملاء في إشكالات الإحياء، ملحق بإحياء علوم الدين (٣٩/٥).

١٣٩ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ٢٠٣).

١٣٨ - الإحياء (٣٦/٤).

١٤٠ - جواهر القرآن ودرره (ص ٤٨).

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء سنام، وإن سنام القرآن سورة البقرة، وفيها آية هي سيدة أي القرآن: آية الكرسي» قال الترمذي: حديث غريب، انظر: سنن الترمذي (٢٣٢/٤)، أبواب فضائل القرآن، حديث رقم (٣٠٣٨).

١٤١ - لعلك تقول: لم خصصت آية الكرسي بأنها السيدة؟.....

آية الكرسي تشتمل على المعرفة العظمى التي هي المتبوعة والمقصودة، التي يتبعها سائر المعارف، فكان اسم السيدة بها أليق.

١٤٢ - أقول: هل لك أن تتفكر في آية « الكرسي » أنها لِمَ تسمى سيدة الآيات؟ فإن كنت تعجز عن استنباطه بتفكيرك فارجع إلى الأقسام التي ذكرناها والمراتب التي رتبناها^(١). وقد ذكرنا لك أن معرفة الله تعالى ومعرفة ذاته وصفاته هي المقصد الأقصى من علوم القرآن، وأن سائر الأقسام مرادة لنفسه لا لغيره، فهو المتبوع وما عداه التابع، وهي سيدة الاسم المقدم الذي يتوجه إليه وجوه الأتباع وقلوبهم، فيحذون حذوه وينحون نحوه ومقصده، وآية الكرسي تشتمل على ذكر الذات والصفات والأفعال فقط ليس فيها غيرها.

فقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: إشارة إلى الذات.

وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: إشارة إلى توحيد الذات.

وقوله: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾: إشارة إلى صفة الذات وجلاله، فإن معنى القيوم هو الذي يقوم بنفسه ويقوم به غيره، فلا يتعلق قوامه بشيء ويتعلق به قوام كل شيء، وذلك غاية الجلال والعظمة.

وقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾: تنزيه وتقديس له عما يستحيل عليه من أوصاف الحوادث، والتقديس عما يستحيل أحد أقسام المعرفة، بل هو أوضح أقسامها.

وقوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: إشارة إلى كلها، وأن جميعها منه مصدرها، وإليه مرجعها.

وقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إشارة إلى انفراده بالملك والحكم والأمر، وأن من يملك الشفاعة فإنما يملك بتشريفه إياه والإذن فيه، وهذا نفي للشركة عنه في الملك والأمر.

وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾:

(١) وهي: ذكر الذات، وذكر الصفات، وذكر الأفعال، وذكر المعاد، وذكر الصراط المستقيم - أعني جانبي التزكية والتحلية - وذكر أحوال الأولياء، وذكر أحوال الأعداء، وذكر محاجة الكفار، وذكر حدود الأحكام.

ن: جواهر القرآن (ص ٢١).

إشارة إلى صفة العلم وتفضيل بعض المعلومات، والانفراد بالعلم، حتى لا علم لغيره من ذاته، وإن كان لغيره فهو من عطائه وهبته، وعلى قدر إرادته ومشيبته.

وقوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: إشارة إلى عظمة ملكه وكمال قدرته، وفيه سر لا يحتمل الحال كشفه، فإن معرفة الكرسي ومعرفة صفاته، واتساع السماوات والأرض ومعرفته شريفة غامضة، وترتبط بها علوم كثيرة.

وقوله: ﴿وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾: إشارة إلى صفات القدرة وكمالها، وتنزيهاها عن الضعف والنقصان.

وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾: إشارة إلى أصلين عظيمين في الصفات، وشرح هذين الوصفين يطول، وقد شرحنا منهما ما يحتمل الشرح في كتاب «المقصد الأسنى في أسماء الله تعالى الحسنی» (١) فاطلبه منه.

والآن إذا تأملت جملة هذه المعاني، ثم تلوت جميع آيات القرآن لم تجد جملة هذه المعاني من التوحيد والتقديس وشرح الصفات العلى مجموعة في آية واحدة منها، فلذلك قال النبي ﷺ: «سيدة آي القرآن» فإن ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٨] ليس فيه إلا التوحيد و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ليس فيه إلا التوحيد والتقديس، و﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ﴾ [آل عمران: ٢٦] ليس فيه إلا الأفعال وكمال القدرة، و«الفاتحة» فيها رموز إلى هذه الصفات من غير شرح، وهي مشروحة في آية الكرسي، والذي يقرب منها في جميع المعاني آخر «الحشر» وأول «الحديد»؛ إذ اشتملا على أسماء وصفات كثيرة، ولكنها آيات لا آية واحدة، وهذه آية «الكرسي» آية واحدة؛ إذ قابلتها بإحدى تلك الآيات وجدتها أجمع المقاصد؛ فلذلك تستحق السيادة على الآي، قال ﷺ: «هي سيدة الآيات»، كيف لا وفيها ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وهو الاسم الأعظم في آية «الكرسي» وأول «آل عمران». وقوله: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

١٤٣ - العلي: هو الذات الذي فوق سائر الذوات في الرتبة، فهي إضافة.

• ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ...﴾ ﴿٢٠٧﴾

١٤٤ - أكثر ما يطلق النور والظلمات في القرآن على العلم والجهل، مثل قوله

١٤٣ - روضة الطالبين، ضمن مجموعة الرسائل رقم (٢) (ص ٦٥).

١٤٤ - ميزان العمل (ص ٣٣٢).

(١) المقصد الأسنى، طبعة دار الكتب العلمية (ص ٧٧، ٨٠).

تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

١٤٥ - وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل، كقوله: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

• ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّئُ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُخَيِّئُ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ... ﴿١٤٦﴾﴾

١٤٦ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾؛ إذ ذكر سبحانه احتجاج إبراهيم ومجادلته وإفحامه خصمه في معرض الثناء عليه.

١٤٧ - اعلم أن الميزان الأكبر هو ميزان الخليل - صلوات الله عليه وسلامه - الذي استعمله مع نمرود، فمنه تعلمنا هذا الميزان، لكن بواسطة القرآن.

وذلك أن نمرود ادعى الإلهية، وكانت الإلهية عنده بالاتفاق عبارة عن القادر على الشيء. فقال إبراهيم: الإله إلهي؛ لأنه الذي ﴿يُخَيِّئُ وَيُمِيتُ﴾ وهو القادر وأنت لا تقدر عليه. فقال: ﴿أَنَا أُخَيِّئُ وَأُمِيتُ﴾ يعني: أنه يحيي النطفة بالوقاع ويميت بالقتل، فعلم إبراهيم ^{عليه السلام} أن ذلك يعسر عليه فهم بطلانه، فعدل إلى ما هو أوضح عنده فقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾. وقد أثنى الله عليه فقال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣]

• ﴿أَوَلَمْ تُوْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمِئِنَّ قُلُوبِي ... ﴿١٤٨﴾﴾

١٤٨ - السكون في القلب شيء، واليقين شيء آخر، فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُوْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمِئِنَّ قُلُوبِي﴾ فالتمس أن يكون مشاهدًا إحياء الميت بعينه ليثبت في خياله، فإن النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء أمرها إلى أن تبلغ بالآخرة درجة النفس المطمئنة، وذلك لا يكون في البداية أصلًا.

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ ... ﴾ ﴿٣٩﴾

١٤٩ - من عادات العرب في البيان: التنبيه على الشيء بذكر نظيره وضرب مثل فيه، دون التعرض له في نفسه، وهو في الإفادة كالتعرض له، كقوله ﷺ: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ ﴾ الآية. عرف به تضعيف الحسنات في مقابلة الإنفاق، ونزل في الإفادة منزلة تصريحه في قوله ﷺ: ﴿ وَمَا أَلَيْسَ مِن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: ٣٩].

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ... ﴾ ﴿٤٠﴾

١٥٠ - ﴿ لَا يُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ اختلفوا في حقيقة المن والأذى، فقيل: المن أن يذكرها، والأذى أن يظهرها، وقال سفيان: مَنْ مَنَّ فسدَّتْ صدقته، فقيل له: كيف المن؟ فقال: أن يذكره ويتحدث به.

وقيل: المن أن يستخدمه بالعطاء، والأذى أن يعيره بالفقر.

وقيل: المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه، والأذى أن يتتهره أو يوبخه بالمسألة، وقد قال ﷺ: « لا يقبل الله صدقة منان » ^(١).

وعندي أن المن له أصل ومغرس، وهو من أحوال القلب وصفاته، ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح، فأصله أن يرى نفسه محسناً إليه ومنعمًا عليه، وحقه أن يرى الفقير محسناً إليه بقبول حق الله ﷻ منه، الذي هو طهرته ونجاته من النار، وأنه لو لم يقبله لبقى مرتهناً به، فحقه أن يتقلد منة الفقير؛ إذ جعل كفه نائباً عن الله في قبض حق الله ﷻ.

١٥١ - ﴿ لَا يُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ المن: نتيجة استعظام الصدقة.

١٥٢ - ﴿ لَا يُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى فقد أبطل عمله.

١٥٠ - الإحياء (٢٥٦/١).

١٤٩ - شفاء الغليل (١٠٧ ، ١٠٨).

١٥٢ - نفسه (٧٤/٤).

١٥١ - نفسه (٣٩٠/٣).

(١) قال الحافظ العراقي: لم أجده. ن: المغني بهامش الإحياء (٢٥٦/١).

وقال الزبيدي: هكذا أورده صاحب الوقت ... وعنه الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة: (ثلاثة لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً: عاق ومنان ومكذب بالقدر). ن: الإتحاف (١٩٢/٤ ، ١٩٣).

• ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ...﴾^(١)

١٥٣ - أي لا تأخذوه إلا مع كراهية وحياء، وهو معنى الإغماض، فلا تؤثروا به ربكم. وفي الخبر: «سبق درهم مائة ألف درهم»^(٢) وذلك بأن يخرج (٢) الإنسان وهو من أحل ماله وأجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل، وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على أنه ليس يؤثر الله ﷻ بشيء مما يحبه - وبذلك ذم الله تعالى قومًا جعلوا لله ما يكرهون، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا﴾ وقف بعض القراء على النفي تكذيبًا لهم، ثم ابتداء وقال: ﴿جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ [النحل: ٦٢] أي كسب لهم جعلهم له ما يكرهون النار.

١٥٤ - أن تخرجه (٣) من أطيب أموالك وأجودها: قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: ٦٢] وقال الله: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ وقال ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب»^(٤) يعني: الحلال، فإن المقصود من هذا إظهار درجة الحب، والإنسان يؤثر الأحب إليه الأنفس دون الأخس.

• ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ...﴾^(٥)

١٥٥ - قال ﷺ: «في القلب لمتان: لمة من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله، ولمة من العدو وإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير، فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم»^(٥) ثم تلا قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ الآية.

• ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا...﴾^(٦)

١٥٦ - قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾: إنه الفهم في كتاب الله.

١٥٤ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٢٩، ٣٠).

١٥٣ - الإحياء (٢٥٨/١).

١٥٦ - نفسه (٣٤٢/١).

١٥٥ - الإحياء (٣٠/٣).

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، ن: الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١٤٤/٥) حديث رقم (٣٣٣٦). (٣، ٢) أي مال الزكاة.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة (٧٠٣/٢) حديث (١٠١٥).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، ن: أبواب التفسير القرآن (٢٨٨/٤) حديث (٤٠٧٣).

١٥٧ - قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ يعني: الفهم في القرآن.

١٥٨ - مهما هذبت قوة الفكر، وأصلحت كما ينبغي حصلت بها الحكمة التي تحدث الله عنها؛ حيث قال: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وثمرتها أن تيسر له الفرق بين الحق والباطل في الاعتقادات، وبين الصدق والكذب في المقال، وبين الجميل والقبيح في الأفعال، ولا يلتبس عليه شيء من ذلك، مع أنه الأمر الملتبس على أكثر الخلق.

١٥٩ - قوة العلم حسننها وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال، وبين الحق والباطل في الاعتقادات، وبين الجميل والقبيح في الأفعال، فإذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة، والحكمة رأس الأخلاق الحسنة، وهي التي قال الله فيها: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

• ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا آلَافُ قَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ...﴾ (١٦١)

١٦٠ - اعلم أن في الأسرار للأعمال فائدة الإخلاص والنجاة من الرياء، وفي الإظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير، ولكن فيه آفة الرياء، قال الحسن: قد علم المسلمون أن السر أحرز العملين. ولكن في الإظهار أيضًا فائدة؛ ولذلك أثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا آلَافُ قَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

١٦١ - ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ وذلك حيث يقتضي الحال الإبداء إما

للاقتداء، وإما لأن السائل إنما سأل عن ملأ من الناس، فلا ينبغي أن يترك التصديق خيفة الرياء في الإظهار، بل ينبغي أن يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الإمكان؛ وهذا لأن في الإظهار محذورًا ثالثًا سوى المن والرياء، وهو هتك ستر الفقير، فإنه ربما يتأذى بأن يرى في صورة المحتاج فمن أظهر السؤال فهو الذي هتك ستر نفسه.

• ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ

الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا...﴾ (١٦٢)

١٦٢ - ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي حبسوا في طريق

الآخرة بعيلة، أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾؛ لأنهم مقصوصو الجناح مقيدو الأطراف.

١٦٣ - ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾
ساق الكلام في معرض المدح، ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالإحصار، وفيه دلالة على مدح الفقر.

١٦٤ - ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا﴾ أي لا يلحون في السؤال؛ لأنهم أغنياء بيقينهم، أعزة بصبرهم، وهذا ينبغي أن يطلب بالتفحص عن أهل الدين في كل محلة، ويستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير والتجمل، فثواب صرف المعروف إليهم أضعاف ما يصرف إلا المجاهرين بالسؤال.

١٦٥ - مدح الله سبحانه المستترين فقال: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾
وقال الشاعر:

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ولكن عار أن يزول التجميل

• ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ...﴾ (٢٦٠)

١٦٦ - تردد الشافعي في قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ في أنه عام أو مجمل من حيث إن الألف واللام احتمال أن يكون فيه للتعريف، ومعناه: وأحل الله البيع الذي عرف الشرع بشرطه.

• ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ...﴾ (٢٦١)

١٦٧ - دل ذلك على أن سبب تكفل الولي بإملاء الحق، ضعف المولى عليه وسفهة وعجزه.

١٦٨ - إنما المفهوم أن الضعف بالصغر والسفه سبب نيابة الولي المدقق فيما تمتد حاجته إليه: من قضاء الدين، فسائر ما تمس حاجته إليه ينزل محل النص منزلة سائر المكيلات

١٦٤ - نفسه (٢٦٠/١).

١٦٣ - الإحياء (٢٠٥/٤).

١٦٦ - المستصفى (٢٨/٢).

١٦٥ - نفسه (٢٦٠/١).

١٦٨ - نفسه (١٣٥، ١٣٦).

١٦٧ - شفاء الغليل (ص ٨٧، ٨٨).

والمطعومات من المنصوص في الربا.

والثالث بالنص في قضاء الدين: النيابة بعة الصغر في محل الحاجة، فعديت النيابة في كل ما تتعدى إليه الحاجة.

• ﴿وَأَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ...﴾ (١٦٩)

١٦٩ - التحقيق فيه: أن الله تعالى في سياق هذه الآية حث الناس على ما فيه مصلحتهم، والأصح الاستظهار بالبيئة الكاملة.

١٧٠ - ﴿وَأَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ الآية لا تقضي إلا كون الشاهدين

حجة، وجواز الحكم بقولهما.

١٧١ - في الشهادة أمر آخر، وهو أن الآية سقت للإرشاد إلى طريق الاحتياط ومن

استشهد النساء مع وجود الرجال، فيحكم في حقه بمخالفة موجب الإرشاد، وكونه سائلاً عن توثيق الحق بكمال الاحتياط! فيظهر تأثيره في تحصيل الامثال لأمر يرجع إلى الإرشاد، والأمر قد يجري للإرشاد، وقد يجري للإيجاب من التأثير، ظاهر بالطريق الذي ذكرناه.

• ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ...﴾ (١٧٢)

١٧٢ - لما نزل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ

اللَّهُ﴾ جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله ﷺ وقالوا: كلفنا ما لا نطيع، إن أحدنا

ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك! فقال ﷺ: «لعلكم

تقولون كما قالت اليهود سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا»، فقالوا سمعنا وأطعنا^(١)

فأنزل الله الفرج بعد سنة بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

• ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ...﴾ (١٧٣)

١٧٣ - من جَوَزَ تكليف ما لا يطاق عقلاً فإنه يمنعه شرعاً لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ

اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

١٧٠ - المستصفى (١١٩/١).

١٦٩ - المنحول (ص ٣٠٠).

١٧٢ - الإحياء (٤٦/٣).

١٧١ - شفاء الغليل (ص ١٠٤).

١٧٣ - المستصفى (٨٩/١).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان (١١٥/١) حديث رقم (١٩٩).

• ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ... ﴾ ﴿٧٥﴾

١٧٤ - يجوز على الله سبحانه أن يكلف الخلق ما لا يطيقون - خلافاً للمعتزلة - ، ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه، وقد سألوا ذلك فقالوا: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ ولأن الله تعالى أخبر نبيه ﷺ بأن أبا جهل لا يصدقه، ثم أمره بأن يأمره بأن يصدقه في جميع أقواله، وكان من جملة أقواله أنه لا يصدقه، فكيف يصدقه في أنه لا يصدقه، وهل هذا إلا محال وجوده؟

١٧٥ - ذهب شيخنا أبو الحسن رحمه الله إلى جواز تكليف ما لا يطاق مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾، ولا وجه للابتهاال لو لم يتصور ذلك بالبال.

١٧٦ - قال قتادة في معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾: هو الغلظة.

١٧٧ - قيل في تأويل قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ معناه: شدة الغلظة.

* سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ *

• ﴿ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ... ﴾ ﴿٧٧﴾

١٧٨ - في القرآن محكم ومتشابه كما قال تعالى: ﴿ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ واختلفوا في معناه؛ وإذ لم يرد توقيف في بيانه فينبغي أن يفسر بما يعلمه أهل اللغة، ويناسب اللفظ من حيث الوضع. ولا يناسبهم قولهم: المتشابه هي الحروف المقطعة في أوائل السور، والمحكم ما وراء ذلك، ولا قولهم: المحكم ما يعرفه الراسخون في العلم، والمتشابه: القصص والأمثال. وهذا أبعد.

بل الصحيح أن المحكم يرجع إلى معنيين:

أحدهما: المكشوف المعنى الذي لا يتطرق إليه إشكال واحتمال، والمتشابه: ما تعارض فيه الاحتمال.

الثاني: إن المحكم ما انتظم وترتب ترتيباً مفيداً، إما على ظاهر أو على تأويل، ما لم يكن فيه متناقض ومختلف، لكن هذا المحكم يقابله: المشجج^(١) والفاقد، دون التشابه، وأما التشابه فيجوز أن يعبر به عن الأسماء المشتركة كالقرء، وكقوله تعالى: ﴿الَّذِي يَدُوهْ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧] فإنه مردد بين الزوج والولي، وكاللمس المردد بين المس والوطء، وقد يطلق على ما ورد في صفات الله مما يوهم ظاهره الجهة والتشبيه ويحتاج إلى تأويله.

١٧٩ - في الحديث في معنى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: «هم أهل الجدل الذين عناهم الله بقوله تعالى: ﴿فَأَحْذَرْتُمْ﴾ [المنافقون: ٤]»^(٢).

١٨٠ - ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ من غير وقف يخالف الوقف على قوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وذلك لتردد الواو بين: العطف والابتداء.

١٨١ - فإذا أهمل الوقف على ﴿اللَّهُ﴾ انعطف عليه قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ وحصلت مقدمة كاذبة^(٣).

١٨٢ - فإن قيل: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ الواو للعطف أم الأولى الوقف على ﴿اللَّهُ﴾؟

قلنا: كل واحد محتمل، فإن كان المراد به وقت القيامة، فالوقف أولى وإلا فالعطف؛ إذ الظاهر أن الله تعالى لا يخاطب العرب بما لا سبيل إلى معرفته لأحد من الخلق.

١٨٣ - ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ يعني حاله، وعليه وقف أبو عبيدة، وابتدأ من

١٧٩ - الإحياء (٥٣/١). ١٨٠ - المستصفى (٣٦٣/١).

١٨١ - معيار العلم في المنطق (ص ١٩٢، ١٩٣). ١٨٢ - المستصفى (١٠٦/١).

١٨٣ - المنحول (ص ١٧٢).

(١) المشجج: المضطرب؛ ن: اللسان (ثبج).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري عن عائشة رضي الله عنها. ن: جامع البيان (١٧٩/٣).

(٣) تحصل المقدمة الكاذبة هنا على مذهب من يرى أن الكلام في الآية يتم عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ثم الواو في قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ واو الابتداء. وعلى هذا القول لا يعلم التشابه إلا الله، وهذا قول ابن عباس وعائشة ومالك بن أنس والكسائي والفراء، ومن المعتزلة قول أبي علي الجبائي. أما القول الثاني في هذه الآية، فهو أن الكلام إنما يتم عند قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ وعلى هذا القول يكون العلم بالتشابه حاصلًا عند الله تعالى وعند الراسخين في العلم، وهذا القول أيضًا مروى عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس وأكثر المتكلمين، ن: تفسير الرازي الآية (٧) من سورة آل عمران.

قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ إذ العلوم كلها يحيط بها الراسخون فيها.

• ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٨)

١٨٤ - عند استقرار النفس في الترقى والارتفاع يعرض عليه الفتن (١) وذلك أن إبليس قد اتخذ أعوانه إلى هذا الإنسان خاصة، واستعملهم عليه، ووكلمهم به، فيأتون المرء وهو في تلك الحال فيتمثلون له في صورة من سلف الأحياء الميتين الباغين له النصيح في دار الدنيا؛ كالأب والأم والأخ والأخت والصديق الحميم، فيقول له: أنت تموت يا فلان ونحن قد سبقناك في هذا الشأن، فمت يهوديًا فهو الدين المقبول عند الله!. فإن انصرفوا عنه وأبى جاءه آخرون وقالوا له: مت نصرانيًا فإنه دين المسيح ونسخ به دين موسى! ويذكرون له عقائد كل ملة. فعند ذلك يزيغ الله من يريد زيغ، وهو معنى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ أي لا تزغ قلوبنا عند الموت وقد هديتنا من قبل هذا إلى الإيمان.

فإذا أراد الله تعالى بعبده هداية وتثبيتًا جاءته ملائكة الرحمة. وقيل: هو جبريل عليه السلام، فيطرد عنه الشيطان ويمسح الشحوب عن وجهه فيبتسم الميت ضاحكًا لا محالة، وكثير من يرى مبتسمًا في هذه الحالة فرحًا مسرورًا بالبشير الذي جاء رحمة من الله تعالى يقول: يا فلان أما تعرفني؟ أنا جبريل، وهؤلاء أعداؤك من الشياطين، مت على الملة الحنفية والشرعية المحمدية! فما شيء أحب إلى الإنسان وأفرح منه بذلك الملك، وهو قوله تعالى: ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ثم الموت على الفطرة.

• ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْأَفْئِضَةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...﴾ (١١)

١٨٥ - الأعيان التي يعبر عنها بالدنيا قد جمعها الله تعالى في قوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ وهذا من الإنس ﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْأَفْئِضَةِ﴾ وهذا من الجواهر والمعادن، وفيه تنبيه على غيرها من اللآلئ واليوافيت وغيرها ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ﴾ وهي البهائم والحيوانات ﴿وَالْحَرْثِ﴾

١٨٤ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٦) (ص ١٠٣، ١٠٤).

١٨٥ - الإحياء (٢٣٨/٣).

وهو النبات والزرع. فهذه هي أعيان الدنيا.

• ﴿ وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ... ﴾ ⑤ •

١٨٦ - قال مجاهد ^(١) في قوله تعالى: ﴿ وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ قال: من الحيض والغائط والبول والبصاق والنخامة والمني والولد.

• ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ •

١٨٧ - ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾: ذكر، يقول النبي ﷺ: « ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى: صوت الديك، وصوت الذي يقرأ القرآن، وصوت المستغفرين بالأسحار » ^(٢). ويقول سفيان الثوري ^(٣) رحمه الله تعالى: إن لله تعالى ريحا تهب وقت الأسحار تحمل الأذكار والاستغفار إلى الملك الجبار. وأيضا له: إذا كان أول الليل نادى مناد من تحت العرش: ألا ليقم العابدون فيقومون فيصلون ما شاء الله، ثم ينادي مناد في شطر الليل: ألا ليقم القائمون ^(٤) فيقومون، فيصلون إلى السحر، فإذا كان السحر ينادي مناد: ألا ليقم المستغفرون، فيقومون فيستغفرون، فإذا طلع الفجر نادى مناد: ألا ليقم الغافلون، فيقومون من مفرشهم كالموتى نشروا من قبورهم.

• ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ... ﴾ ⑥ •

١٨٨ - انظر كيف بدأ ﷻ بنفسه وثنى بالملائكة وثالث بأهل العلم، وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء ونبلا.

١٨٦ - الإحياء (٥٧٥/٤).

١٨٧ - خلاصة التصانيف في التصوف، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ١٣٩) و « أيها الولد » (ص ١١٣ - ١١٥).

١٨٨ - الإحياء (١٥/١).

(١) هو مجاهد بن جبير أبو الحجاج المكي، أحد الأعلام، من التابعين والأئمة المفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس وروى عن جابر وأبي هريرة، وعنه طاوس وعكرمة وعمرو بن دينار. توفي سنة (١٠١ هـ) وقيل غير ذلك. انظر: صفة الصفوة (٢٠٨/٢) وتهذيب الأسماء (٨٣/٢).

(٢) رواه الديلمي عن أم سعد بنت زيد بن ثابت، ن: كنز العمال: الحديث (٤٣٢٣٧) (٨١٤/١٥). (٣) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله أمير المؤمنين في الحديث، سمع أبا إسحاق السبيعي وعبد الملك بن عمير، وروى عنه الأوزاعي وشعبة (ت ١٦١ هـ) ن: صفة الصفوة (١٤٧/٣) وتهذيب الأسماء (٢٢٢/١).

(٤) كذا في « خلاصة التصانيف »، وفي « أيها الولد »: ألا ليقم القانتون.

• ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ...﴾ (٣١) ﴿١٨٩ - قال لأُمته: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ فإنما أُمته من اتبعه، وما اتبعه إلا من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة. فإنه ما دعا إلا إلى الله واليوم الآخر. وما صرف إلا عن الدنيا والحظوظ العاجلة، فبقدر ما أعرضت عن الدنيا وأقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه، وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته، وبقدر ما اتبعته فقد صرت من أُمته، وبقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعتها، والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ (٣٧) ﴿وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٣٨) ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٧ - ٣٩].

١٩٠ - قد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب، فقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

• ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا...﴾ (٣٩)

١٩١ - عن عكرمة (١) في قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ قال: السيد: الذي لا يغلبه الغضب.

• ﴿وَكَهْلًا...﴾ (٤٠)

١٩٢ - قال ابن أبي حبيب (٢) في قوله ﴿وَكَهْلًا﴾ قال: الكهل: منتهى الحلم.

• ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٤١)

١٩٣ - عبر القرآن بقوله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ عن نهاية القدرة.

• ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ...﴾ (٤٢)

١٩٤ - ﴿إِلَى﴾ إذا اتصل بها من كان صريحاً في التحديد ومطلقة، قيل: للجمع،

١٩٠ - نفسه (٣٤٥/٤).

١٨٩ - الإحياء (٥٣٨/٤).

١٩٢ - الإحياء (١٨٩/٣).

١٩١ - نفسه (١٧٦/٣).

١٩٤ - المنحول (ص ٩٣).

١٩٣ - نفسه (٢٦/٤).

(١) هو أبو عبد الله عكرمة البربري المدني، مولى ابن عباس، روى عن مولاة وعلي، وعنه الشعبي وابن سيرين. (ت ١٠٤ هـ). ن: صفة الصفوة (١٠٣/٢)، وتهذيب الأسماء (٣٤٠/١).

(٢) لم أقف على ترجمته، وإنما الذي وقفت عليه هو ابن حبيب، وهو العلامة أبو القاسم، الحسن بن محمد ابن حبيب بن أيوب النيسابوري المفسر الواعظ، صنف في التفسير والآداب، توفي سنة (٤٠٦ هـ). ن: بغية الوعاة، (ص ٥١٩) وشذرات الذهب (١٨١/٣) وسير أعلام النبلاء (٢٣٧/١٧).

وقيل: للتحديد.

وقال سيويه: ظاهره للتحديد، ويحتمل الجمع كقوله تعالى: ﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦] و﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾.

• ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ (٧٥)
١٩٥ - قيل: كان النبي ﷺ على شريعة إبراهيم عليه السلام، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾ الآية.

فإن قيل للذين قالوا: كان على شريعة إبراهيم، شريعة عيسى ناسخة، أجابوا بأنه لا يثبت كونه مبعوثاً إلى الجميع، فلعل ملة إبراهيم استرسلت على ذرية رسول الله ﷺ... والمختار التوقف فيه.

• ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ...﴾ (٧٥)
١٩٦ - قد يطلق الخاص، ونريد به العام، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾، فإنه يراد به سائر أنواع ماله.

• ﴿رَبَّنِّعَنْ...﴾ (٧٦)
١٩٧ - قيل من قوله تعالى: ﴿رَبَّنِّعَنْ﴾: أي: حلماء علماء.
• ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا...﴾ (٧٧)
١٩٨ - سبب وجوب الحج البيت، دون الاستطاعة. ولما كان البيت واحداً لم يجب الحج إلا مرة واحدة.

١٩٩ - سئل النبي ﷺ عن الاستطاعة فقال: «الزاد والراحلة» (١) ولم يتعرض لأمن الطريق والسلامة وطلب الحفارة (٢) وذلك يجوز أن يتبين بدليل آخر بعده.

• ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ...﴾ (٧٧)
٢٠٠ - قال ابن عباس: أطيعوا الله حق طاعته. وقال مجاهد: هو أن يُطاع فلا يُعصى،

١٩٦ - معيار العلم في المنطق (ص ١٩٦).

١٩٥ - المنحول (ص ٢٢١، ٢٢٢).

١٩٨ - المستصفي (٩٣/١).

١٩٧ - إحياء علوم الدين (١٨٨/٣).

٢٠٠ - منهاج العابدين (ص ١٢٨).

١٩٩ - نفسه (٣٨١/١، ٣٨٢).

(١) رواه الترمذي في سننه. ن: أبواب التفسير (٢٩٣/٤) حديث رقم (٤٠٤٨).

(٢) الحفارة: الأمان، ن: اللسان (خفر).

وَأَنْ يُذَكَّرَ فَلَا يُنْسَى، وَأَنْ يُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرُ.

• ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٦﴾﴾

٢٠١ - ذم التفرقة وزجر عنها، فقال عز من قائل: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

٢٠٢ - ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ذلك نهي عن الاختلاف في التوحيد والإيمان بالنبي ﷺ والقيام بنصرته، وكذلك أصول الديانات التي الحق فيها واحد؛ ولذلك قال تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

٢٠٣ - ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ المراد بالألفة: نزع الغوائل من الصدور، وهي الأسباب المثيرة للفتن، المحركة للخصومات.

٢٠٤ - ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ أي: بالألفة.

• ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

٢٠٥ - ففي الآية بيان الإيجاب، فإن قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ﴾ أمر، وظاهر الأمر الإيجاب، وفيها بيان أن الفلاح منوط به إذا حضر، وقال: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وفيها بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين، وأنه إذا قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين؛ إذ لم يقل كونوا كلكم أمرين بالمعروف، بل قال: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾، فإذا مهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين، واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين، وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة.

• ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ... ﴿١٥٨﴾﴾

٢٠٦ - المراد به تفرق الآراء واختلاف المذاهب في معاني كتاب الله وأصول الشريعة.

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ... ﴾ ٢٠٧

٢٠٧ - هذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس.

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٨﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ٢٠٨

٢٠٨ - فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر، حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ ٢٠٩

٢٠٩ - علق النصر على الصبر.

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ٢١٠

٢١٠ - روي أنه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهراً، فنزل قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ^(١) يعني أنهم ربما يسلمون، فمن أين تعلم أنهم ملعونون؟

٢١١ - روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقنت على المشركين ويلعنهم في صلاته، فنزل قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ الآية. فترك الدعاء عليهم، وهدى الله تعالى عامة أولئك للإسلام.

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ٢١٢

٢١٢ - الجنة والنار مخلوقتان، قال الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

٢٠٧ - الإحياء (٣٣٤/٢) . ٢٠٨ - نفسه (٣٣٤/٢) .

٢٠٩ - نفسه (٦٤/٤) . ٢١٠ - نفسه (١٣٣/٣) .

٢١١ - نفسه (١٦٠/٤ ، ١٦١) . ٢١٢ - نفسه (١٣٧/١) .

(١) روى البخاري في صحيحه نحوه في كتاب التفسير، باب ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ (١٧١/٥) ، الحديث رقم (٤٥٥٩) .

فقوله تعالى: ﴿ أَعِدَّتْ ﴾ دليل على أنها مخلوقة، فيجب إجراؤه على الظاهر؛ إذ لا استحالة فيه، ولا يقال: لا فائدة في خلقها قبل يوم الجزاء، لأن الله تعالى: ﴿ لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]

• ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ... ﴾

٢١٣ - لم يقل والفاقدين الغيظ، فرد الغضب... إلى حد الاعتدال، بحيث لا يقهر العقل ولا يغلبه، بل يكون العقل هو الضابط له والغالب عليه.

٢١٤ - وهذا لأن العادة لا تنتهي إلى أن يجرح الإنسان فلا يتألم، بل ينتهي إلى أن يصبر عليه ويحتمل، وكما أن التألم بالجرح مقتضى طبع البدن، فالتألم بأسباب الغضب طبع القلب، ولا يمكن قله، ولكن ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه، فإنه يقتضي التشفي والانتقام والمكافأة، وترك العمل بمقتضاه ممكن، وقد قال الشاعر:

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب ؟

• ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ... ﴾

٢١٥ - أثنى عليهم مع ظلمهم لأنفسهم لتندمهم ولومهم أنفسهم عليه، وإلى مثل هذه الرتبة الإشارة بقوله ﷺ فيما رواه عنه علي كرم الله وجهه: « خياركم كل مفتن تواب »^(١) وفي خبر آخر: « المؤمن كالسنبله يفيء أحيانا ويميل أحيانا »^(٢)، وفي الخبر: « لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة »^(٣) أي الحين بعد الحين.

٢١٦ - قال علي عليه السلام: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعتني الله ﷻ

٢١٣ - الإحياء (٦٢/٣) .

٢١٤ - نفسه (٢٠٢/٢) .

٢١٥ - الإحياء (٤٦/٤) .

٢١٦ - نفسه (٣٧٠/١) .

(١) قال الحافظ العراقي: رواه البيهقي في الشعب بسند ضعيف، ن: المغني بهامش الإحياء (٤٦/٤) . وقال الزبيدي: رواه الديلمي، وفي سند البيهقي النعمان بن سعد. قال الذهبي: كوفي مجهول، ن: الإتحاف (٧٣٧/١٠) . (٢) قال الحافظ العراقي: رواه أبو يعلى وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس، والطبراني من حديث عمار ابن ياسر، والبيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلًا، وكلها ضعيفة وقال: « يقوم » بدل « يفيء » وفي الأمثال للرامهرمزي: إسناد جيد لحديث أنس، ن: المغني بهامش الإحياء (٤٦/٤) .

وقال الزبيدي: حديث أنس رواه أيضًا البزار والضياء ولفظهم: « مثل المؤمن مثل السنبله تميل أحيانا وتقوم أحيانا » وأما حديث عمار عند الطبراني فلفظه مثل لفظ حديث أنس بزيادة: « ومثل الكافر مثل أرز تخر ولا تشعر » . ن: الإتحاف (٧٣٧/١٠) .

(٣) قال الحافظ العراقي: أخرجه الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس بأسانيد حسنة، ن: المغني بهامش =

بما شاء أن ينفعني منه، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلقتة، فإذا حلف صدقته. قال: وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله عز وجل إلا غفر له ». ثم تلا قوله عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ الآية ^(١).

• ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ... ﴾ ١٢٨

٢١٧ - أراد به: القرآن.

• ﴿ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ١٢٩

٢١٨ - تفضيلاً للمؤمنين على المسلمين، والمراد به المؤمن العارف دون المقلد.

• ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ ... ﴾ ١٣٠

٢١٩ - قيل: العوافي.

• ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ... ﴾ ١٣١

٢٢٠ - يعني: فبرحمة...

• ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ... ﴾ ١٣٢

٢٢١ - النبي صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره وعظم درجته وفصاحته، أمره الله تعالى بالمشارة لأصحابه العقلاء والعلماء، فقال عز من قائل: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾.

• ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ ١٣٣ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ... ﴾ ١٣٤

٢٢٢ - لا تظن أن هذا مخصوص بالمقتول في المعركة، فإن للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد، وفي الخبر: « إن الشهيد يتمنى في الآخرة أن يرد إلى الدنيا فيقتل مرة

٢١٧ - المستصفي من علم الأصول (٣٦٥/١). ٢١٨ - إحياء علوم الدين (٢٥/٣).

٢١٩ - نفسه (٣٠٧/٤). ٢٢٠ - المنحول من تعليقات الأصول (ص ٨٨).

٢٢١ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ٨٧). ٢٢٢ - إحياء علوم الدين (٣٢٧/٤).

= الإحياء (٤٦/٤).

قال الزبيدي: ولفظ الطبراني في الكبير: « ما من عبد مؤمن إلا وله ذنب يعتاده الفينة بعد الفينة » ن: الإتحاف: (٧٣٨/١٠).

(١) رواه الترمذي في أبواب التفسير (٢٦٩/٤) حديث رقم (٤٠٩٢).

أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة، وإن الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يروونه من علو درجة العلماء» (١).

٢٢٣ - ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٧٢﴾ فَرِحِينَ ﴿١٧٣﴾ هَذَا فِي السَّعْدَاءِ.

٢٢٤ - من أَمَات شهواته في حياته عاش في مماته: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٧٢﴾.

• ﴿وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٣﴾﴾

٢٢٥ - أمر بالخوف وأوجبه وشرطه في الإيمان؛ فلذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن من خوف وإن ضعف، ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه.

• ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ... ﴿١٧٤﴾﴾

٢٢٦ - قال أبو هريرة: قال: رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته، مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهazمه - يعني اشداقه - فيقول: أنا ما لك أنا كنزك».. ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (٢).

• ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ... ﴿١٧٥﴾﴾

٢٢٧ - ثبت ذلك في كتابه العزيز في ثلاثة مواضع (٣)، وإنما أراد الله ﷻ الموتات الثلاث للعالمين، فالمتحيز إلى العالم الدنيوي يموت، والمتحيز إلى العالم الملكوتي يموت،

٢٢٣ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٢١٢).

٢٢٤ - المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (ص ٧٧).

٢٢٥ - إحياء علوم الدين (١٦٩/٤). - نفسه (٥٦٧/٤).

٢٢٧ - الدرر الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٦) (ص ٩٩).

(١) متفق عليه من حديث أنس، وليس فيه: «وإن الشهداء يتمنون أن يكونوا علماء... الحديث». ن: صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير، باب: تمنى المجاهد أن يرجع إلى الدنيا (٢٠٨/٣) حديث (٢٨١٧)، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب: فضل الشهادة في سبيل الله (١٤٩٨/٣) حديث (١٠٨، ١٠٩).
(٢) أخرجه البخاري، ن: حديث أبي هريرة. كتاب التفسير (١٧٢/٥) الحديث (٤٥٦٥).
(٣) الأنبياء (٣٥)، والعنكبوت (٥٧).

والمتحيز إلى العالم الجبروتي يموت.

فالأول: آدم وذريته وجميع الحيوانات على ضروبه الثلاث، والملكوتي وهو الثاني: أصناف الملائكة والجن، وأهل الجبروتي فهم المصطفون من الملائكة.

• ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَدْمَىٰ كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٢٢٨﴾﴾
٢٢٨ - أي: تصبروا عن المكافأة.

٢٢٩ - ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٢٢٩﴾﴾ فكأنه يقول: وطنوا أنفسكم على أنه لا بد لكم من أنواع البلايا، فإن تصبروا فأنتم الرجال، وعزائمكم عزائم الرجال.

• ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿٢٣٠﴾﴾

٢٣٠ - قال ﷺ في علماء الدنيا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿٢٣٠﴾﴾.

٢٣١ - ادخار حقائق العلوم عن المستحق لها فاحشة عظيمة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴿٢٣٢﴾﴾ وهو إيجاب للتعليم.

٢٣٣ - ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴿٢٣٣﴾﴾، تنبيها على أن الدين لا يحل كتمانها.

• ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢٣٤﴾﴾
٢٣٤ - عن عطاء^(١) قال: انطلقت يوما أنا وعبيد بن عمير^(٢) إلى عائشة رضي الله عنها

٢٢٨ - الإحياء (٧٥/٤).
٢٢٩ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (٢٢/١).
٢٣٠ - الإحياء (٧٦/١).
٢٣١ - ميزان العمل (ص ٣٦٩).
٢٣٢ - الإحياء (٢٠/١).
٢٣٣ - فضائح الباطنية (ص ٦٢).
٢٣٤ - الإحياء (٤٨٦/٤) و (ص ٤٥٠).

(١) هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح القرشي، تابعي مفسر، فقيه، سمع عبد الله بن عمر، وروى عن عمرو ابن دينار. (ت ٣٣٥ هـ) انظر: تهذيب الأسماء (٣٣٣/١) وصفة الصفوة (٢١١/٢).

(٢) هو ابن قتادة الليثي الجندعي المكي الواعظ المفسر، ولد في حياة رسول الله ﷺ، حدث عن أبيه وعمر =

فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب، فقالت: يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا؟ قال: قول رسول الله ﷺ « زر غيبًا ^(١) تردد حبًا » قال ابن عمير: فأخبرنا بشيء رأيته من رسول الله ﷺ: قال: فبكت وقالت: كل أمره كان عجبًا، أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال: « ذريني أتعبد لربي ﷻ » فقام إلى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي، فبكى حتى بل لحيته، ثم سجد حتى بل الأرض، ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذن بصلاة الصبح، فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: « ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ » ثم قال: « ويل لمن قرأها ثم لم يفكر فيها » ^(٢) فقل للأوزاعي: ^(٣) ما غاية التفكير فيهن؟ قال: يقرؤهن ويعقلهن.

• ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

٢٣٥ - أثنى على الكل، ولكن قدم القيام في الذكر، ثم القعود، ثم الذكر مضطجعًا.
٢٣٦ - أثنى على المفكرين فيه ^(٤) فقال: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ وقال رسول الله ﷺ: « ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبيلته » ^(٥) أي تجاوزها من غير فكر.

٢٣٦ - نفسه (٤٧١/٤).

٢٣٥ - الإحياء (٣٢٥/١).

= ابن الخطاب وعلي وغيرهم، وعنه عطاء بن أبي رباح وغيره. كان من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة، قيل: توفي

سنة (٧٤ هـ)، ن: أسد الغابة (٤٤١/٣) وسير أعلام النبلاء (١٥٦/٤).

(١) أغب القوم، وغب عنهم: جاء يومًا وترك يومًا. ن: اللسان (غب).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه من رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء، ن: الإحسان في ترتيب

صحيح ابن حبان (٨/٢، ٩) حديث رقم (٦١٩).

(٣) هو عبد الرحمن بن عمرو أبو عمرو الدمشقي، إمام أهل الشام في وقته في الفقه والحديث، وروى عن عطاء

وابن سيرين وعنه أبو حنيفة والزهري (ت ١٥٧ هـ) ن: تهذيب الأسماء (٢٩٨/١) تذكرة الحفاظ (١٧٨/١).

(٤) أي: في ملكوت السماوات والأرض.

(٥) أخرجه الثعلبي من حديث ابن عباس بلفظ: « ولم يفكر فيها » وفيه أبو جنان بن جبة ضعيف، ن: المغني

بهاشم الإحياء (١٢٣/٤).

وَسَبْلَةُ الرجل: الدائرة التي في وسط الشقة العليا، وقيل: السَّيْلَةُ: ما على الشارب من الشعر، وقيل: طرفه،

وقيل: ما على الذقن إلى طرف اللحية، وقيل: هي اللحية كلها بأسرها. اللسان (سبل). وقال الزبيدي: هو

ما أسبل من اللحية. ن: الإتحاف (٢٣٢/١١).

٢٣٧ - نظر رسول الله ﷺ إلى السماء وقرأ قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ثم قال ﷺ: « ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته » ومعناه: أن يقرأ ويترك التأمل.

• ﴿ رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ... ﴾ (١٢٣)

٢٣٨ - ﴿ وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾ أي: على السنة رسلك فحذف السنة.

• ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ... ﴾ (٢٣٩)

٢٣٩ - قد قيل في معنى قوله تعالى: ﴿ أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله.

٢٤٠ - أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون في انتظاره في الصلاة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ وَرَابِطُوا ﴾.

* سُورَةُ النِّسَاءِ *

• ﴿ وَءَاثُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ (٢٤١)

٢٤١ - طيبة النفس غير طيبة القلب، فقد يريد الإنسان بقلبه ما لا تطيب به نفسه، فإنه يريد الحجامه بقلبه، ولكن تكرهها نفسه، وإنما طيبة النفس أن تسمح نفسه بالإبراء، لا عن ضرورة تقابله، حتى إذا رددت بين ضررين اختارت أهونهما، فهذه مصادرة على التحقيق بإكراه الباطن.

• ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ... ﴾ (٢٤٢)

٢٤٢ - تنبيهًا على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى، وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق.

• ﴿ وَأَبْلُوا إِلَيْكُمْ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُّشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ... ﴾ (٢٤٣)

٢٤٣ - جعل ممارسة اليتيم في المال سببًا، فيصير ملائمًا، وهذه مناسبة مع الملازمة

٢٣٨ - نفسه (٣٤٤/١).

٢٤٠ - نفسه (٣٩٠/٤).

٢٤٢ - نفسه (٧٢/١)، وميزان العمل (٣٦٨).

٢٣٧ - الإحياء (١٢٣/٤).

٢٣٩ - نفسه (٨٤/٤).

٢٤١ - الإحياء (٤٢١/٣).

٢٤٣ - شفاء الغليل (ص ١٥٠).

في نهاية الضعف.

٢٤٤ - ﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ نبه على أن من بلغ رشده في العلم، فينبغي أن يث إليه حقائق العلوم ويرقى من الجلي الظاهر إلى الدقيق الخفي الباطن. فليس الظلم في منع المستحق بأقل من الظلم في إعطاء غير المستحق، وقال المتقدم في مثل ذلك:

فمن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

• ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَيْتَمَىٰ ظُلْمًا ... ﴾ ١٥

٢٤٥ - لا يسبق إلى الفهم من الأكل معنى الأكل، وإنما يسبق إلى معنى الاحتياج والتفويت للمال، حتى يعلم - على الارتياح، أو بأدنى تأمل - أن الظلم بهبة ماله وإغراقه والتبرع به، وإتلافه وإحراقه، وإلقائه في البحر وغير ذلك من وجوه الإتلاف كالظلم بالأكل، بل يكاد يصير الأكل كناية عن الإتلافات.

٢٤٦ - قد يطلق الخاص، ونريد العام كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَيْتَمَىٰ ظُلْمًا ﴾، والمراد هو الإتلاف الذي هو أعم من الأكل، ولكن عبر بالأكل عنه.. وقلنا: كل إتلاف لمال اليتامى حرام.

٢٤٧ - فهم غير المنطوق بدلالة سياق الكلام ومقصوده.. كفهم تحريم مال اليتيم وإحراقه وإهلاكه من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَيْتَمَىٰ ظُلْمًا ﴾.

• ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ... ﴾ ١٦

٢٤٨ - خصصوا عموم آية الموارث برواية أبي هريرة: « إنه لا يرث القاتل والعبد ولا أهل ملتين » (١).

• ﴿ وَوَرِثَةُ أَبَوَاهُ فَلِلثُلُثِ ... ﴾ ١٧

٢٤٩ - فمعقول هذا أن لأبيه الثلثين.

٢٤٥ - شفاء الغليل (ص ٨٣ ، ٨٤) .

٢٤٤ - ميزان العمل (ص ٣٨٦) .

٢٤٧ - المستصفى من علم الأصول (١٩٠/٢) .

٢٤٦ - معيار العلم في المنطق (ص ١٩٦) .

٢٤٩ - نفسه (٢٤٥/٢) .

٢٤٨ - نفسه (١١٩/٢) .

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الفرائض، باب ميراث القاتل (٩١٢/٢) حديث رقم (٢٧٣٥) و (٩١٣/٢) حديث رقم (٢٧٣١) .

• ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ... ﴾ ⑪

٢٥٠ - عقل ابن عباس ؓ من قوله: ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ﴾ أنه إن كان له أخوان فلأُمه الثلث.

• ﴿ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً ... ﴾ ⑫

٢٥١ - قول أبي بكر لما سئل عن الكلالة: أقول فيها برأيي، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريتان، الكلالة: ما عدا الوالد والولد.

• [﴿ وَالَّتِي يَأْتِيكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾] ⑬

٢٥٢ - نسخ الحبس والأذى عن اللاتي يأتين الفاحشة بالجلد ^(١) والرجم مع بقاء التلاوة.

• ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ... ﴾ ⑭

٢٥٣ - ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة، بأن يتندم عليها ويمحو أثرها بحسنة يردفها بها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو؛ ولذلك قال ﷺ: « أتبع السيئة الحسنة [تمحها] ^(٢) » ^(٣) ولذلك قال لقمان لابنه: يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة.

• ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ ... ﴾ ⑮

٢٥٤ - قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى

٢٥٠ - المستصفى (١٩٨/٢).

٢٥١ - نفسه (٢٤٣/٢).

٢٥٢ - نفسه (١٢٤/١).

٢٥٣ - الإحياء (١٣/٤).

٢٥٤ - نفسه (٤٩١/٤).

(١) رواه مسلم عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ بلفظ: « خذوا عني خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » كتاب الحدود، باب حد الزنا (١٣١٦/٣) حديث (١٦٩٠) ورواه الترمذي في صحيحه، أبواب الحدود (٤٤٥/٢) حديث (١٤٦١) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) في النسخة المطبوعة: تمحوها، والصواب ما أثبتته.

(٣) عن أبي ذر ومعاذ بن جبل ؓ، أن رسول الله ﷺ قال: « اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالت الناس بخلق حسن » رواه الترمذي. وقال: حديث حسن، وفي بعض النسخ: حسن صحيح، ن: أبواب البر والصلة (٢٩٣/٣) حديث (٢٠٥٣).

إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتْتُ الْأَنْثَى قَالَ: إذا عاين الرسل، فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت، فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته.

• ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ... ﴾ ٢٥٥

٢٥٥ - يحمل على وطء الأب وعقده.

• ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ... ﴾ ٢٥٦

٢٥٦ - يقتضي إضمار الوطء، أي: حرم عليكم وطء أمهاتكم؛ لأن الأمهات عبارة عن الأعيان، والأحكام لا تتعلق بالأعيان، بل لا يعقل تعلقها إلا بأفعال المكلفين، فاقضى اللفظ فعلاً، وصار ذلك هو الوطء من بين سائر الأفعال بعرف الاستعمال.

٢٥٧ - لم يجعل قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ عامّاً في كل فعل، مع أنه لا بد من إضمار فعل، فالحكم هاهنا لا بد من إضماره لإضافة الرفع إليه كالفعل، ثم ينزل على ما يقتضي عرف الاستعمال وهو الذم والعقاب هاهنا والوطء.

• ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ... ﴾ ٢٥٨

٢٥٨ - أراد به زمان الجاهلية، هذا ما ورد في التفسير.

٢٥٩ - ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ﴾ حرم عليه الجمع بين المملوكتين، وإنما

يجوز له إذا قصد العمل بموجب الدليل الثاني، وهو قوله تعالى: ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء: ٣] كما قال عثمان: « أحلتها آية وحرمتها آية ».

٢٦٠ - من التعارض أن يتعارض عمومان، فيزيد أحدهما على الآخر من وجه،

وينقص عنه من وجه، مثاله: ... قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ﴾، فإنه يشمل جمع الأختين في ملك اليمين أيضاً مع قوله: ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء: ٣] فإنه يحل الجمع بين الأختين في النكاح دون ملك اليمين، لعموم قوله: ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ فهو على مذهب القاضي تعارض وتدافع بتقديم النسخ، ويشهد له قول علي وعثمان رضي الله عنهما لما سئلا عن هذه المسألة - أعني: جمع أختين في ملك اليمين - فقالا: حرمتها آية وحلتها آية.

أما على مذهبنا في حمله على البيان ما أمكن ليس أيضًا أحدهما بأولى من الآخر ما لم يظهر ترجيح، وقد ظهر.

فنقول: عموم قوله: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ أولى لمعنيين:

أحدهما: أنه عموم لم يتطرق إليه تخصيص متفق عليه فهو أقوى من عموم تطرق إليه التخصيص بالاتفاق؛ إذ قد استثنى عن ملك اليمين المشتركة والمستبرأة والمجوسية والأخت من الرضاع والنسب وسائر المحرمات، أما الجمع بين الأختين فحرام على العموم.

الثاني: أن قوله: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ سيق بعد ذكر المحرمات وعدها على الاستقصاء إلحاقًا لمحرمات تعم الجرائر والإماء.

وقوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ ما سيق لبيان المحلات قصدًا! بل في معرض الثناء على أهل التقوى الحافظين فروجهم عن غير الزوجات والسراري، فلا يظهر منه قصد البيان.

• ﴿وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ...﴾ (٢٦١)

٢٦١ - روى أبو هريرة أن المرأة لا تنكح على عمتها وخالتها (١) فخصصوا به قوله تعالى: ﴿وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾.

• ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيِّئَتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ...﴾ (٢٦٢)

٢٦٢ - يترتب الحكم على الفعل بقاء التعليل والتسبيب، فهو تنبيه على تعليل الحاكم بالفعل الذي رتب عليه... كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيِّئَتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ فدل ذلك على أن سبب إباحة نكاح الإماء العجز.

٢٦٣ - فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيِّئَتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية. فهلا نزلت ذلك على تأثيره في الحكم بواسطة الفعل، مصيرًا إلى أن الغالب: أن القادر على الحرة لا ينكح الأمة

٢٦١ - المستقصى من علم الأصول (١١٩/٢). ٢٦٢ - شفاء الغليل (ص ٢٨).

٢٦٣ - نفسه (ص ١٠٤).

(١) رواه البخاري، كتاب النكاح (١٢٨/٦) باب: لا تنكح المرأة على عمتها، حديث (٥١٠٨). ومسلم في كتاب النكاح، باب: تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح، الحديث (١٤٠٨).

فريق ولده، ويضيق على نفسه الاستمتاع ولم رددتم مذهب أبي حنيفة إذ صار إليه؟ قلنا: نظره ليس باطلاً؛ لأن الآية لا تحمل هذا التأويل، ولكننا قد نعول على المعنى في تلك المسألة - وهو إرقاق الولد - وقد نعول على الآية ونبطل دليل الخصم على تأويله بالطرق المذكورة في تلك المسألة، فأما أصل التأويل فغير ممتنع في أصله.

• ﴿فَإِذَا أَحْصَيْنَ فَإِنْ أَتَيْتَ بِفَحِشَةٍ فَقَلَيْتَنَ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ...﴾ (٢٦٤)

٢٦٤ - نقول في العبد: إنه رقيق، فينشط حد الزنا في حقه كالأمة، ونقيس على الأمة؛ لأن النص وارد في حق الأمة؛ إذ قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَحْصَيْنَ فَإِنْ أَتَيْتَ بِفَحِشَةٍ فَقَلَيْتَنَ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾

فيقال: وما الدليل على أن الرقة علة؟

قلنا: هو أن التشطير يعدم بعده، فإنها لو عتقت لم ينشطر حدها.

٢٦٥ - ﴿فَقَلَيْتَنَ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ فالعبد في معناها.

• ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَنُ ضَعِيفًا﴾ (٢٦٦)

٢٦٦ - عن عكرمة ومجاهد أنهما قالا في معنى قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَنُ

ضَعِيفًا﴾: إنه لا يصبر على النساء.

• ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ

بِحَكْرَةٍ عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٢٦٧)

٢٦٧ - أمر الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال، وقدم النهي عن الأكل بالباطل

على القتل تفخيماً لأمر الحرام وتعظيماً لبركة الحلال.

• ﴿فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَ سَبِيلًا...﴾ (٢٦٨)

٢٦٨ - أي: لا تطلبوا حيلة للفراق.

• ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا...﴾ (٢٦٩)

٢٦٩ - جعل النية سبب التوفيق.

• ﴿ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ ... ﴾ ٢٧٠

٢٧٠ - قيل: هي المرأة الصالحة.

• ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ... ﴾ ٢٧١

٢٧١ - الكتمان: كفران النعمة، وقد ذم الله ﷻ من كتم ما آتاه الله ﷻ وقرنه بالبخل.

• ﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا

جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ

الْفَأْطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ... ﴾ ٢٧٢

٢٧٢ - ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ قيل: سكارى

من كثير الهم؛ وقيل: من حب الدنيا. وقال وهب^(١): المراد به ظاهره، ففيه تنبيه على

سكر الدنيا إذ بين فيه العلة فقال: ﴿ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ وكم من مصل لم يشرب

خمراً وهو لا يعلم ما يقول في صلاته.

٢٧٣ - تكليف السكران الذي لا يعقل محال؛ كتكليف الساهي والمجنون، والذي

لا يسمع ولا يفهم، بل السكران أسوأ حالاً من النائم الذي يمكن تنبيهه، ومن المجنون

الذي يفهم كثيراً من الكلام.

وأما نفوذ طلاقه ولزوم الغرم، فذلك من قبيل ربط الأحكام بالأسباب، وذلك مما

لا ينكر، فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى ﴾ وهذا

خطاب للسكران. قلنا: إذا ثبت بالبرهان استحالة خطابه وجب تأويل الآية، ولها تأويلان:

أحدهما: أنه خطاب مع المنتشي الذي ظهر فيه مبادئ النشاط والطرب، ولم يزل

عقله، فإنه قد يستحسن من اللعب والانبساط ما لا يستحسنه قبل ذلك، ولكنه عاقل،

وقوله تعالى: ﴿ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ معناه: حتى يسكن غضبك فيكمل علمك، وإن

كان أصل عقله باقياً، وهذا لأنه لا يشتغل بالصلاة مثل هذا السكران، وقد يعسر عليه

٢٧١ - نفسه (٢٢٩/١).

٢٧٠ - الإحياء (٤٨/٢).

٢٧٣ - المستصفى (٨٤/١ ، ٨٥).

٢٧٢ - نفسه (١٧٨/١).

(١) هو أبو عبد الله وهب بن منبه اليماني الصنعاني الذماري، تابعي، من كبار المفسرين، حدث عن جابر

وابن عباس وأبي سعيد الخدري، وروى عن عمرو بن دينار وغيره. توفي سنة (١١٠ هـ) وقيل: (١١٤ هـ)

ن: حلية الأولياء (٢٣/٤) وتهذيب الأسماء (١٤٩/٢).

تصحيح مخارج الحروف وتمام الخشوع.

الثاني: أنه ورد الخطاب به في ابتداء الإسلام قبل تحريم الخمر، وليس المراد المنع من الصلاة، بل المنع من إفراط الشرب في وقت الصلاة، كما يقال: لا تقرب التهجد وأنت شبهان، ومعناه: لا تشبع فيثقل عليك التهجد.

٢٧٤ - ذهب الفقهاء إلى أنه مخاطب تمسكاً بقوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ ... وظاهر الآي لا يصادم المعقولات، ثم هو خطاب مع المنتشي الذي لم يزل عقله، بدليل أنه نزل في شارب خمر أم قومًا، فقرأ «الفاتحة»، فتخطت عليه سورة: ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ١ وكان معه من العقل ما يفهم به.

قلنا: جريان الأحكام عليه تغليظ؛ لأن السكر متشوف النفوس، وقد تعدى بالتسبب إليه، فلا يتوجه إليه الخطاب في حالة السكر أصلاً.

والأحكام جارية، والصلاة تقضى بأمر جديد، ولو أمر به المجنون بعد الإفاقة، أو الحائض بعد الطهر بفعل الصوم لم يبعد، وسببه تعديه بالتسبب إليه مع كونه مجنوناً حتى لو ردى نفسه من شاق، فانخلعت قدماء، لا يجب القضاء؛ لأن النفس لا تتشوف إليه.

والخلاف آيل إلى عبارة، إن سلموا لنا استحالة تكليف ما لا يطاق؛ لأننا نسلم الأحكام وجريانها؛ وذلك لا يدل على التكليف، والسكران لا يفهم، ولا يقال له أفهم، وهو شرط خطاب، وكذلك الناسي الذاهل حكمه حكم السكران في التكليف.

٢٧٥ - ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ تعليل لنهي السكران، وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وأفكار الدنيا.

٢٧٦ - ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ ... تنبيه على أن ما جعل غاية للحكم مؤثر في ارتباط.

٢٧٧ - يحمل قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ على الوطء والمس جميعاً، قلنا: هذا عندنا كاللفظ المشترك، وإن كان التعميم فيه أقرب قليلاً، وقد نقل أن الشافعي رحمه الله قال: أحمل آية اللمس على المس والوطء جميعاً، وإنما قلنا: هذا أقرب، لأن المس مقدمة الوطء، والنكاح أيضاً يراد للوطء، فهو مقدمته، ولأجله استعير للعقد اسم النكاح الذي

وضعه للوطء، واستعير للوطء اسم اللمس، فلتعلق أحدهما بالآخر ربما لا يبعد أن يقصدا جميعًا باللفظ المذكور مرة واحدة. لكن الأظهر عندنا أن ذلك على خلاف عادة العرب.

٢٧٨ - ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا ﴾ فهو تنبيه على إضافة الإباحة إلى العدم، ولكن إلى العدم لعينه حتى يقتصر عليه، أو لمعنى يتضمنه، وهو: العجز الحاصل به، حتى يتعدى إلى من وجد ماء ومنعه منه حائل أو افتقر إليه السقية، أو افتقر في تحصيله إلى تفويت مال كثير، وارتكاب خطر وغيره.

٢٧٩ - أن يترتب الحكم على الفعل بفاء التعليل والتسبيب، فهو تنبيه على تعليل الحكم بالفعل الذي رتب عليه... كقوله تعالى: ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا ﴾ فدل ذلك على أن سبب جواز التيمم فقد الماء.

٢٨٠ - ﴿ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ حملة أبو حنيفة ؓ على المجامعة وحملة الشافعي على الجس باليد.

٢٨١ - يبيح التيمم: ... العجز عن استعمال الماء لقوله تعالى: ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾.

٢٨٢ - ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا ﴾ فإن ذلك في اللمس والغائط. ونحن نطرد ذلك في البول والنوم والمذي والمنى وجميع الجهات؛ لأنه فهم بالإيماء أن السبب فقد الماء، فاتبعنا السبب دون المحل.

• ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ... ﴾ (٥٦)

٢٨٣ - قال الحسن في قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ قال: تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة، كلما أكلتهم قيل لهم: عودوا فيعودون كما كانوا.

• ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ... ﴾ (٥٨)

٢٨٤ - لما تلا قوله ﷺ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ وضع يده على سمعه وبصره فقال: « السمع أمانة والبصر أمانة » (١).

٢٧٨ - شفاء الغليل (ص ٦٤). ٢٧٩ - نفسه (ص ٢٨).

٢٨٠ - الوسيط في المذهب (١/٤٠٩، ٤١٠). ٢٨١ - نفسه (١/٤٣١).

٢٨٢ - شفاء الغليل (ص ١١٦). ٢٨٣ - الإحياء (٤/٥٦٧).

٢٨٤ - نفسه (١/٢٧٩، ٢٨٠).

(١) حديث لما تلا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ وضع يده على سمعه وبصره وقال: =

• ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ...﴾ (٥١) ﴿

٢٨٥ - ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ أما أولو الأمر فإنما أراد بهم الولاية؛ إذ أوجب طاعتهم كطاعة الله ورسوله، ولا يجب على المجتهد اتباع المجتهد. فإن كان المراد بأولي الأمر الولاية فالطاعة على الرعية، وإن كان هم العلماء فالطاعة على العوام، ولا نفهم غير ذلك.

٢٨٦ - ﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ مفهومه (١) إن اتفقتم فهو حق. • ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٢) ﴿

٢٨٧ - نفى الإيمان، وأقسم على من سخط قضاء رسول الله ﷺ. فكيف حال من سخط قضاء الله تعالى؟ وروينا أن رسول الله ﷺ قال في حديث قدسي عن رب العالمين: «من لم يرض بقضائي، ولم يصبر على بلائي، ولم يشكر نعمائي فليخذ إلها سوائي» (٢). ٢٨٨ - ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ نفى إيمانهم إلا بالقبول لأحكامه وأقضيته، فكيف بأصل رسالته وبعثته؟

• ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُنَّتَ عَلَيْنَا الْفِتْنَةَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعْتُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (٥٣) ﴿

٢٨٩ - لما كتب عليهم القتال: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُنَّتَ عَلَيْنَا الْفِتْنَةَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ فقال تعالى: ﴿قُلْ مَتَّعْتُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ أي: لستم تريدون البقاء إلا لمتاع الدنيا، فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين.

٢٨٥ - المستصفى (٣٨٥/٢، ٣٨٦). ٢٨٦ - نفسه (١٧٥/١).
٢٨٧ - منهاج العابدين (ص ٢٣٧). ٢٨٨ - مدخل السلوك إلى منازل الملوك (٤١).
٢٨٩ - الإحياء (٢٣١/٤).

= «السمع أمانة والبصر أمانة» أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة دون قوله: «السمع أمانة»، ن: المغني بهامش الإحياء (٢٨٠/١) والإتحاف (٤٢١/٤).

(١) أي مفهوم المخالفة.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط عن أنس بن مالك، ن: الجامع الصغير للسيوطي (٥٥٨/٢) حديث رقم (٩٠٢٧) ولفظه: «من لم يرض بقضاء الله، ويؤمن بقدر الله فليتمس إلها غير الله» وأشار السيوطي إلى ضعفه.

٢٩٠ - إلى تعريف حساسة الدنيا بالإشارة بقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾.

٢٩١ - ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ فَنِيلاً ﴾ اتفق أهل اللغة على أن فهم... ما وراء الفتيل... من المقدار الكثير أسبق إلى الفهم من نفس... الفتيل^(١).

• ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَإِلَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ... ﴾

٢٩٢ - معناه: لا يفقهون حديثاً، يقولون: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾، فإن لم يرد هذا كان مناقضاً لقوله: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ وسبق إلى الفهم منه مذهب القدرية.

• ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾

٢٩٣ - معناه: التناقض والكذب الذي يدعيه الملحدة، أو الاختلاف من البلاغة واضطراب اللفظ الذي يتطرق إلى كلام البشر بسبب اختلاف أحواله من نظمه ونثره. وليس المراد بنفي الاختلاف في الأحكام؛ لأن جميع الشرائع والمثل من عند الله، وهي مختلفة، والقرآن فيه أمر ونهي وإباحة ووعد ووعيد وأمثال ومواعظ، وهذه اختلافات.

٢٩٤ - ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ المراد به: تناقض الكلمات في المتكلم الواحد، إذا تناقض كلامه فسد.

• ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

٢٩٥ - هذا يبعد حمله على الذي يليه؛ لأنه يؤدي إلى أن لا يتبع الشيطان بعض من لم يشمله فضل الله ورحمته، فقليل: إنه محمول على قوله: ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾

٢٩٠ - الإحياء (٢٣١/٤) . ٢٩١ - المستصفى (٣٣٥/١) .

٢٩٢ - الإحياء (٣٤٤/١) .

٢٩٣ - المستصفى من علم الأصول (٢٦١/٢ ، ٢٦٢) .

٢٩٤ - فضائح الباطنية (ص ١٢٥) . ٢٩٥ - المستصفى من علم الأصول (١٧٩/٢) .

(١) قال الإمام الغزالي: « النص ضربان: ضرب هو نص بلفظه ومنظومه... وضرب هو نص بفحواه ومفهومه نحو: قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ﴾، ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ فَنِيلاً ﴾ ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ إِن تَأْمَنَّهُ بِدِينَارٍ لَا يُوَدِّعُ إِلَيْكَ ﴾ فقد اتفق أهل اللغة على أن فهم ما فوق التأنيف من الضرب والشتم، وما وراء الفتيل والذرة من المقدار الكثير أسبق إلى الفهم منه من نفس الذرة والفتيل والتأنيف » ن: المستصفى (٣٣٥/١) .

إلا قليلاً منهم، لتقصير وإهمال وغلط. وقيل: إنه يرجع إلى قوله: ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ ولا يبعد أن يرجع إلى الأخير. ومعناه: ولولا فضل الله عليكم ورحمته ببعثة محمد ﷺ لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً، قد كان تفضل عليهم بالعصمة من الكفر قبل البعثة كأويس القرني، وزيد بن عمرو بن نفيل، وقيس بن ساعدة وغيرهم ممن تفضل الله عليهم بتوحيده واتباع رسوله قبله.

- ٢٩٦ - ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾
رد حكمه في الوقائع إلى استنباطهم، وألحق رتبهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله.
٢٩٧ - ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ فردهم عن النزاع إلى أهل الاستنباط.
٢٩٨ - ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ أثبت لأهل العلم استنباطاً.
٢٩٩ - رد الله تعالى الأمر إلى أهل الاجتهاد، وقال تعالى لتعليمه: ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾.

- ٣٠٠ - إلى العقل والشرع أشار بالفضل والرحمة بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وعنى بالقليل المصطفين الأخيار.
• ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِينًا﴾

٣٠١ - المقيت معناه: خالق الأقوات وموصلها إلى الأبدان وهي الأطعمة، وإلى القلوب وهي المعرفة، فيكون بمعنى الرازق إلا أنه أخص منه؛ إذ الرزق يتناول القوت، وغير القوت، والقوت ما يكتفى به في قوام البدن.

وإما أن يكون بمعنى المستولي على الشيء القادر عليه، والاستيلاء يتم بالقدرة والعلم، وعليه يدل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِينًا﴾ أي مطعماً قادراً، فيكون معناه راجعاً إلى القدرة والعلم... ويكون بهذا المعنى وصفه بالمقيت أتم من وصفه بالقادر وحده وبالعالم وحده؛ لأنه دال على اجتماع المعنيين... وبذلك يخرج هذا الاسم عن الترادف.

٢٩٧ - المستصفى (١٨٢/١).

٢٩٦ - الإحياء (١٥/١).

٢٩٨ - الإحياء (٣٤٣/١).

٢٩٩ - القسطاس المستقيم، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٣) (ص ١٥).

٣٠٠ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٥٩).

٣٠١ - المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (ص ١٠٢).

• ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِبَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا...﴾ (٣٠٢)

٣٠٢ - قال ابن عباس رضي الله عنه: من سلم عليكم من خلق الله فاردد - عليه السلام - وإن كان مجوسياً، إن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِبَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ وقال ابن عباس أيضاً: لو قال لي فرعون خيراً لرددت عليه.

• ﴿وَمَا كَانُوا لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا...﴾ (٣٠٣)

٣٠٣ - ﴿وَمَا كَانُوا لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾ استثنى الخطأ من العمد.

٣٠٤ - ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ إذ تجب على العائد عند الشافعي رحمته الله.

٣٠٥ - ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ يرجع إلى الأخير وهو الدية؛ لأن التصديق لا يؤثر في الإعتاق.

• ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ...﴾ (٣٠٦)

٣٠٦ - لما نزل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية. قال ابن أم مكتوم ^(١) ما قال، وكان ضريراً، فنزل قوله تعالى: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ فشمّل الضرير وغيره عموم لفظ المؤمنين.

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ...﴾ (٣٠٧)

٣٠٧ - نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ في قوم من المسلمين كانوا يكثرون جماعة المشركين بالمخالطة.

٣٠٣ - المستصفى من علم الأصول (١٦٨/٢).

٣٠٢ - الإحياء (١٢٩/٣).

٣٠٥ - نفسه (١٧٩/٢).

٣٠٤ - نفسه (٢٠٣/٢).

٣٠٧ - الإحياء (١٦٥/٢).

٣٠٦ - نفسه (٤٣/٢).

(١) هو عبد الله بن قيس بن زنده بن الأصم بن رواحة، القرشي العامري الصحابي من السابقين المهاجرين، كان ضريراً، مؤذناً لرسول الله ﷺ مع بلال، يقال: استشهد يوم القادسية.

ن: حلية الأولياء (٤/٢) وتهذيب الأسماء (٢٩٥/٢) وسير أعلام النبلاء (٣٦٠/١).

﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝ ﴾

٣٠٨ - صلاة الخوف وردت في القرآن ناسخة لما ثبت في السنة من جواز تأخيرها إلى انجلاء القتال، حتى قال عليه السلام يوم « الخندق » وقد أخرج الصلاة: « حشا الله قبورهم نازًا » ^(١) لحبسهم له عن الصلاة.

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ... ۝ ﴾

٣٠٩ - قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي بالليل والنهار، في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والحضر والسر والعلانية.

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝ ﴾

٣١٠ - قد سمي الله ﷻ العلم فضلًا في مواضع؛ قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝ ﴾.

٣١١ - أعظم نعمة الله على عباده هو العلم وكشف الحق، والإيمان عبارة عن نوع كشف وعلم؛ ولذلك قال تعالى امتنانًا على عبده: ﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝ ﴾ وأراد به العلم.

﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ... ۝ ﴾

٣١٢ - ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ ﴾ ومعناه: أن لا تتكلم فيما لا يعينك، وتقتصر على المهم، ففيه النجاة.

٣٠٩ - الإحياء (٣٥٠/١).

٣٠٨ - المستصفى (١٢٤/١).

٣١١ - نفسه (٤٢٦/٤).

٣١٠ - نفسه (٢١٩/١).

٣١٢ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٨٣، ٨٤).

(١) رواه مسلم بلفظ: « ملأ الله قبورهم وبيوتهم نازًا... » الحديث كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٤٣٦/١).

• ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ٣١٣﴾

٣١٣ - إن ذلك يوجب اتباع سبيل المؤمنين، وهذا ما تمسك به الشافعي، وقد أطنبنا في كتاب «تهذيب الأصول» ^(١) في توجيه الأسئلة ^(٢) على الآية ودفعها. والذي نراه: أن الآية ليست نصًّا في الغرض، بل الظاهر أن المراد بها أن من يقاتل الرسول ويشاققه ويتبع غير سبيل المؤمنين في مشايعته ونصرته ودفع الأعداء عنه ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾ فكأنه لم يكتفِ بترك المشاقة حتى تنظم إليه متابعة سبيل المؤمنين في نصرته والذب عنه والانقياد له فيما يأمر وينهى، وهذا هو الظاهر السابق إلى الفهم، فإن لم يكن ظاهرًا فهو محتمل، ولو فسر رسول الله ﷺ الآية بذلك لقبل ولم يجعل ذلك رفعًا للنص، كما لو فسر المشاقة بالموافقة واتباع سبيل المؤمنين بالعدول عن سبيلهم.

٣١٤ - تمسك الشافعي في إثبات كون الإجماع حجة بقوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾ الآية: تواعد على ترك اتباع سبيل المؤمنين، فإذا أجمعوا على حكم فهو سبيلهم.

فإن قيل: تنطوي على السريرة، ولا اطلاع عليها، فما ندري أن الذين أجمعوا أهم المؤمنين الذين يجب اتباعهم أم لا؟

قلنا: لم نكلف البحث عن الضمائر، وإنما أمرنا بناء الأمر على الظاهر، وإذا أجمعت الأمة على حكم يجب القضاء بأنهم هم المؤمنون.

إلا أنه ينقدح حمل الآية على ترك الإيمان والمخالفة فيه، ويشهد له قوله قبله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ وهذا وإن لم نقطع به، فهو محتمل، والقطعيات لا تثبت بالمحتملات.

• ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُؤْمِنُهُمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ٣١٥﴾

٣١٥ - يَعِدُّهُمْ التوبة، ويمنيهم المغفرة، فيهلكهم بإذن الله تعالى بهذه الحيل وما يجري مجراها.

٣١٤ - المنحول (ص ٣٠٥).

٣١٣ - المستصفى (١/١٧٥).

٣١٥ - الإحياء (٣/٥٢).

(١) هذا الكتاب من الكتب المقطوع بصحة نسبتها إلى الغزالي، وهو كتاب ضخيم في علم الأصول يميل إلى الاستقصاء والاستكثار على حد تعبير الغزالي، وهو كتاب مفقود. ن: المستصفى (٤/١)، ومؤلفات الغزالي

لعبد الرحمن بدوي (ص ٨١٠).

(٢) في الأصل المطبوع: الأسولة.

• ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ... ﴾ ﴿١٣٨﴾

٣١٦ - روي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: كيف الفرح بعد هذه الآية؟ فقال رسول الله ﷺ: « غفر الله لك يا أبا بكر ألسنت قمرض؟ ألسنت يصيبك الأذى؟ ألسنت تحزن؟ فهذا ما تجزون به » ^(١) يعني أن جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك.

• ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ... ﴾ ﴿١٣٩﴾

٣١٧ - قال رسول الله ﷺ: « من كان له امرأتان فمال إلى إحدهما دون الأخرى. - وفي لفظ - ولم يعدل بينهما، جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل » ^(٢) وإنما عليه العدل في العطاء والمبيت، وأما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار، قال تعالى: ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ أي أن تعدلوا في شهوة القلب وميل النفس، ويتبع التفاوت في الوقاع.

وكان رسول الله ﷺ يعدل بينهن في العطاء واليتوتة في الليالي ويقول: « اللهم هذا جهدي فيما أملك ولا طاقة لي فيما تملك ولا أملك » ^(٣) يعني الحب وقد كانت عائشة رضي الله عنها أحب نسائه إليه، وسائر نسائه يعرفن ذلك.

٣١٨ - ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ ﴾ فإن العدل بين المرأتين في المحبة والوقوف على درجة متوسطة لا ميل فيه إلى إحدهما، لا يدخل تحت الإمكان..

٣١٧ - الإحياء (٥٥/٢).

٣١٦ - نفسه (١٣٨/٤).

٣١٨ - المصنوعون به على غير أهله، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٤) (ص ١٥٨).

(١) قال العراقي: الحديث من رواية من لم يسم عن أبي بكر، ورواه الترمذي من وجه آخر وضعفه. قال: وليس له إسناد صحيح، وقال الدارقطني: وروي أيضًا من حديث عمرو من حديث الزبير، قال: وليس فيها شيء يثبت، ن: المغني بهامش الإحياء (١٣٨/٤). وسنن الترمذي، أبواب التفسير (٣١٤/٤، ٣١٥). حديث رقم (٥٠٣٠).

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب النكاح (٢٤٢/٢) حديث رقم (١٩٦٩) بلفظ: « وشقه ساقط ».

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب النكاح (٢٤٢/٢) حديث رقم (٢١٣٤)، وابن ماجه، كتاب النكاح

(٦٣٣/١) حديث رقم (١٩٧١).

• ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ... ﴾ (١٢٥) ﴿

٣١٩ - وذلك هو الأمر بالمعروف للوالدين والأقربين.

• ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ ... ﴾ (١٢٥) ﴿

٣٢٠ - قال ﷺ: « أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا في الباطل » (١) وإليه الإشارة بقوله: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ ﴿

• ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ... ﴾ (١٢٥) ﴿

٣٢١ - ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴿ لأنهم جحدوا بعد علم.

• ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ ... ﴾ (١٢٧) ﴿

٣٢٢ - الشكر قيد النعم، به تدوم وتبقى، وبتركه تزول وتحول.. قال الله ﷻ: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ ﴿ وقال ﷺ: « إن للنعم أوابد كأوابد الوحش فقيدوها بالشكر » (٢).

• ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَقْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ... ﴾ (١٢٧) ﴿

٣٢٣ - شبهة لفظية (٣) وقعت لبعضهم، ظنًا منه أن الكلمة حيثما أطلقت، يجب

٣١٩ - الإحياء (٣٣٤/٢). ٣٢٠ - نفسه (١٢٥/٣).

٣٢١ - نفسه (٧٤/١). ٣٢٢ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ٣١٧).

٣٢٣ - الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل (ص ١٦٤ - ١٧١).

(١) قال العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلاً ورجاله ثقات، رواه هو والطبراني موقوفاً على ابن مسعود بسند صحيح، ن: المغني بهامش الإحياء (١٢٥/٣) ورواية ابن أبي الدنيا عن قتادة: « إن أعظم الناس خطايا فساقهم ». وأما موقوف ابن مسعود: « إن أكثر الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا في الباطل ». ن: الإتحاف (١٦٧/٩).

(٢) قال محقق كتاب « منهاج العابدين »: ذكر السخاوي في المقاصد حديثاً في المعنى نفسه عند كلامه على « إن الله ليعذب بقطع الرزق » الحديث رقم (٢٣٦) عن السيدة عائشة أنه ﷺ قال لها: « يا عائشة أحسني جوار نعم الله، فإنها قلما نفرت عن أهل بيت أن ترجع إليهم » وهذا الحديث رواه الخرائطي في كتاب: (فضيلة الشكر لله على نعمته) (ص ٥٧) رقم (٦٨)، ون: منهاج العابدين (ص ٣١٠).

(٣) الكلام هنا عن معتقد في إلهية عيسى عليه السلام.

أن يكون المراد منها عين ما اصطالحوا عليه في أقانيمهم^(١)، لتصحيح ما يتعذر عليهم من إرادة ظاهره المتعدد بالذات.

وهذا وهم عظيم وعماية خيلت له أن هذا الاصطلاح الذي حملهم ما أشرنا إليه من الضرورة على أن ما قالوا به يجب أن يكون مرادًا لأهل كل شريعة؛ فلذلك استدل على إلهية عيسى عليه السلام بما ورد في الكتاب العزيز، وهو قوله عز من قائل: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾. فأحببت أن أكشف غطاء هذه الشبهة ليكون الناظر في هذا النص آمنًا من الشبهات المضلة فأقول:

المولود إنما يتكون مسبيًا في سببين:

أحدهما: في الأنثيين، وهو أحد نوعي القوة المولدة، وهي القوة التي يصير الدم فيها بحال يكون بها مستعدًا لقبول قوة الحياة من واهب الصور.

الثاني: القوة الموجودة في المنى، إذا انتقل إلى الرحم وانضمت إليه سائر الشرائط، بأن يكون ماءً دافقًا صحيحًا قويًا لا فساد فيه ولا ضعف، ويكون الرحم صحيحًا لا علة به، ولم يحصل للمرأة عقب الجماع حركة مزعجة عنيفة يحصل بها زلق المنى من الرحم، فحينئذ يستعد لقبول القوة المصورة من واهب الصور، فإذا صار عنها تشكلات الأعضاء، كان ذلك كونا للصورة العضوية، وفسادًا للصورة المنوية، فيستعد حينئذ لقبوله الروح من واهبها.

هذا هو السبب العادي في تكوين كل مولود، وإذا ثبت ذلك فنقول: إن كل شيء له سبب قريب وسبب بعيد، فالأكثر إضافته إلى سببه القريب؛ فيقال منذ رؤية الرياض الخضر: انظر إلى صنع المطر، والله هو الصانع الحقيقي، ولورؤي نبات نضر على صلد، والشمس في الأسد، لقليل: انظر إلى صنع الإله!! فيصرح بالسبب الحقيقي لفوات السبب العادي!!

وإذا وضع هذان الأصلان نقول: السبب القريب في حق عيسى عليه السلام، لما دل الدليل على عدم وقوعه أضيف تكوينه إلى السبب البعيد وهو الكلمة؛ لأن كل أحد مخلوق بكلمة الله القائل بها لكل مخلوق: ﴿كُنْ﴾ [آل عمران: ٥٩] فإذا هو كائن!!

(١) الأقانيم: الأصول، واحدها أقنوم، قال الجوهري: وأحسبها رومية، ن: اللسان (قنم).

فلهذا السبب صرح في حقه بذلك، إشارة إلى انتفاء السبب القريب العادي، وأنه إنما كون الكلمة التي هي: ﴿كُنْ﴾ [آل عمران: ٥٩] من غير مني!!! يمكن إضافة التكوين إليه على ما شرح.

ثم أوضح ذلك بقوله: ﴿أَلْقَاهَا إِلَى مَرِيَمَ﴾ يريد أن الولد إنما يتكون من إلقاء المني إلى أمه، وهذا المولود لم يخلق إلا بإلقاء الكلمة إلى أمه التي هي عبارة عن الأمر بالتكوين، فإذا الإلقاء مجازي.

وقد ورد مثل ذلك في حق آدم عليه السلام لما اشتركا في عدم التكوين عن الأسباب العادية؛ حيث قال جل من قائل: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] والله عز وجل لا يد له، وإنما المراد: خلقتَه بقدرتي، إشارة إلى أنه لم يكوّن من مني، وإنما كُوّن بقدرته، يشير بذلك إلى فوات السبب العادي، وإذا فات السبب العادي أضيف إلى السبب البعيد المشبه بالحقيقي، وهو كلمة الله عز وجل، وقد أتى بالمماثلة صريحاً فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] وكذلك قوله: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ أي: وهو روح تكونها صادر عنه، منفكاً عن الأسباب العادية التي يضاف إليها المسبب عادة، فالصلة في مكان الصفة للروح.

فإن قيل: تمام هذه الحجة فرع لكون الكلمة سبباً، وسببها فرع لردّها لقاعدة الشرط وما يترتب عليه من الجواب، وذلك ممتنع لما يلزم من عدم المغايرة بين المسبب وسببه. قال الفارسي^(١): لو جاز أن يكون مثل ذلك جواباً لكان قوله تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] منزلاً منزلة القائل: اذهب فيذهب.

وممتنع ذلك، إذ يصير تقديم الكلام بالرد إلى قاعدة الشرط: إن تكن تكن وإن تذهب تذهب، فيكون حينئذ السبب عن المسبب.

ولذلك أجمع القراء على الرفع فيما وقع الاحتجاج به من الآية السالفة، ولم يتابع الكسائي^(٢)

(١) هو نصر بن عبد العزيز بن أحمد بن نوح أبو الحسين الفارسي الشيرازي، شيخ محقق، إمام مسند ثقة عدل، له كتاب «الجامع في القراءات العشر» مرقئ الديار المصرية ومسندها، وألف فيها كتابه الجامع، توفي سنة (٤٦١ هـ). ن: طبقات القراء (٣٣٦/٢، ٣٣٧).

(٢) هو أبو الحسن علي بن حمزة الكوفي، المعروف بالكسائي أحد القراء السبعة وإمام الكوفيين في النحو واللغة، أخذ القراءة عن حمزة، ثم اختار لنفسه قراءة، وأخذ النحو عن معاذ ثم عن الخليل، وأخذ عنه القراء (ت ١٨٩ هـ) انظر: طبقات القراء (٥٣٥/١) وبغية الوعاة (١٠٢/٢).

ابن عامر^(١) إلا فيما أمكن أن يكون انتصابه، لا من جهة الجواب، بل من جهة العطف، وتلك المتابعة محصورة في آيتين:

الأولى: قوله جل من قائل: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢] والثانية: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٤٠].

وإذا كان الجواب ممتنعاً فيما قرئ، منصوباً ومرفوعاً سقط الاحتجاج بالآية، وامتنع كون الآية سبباً.

فأقول والله الموفق: إن هذه المباحثة عريية، وأهل العربية يجرون الأجوبة تارة على الألفاظ باعتبار معانيها، وتارة على صور الألفاظ المجردة عن معانيها، مثل ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا ﴾ [يوسف: ١٠٩] وقع الجواب مرتباً على صورة لفظ الاستفهام مجرداً عن معناه، ومعنى الكلام: أنهم ساروا فنظروا، وذلك خبر محض ليس من الاستفهام في شيء.

فإن ظن أن الفاء عاطفة لصلاحيتها مع حذف النون للعطف والجواب فكيف تجعل للجواب مع هذا الاحتمال؟ مع دفع ذلك بما لا لبسة في كونه جواباً، وهو قوله جل من قائل: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا ﴾ [الحج: ٤٦].

وإذا وضح ذلك ردت مسألتنا إلى هذه القاعدة، وكان الجواب جارياً على صيغة الأمر فقط، من غير تعرض لمعناه.

قال سيبويه: « شبهة ترتب الأمور على صيغة لفظ الأمر في العرف، بترتب المقدور على تأثير القدرة فيه؛ إذ أهل العرف يقضون على أن من أمر شخصاً بالقيام، فأوجده عند أمره أن قيامه مسبب عن صيغة لفظ الأمر، وأن لفظ الأمر سبب لقيامه، وهو في الحقيقة مسبب عن الإرادة التي دلت صيغة الأمر عليها.

يدل على ذلك: أن السيد إذا أمر عبده أن يفعل فعلاً، وعلم العبد أن السيد لا يريد منه فعل ما أمره به، فإذا فعله العبد عُذَّ مخالفاً للسيد ملوماً من جهته، فإن للمأمور سببين:

(١) هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم، إمام أهل الشام في القراءة، والذي انتهت إليه مشيخة الإقراء بها، كان في زمن عمر بن عبد العزيز، توفي بدمشق (١١٨ هـ). انظر: طبقات القراء (١/٤٢٣، ٤٢٤) وسير أعلام النبلاء (٦٢/٥).

أحدهما حقيقي: وهو الإرادة، وهو السبب البعيد، والثاني: صيغة الأمر في العرف الدالة على الإرادة.

فتعود - حينئذ - القاعدة نفسها في إحالة الحكم على السبب القريب، فقد ثبت حينئذ - بما ذكرناه - أن أهل العرف يعدون الكلمة المأمور بها سببًا ويحيلون الحكم عليها، ويجعلون ما يقع بعدها مسببًا عنها، وإن كان له أسباب حقيقية أبعد منها، وذلك عين ما بيناه أولاً.

وإنما تعلق مورد هذا الإشكال بصناعة عربية، وقد أمكن رد ذلك إلى قواعدها، فحينئذ يسقط الإشكال يقيئًا، ويسقط خيال من ظن أن قراءة « ابن عامر » فيما تتمحص الفاء فيه جوابًا عسرة الرد إلى الأصول العربية وقواعدها؛ كقوله عز وجل سبحانه: ﴿ وَإِذَا قَضَيْتَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٧] ونظائر ذلك مما انفرد بقراءته منصوبًا، بل القراء محجوجون من جهة بقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ ﴾ [الحج: ٤٦] ولا وجه لإجماعهم على النصب، وجعل الفاء جوابًا إلا إحالة على وجود صيغة الاستفهام فقط من غير نظر إلى معناها كما تقدم، وبهذا التقدير والإلزام لا يتجه على ابن عامر إشكال البتة!!

فليتأمل الناظر حسن هذا الإعراب والإغراب، معظمًا هذه الشريعة المحمدية المؤيدة بأفصح الأنبياء لهجة وأصدقهم حجة.

إذا نطقت جاءت بكل غريبة وإن سكنت جاءت بكل غريب

وليعجب من طائفة تتمسك بمثل هذا النص الواضح فهمه وتأويله!.

• ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ (١٧٢)

٣٢٤ - أعظم الحكمة كلام الله تعالى، ومن جملة كلامه القرآن خاصة، فيكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة؛ إذ به يتم الإبصار. فالحري أن يسمى القرآن نورًا كما يسمى نور الشمس نورًا، فمثال القرآن نور الشمس، ومثال العقل نور العين، وبهذا يفهم معنى قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾

• ﴿إِنْ أَمْرُؤَا هَٰلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ...﴾ (١٧) ﴿

٣٢٥ - قال ابن عباس (رضي الله عنه): الأخوات لا يرثن مع الأولاد لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَمْرُؤَا هَٰلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ فإنه لما جعل لها النصف دل على انتفائه عند وجود الولد.

* سُورَةُ الْمَائِدَةِ *

• ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ ...﴾ (١) ﴿

٣٢٦ - ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ أي: أكل البهيمة.

• ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ...﴾ (٢) ﴿

٣٢٧ - صيغة الأمر قد تطلق لإرادة الإباحة كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾.

• ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ...﴾ (٣) ﴿

٣٢٨ - وهو أمر جزم، ومعنى التعاون: الحث عليه، وتسهيل طرق الخير، وسد سبل الشر والعدوان بحسب الإمكان.

• ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ...﴾ (٤) ﴿

٣٢٩ - ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ﴾ أي: الأكل.

٣٣٠ - ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ ليس بمجمل، وقال قوم من القدرية (١): هو

مجمل؛ لأن الأعيان لا تتصف بالتحريم، وإنما يحرم ما يتعلق بالعين، وليس يدرى ما ذلك الفعل، فيحرم من الميتة مسها أو أكلها أو النظر إليها أو بيعها أو الانتفاع بها فهو مجمل... وهذا فاسد؛ إذ عرف الاستعمال كالوضع.

٣٣١ - نهى الله تعالى من لم يقو في الإسلام عن مخالطة الكفار، حتى قيل: كان

٣٢٦ - المستصفى (٣٤٧/١) و (١٨٨/٢).

٣٢٥ - المستصفى (١٩٨/٢).

٣٢٨ - الإحياء (٣٣٤/٢).

٣٢٧ - نفسه (٧٥/١).

٣٣٠ - نفسه (٣٤٦/١).

٣٢٩ - المستصفى (١٨٨/٢).

٣٣١ - ميزان العمل (ص ٣٤٧).

(١) القدرية: هم فرقة من المعتزلة يقولون بأن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها، انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٤٣/١).

أحد أسباب تحريم الخنزير ذلك؛ إذ كان أكثر أطعمة الكفار، فحرم ذلك ليكون مزجرة للمسلمين عن مواكلتهم التي كانت سبباً للمخالطة.

٣٣٢ - ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ خصص بالتحريم اللحم والشحم والجلد، وسائر أجزائه مفهومة منه، فنزل في البيان منزلة قوله: « والخنزير »، وحمل التخصيص فيه على عادة البيان، وهو: أن السابق إلى اللسان ما يعتاد أكله وهو اللحم.

• ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ... ﴾ ٣٣٣ - إن الحج - من بين أركان الإسلام ومبانيه - عبادة العمر وختام الأمر وتمام الإسلام وكمال الدين، فيه أنزل الله ﷻ: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾.

٣٣٤ - قال بعض السلف: إذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة غفر لكل أهل عرفة، وهو أفضل يوم في الدنيا. وفيه حج رسول الله ﷺ حجة الوداع، وكان واقفاً إذ نزل قوله تعالى ﷻ: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾. قال أهل الكتاب: لو نزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد، فقال عمر ﷺ: « أشهد لقد نزلت هذه الآية في يوم عيدين اثنين: يوم عرفة ويوم الجمعة على رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفة » (١).

٣٣٥ - قال العلماء: قد أتم الله علينا نعمته برضاه الإسلام لنا؛ إذ قال تعالى: ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾.

• ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ... ﴾ ٣٣٦

٣٣٦ - يترتب الحكم على الفعل بقاء التعقيب والتسبيب، فهو تنبيه على تعليل الحكم بالفعل الذي رتب عليه... كقوله جل من قائل: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ فدل ذلك على أن سبب الوضوء الصلاة.

٣٣٣ - الإحياء (٢٨٥/١) .

٣٣٢ - شفاء الغليل (ص ١٠٩) .

٣٣٥ - نفسه (١٥٦/٤) .

٣٣٤ - نفسه (٢٨٧/١) .

٣٣٦ - شفاء الغليل (ص ٢٧، ٢٨) .

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ الحديث رقم (٤٦٠٦) .

٣٣٧ - فإن قال قائل: قال الله تعالى: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ وقد ذكرتم أن ترتيب الحكم على الفعل بقاء التعقيب مشعر بالتسبيب، وهذه الآية تدل على كون الصلاة سبباً لوجوب الوضوء، والإجماع منعقد على أن الوضوء يجب بالحدث، وأن القائم إلى الصلاة - إذا كان متوضئاً غير محدث - لا وضوء عليه، وهو إخراج للصلاة عن كونها سبباً، وقد ذكرتم أن أصل الإيماء في مثل ذلك صريح في أصل التعليل، وإن احتمل الإحالة إلى معنى فيتضمنه السبب، وليس هذا إحالة إلى معنى يتضمنه المذكور، بل هو قطع له عن سببه بالكلية.

فالجواب أن الوضوء إنما يجب للصلاة؛ لذلك لا يجب على المحدث أن يتوضأ قبل وجوب الصلاة عليه، فلا تخرج الصلاة عن كونها سبباً، ولكنها سبب في حق المحدث لا في حق المتوضئ. ومعناه: إذا قمتم إلى الصلاة وأنتم محدثون، فاغسلوا وجوهكم. والعلل المفهومة بالإيماء تحتمل التخصيص بالشرائط والمحال، وليس في تخصيصها بشرط - دلت الدلالة عليه - إبطالاً لها، وهذا كالتعليل بالسرقه في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة: ٣٨] ثم خصص ذلك بالنصاب، ولم يكن إبطالاً للتعليل، وتعرف الأدلة المخصصة للعلل بالمحال والشروط بما يعرف به تخصيص الألفاظ: من إجماع، ونص وقياس جلي وغيره. فقد نقل: بأن رسول الله ﷺ « كان يصلي بوضوء واحد » ^(١) فعلم أن الصلاة سبب لوجوب الوضوء على المحدث.

نعم: بقي على الناظر نظر في أن الحدث سبب الوجوب عند الصلاة، أو الصلاة في حق المحدث؟ وأن الجاري منهما مجرى العلة والجاري مجرى المحل والشرط ماذا؟

وعلى الأحوال كيف ما كان، فلا بد من اعتبار الصلاة وإبقائه معتبراً في الحكم شرطاً أو سبباً، وفيه الوفاء وبموجب الإيماء؛ لأن الشرط أيضاً مؤثر في الحكم ولكن بواسطة العلة، فلم يكن التخصيص والترتيب بقاء التعقيب لغواً من الكلام بكل حال.

والأولى عندي أن يقال: الصلاة سبب لوجوب الوضوء، والحدث سبب لانتقاضه! فالأحداث نواقض، والصلوات أسباب، ثم من توضأ للقيام للصلاة فهو ممثّل، له أن يؤدي به صلوات، ولا يتكرر عليه الخطاب بعدد آحاد الصلوات، ولكن معناه: إذا أردتم

الصلاة فاغسلوا، أي جنس الصلاة، فما دام المصلي بهذه الطهارة، فحكم امثاله مستمر لا يتجدد عليه الأمر إلا إذا انقضت طهارته بحدث ظاهر ناقض، فعند ذلك ينقطع حكم الامثال السابق، فإرادة الصلاة بعده والقيام إليها يوجب الوضوء. وقد قال قائلون: من أحدث قبل دخول وقت الصلاة وجبت عليه الطهارة وجوباً موسعاً إلى وقت الصلاة، وقد قال آخرون: لا، بل ابتداء الوجوب بدخول وقت الصلاة ولكن في حق المحدث وهذا هو الأولى.

وعلى الجملة: فالمفهوم من الإيماء تأثير الصلاة في الوجوب، وكيف ما فرض فلا ينقطع تأثيره بحال.

٣٣٨ - قول بعض أصحابنا في قوله تعالى: ﴿وَأَرْجِلِكُمْ﴾ ^(١) مكسورة اللام لقرب الجوار ردّاً على الشيعة؛ إذ قالت: الواجب فيه المسح.

• ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ...﴾ ①

٣٣٩ - ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ حمله أبو حنيفة رحمته على المجامعة وحمله الشافعي على الجنس باليد.

٣٤٠ - لفظ اللبس يحمل في نقض الطهارة على اللبس باليد والجماع.

٣٤١ - العجز عن استعمال الماء يبيح التيمم لقوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾.

• ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ④

٣٤٢ - فرجع الأمر كله إلى التقوى.

• ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ...﴾ ⑤

٣٤٣ - معاد النفوس واحد، ومرجعها إليه بعد القبض، فإذا ظلم بعضها سرى الظلم

٣٣٨ - المنحول من تعليقات الأصول (ص ٢٠٢). ٣٣٩ - الوسيط في المذهب (٤٠٩/١، ٤١٠).

٣٤٠ - المنحول من تعليقات الأصول (ص ١٤٧). ٣٤١ - الوسيط في المذهب (٤٣١/١، ٤٣٢).

٣٤٢ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ١٢٥).

٣٤٣ - سر العالمين وكشف ما في الدارين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٦) (ص ٢٦).

في كلها، وهو معنى قوله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾. فإذا أوصلت إلى النفس برًا وصدقة وخيرًا وعدلاً وإشفافاً سرى ذلك إلى جميع النفوس بعد القبض فصار خيرًا، فإذا وصل بهم كان ذلك خيرًا للجميع، ألا ترى قول الرجل لامرأته: بعضك طالق، كيف يسري الطلاق في الكل؟ إذ الطلاق لا يتبعض.

• ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

٣٤٤ - ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ المراد بعض السارقين. فإن أردنا أن نجعل هذه كلية ضممننا إليها الأوصاف التي بان اعتبارها فيه، وقلنا مثلاً: كل من سرق نصابًا كاملاً، من حرز مثله لا شبه له فيه قطع، هذا هو العادة. والصواب عندنا في مراسيم جدل الفقه أن لا يفعل ذلك مهما وجد عموم لفظ، بل يتعلق بعموم اللفظ، ويطالب الخصم بالمخصص، وما يدعى من أن المخصص قد تطرق إلى العموم، فليس مانعاً من التمسك بالعموم على اصطلاح الفقهاء، وإذا اصطلحوا على هذا فالتمسك به أولى من إيرادهم في شكل؛ لأنهم ليسوا يقبلون تخصيص العلة. ومهما قلت: كل من سرق نصابًا كاملاً من حرز مثله قطع. منع الخصم وقال: أهملت وصفاً؛ وهو أن لا يكون المسروق رطباً. فما الذي عرفك أن هذا غير معتبر؟ فلا ينبغي لك إلا أن تعود إلى العموم وتقول: هو الأصل، ومن زاد وصفاً فعليه الدليل. فإذا التمسك بالعموم أولى، إذا وجد.

٣٤٥ - ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا﴾ فإن السرقة مخيلة^(١)، فإنها جريمة يليق بها العقوبة الزاجرة، وقوله تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾ إيماء؛ لأننا نعلم أنه لا يجازى لإسلامه، وحسن عبادته. وقوله تعالى: ﴿نَكَالًا﴾ كذلك إيماء إليه.

٣٤٦ - ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾ فجعل السرقة علة

٣٤٤ - معيار العلم في المنطق (ص ١٩٥، ١٩٦). ٣٤٥ - المنحول من تعليقات الأصول (ص ٣٤٣).

٣٤٦ - شفاء الغليل (ص ٣٩٣، ٣٩٤).

(١) يقال: شيء مخيل، أي مشكل، ن: اللسان (خيل).

للقطع. وسرقة ما دون النصاب سرقة وليس بعة، ولا يعد ذلك نقضاً ولا مناقضاً؛ لأن مقصود الكلام التعرض للجهة والسبب لا للمحل الذي يعمل فيه السبب.

٣٤٧ - يرتب الحكم على الفعل بقاء التعقيب والتسيب فهو تنبيه على الحكم بالفعل الذي رتب عليه، كقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ فدل ذلك على أن القطع معلن بالسرقة، وأنها سببه.

٣٤٨ - ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ يعم كل مال وخرج ما دون النصاب بقوله: « لا قطع إلا في ربع دينار فصاعداً »^(١).

٣٤٩ - ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ نزل في سرقة المجن^(٢) أو رداء صفوان.

٣٥٠ - ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾... فإنه كما فهم وجوب القطع على السارق وهو المنطوق به، فهم كون السرقة علة الحكم وكونه علة غير منطوق به، لكن يسبق إلى الفهم من فحوى الكلام.

• ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ...﴾

٣٥١ - المراد بالنور والهدى أصل التوحيد وما يشترك فيه النبيون دون الأحكام المعرضة للنسخ، ثم لعله أراد النبيين في زمانه دون من بعدهم ثم هو على صيغة الخبر لا على صيغة الأمر، فلا حجة فيه. ثم يكون المراد حكم النبيين بها بأمر ابتدأهم به الله تعالى وحيًا إليهم لا بوحي موسى عليه السلام.

• ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾

٣٥٢ - بعد ذكر التوراة وأحكامها: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قلنا: المراد به ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ مكذباً به وجاحداً له لا من حكم بما أنزل الله عليه خاصة، أو من لم يحكم به ممن أوجب عليه الحكم به من أمته وأمة كل نبي إذا خالفت ما أنزل على نبيهم، أو يكون المراد به يحكم بمثلها النبيون، وإن

٣٤٧ - شفاء الغليل (ص ٢٧، ٢٨). ٣٤٨ - المستصفى من علم الأصول (١٠٣/٢).

٣٤٩ - نفسه (٦٠/٢). ٣٥٠ - نفسه (١٨٩/٢).

٣٥١ - نفسه (٢٥٨/١). ٣٥٢ - نفسه (٢٥٨/١).

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الحدود (١٣٦/٤) حديث رقم (٤٣٨٣، ٤٣٨٤)، وابن حبان في صحيحه. ن: الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان (٣١٦/٦).

(٢) المجن: الترس من السلاح المتوقى بها، ن: اللسان (ترس) و (جن).

كان بوحى خاص إليهم لا بطريق التبعية.

• ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ... ٥١﴾

٣٥٣ - قال الشيخ أبو سعيد الميهني ^(١) رحمه الله تعالى لما قرئ عليه قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ فقال: بحق يحبهم، فإنه ليس يحب إلا نفسه، على معنى أنه الكل وأن ليس في الوجود غيره، فمن لا يحب إلا نفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته، فهو إذن لا يحب إلا نفسه. وما ورد من الألفاظ في حبه لعباده فهو مؤول، ويرجع معناه إلى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه وإلى تمكينه إياه من القرب منه وإلى إرادته ذلك في الأزل. فحبه لمن أحبه أزلي مهما أضيف إلى الإرادة الأزلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب، وإذا أضيف فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضي له كما قال تعالى: « لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » ^(٢) فيكون تقربه بالنوافل سبباً لصفاء وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه، فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو في معنى حبه.

• ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ... ٥٢﴾

٣٥٤ - المنهكون في الدنيا بلا التفات إلى العقبي إلا باللسان وحديث النفس، وهم الأكثرون، سموا في كتاب الله تعالى: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾.

• ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِلَٰهَ وَالْكَلِٰهُمُ السُّحُتَ لَيَسَّ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ٥٣﴾

٣٥٥ - بين أنهم أثموا بترك النهي.

• ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ٥٤﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا

٣٥٤ - ميزان العمل (ص ٣٨٢).

٣٥٣ - الإحياء (٤ / ٣٤٦).

٣٥٥ - الإحياء (٢ / ٣٣٤).

(١) هو القدوة الزاهد، شيخ خراسان، أبو سعيد فضل بن أبي الخير محمد بن أحمد الميهني الصوفي، حدث عن زاهر بن أحمد السرخسي وغيره، وروى عنه: الحسن بن أبي طاهر الحنبلي، وعبد الغفار بن محمد الشيرازي وآخرون. توفي (سنة ٤٤٠ هـ)، ن: سير أعلام النبلاء (١٧ / ٦٢٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث رقم (٦٥٠٢).

كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٥٦﴾

٣٥٦ - هذا غاية التشديد؛ إذ علل استحقاقهم لعنة بتركهم النهي عن المنكر.

• ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَتِيلِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾

٣٥٧ - اعلم أنه لا وصول إلى الله ﷻ إلا بالتزهد عن الشهوات، والكف عن اللذات، والاقتصار على الضرورات فيها، والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات، ولأجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا إلى قلل الجبال، وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله ﷻ، فتركوا لله ﷻ اللذات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعاً في الآخرة، وأثنى الله ﷻ عليهم في كتابه فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَتِيلِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

• ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتَهُمْ بِطَعَامٍ عَشْرَةَ مَسْكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّرةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ... ﴿٣٥٨﴾﴾

٣٥٨ - ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ تنبيه على أن التعقيد تأثيراً في المؤاخذه.

٣٥٩ - قوله: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ يرجع إلى الخصال الثلاثة.

٣٦٠ - ﴿تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ يعم المؤمنة وغير المؤمنة فيجوز تخصيص العموم؛ إذ قد يراد بالآية ذكر أصل الكفارة، ويكون أمراً بأصل الكفارة دون قيودها وشروطها، فلو استقر العموم وحصل القطع يكون العموم مراداً. لكان نسخه ورفع بالقياس وخبر الواحد ممتنعاً.

٣٦١ - التابع في صوم كفارة اليمين ليس بواجب على قول، وإن قرأ ابن مسعود (فصيام ثلاثة أيام متتابعات)، لأن هذه الزيادة لم تتواتر، فليست من القرآن، فتحمل على أنه ذكرها في معرض البيان لما اعتقده مذهباً، فلعله اعتقد التابع حملاً لهذا المطلق على المقيد بالتابع في الظهار. وقال أبو حنيفة: يجب؛ لأنه وإن لم يثبت كونه قرآنًا

فلا أقل من كونه خبراً، والعمل يجب بالخبر الواحد. وهذا ضعيف؛ لأن خبر الواحد لا دليل على كذبه، وهو وإن جعله من القرآن فهو خطأ قطعاً؛ لأنه وجب على رسول الله ﷺ أن يبلغه طائفة من الأمة تقوم الحجة بقولهم، وكان لا يجوز له مناجاة الواحد به، وإن لم يجعله من القرآن احتمال أن يكون ذلك مذهباً له، لدليل قد دله عليه، واحتمل أن يكون خبراً، وما تردد أن يكون خبراً أو لا يكون، فلا يجوز العمل به، وإنما يجوز العمل بما يصرح الراوي بسماعه من رسول الله ﷺ.

• ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ ٣٦٢

٣٦٢ - ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ﴾ فإنه بيان لتعليل تحريم الخمر حتى يطرد في كل مسكر.

٣٦٣ - نبه على فساد الخمر بقوله: ﴿ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ وهي من المضار والمخذورات في أمور الدنيا، وقد يقترن به أيضاً مفسدة الدين.

• ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ٣٦٤

٣٦٤ - قالوا: منازل التقوى ثلاثة: تقوى عن الشرك، وتقوى عن البدعة، وتقوى عن المعاصي الفرعية. ولقد ذكرها الله سبحانه في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا ﴾

التقوى الأولى: تقوى عن الشرك، والإيمان في مقابلته وهو التوحيد.

والتقوى الثانية: عن البدعة، والإيمان الذي ذكر معها إقرار بالسنة والجماعة.

التقوى الثالثة: عن المعاصي الفرعية، ولا إقرار في هذه المنزلة، فقابلها بالإحسان وهو الطاعة والاستقامة في الطاعة. هذا ما قاله العلماء في بيان معنى التقوى.

قلت: إن وجدت التقوى بمعنى اجتناب فضول الحلال، وهو ما روي في الخبر المشهور أن النبي ﷺ أنه قال: « إِنَّمَا سَمِيَ الْمُتَّقُونَ مُتَّقِينَ، لِتَرْكِهِمْ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا

عما به بأس» (١).

فأحييت أن أجمع بين ما قاله علماؤنا رحمهم الله تعالى، وبين ما جاء في الخبر عن النبي ﷺ، فيكون حدًا جامعًا ومعنى بالغًا.

فأقول: التقوى هو اجتناب كل ما تخاف منه من ضرر في دينك. ألا ترى أنه يقال للمريض المحتمي: إنه يتقى إذا اجتنب كل شيء يضره في بدنه من طعام أو شراب أو فاكهة أو غيرها.

ثم الذي يخاف منه الضرر في أمر الدين قسمان: محض الحرام ومحض المعصية، وفضول الحلال، وذلك لشره أمر النفس وطغيانها، وتمرد الهوى وعصيانها، فمن أراد أن يأمن الضرر في أمر دينه، اجتنب الخطر، فامتنع عن فضول الحلال حذرًا أن يجره إلى محض الحرام، على ما قاله ﷺ؛ لتركهم ما لا بأس به حذرًا مما به بأس، يعني: لتركهم فضول الحلال حذرًا عن الوقوع في الحرام، فالتقوى البالغة الجامعة: اجتناب كل ما فيه ضرر لأمر الدين، وهو المعصية والفضول، هذا تفصيلها (٢).

أما إذا أردنا تحديدها على موضوع علم الشرع فنقول:

حد التقوى الجامع: تنزيه القلب عن شر لم يسبق عنك مثله، بقوة العزم على ترك حتى يصير ذلك وقاية بينك وبين كل شر.

• ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ...﴾ (١٥)

٣٦٥ - أوجب المثل وحصره في النعم، فكان طلب الوصف - الذي تقع به المماثلة - واجبًا بحكم النص.

٣٦٦ - ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا﴾ في جزاء الصيد يجب على الخاطئ.

• ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَىٰ آلَآبٍ...﴾ (١٦)

٣٦٧ - هم ذوو العقول، واشتقاق العقل من العقال، والمعقل المنيع، والقلعة على

٣٦٥ - شفاء الغليل (ص ٣٥٨). ٣٦٦ - المستصفى (٢٠٣/٢).

٣٦٧ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ١١٧).

(١) رواه ابن ماجه في باب الورع والتقوى (١٤٠٩/٢)، بلفظ: قال رسول الله ﷺ: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس» حديث رقم (٤٢١٥).
(٢) أي هذا الذي ذكرناه هو تفصيل التقوى.

رأس الجبل لا تصل إليها يد أحد لامتناعها وقوتها وإحكامها.

• ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلٍّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ ... ﴿١٦٩﴾﴾

٣٦٨ - روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته: أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتتأولونها على خلاف تأويلها. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلٍّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل، إلا أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده » ^(١).

• ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ... ﴿١٧٠﴾﴾

٣٦٩ - ربط السماع بالتقوى.

• ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٧١﴾﴾

٣٧٠ - في الشدة يوم تذهل فيه عقول الأنبياء وتنمحي علومهم من شدة الهيبة؛ إذ يقال لهم: ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ وقد أرسلتم إلى الخلائق؟ وكانوا قد عملوا فتدهش عقولهم، فلا يدرون بماذا يجيبون، فيقولون من شدة الهيبة. ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ وهم في ذلك الوقت صادقون؛ إذ طارت منهم العقول وانمحت العلوم إلى أن يقويهم الله تعالى.

• ﴿إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ... ﴿١٧٢﴾﴾

٣٧١ - التأييد: هو تقوية أمره بالبصيرة من داخل، وتقوية البطش من خارج، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾.

٣٧٢ - أعلى طبقة في الامتداد: الأنبياء - صلى الله عليه وسلم - ، ثم من يليهم وذلك بحسب تهذيب النفس والعكوف على هذه الجنبية، وهذا هو المعنى بقوله تعالى: ﴿إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾.

٣٦٨ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٦٥)، الإحياء (٢/٢٥٠)، و(٢/٣٣٥)، مع تغير في ألفاظ الحديث .. وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب».

٣٦٩ - الإحياء (٣/١٣). ٣٧٠ - نفسه (٤/٥٥١).

٣٧١ - ميزان العمل (ص ٣٠٣).

٣٧٢ - معراج السالكين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (١) (ص ١٠٤).

(١) رواه الترمذي في صحيحه (٤/٣٢٢) أبواب التفسير، حديث (٥٠٥٠)، وقال: حسن صحيح.

﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ... ﴾ ٣٧٣

معناه: تقدر، والخلق هو التقدير.

﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْحَكِيمُ ﴾ ٣٧٤

٣٧٤ - فوض الأمر إلى المشيئة، وأخرج نفسه بالكلية من البين، لعلمه بأنه ليس له من الأمر شيء، وأن الأمور مرتبطة بالمشيئة ارتباطاً يخرج عن حد المعقولات والمألوفات، فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حدس ولا حساب، فضلاً عن التحقيق والاستيقان.

* سُورَةُ الْأَنْعَامِ *

﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ ٣٧٥

٣٧٥ - الوقف على السماوات في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ له معنى يخالف الوقف على الأرض والابتداء بقوله: ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾.

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ ٣٧٦

٣٧٦ - ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ إن الفوق اسم مشترك يطلق لمعنيين:

أحدهما: نسبة جسم إلى جسم بأن يكون أحدهما أعلى والآخر أسفل، يعني الأعلى من جانب الرأس الأسفل، وقد يطلق لفوقية الرتبة، وبهذا يقال: الخليفة فوق السلطان، والسلطان فوق الوزير، كما يقال: الحلم فوق العلم، والأول يستدعي جسمًا ينسب إلى جسم، والثاني لا يستدعيه.

فليعتقد المؤمن قطعاً أن الأول غير مراد، وأنه على الله تعالى محال، فإنه من لوازم الأجسام أو لوازم أعراض الأجسام، وإذا عرف نفى هذا المحال فلا عليه، وإن لم يعرف أنه لماذا أطلق؟ وماذا أريد؟ فقس على ما ذكرناه ما لم نذكره.

٣٧٧ - فوقية المكان محال، فإنه كان قبل المكان فهو الآن كما كان، وما أراد

فلسنا نعرفه، وليس علينا ولا عليك أيها السائل معرفته.

٣٧٨ - الخبير: يدل على العلم مضافاً إلى الأمور الباطنية.

• ﴿لَا تُذِرْكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ...﴾ (١٦)

٣٧٩ - أي ينذر كل قوم، بل كل شخص بحكمه، فيكون شره عامًا.

• ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا...﴾ (١٧)

٣٨٠ - موانع الفهم هي الأكنة التي تمنع من الفهم.

• ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ...﴾ (١٨)

٣٨١ - قال أبو هريرة في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ

إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾: إنه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة؛ البهائم والدواب والطيور وكل شيء....

• ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (١٩)

٣٨٢ - عن عقبة بن عامر ^(١) عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الرجل يعطيه الله

ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا أن ذلك استدراج»، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا

نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ^(٢) يعني لما تركوا ما أمروا له فتحنا

عليهم أبواب الخير ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ أي بما أعطوا من الخير أخذناهم بغتة.

• ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ

مِنْ شَيْءٍ...﴾ (٢٠)

٣٨٣ - قالت قريش لرسول الله ﷺ: «كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء؟ وأشاروا

٣٧٨ - روضة الطالبين وعدة السالكين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ٦٥).

٣٧٩ - المستصفى (٨٥/٢). ٣٨٠ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٣٨).

٣٨١ - الإحياء (٥٥٥/٤). ٣٨٢ - نفسه (١٣٨/٤).

٣٨٣ - نفسه (٣٦٥/٣).

(١) هو أبو حماد عقبة بن عامر بن عبس الجهني الصحابي الجليل، روى عنه جابر وابن عباس وكثير من التابعين، حضر فتح مصر مع عمرو بن العاص، وهو أحد من جمع القرآن (ت ٥٨ هـ) ن: الاستيعاب (١٠٧٣) وسير أعلام النبلاء (٤٦٧/٢).

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب بسند حسن (١٢٨/٤) حديث رقم (٤٥٤٠).

إلى فقراء فازدروهم بأعينهم لفقيرهم، وتكبروا عن مجالسهم فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُؤِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدُوفَةِ وَالْعِشِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (١).
٣٨٤ - ومعنى النية: إرادة وجهه.

• ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (٥٦)

٣٨٥ - قال تعالى يصف قول قريش: ﴿أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ كالأستحقار لهم والأنفة منهم.

٣٨٦ - ﴿لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ أي استحقاراً لهم واستبعاداً لتقدمهم.

٣٨٧ - ﴿أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (٥٦) ﴿ظن أولئك الجاهل أن النعمة العظيمة والمنة الكريمة، إنما تعطى من يكون أكثرهم مالاً وأشرفهم حسباً ونسباً، فقالوا: ما بال هؤلاء الفقراء بزعمكم من العبيد والأحرار أعطوا هذه النعمة العظيمة بزعمكم دوننا؟ فقالوا على طريق الاستكبار ومجرى الاستهزاء: ﴿أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ فأجابهم الله تعالى بهذه النكتة الزاهرة، فقال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ تقدير الكلام: إن السيد الكريم إنما يعطي نعمته من يعرف قدرها، وإنما يعرف قدرها من أقبل بنفسه وقلبه فاختارها على غيرها، ولا يعبأ بما تحمل من أعباء المؤنة في تحصيلها، ثم لا يزال قائماً بالباب يؤدي شكرها، وكان في علمنا السابق أن هؤلاء

٣٨٤ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١٧٠) والإحياء (٣٨٢/٤).

٣٨٥ - الإحياء (٢٠٥/٣). ٣٨٦ - نفسه (٣٦٥/٣).

٣٨٧ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ٣٢٤، ٣٢٥).

(١) رواه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ: «كنا مع رسول الله ﷺ ونحن ستة نفر فقال المشركون: اطرد هؤلاء لا يجترؤون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت اسميهما قال: فوقع في نفس النبي ﷺ من ذلك ما شاء الله فحدث به نفسه، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرُؤِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدُوفَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ «كتاب فضائل الصحابة (١٨٧٨/٤) حديث (٤٦) ورواه ابن ماجه بلفظ: «نزلت هذه الآية فينا ستة: في وفي ابن مسعود، وصهيب، وعمار، والمقداد، وبلال قال: قالت قريش لرسول الله ﷺ: إنا لا نرضى أن نكون أتباعاً لهم، فاطردهم عنك. قال: فدخل قلب رسول الله ﷺ من ذلك ما شاء الله أن يدخل. فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرُؤِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدُوفَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ «الآية ن: كتاب الزهد، باب مجالسة الفقراء (١٣٨٣/٢) حديث رقم (٤١٢٨).

الضعفاء يعرفون هذه النعمة، ويقومون بشكرها، فكانوا أولى بهذه النعمة منكم، فلا اعتبار بغناكم وثروتكم، ولا جاهكم في الدنيا وحشمتكم^(١)، ولا نسبكم في الأنساب ولا حسبكم، إنما تحسبون النعمة كلها: الدنيا وحطامها والحسب والنسب وعلوه، لا الدين والعلم والحق ومعرفته، وإنما تعظمون ذلك وتتفاخرون به، ألا ترون أنكم لا تكادون تقبلون هذا الدين والعلم والحق إلا بمنة على من أتاكم به، وذلك لاستحقاقكم ذلك وقلة مبالايتكم به؟ وأن هؤلاء الضعفاء يقتلون أنفسهم على ذلك، ويذلون مهجتهم فيه، ولا يبالون بما فاتهم ولا بمن عاداهم مع ذلك؟ لتعلموا أنهم هم الذين عرفوا قدر هذه النعمة، ورسخ في قلوبهم تعظيمها، وهان عليهم فقد كل شيء دونها، وطاب لهم احتمال كل شدة، ويستغرقون جميع العمر في شكره.

فالذلك استأهلوا هذه المنة الكريمة، والنعمة العظيمة في سابق علمنا، وخصصناهم بها دونكم، فهذه هذه.

• ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ... ﴾ ٥١

٣٨٨ - الله سبحانه أوجب على جوده بكمال كرمه وعنايته أن يرحم المؤمنين، وأوله بمنزلة الكتابة والسجل، فإن الإنسان إذا ادعى على أحد بدين قبله لا يسمع مجرد دعواه، وإذا كان معه سجل محكوم عن قاضٍ من قضاة المسلمين تصح دعواه، ويحصل ماله بسبب لك المكتوب، فالله تعالى وعد المؤمنين برحمته، ولم يكتف بموعده فأخبر عن السجل فقال: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ ليطمئن قلوب المؤمنين باستماع المكتوب.

• ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ٥٢

٣٨٩ - هذه الآية من الآي التي هي أم الكتاب، فذكر تعالى أن عنده مفاتيح الغيب.

٣٩٠ - ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ أي من عنده تنزل أسباب الموجودات في عالم

٣٨٨ - المعارف العقلية (ص ٨٣).

٣٨٩ - معراج السالكين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، (١) (ص ١٢٢).

٣٩٠ - مشكاة الأنوار، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، (٤) (ص ١٤).

(١) حشمت الرجل: عياله وقرابته وخدمته، ن: اللسان (حشم).

الشهادة؛ إذ عالم الشهادة أثر من آثار ذلك العالم، يجري منه مجرى الظل بالإضافة إلى الشخص ومجرى الثمر بالإضافة إلى الثمر، والمسبب بالإضافة إلى السبب، ومفاتيح المسببات إنما تؤثر من الأسباب.

٣٩١ - ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ إن جميع العلوم غير موجودة في القرآن بالتصريح، ولكن موجودة فيه بالقوة لما فيه من الموازين القسط التي بها تفتح أبواب الحكمة التي لا نهاية لها.

٣٩٢ - الله تعالى أخبر في القرآن عن جميع العلوم وجلي الموجودات وخفيها وصغيرها وكبيرها ومحسوسها ومعقولها، وإلى هذه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

• ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ بِاللَّيْلِ...﴾ (٦٦)

٣٩٣ - النوم نوع وفاة... قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ فسماه توفياً.

• ﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ (٧٥)

٣٩٤ - وما أراد به الرؤية الظاهرة، فإن ذلك غير مخصوص بإبراهيم عليه السلام حتى يعرض من معرض الامتحان؛ ولذلك سمي ضد إدراكه عمى، فقال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢].

• ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ (٧٦) ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ (٧٧) ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوِّمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٧٨) ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٧٩)

٣٩٥ - إن لله تعالى سبعين حجاباً من نور لا يصل السالك إلى حجاب من تلك

٣٩١ - القسطاس المستقيم، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٣) (ص ٥٤).

٣٩٢ - الرسالة اللدنية، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٣) (ص ٩٧).

٣٩٣ - الإحياء (٤٠٨/١). ٣٩٤ - نفسه (١٩/٣).

٣٩٥ - نفسه (٤٢٨/٣، ٤٢٩).

الحجب في الطريق إلا ويظن أنه قد وصل، وإليه الإشارة بقول إبراهيم عليه السلام؛ إذ قال الله تعالى إخباراً عنه: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾ وليس المعني به هذه الأجسام المضيئة، فإنه كان يراها في الصغر ويعلم أنها ليست آلهة، وهي كثيرة وليست واحداً، والجهال يعلمون أن الكوكب ليس بإله، فمثل إبراهيم عليه السلام لا يغره الكوكب الذي لا يغر السوادية، ولكن المراد به أنه نور من الأنوار التي هي من حجب الله عز وجل وهي على طريق السالكين، ولا يتصور الوصول إلى الله تعالى إلا بالوصول إلى هذه الحجب، وهي حجب من نور بعضها أكبر من بعض، وأصغر النيرات الكوكب، فاستعير له لفظه، وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر، فلم يزل إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السماوات؛ حيث قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ٧٥] يصل إلى نور بعد نور ويتخيل إليه من أول ما كان يلقاه أنه قد وصل، ثم كان يكشف له ما وراءه أمراً فيرتقي إليه ويقول: قد وصلت، فيكشف له ما وراءه حتى وصل إلى الحجاب الأقرب الذي لا وصول إلى بعده، فقال: ﴿ قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ﴾ فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خالٍ عن الهوى في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال ﴿ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ إلى أن قال: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾.

٣٩٦ - قال عليه السلام: « إن لله سبعين حجاباً من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدرك بصره » ^(١) وتلك الحجب أيضاً مرتبة وتلك الأنوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب، ويبدو في الأول أصغرها ثم ما يليه، وعليه أول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لإبراهيم الخليل عليه السلام في ترقيه، وقال: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ﴾، أي أظلم عليه الأمر ﴿ رَأَى كَوْكَبًا ﴾، أي وصل إلى الحجاب من حجب النور فعبّر عنه بالكوكب، وما أريد به هذه الأجسام المضيئة، فإن آحاد العوام لا يخفى عليهم أن الربوبية لا تليق بالأجسام، بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم، فما لا يضلل العوام لا يضلل الخليل عليه السلام.

(١) أورد الغزالي هذا الحديث بلفظ « ... كل من أدركه بصره » في كتابه الإحياء (١٢١/١). وقال الحافظ العراقي: أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة: « بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجاباً من نور » وإسناده ضعيف، ن: المغني بهامش الإحياء (١٢١/١).

٣٩٧ - ﴿ وَجَهَتْ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ومعنى الذي: إشارة مبهممة مناسبة لها؛ إذ لو قال قائل: ما مثال مفهوم الذي؟ لم يتصور أن يجاب عنه، فالمنزّه عن كل مناسبة هو الله الحق.

• ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ... ﴾ (٨٧)

٣٩٨ - لما نزل قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ قالت الصحابة: فأينا لم يظلم، فبين أنما أراد ظلم النفاق والكفر^(١).

• ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَةٌ ... ﴾ (٨٨)

٣٩٩ - لما ذكر الله الأنبياء قال: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَةٌ ﴾ قلنا: أراد بالهدى: التوحيد، ولدلالة الأدلة العقلية على وحدانيته وصفاته بدليلين:

أحدهما: أنه قال: ﴿ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَةٌ ﴾ ولم يقل: بهم، وإنما هداهم: الأدلة التي ليست منسوبة إليهم، أما الشرع فمنسوب إليهم، فيكون اتباعهم فيه اقتداء بهم.

الثاني: أنه كيف أمر بجميع شرائعهم وهي مختلفة وناسخة ومنسوخة، ومتى بحث في جميع ذلك وشرائعهم كثيرة.

فدل ذلك على أنه أراد الهدى المشترك بين جميعهم، وهو التوحيد.

• ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يَبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ... ﴾ (٩١)

٤٠٠ - قولهم بنفي إنزال الوحي على البشر قول باطل الازدواج المنتج بين أصليين:

أحدهما: أن موسى عليه السلام بشر.

والثاني: أن موسى أنزل عليه الكتاب فيلزم منه بالضرورة قضية خاصة، وهو أن بعض البشر أنزل عليه الكتاب، وتبطل به الدعوى العامة بأنه لا ينزل كتاب على بشر أصلاً.

٣٩٧ - مشكاة الأنوار، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٤) (ص ٢٧).

٣٩٨ - المستصفى (٤٤/٢) . ٣٩٩ - المستصفى (٤٤/٢) .

٤٠٠ - القسطاس المستقيم، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٣) (ص ٢٣ ، ٢٤).

(١) رواه البخاري بلفظ: (شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أينما لم يلبس إيمانه بظلم؟ قال رسول الله ﷺ: « إنه ليس بذلك، ألا تسمع لقول لقمان لابنه: ﴿ إِنَّكَ الشِّرْكُ لَطَلَمٌ عَظِيمٌ ﴾ » كتاب التفسير حديث رقم (٤٧٧٦).

أما الأصل الأول: وهو قولنا: موسى بشر فمعلوم بالحس، وأما الثاني: وهو أن موسى منزل عليه الكتاب، فكان معلومًا بأعرافهم؛ إذ كانوا يخفون بعضه ويظهرون بعضه كما قال تعالى: ﴿ تَبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾.

وإنما ذكر هذا في معرض المجادلة بالأحسن، ومن خاصية المجادلة أنه يكفي فيها أن يكون الأصلان مُسَلِّمَيْنِ من الخصم مشهورين عنده، وإن أمكن الشك فيه بغيره فإن النتيجة تلزمه إذا كان هو معترفًا به، وأكثر أدلة القرآن تجري على هذا الوجه.

• ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (١١)

٤٠١ - معنى قولك: لا إله إلا الله معنى قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ وهو أن تذر بالكلية غير الله.

٤٠٢ - ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ ليس المراد تحريك عضلات اللسان بهذه الحروف؛ ولذا قال: « من قال لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة » ^(١) فإن حركة الأطراف قليلة الغناء إذا لم تكن مؤثرة في القلب أو لم تكن صادرة عن أثر راسخ في القلب، أوله اعتقاد يسمى إيمانًا، ثم ينتهي ترتبيه إلى مثل إيمان أبي بكر الذي لو وزن بإيمان العالمين لرجح، هذا مع التصريح بأنه، « ما فضلكم بكثرة صيام وصلاة، ولكن بسر وقر في قلبه » ^(٢).

• ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ... ﴾ (١٧)

٤٠٣ - في النجوم مآرب... بها يهتدي السائرون في ظلمة الليل وقطع القفار الموحشة واللجج المائلة، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ﴾.

٤٠١ - الإحياء (٢٨/٤).

٤٠٢ - ميزان العمل (ص ٣٥٠، ٣٥١).

٤٠٣ - الحكمة في مخلوقات الله ﷻ، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (١) (ص ٢٠).

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه الطبراني من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف، ن: المغني بهامش الإحياء: (٣٥٣/١). وقال الزبيدي: وكذلك رواه أبو نعيم في الحلية والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، زادوا في روايتهم: قيل: وما إخلاصها؟ قال: « أن تحجزه عن محارم الله » ن: الإتحاف (٢٠/٥).

(٢) في رواية أخرى أوردها الغزالي في الإحياء (١٠٠/١): « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسر وقر في صدره ».

قال العراقي: أخرجه الترمذي في النوادر من قول أبي بكر بن عبد الله المزني ولم أجده مرفوعًا، ن: المغني بهامش الإحياء (٢٣/١).

﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾

٤٠٤ - ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فإنه باقٍ على العموم.

٤٠٥ - ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فإنه عالم بذاته.

﴿ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ... ۝ ﴾

٤٠٦ - لا يدخل فيه ذاته وصفاته.

٤٠٧ - خرج بدليل العقل ذات القديم وصفاته.

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝ ﴾

٤٠٨ - ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ أي: في الدنيا.

٤٠٩ - اللطيف: يدل على الفعل مع الرفق.

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ... ۝ ﴾

٤١٠ - أشار به إلى أن التسبب إلى الشر شر.

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ ... ۝ ﴾

٤١١ - تارة يكون القلب منازعًا بين ملكين، وتارة بين شيطانين، وتارة بين ملك

وشيطان - لا يكون قط مهملاً - وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ ﴾ ولاطلاع رسول الله ﷺ على عجب صنع الله تعالى في عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول: « لا ومقلب القلوب » ^(١) وكان كثيرًا ما يقول: « يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك » قالوا: أو تخاف يا رسول الله؟ قال: « وما يؤمنني والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء » ^(٢) وفي لفظ آخر: « إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه » ^(٣).

٤٠٤ - المستصفي من علم الأصول (٩٩/٢). ٤٠٥ - المنحول من تعليقات الأصول (ص ١٤٤).

٤٠٦ - المستصفي (٤٢/٢). ٤٠٧ - نفسه (١٣٨/٢).

٤٠٨ - الإحياء (٣٣٠/٤) ومعارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ١٥٨).

٤٠٩ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ٦٦).

٤١٠ - الإحياء (٣٩٢/٤). ٤١١ - نفسه (٤٩/٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب مقلب القلوب (ح ٧٣٩١).

(٢) رواه الترمذي في سننه. ن: أبواب الدعوات (١٩٩/٥) حديث رقم (٣٥٨٨).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک، وصحيح على شرط البخاري ومسلم من حديث النواس بن سميان: « ما من =

• ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ ... ﴾ ١١٩

٤١٢ - كلماته باقية بقاء علمه، لا تبديل لكلماته ولا تغير لعلمه، ولا مانع لأحكامه، كما أخبر سبحانه: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ ﴾.
٤١٣ - قيل في قوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ ﴾: صدقاً لمن مات على الإيمان، وعدلاً لمن مات على الشرك.

• ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ ... ﴾ ١٢٠

٤١٤ - سمي العلم حياة.

• ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ... ﴾ ١٢١

٤١٥ - لما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ قيل له: ما هذا الشرح؟ فقال: « إن النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح »، فقيل: فهل لذلك علامة؟ قال ﷺ: « نعم، التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله »^(١).

٤١٦ - إنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلأؤه، ومراد تزكيته حصول أنوار المعارف فيه، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾.

• ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ... ﴾ ١٢٢

٤١٧ - الغني: هو المسلوب عنه كل حاجة.

٤١٣ - الإحياء (١٤٨/١).

٤١٢ - المعارف العقلية (ص ٥٥).

٤١٤ - ميزان العمل (ص ٣٣٣).

٤١٥ - الإحياء (٩٣، ٩٢/١) و (٢٣٤/٤)، وكتاب الأربعين (ص ١٤٤، ١٤٥)، والمنقذ من الضلال (ص ٣٣٣).

٤١٦ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٩٧).

٤١٧ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ٦٥).

= قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاعه ن: المستدرك (٥٢٥/١) والمغني بهامش الإحياء (٤٩/٣).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث ابن مسعود (٣١١/٤).

• ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ...﴾ ﴿١١٨﴾
 ٤١٨ - ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ إباحة، وقوله بعده: ﴿وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾
 إيجاب.

٤١٩ - ﴿وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ الحق: هو العشر.
 ٤٢٠ - ﴿وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ يعرف منه وجوب الإتيان ووقته، وأنه حق
 في المال.

٤٢١ - ﴿وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ بين الوقت والمحل، وبقي المقدار مجملًا.
 • ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ...﴾ ﴿١١٩﴾
 ٤٢٢ - دل الكتاب على تحريم الخمر وخصص به قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا
 أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾؛ وإذ ظهر منه التعليل بالإسكار، فلو لم يرد خبر في
 تحريم كل مسكر لكان إلحاق النبيذ بالخمر بقياس الإسكار أغلب على الظن من بقائه
 تحت عموم قوله: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ وهذا أظهر من هذه الآية.

• ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ...﴾ ﴿١٢٠﴾
 ٤٢٣ - قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًا وقال: «هذا
 سبيل الله» ثم خط خطوطًا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال: «وهذه سبل على كل
 سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثم تلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا
 السُّبُلَ﴾ ^(١) لتلك الخطوط.

* سُورَةُ الْأَعْرَافِ *

• ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ...﴾ ﴿١﴾
 ٤٢٤ - هذا بظاهره يوجب الرجوع إلى الكتاب فقط، لكن دل الكتاب على اتباع

٤١٩ - نفسه (٣٤٠/١).

٤١٨ - المستصفى (٧١/٢).

٤٢١ - المنحول (ص ١٦٨).

٤٢٠ - نفسه (٣٧٦/١).

٤٢٣ - الإحياء (٣٤/٣).

٤٢٢ - المستصفى (١٣٣/٢).

٤٢٤ - المستصفى (٣٨٦/٢).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣١٨/٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

السنة، والسنة على اتباع الإجماع، والإجماع على القياس، وصار ذلك منزلاً، فهو المتبع دون أقوال العباد.

• ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِعَآيِنَتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾

٤٢٥ - وجهها: أن الله يحدث في صحائف الأعمال وزناً بحسب درجات الأعمال عند الله تعالى، فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب.

• ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَيشًا قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٥﴾﴾

٤٢٦ - فجعلها ^(١) ربك نعمة وطلب الشكر عليها.

• ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا يَنبَغُهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ... ﴿١٧﴾﴾

٤٢٧ - لأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه، قال الله تعالى إخباراً عن إبليس: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا يَنبَغُهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾.

٤٢٨ - قيل في تفسير قوله ﷻ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: أي: طريق مكة، يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها.

٤٢٩ - قال ﷻ إخباراً عن إبليس اللعين: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قيل: هو طريق الشكر.

• ﴿يَبْنِيْءَ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَءَ تَكْمُرٍ وَرِيثًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى... ﴿٢٠﴾﴾

٤٣٠ - قيل في قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَءَ تَكْمُرٍ﴾ يعني العلم ﴿وَرِيثًا﴾ يعني اليقين ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ يعني الحياء.

٤٢٦ - نفسه (٧٠/٢).

٤٢٨ - نفسه (٢٨٦/١).

٤٣٠ - نفسه (ص ٢٤).

٤٢٥ - الإحياء (١٣٦/١).

٤٢٧ - نفسه (٣١/٣).

٤٢٩ - نفسه (١٦/٤).

• ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ... ﴾ ٥٠

٤٣١ - معناه: الإبعاد، لا ما يفهم عن صيغة التعليق، فإنه يستحيل أن يطلب من المكلف ما لا يطيق.

• ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ٥١

٤٣٢ - قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « ينادي مناد يا أهل الجنة: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تياسوا أبدًا، فذلك قوله ﷻ: ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١).

• ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ... ﴾ ٥٢ (٢)

• ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ... ﴾ ٥٣

٤٣٣ - الإنسان من عالم الخلق من جانب، ومن عالم الأمر من جانب، فكل شيء يجوز عليه المساحة والمقدار والكيفية فهو من عالم الخلق... وعالم الأمر عبارة عن شيء من الأشياء لا يكون للمساحة والتقدير طريق إليه.

• ﴿ أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ٥٤

٤٣٤ - قيل معناه: التكلف للإسجاع.

• ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ٥٥

٤٣٥ - حيث أخبر تعالى بقرب رحمته من المحسنين، وقد قال ﷺ: « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه » (٣) فهو يفيد بعد رحمته من غير المحسنين.

٤٣١ - المنحول (١٥/١). ٤٣٢ - الإحياء (٥٧٠/٤).

٤٣٣ - كيمياء السعادة، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٥) (ص ١٢٦).

٤٣٤ - الإحياء (٣٦٣/١).

٤٣٥ - خلاصة التصانيف في التصوف، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ١٣٥).

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، كتاب الجنة (٢١٨٢/٤) حديث رقم (٢٨٣٧).

(٢) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴾ [طه: ٥].

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، حديث رقم (٥٠) ومسلم، كتاب الإيمان (٣٦/١، ٣٧) حديث رقم (١).

- ﴿ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ... ﴾ ٥٧
- ٤٣٦ - ﴿ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ ﴾ يعني: السحاب ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ يعني: الماء.
- ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ... ﴾ ٧٥
- ٤٣٧ - معناه: الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا.
- ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ ٨١
- ٤٣٨ - سميت اللواط: الإسراف.
- ﴿ أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ ٨٢
- ٤٣٩ - ربط عدم السماع بالطبع بالذنوب.
- ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ... ﴾ ٨٣
- ٤٤٠ - قيل في التفسير: سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم، وفي بعض التفاسير: سأحجب قلوبهم عن الملكوت، وقال ابن جريج^(١): سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا بها.
- ٤٤١ - قال [الحسن البصري]: أ منع قلوبهم التفكير في أمري.
- ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ... ﴾ ٨٤
- ٤٤٢ - الأغلال معنى الأوزار والأثقال.
- ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ ٨٥
- ٤٤٣ - فبين أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء، ويدل ذلك على الوجوب أيضًا.

٤٣٦ - الإحياء (٣٤٦/١).
 ٤٣٧ - نفسه (٣٤٣/١).
 ٤٣٨ - ميزان العمل (ص ٣١٧).
 ٤٣٩ - الإحياء (١٣/٣).
 ٤٤٠ - نفسه (٣٦٤/٣).
 ٤٤١ - نفسه (٤٥٠/٤).
 ٤٤٢ - فضائح الباطنية (ص ١١ ، ١٢).
 ٤٤٣ - الإحياء (٣٣٤/٢).

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، الإمام العلامة الحافظ شيخ الحرم، صاحب التصانيف، وأول من دوّن العلم بمكة، حدث عن عطاء ونافع وغيرهما، وحدث عنه الأوزاعي والسفيانان وغيرهم (ت ١٥٠ هـ).
 ن: تاريخ بغداد (٤٠٠/١٠) وفيات الأعيان (١٦٣/٣ ، ١٦٤) وسير أعلام النبلاء (٣٢٥/٦ ، ٣٢٦).

• ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا... ﴾ (١١٦)
 ٤٤٤ - أخبر عن النصارى؛ إذ قال الله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾، ومعناه: أنهم: ﴿ وَرِثُوا الْكِتَابَ ﴾ أي: هم علماء ﴿ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى ﴾ أي شهواتهم من الدنيا، حراماً كان أو حلالاً.
 • ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى... ﴾ (١١٧)

٤٤٥ - فالمراد: إقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة، فإنهم انقسموا في إقرار الألسنة؛ حيث وجدت الألسنة والأشخاص - إلى مقرٍّ وإلى جاحد.

٤٤٦ - فالمراد بإقرار نفوسهم: المعنى الذي أشرنا إليه من كونها موجودة بالقوة، دون إقرار الألسنة، فإنها لم تحصل من كلهم عند الظهور، بل من بعضهم.

٤٤٧ - الحياة الأولية (١) يوم أشهدهم على أنفسهم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾.

٤٤٨ - ﴿ بَلَى ﴾ لاستدراك النفي، ولو قال: نعم، لكان معناه نفي الإلهية.

• ﴿ وَآتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْفَاوِيسِ ﴾ (١١٨) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَشَلَاهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ... ﴾ (١١٩)

٤٤٩ - قال تعالى في قصة بلعام بن باعوراء: ﴿ وَآتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْفَاوِيسِ ﴾ حتى قال: ﴿ فَشَلَاهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ فكذلك العالم الفاجر. فإن بلعام أوتي كتاب الله تعالى فأخلد إلى الشهوات فشبه بالكلب، أي: سواء أوتي الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات.

٤٤٤ - الإحياء (٤٠٩/٣). ٤٤٥ - الإحياء (١٠٣/١).

٤٤٦ - ميزان العمل (ص ٣٣٥).

٤٤٧ - الدرر الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٦) (ص ١١٥).

٤٤٨ - المنحول من تعليقات الأصول (ص ٩٤). ٤٤٩ - الإحياء (٧٤/١).

(١) الإمام الغزالي يقسم الحياة إلى ثلاثة أنواع: هنالك الحياة الأولى، والحياة الثانية وهي حياة الأنفس، والحياة الثالثة هي الحياة بعد الحساب، ولا يعتد الإمام الغزالي بالحياة الدنيوية؛ لأنها مسخرة للتعليم، ن: الدرر الفاخرة في كشف علوم الآخرة ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي (٦) (ص ١١٥).

٤٥٠ - قال في بلعم بن باعوراء: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ حتى بلغ ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: أوتي بلعم كتاباً فأُخِلد إلى شهوات الأرض، أي سكن حبه إليها، فمثله بالكلب: ﴿إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ أي سواء آتيته الحكمة أو لم تؤته لا يدع شهوته.

٤٥١ - كان بحيث إذا نظر يرى العرش، وهو المعنى بقوله: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ ولم يكن منه إلا أنه مال إلى الدنيا وأهلها ميلة واحدة. فسلبه معرفته، وجعله بمنزلة الكلب المطرود فقال: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ فأوقعه في بحر الضلال والهلاك إلى الأبد، حتى سمعت بعض العلماء يقول: إنه كان أول أمره بحيث يكون في مجلسه اثنا عشر ألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه، ثم صار بحيث كان أول من صنف كتاب أن ليس للعالم صانع، نعوذ بالله من سخطه وعذابه العظيم، وفطيع خذلانه الذي لا طاقة لنا به. فانظر إلى خبث الدنيا وشؤمها ماذا تجلب للعلماء خاصة.

٤٥٢ - ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْفَاوِكِ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾

تقدير الكلام: إنا أنعمنا على هذا العبد بالنعم العظام، والأيادي الجسام في باب الدين، بما مكناه في ذلك من تحصيل الرتبة الكبيرة، والمنزلة الرفيعة على بابنا ويصير رفيعاً عندنا، عظيم القدر، كبير الجاه، ولكنه جهل قدر نعمتنا، فمال إلى الدنيا الخسيسة الحقيرة، وآثر شهوة نفسه الدنيئة الرديئة، ولم يعلم أن الدنيا كلها لا تزن عند الله أدنى نعمة من نعم الدين، ولا تساوي عنده جناح بعوضة، وكان في ذلك بمنزلة الكلب الذي لا يعرف الإكرام من الإهانة، والرفعة من الحقارة، وإنما الكرامة كلها عنده في كسرة يطعم، أو عراق مائدة يُرمى إليه، سواء تقعده على سرير معك أو تقيمه في التراب والقدر بين يديك، فهيمته وكرامته ونعمته كلها في ذلك.

فهذا العبد السوء إذا جهل قدر نعمتنا، ولم يعرف حق ما آتيناه من كرامتنا وكلت

٤٥٠ - الإحياء ٣/٣٨٣).

٤٥١ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ٢٥٩).

٤٥٢ - نفسه (ص ٣٢٧، ٣٢٨).

بصيرته، وساء في مقام القربة أدبه بالالتفات إلى غيرنا، والاشتغال عن ذكر نعمتنا، بدنيا حقيرة ولذة خسيسة، فنظرنا إليه نظر السياسة، وأحضرناه ميدان العدل وأمرنا فيه بحكم الجبروت فسلبناه جميع خلعتنا وكراماتنا، ونزعنا من قلبه معرفتنا، فانسلك عارياً عن جميع ما آتيناه من فضلنا، فصار كلباً طريداً، أو شيطاناً رجيماً، نعوذ بالله، ثم نعوذ بالله من سخطه وأليم عقابه، إنه رؤوف رحيم.

٤٥٣ - ﴿ وَلَئِكَنتُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعْتُ هَوْنِي ﴾ فكان الميل واتباع الهوى بقلبه، فحمله على ذلك الذنب المشؤوم بنفسه.

٤٥٤ - قال الله تعالى في بلعام بن باعوراء وهو من أكابر العلماء: ﴿ فَشَلُّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ الآية؛ لأنه أخلد إلى الشهوات.

• ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا... ﴾ (١٧١)

٤٥٥ - أراد به معاني الإيمان دون الفتاوى.

• ﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفَافِلُونَ ﴾ (١٧٢)

٤٥٦ - ﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ وإنما كانوا أضل؛ لأن الأنعام ليس في قوتها طلب درجة الملائكة، فتركها الطلب للعجز، وأما الإنسان ففي قوته ذلك، والقادر على نيل الكمال أخرى بالذم وأجدر بالنسبة إلى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال.

٤٥٧ - يتفاوت الناس في الأخذ من الملك تفاوتاً لا نهاية له، ومن الناس من لا يأخذ شيئاً، وهم المراد بقوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفَافِلُونَ ﴾.

• ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٧٣)

٤٥٨ - إنهم كلما أحدثوا ذنباً أحدث لهم نعمة ليزيد غرورهم.

٤٥٩ - أي نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر، كما قال الشاعر:

أحسنْتَ ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

٤٥٣ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ١٤٦). ٤٥٤ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١١٨).

٤٥٥ - الإحياء (٤٤/١). ٤٥٦ - نفسه (٢٨٠/٤).

٤٥٧ - معراج السالكين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (١) (ص ١٠٥).

٤٥٨ - الإحياء (٤٠٥/٣).

٤٥٩ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ٣٣٢، ٣٣٣).

• ﴿ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴾ ﴿٥٧﴾

٤٦٠ - معناه: خفيت على أهل السموات والأرض، والشيء إذا خفي ثقل، فأبدل اللفظ به وأقيم (في) مقام (على).

• ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ... ﴾ ﴿٥٨﴾

٤٦١ - بين أن كل ما سوى الله تعالى عبد مسخر، حاجته مثل حاجتكم فكيف يتوكل عليه؟

• ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ﴿٥٩﴾

٤٦٢ - قال النبي ﷺ: « يا جبريل ما هذا العفو؟ » فقال: إن الله تعالى يأمر أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك ^(١).

٤٦٣ - سأل رجل رسول الله ﷺ عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ثم قال ﷺ: « هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك » ^(٢).

٤٦٤ - ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ﴿٦٠﴾ معناه: تعفو من ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعرض عمن جهل عليك، وتحسن إلى من أساء إليك.

• ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ ﴿٦١﴾

٤٦٥ - فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر، وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا، فالتقوى باب الذكر، والذكر باب الكشف، والكشف باب الفوز الأكبر، وهو الفوز بقاء الله تعالى.

٤٦٦ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا ﴾ أي: رجعوا إلى

٤٦٠ - الإحياء (٣٤٤/١).

٤٦١ - نفسه (٢٦٠/٤).

٤٦٢ - نفسه (١٦٤ ، ١٦٣/٣).

٤٦٣ - نفسه (٥٤/٣).

٤٦٤ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ١١٧).

٤٦٥ - الإحياء (١٤/٣).

٤٦٦ - نفسه (٣٣/٣).

(١) لم أقف على تخريج لهذا الحديث بهذا اللفظ.

(٢) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن مردويه من حديث جابر وقيس بن سعد بن عبادة وأنس بأسانيد حسان.

ن: المغني بهامش الإحياء (٥٤/٣).

نور العلم، ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ أي ينكشف لهم الإشكال، فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الإذعان بتلبيسه بمتابعة الهوى، فيكثر فيه غلظه ويتعجل هلاكه وهو لا يشعر.

• ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا...﴾ ﴿١٦٤﴾

٤٦٧ - قيل: أراد به الخطبة، سمي قرآنًا لاشتغالها عليه، ولأنه يؤدي كلامهم إلى هتلمة ^(١) تمنع الأربعين من السماع.

• ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ ﴿١٦٥﴾

٤٦٨ - بين المراتب والأوقات، والذكر الخفي أجمل؛ إذ ليس فيه أذى لسامعه، وهو خالص عن الرياء والنفاق؛ مثل صوم السر وصدقته، والحث عليه كثير.

٤٦٩ - ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ نهي، وظاهره التحريم.

* سُورَةُ الْأَنْفَالِ *

• ﴿لَهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿١﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٢﴾

٤٧٠ - قوله ﴿لَهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿١﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴿٢﴾ فهذا الكلام غير متصل، وإنما هو عائد إلى قوله السابق: ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١]، ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾، أي: فصارت أنفال الغنائم لك؛ إذ أنت راضٍ بخروجك وهم كارهون، فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره.

٤٦٧ - الوسيط في المذهب (٧٥٤/٢).

٤٦٨ - سر العالمين وكشف ما في الدارين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٦) (ص ٧٦).

٤٦٩ - الإحياء (١٨٩/١). ٤٧٠ - الإحياء (٣٤٤/١، ٣٤٥).

(١) في اللسان: الهتلمة هي الكلام الخفي. (هتلم).

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى... ﴾ ١٧

٤٧١ - رمى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾.

٤٧٢ - وهو نفي للرمي وإثبات، ولكن ليست جهة النفي جهة الإثبات، فلم يتناقضا.

٤٧٣ - لو كذبت المتناقضات إذا اختلفت وجوه الاعتبارات لما صدق قوله تعالى:

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ ولكنه صادق لأن الرامي باعتبارين: هو منسوب إلى العبد بأحدهما، ومنسوب إلى الرب بالثاني فلا تناقض فيه.

٤٧٤ - هو جمع بين النفي والإثبات ظاهراً، ولكن معناه: وما رميت بالمعنى الذي

يكون الرب رامياً؛ إذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به رامياً؛ إذ هما معنيان مختلفان.

٤٧٥ - يدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال: وهو أن الله ﷻ قال:

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ فظاهره تفسير واضح وحقيقة معناه غامض،

فإنه إثبات للرمي ونفي له، وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم أنه رمى من وجه (١) ولم يرم من وجه، ومن الوجه الذي لم يرم رماه الله ﷻ.

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الَّذِينَ لَا يَعْقلُونَ ﴾ ١٨

٤٧٦ - الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وأبصارهم.

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا... ﴾ ١٩

٤٧٧ - قيل: نوراً يفرق به بين الحق والباطل، ويخرج به من الشبهات، ولذلك كان ﷺ

يكثّر من سؤال النور، فقال عليه الصلاة والسلام: « اللهم اعطني نوراً وزدني نوراً واجعل لي في قلبي نوراً وفي قبري نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً » حتى قال: « وفي شعري وفي بشري وفي لحمي ودمي وعظامي » (٢).

٤٧١ - الإحياء (٤١٦/٢).

٤٧٢ - معيار العلم في المنطق (ص ٩٩).

٤٧٣ - المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (ص ٥٥).

٤٧٤ - الإحياء (٢٧٣/٤).

٤٧٥ - نفسه (٣٤٦/١).

٤٧٦ - المعارف العقلية (ص ٩٧).

٤٧٧ - الإحياء (٢٦/٣).

(١) في الأصل المطبوع: وجهه، والصواب ما أثبتته.

(٢) متفق عليه، ن: صحيح البخاري، باب الدعاء إذا انتبه من الليل، حديث (٦٣١٦) وصحيح مسلم باب

الدعاء في صلاة الليل وقيامه (٥٢٥/١، ٥٢٦) حديث رقم (١٨١).

﴿ وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١٦٦)

٤٧٨ - قرن الله الاستغفار ببقاء الرسول ﷺ، فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ فكان بعض الصحابة يقول: « كان لنا أمانان: ذهب أحدهما: وهو كون الرسول فينا. وبقي الاستغفار معنا فإن ذهب هلكنا » (١).

﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ... ﴾ (١٦٧)

٤٧٩ - وإنما أراد بذي القربى: بني هاشم وبني المطلب دون بني أمية، وكل من عدا بني هاشم.

٤٨٠ - فمقتضى الآية صرف بعض إلى ذوي القربى من غير اعتبار حاجة، وقال أبو حنيفة رحمه الله: لا بد من اعتبار الحاجة منهم. وهذا منه بزعمه زيادة على النص، وهو نسخ. وهو باطل بمسلك مقطوع به؛ وهو أن الرب تعالى أضاف المال إلى الجهات بلام التملك وعرف كل فريق، وجعل القرابة مستند تعريف إحدى الفرق، ولم يتعرض للحاجة، وأبو حنيفة رحمه الله تعرض للحاجة التي تعرض لها، وألغى اعتبار القرابة وهو مصرح بها؛ إذ قال: لا يتعين صرف شيء إليهم، بل يجوز حرمانهم. وفي هذا المذهب إبطال النص بالكلية.

قال القاضي في نصرة تأويلهم: فائدة ذكر ذوي القربى تمييز الغنيمة في حقهم عن الصدقات؛ إذ كانت محرمة عليهم، وكان هذا منحة في مقابلة ذلك المنع، وفقراؤهم ممنوعون عن الصدقات، فكانت المنحة لهم. ثم قال: وهذا الوجه أيضا فاسد. فإنه أضاف المال إليهم بلام التملك، فاقترض اللفظ كما ذكرناه قسمة المال عليهم، وأبو حنيفة رحمه الله جوز حرمانهم فلم يغادر للقسمة فائدة.

٤٧٨ - الإحياء (٤٩/٤). ٤٧٩ - المستصفى (٣٧١/١).

٤٨٠ - المنحول من تعليقات الأصول (ص ١٩٥، ١٩٦).

(١) عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: « أنزل الله عليّ أمانين لأمتي: ﴿ وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة » قال الترمذي: هذا حديث غريب، وفيه إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر يضعف في الحديث، ن: أبواب تفسير القرآن (٣٣٤/٤) حديث رقم (٥٠٧٧).

نعم لو كان يرى المنع من حرمانهم لكان يقرب ذلك، وأما اليتيم فلا تعتبر معه الحاجة على قول، فإن سلم فلفظ اليتيم مشعر بها دون لفظ القرابة.

٤٨١ - قال أبو حنيفة: تعتبر الحاجة مع القرابة، ثم جَوَّز حرمان ذوي القربى. فقال أصحاب الشافعي رحمهم الله: هذا تخصيص باطل لا يحتمله اللفظ لأنه أضاف المال إليهم بلام التملك وعرف كل جهة بصفة وعرف هذه الجهة في الاستحقاق بالقرابة، وأبو حنيفة ألغى القرابة المذكورة، واعتبر الحاجة المشروكة، وهو مناقضة للفظ لا تأويل، وهذا عندنا في مجال الاجتهاد وليس فيه إلا تخصيص عموم لفظ ذوي القربى بالمحتاجين منهم كما فعله الشافعي على أحد القولين في اعتبار الحاجة مع اليتيم في سياق هذه الآية، فإن قيل: لفظ اليتيم ينبئ عن الحاجة، قيل: فلم لا يحمل عليه قوله: لا تنكح اليتمية حتى تستأمر؟ فإن قيل: قرينة إعطاء المال هي التي تنبه على اعتبار الحاجة مع اليتيم، فله هو أن يقول: واقتران ذوي القربى باليتامى والمساكين قرينة أيضاً، وإنما دعا إلى ذكر القرابة كونهم محرومين عن الزكاة حتى يعلموا أنهم ليسوا محرومين من هذا المال، وهذا تخصيص لو دل عليه دليل فلا بد من قوله فليس ينبو عنه اللفظ نبوة حديث النكاح بلا ولي عن الكتابة.

- ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١١)
- ٤٨٢ - ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أراد به التخاذل عن نصره الدين.
- ٤٨٣ - وعد الصابرين بأنه معهم فقال: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.
- ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١٢)
- ٤٨٤ - أي عزيز لا يذل من استجار به، ولا يضيع من لاذ بجناحه والتجأ إلى ذمامه (١) وحمّاه، وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره.
- ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ...﴾ (١٣)
- ٤٨٥ - لا يناقض امثال التوكل.

٤٨١ - المستصفى (٤٠٧/١ - ٤٠٩) .

٤٨٢ - نفسه (٢٦٢/٢) .

٤٨٣ - الإحياء (٦٤/٤) .

٤٨٤ - نفسه (٢٦٠/٤) .

٤٨٥ - نفسه (٣٣٣/٣) .

(١) الذمام: الذمامة: الحرمة، ن: اللسان: (ذم) .

• ﴿ مَا كَانَتْ لِيَنِّي أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُتَخَيَّرَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٧)

٤٨٦ - قال ﷺ في قصة أسارى بدر؛ حيث نزلت الآية على وفق رأي عمر: « لو نزل بلاء من السماء ما نجا منه إلا عمر » (١).

* سُورَةُ التَّوْبَةِ *

• ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ... ﴾ (٢٠)

٤٨٧ - يخرج من قوله: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ أهل الذمة مرة، والعسيف (٢) مرة، والمرأة مرة أخرى، وكذلك على التدرج والإحالة في شيء من ذلك.

• ﴿ قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ... ﴾ (١١)

٤٨٨ - يدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال؛ قال تعالى: ﴿ قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ فإن كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله سبحانه هو المعذب؟ وإن كان الله تعالى هو المعذب بتحريك أيديهم فما معنى أمرهم بالقتال؟

وحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغني عنه ظاهر التفسير وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة الحادثة، ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله ﷻ حتى ينكشف بعد إيضاح أمور كثيرة غامضة، صدق قوله ﷻ: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال: ١٧] ولعل العمر لو أنفق في استكشاف أسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقضى العمر قبل استيفاء جميع لواحقه، وما من كلمة من القرآن إلا وتحقيقها محوج إلى مثل ذلك، وإنما ينكشف للراسخين في العلم من أسرارهم بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب، ويكون لكل واحد حد الترقى إلى درجة أعلى منه. فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مداً والأشجار أقلاماً، فأسرار كلمات الله لا نهاية لها، فتتفد الأبحر قبل أن تنفذ

٤٨٧ - المستصفى (٣٨٢/١) .

٤٨٦ - المستصفى (٢٦٩/١) .

٤٨٨ - الإحياء (٣٤٦/١) .

(١) رواه الترمذي في صحيحه، أبواب التفسير (٣٣٥/٤)، حديث رقم (٥٠٨٠) .

(٢) العسيف: الأجير المستهان به، ن: اللسان (عسف) .

كلمات الله ﷻ.

فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير، وظاهر التفسير لا يغني عنه.

٤٨٩ - ﴿ قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ فأضاف القتل إليهم والتعذيب إلى نفسه، والتعذيب هو عين القتل، بل صرح وقال تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ [الأنفال: ١٧].

• ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ... ﴾ (٢١) الآية.

٤٩٠ - أجرى ذلك في معرض التهديد والإنكار.

• ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ (٢٥)

٤٩١ - لما اتكل أصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين على قوتهم وكثرتهم، ونسوا فضل الله تعالى، وقالوا: لا نغلب اليوم من قلة (١) وكلوا إلى أنفسهم فقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾.

• ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ... ﴾ (٢٨)

٤٩٢ - تنبيهًا للعقول على [أن] (٢) الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر بالحس، فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر، أي باطنه ملطخ بالخبائث.

٤٩٠ - نفسه (٣١٢/٤).

٤٨٩ - الإحياء (٢٧٣/٤).

٤٩٢ - نفسه (٦٢/١).

٤٩١ - نفسه (٣٩٤/٣).

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة من رواية الربيع بن أنس مرسلاً: أن رجلاً قال يوم حنين: « لن نغلب اليوم من قلة، فشق ذلك على رسول الله ﷺ فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ فقالوا: اليوم نقاتل ففروا » وفيه الفرج بن فضالة ضعفه الجمهور، ن: المغني بهامش الإحياء (٣٩٤/٣).

(٢) ساقط في الأصل المطبوع، والكلام بغيره لا يستقيم.

والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه، وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب، فإنها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل.

٤٩٣ - نبه على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورتين على الظاهر؛ ولذلك قال عليه السلام: « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب » ^(١) والقلب منزل الملائكة ومحل نظرهم ومصيب أثرهم، والصفات الردية كلاب مانعة.

• ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾

٤٩٤ - ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ٥] يخصص قوله تعالى: ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ ﴾ بأهل الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ ﴾ مخصص لقوله تعالى: ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ بأهل الحرب من غير افتقار إلى دليل آخر.

• ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ﴿٣٧﴾

٤٩٥ - شدد الوعيد على المقصرين في الزكاة فقال: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ومعنى الإنفاق في سبيل الله إخراج حق الزكاة.

قال الأحنف بن قيس ^(٢): كنت في نفر من قريش فمر أبو ذر فقال: بشر الكانزين بكئي في ظهورهم يخرج من جنوبهم، وبكئي في أقفائهم يخرج من جباههم. وفي رواية: إنه يوضع على حلمة ثدي أحدهم فيخرج من نغض ^(٣) كتفيه، ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل، وقال أبو ذر: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو

٤٩٤ - المنحول من تعليقات الأصول (٤٣٦) .

٤٩٣ - ميزان العمل (٣٤٢) .

٤٩٥ - الإحياء (٢٤٥/١) .

(١) رواه البخاري ومسلم، ن: كتاب بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء (٨٢/٤) . وصحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، الحديث رقم (٢١٠٦) .

(٢) الأحنف بن قيس: تابعي، وهو ابن معاوية بن حطين الأمير الكبير العالم النبيل، حدث عن عمر وعلي وأبي ذر وغيرهم، وعنه الحسن البصري وعروة بن الزبير وآخرون، وهو قليل الرواية (ت ٦٧هـ)، ن: شذرات الذهب (٧٨/١)، وسير أعلام النبلاء (٨٦/٤) .

(٣) هو فرع الكتف، قيل له: ناغض لتحركه، وأصل النغض الحركة، ن: اللسان (نغض) .

جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال: « هم الأخسرون ورب الكعبة »، فقلت: ومن هم؟ قال: « الأكثرون أموالاً، إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم، ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما نفدت أخراها عادت عليه أولها حتى يقضي بين الناس »^(١).

٤٩٦ - في حديث عمر رضي الله عنه أنه قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْزُبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ قال عليه السلام: « تَبًّا لِلدُّنْيَا تَبًّا لِلدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ » فقلنا: يا رسول الله نهانا الله عن كنز الذهب والفضة، فأبي شيء ندخر؟ فقال عليه السلام: « ليتخذ أحدكم لساناً ذاكرًا وقلبًا شاكراً وزوجة صالحة تعينه على أمر آخرته »^(٢).

• ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾
٤٩٧ - قال قوم: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ نص في التشريك؛ فالصرف إلى واحد إبطال له، وليس كذلك عندنا، بل هو عطف على قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا ... ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ يعني: أن طمعهم في الزكاة مع خلوهم عن شرط الاستحقاق باطل، ثم عدد شروط الاستحقاق لبيان مصرف الزكاة ومن يجوز صرف الزكاة إليه.

٤٩٨ - تخيل أبو حنيفة رضي الله عنه سد الحاجة من قوله: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ ومصيره إلى جواز صرفه إلى صنف واحد، وهذا التأويل باطل بمسلكين:

٤٩٧ - المستصفى (٣٩٩/١).

٤٩٦ - الإحياء (٢٣٧/٤).

٤٩٨ - المنحول (١٩٤).

(١) حديث أبي ذر: « انتهيت إلى النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال: هم الأخسرون ورب الكعبة... الحديث » أخرجه البخاري ومسلم، ن: صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبي ﷺ؟ حديث رقم (٦٦٣٦)، وصحيح مسلم كتاب الزكاة (٢٨٦/٢) حديث رقم (٩٩٠).
(٢) أخرجه ابن ماجه دون قوله: « تَبًّا لِلدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ » كتاب النكاح (٥٩٦/١) حديث رقم (١٨٥٦). وقال الحافظ العراقي والزيادة رواها الطبراني في الأوسط، وهو من حديث ثوبان، وإنما قال المصنف: إنه حديث عمر؛ لأن عمر هو الذي سأل النبي ﷺ: أي المال يتخذ؟ كما في رواية ابن ماجه، وكما رواه البزار من حديث ابن عباس، ن: المغني بهامش الإحياء (٢٣٧/٤).

أحدهما: وهو أنه تعالى ذكر الأصناف وجنسهم، ووصفهم بصفاتهم التي يتميزون بها عما عداهم، ثم أضاف المال إليهم بلام التمليك، فاقتضى ذلك توزيع المال عليهم؛ إذ تعريف الأصناف بصفاتهم كتعريف الأشخاص بألقابهم، ولو أضاف إلى أشخاص معينين وجب صرفها إلى جميعهم.

هذا مع أن الصدقات مال يتكرر وجوبها على الأغنياء، جعل مناطاً لحاجات الفقراء دون الكفارات التي لا تجب إلا عند ارتكاب جرائم، وليس لفظ الصدقات متناولاً لأنواع حتى يتخيل توزيع الأنواع على الأجناس مع اختصاص كل نوع بكل جنس، كقولك: «الدار والفرس لزيد وعمرو» فلا حاجة إلى تخيل التوزيع.

فإن قيل: سد الخلّة متخيل، وذكر الأصناف فائدته ضبط جهات الحاجة المدعى سدها. قلنا: يبطل بقول الموصي: أوصيت ثلث مالي للفقراء والمساكين، وعد الأصناف الثمانية، يصرف إليهم، وتخيّل غرض سد الحاجة ممكن، ولكن قيل: أضاف إليهم بلام التمليك، فينقض عليهم.

قالوا: قول الشارع عليه السلام يقبل التخصيص بالقياس دون قول الموصي وأقوالنا، وعلى هذا لو خصص المعلن علته بعد الانتقاض لم يقبل منه. قلنا: المفهوم من كلام النبي عليه السلام متبع كالمفهوم من كلامنا، ولا يخصص العام منها إلا بقرينة.

إلا أن لفظ الشارع عليه السلام إذا عارضه قانون في القياس كان طرده على الظن أقرب من فهم العموم، فيكون قرينة في فهم التخصيص.

ولا قياس يقتضي الحرمان في مسألتنا.

وأقوالنا يتطرق إليها التخصيص، بدليل تخصيص لفظ الدراهم من المقر والموصي لثلثه.

فأما المعلن فإنما يتصدى ليدي العلة، فإذا ورد عليه نقض فذلك لعدم ذكره كل العلة، وشطر العلة لا يكون علة. فقرينة حاله قضى عليه بذلك.

المسلك الثاني: وهو الجواب عن سؤالهم، وهو أن نقول: مراعاة سد الخلّات مع مراعاة جملة الجهات ممكنة، ولا يبعد أن تكون مراعاة الجهات مقصودة، فقد تعارضت الاحتمالات، فمطابقة الظاهر أولى من تركه.

٤٩٩ - إن استيعاب الأصناف واجب، وعليه يدل ظاهر قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ الآية. فإنه يشبه قول المريض: إنما ثلث مالي للفقراء والمساكين، وذلك يقتضي التشريك في التملك. والعبادات يجب أن يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر، وقد عدم من الثمانية صنفان في أكثر البلاد: وهم المؤلفون قلوبهم والعاملون على الزكاة، ويوجد في جميع البلاد أربعة أصناف: الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون - أعني أبناء السبيل - وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون البعض: وهم الغزاة والمكاتبون. فإن وجد خمسة أصناف مثلاً قسم بينهم زكاة ماله بخمسة أقسام متساوية أو متقاربة وعين لكل نصف قسم، ثم قسم كل قسم ثلاثة أسهم فما فوقه إما متساوية أو متفاوتة، وليس عليه التسوية بين آحاد الصنف - فإن له أن يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد، وأما الأصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان، فلا ينبغي أن ينقص من كل صنف عن ثلاثة إن وجد، ثم لو لم يجب إلا صاع للفطرة ووجد خمسة أصناف فعليه أن يوصله إلى خمسة عشر نفراً، ولو نقص منهم واحد مع الإمكان غرم نصيب ذلك الواحد، فإن عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليشارك جماعة ممن عليهم الزكاة وليخلط مال نفسه بمالهم وليجمع المستحقين وليسلم إليهم حتى يتساهموا فيه، فإن ذلك لا بد منه.

٥٠٠ - بيان الأصناف الثمانية:

الصنف الأول: الفقير: وهو الذي لا يملك شيئاً أصلاً ولا يقدر (ح) على كسب يليق بمروءته، أو كان يقدر على كسب ولكنه يمنعه الاشتغال به عن التفقه وهو متفقه، وإن كان يمنعه عن استغراق الوقت بالعبادات فلا يعطى سهم الفقراء، ولا يشترط الزمانة (١) ولا التعفف عن السؤال في استحقاق هذا السهم على الجديد (و).
والمكفي بنفقة أبيه هل يعطى؟ فيه وجهان، ولا يجوز للأب إعطاؤه قطعاً؛ لأنه يدفع النفقة عن نفسه، والمكفية بنفقة زوجها لا تعطى على أظهر الوجهين؛ لأن نفقتها كالعوض.
الثاني: المسكين، وهو كل من لا يملك قدر كفايته، وإن ملك شيئاً وقدر على الكسب، والفقير أشد حالاً منه (ح و م).

الثالث: العامل على الزكاة كالساعي والكاتب والقسام والحاشر^(١) والعريف^(٢)، أما القاضي فرزقه من خمس الخمس؛ لأن عمله عام، وأجرة الكيال على المالك في أحد الوجهين.

الرابع: المؤلفة قلوبهم، ولا يجوز أن يعطى هذا السهم لكافر تألف على الإسلام؛ إذ لا صدقة لكافر، أما المسلم إذا كان ضعيف النية في الإسلام، فهل يتألف تقريراً له عليه بإعطاء مال؟ فيه قولان، وكذا من له نظراء في الكفر ينتظر في إعطائه إسلامهم. أحد القولين: أنهم لا يعطون لاستغناء الإسلام عن التألف.

الثاني: نعم، تأسيساً برسول الله ﷺ، وعلى هذا فقولان:

أحدهما: أنه يعطى من المصالح، والثاني: من الزكاة؛ إذ هو المراد بالمؤلفة، وأما من يتألف على الجهاد مع الكفار أو مع مانعي الزكاة، إن كان تألفهم بمال أهون على الإمام من بعث جيش لقربهم من المقصودين بالقتال فهؤلاء يعطون قطعاً، وفي محله أربعة أوجه، وقيل قولان:

أحدهما: أنه من المصالح، والثاني: من سهم المؤلفة، والثالث: من سهم سبيل الله فإنه تألف على الجهاد، والرابع: (و) إن رأى الإمام أن يجمع بين سهم المؤلفة وسهم سبيل الله فعل.

الخامس: الرقاب، فيصرف ثمن الصدقات على المكاتبين (م) العاجزين عن النجوم^(٣)، وطريقة الصرف إلى السيد بإذن المكاتب، والصرف إلى المكاتب بغير إذن السيد جائز أيضاً، ويجوز إعطاؤه قبل حلول النجم على أظهر الوجهين، فإن أعطيناه فاستغنى عنه بتبرع السيد بإعتاقه أو بتبرع غيره استرد على الصحيح (و)، إلا إذا تلف قبل العتق فلا يغرم (و)، وإن صرف إلى سيده فرده إلى الرق لعجزه ببقية النجوم يسترد (و).

السادس: الغارم، والديون ثلاثة: دين لزمه بسبب نفسه فيقضى من الصدقات بشرط أن يكون معسراً (و)، وسبب الاستقراض مباحاً، فإن كان معصية وهو مصر لا يعطى، وإن كان تائباً أعطي على أحد الوجهين. الثاني: ما لزم بسبب حمالة^(٤) تبرع بها تطفئة، لثائرة فتنة فيقضى دينه، وإن كان موسراً (ح) إلا إذا كان غنياً بالنقد ففيه وجهان. الثالث: دين

(١) الحاشر: الجامع، حشر الإبل: جمعها، ن: اللسان (حشر).

(٢) العريف: القيم والسيد لمعرفته بسياسة القوم، وهو النقيب دون الرئيس، والجمع عرفاء، ن: اللسان (عرف).

(٣) النجوم: وظائف الأشياء، وكل نجم نجم، والنجم: الوقت المضروب، ن: اللسان (نجم).

(٤) الحمالة: ما يتحمل الإنسان عن غيره من دية أو غرامة مثل أن تقع حرب بين فريقين تسفك فيها الدماء، =

الضامن فإن كانا معسرين - أعني الأصيل والكفيل - قضي، وإن كانا موسرين أو كان المضمون عنه موسراً فوجهان: أحدهما: نعم كالحمالة، والثاني: لا إذ صرفه إلى الأصيل ممكن وبه يحصل براءة الضامن.

السابع: سهم سبيل الله، والمراد به المتطوعة من الغزاة الذين لا يأخذون من الفيء، فأما من يأخذ من الفيء واسمه في الديوان فلا يصرف إليه الصدقة، والغازي يعطى وإن كان غنيًا.

الثامن: ابن السبيل، وهو الذي شخص (ح م) من بلد ليسافر أو اجتاز به، يصرف إليه سهم إن كان معسرًا بشرط ألا يكون السفر معصية، فهؤلاء هم المستحقون بشرط أن لا يكون الموصوف بصفة من هذه الصفات كافرين، ولا من المرتزقة ثابت الاسم في الديوان، ولا هاشميًا، فالصدقة محرمة على هؤلاء، وفي الهاشمي وجهان.

• ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ...﴾ (٧١)

٥٠١ - نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فالذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية.

• ﴿وَمَسْكِنَ طَيْبَةً فِي جَنَّتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ...﴾ (٧٢)

٥٠٢ - رفع الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة؛ حيث قال: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] فكما أن مشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة، فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة، بل هو غاية مطلب سكان الجنان.

٥٠٣ - يقول الله تعالى: إني عنكم راضٍ، فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: من النعيم الذي هم فيه.

• ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧٣) فَلَمَّا ءَاتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٤﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ

يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٥٠٤﴾

٥٠٤ - روي عن أبي أمامة الباهلي ^(١): أن ثعلبة بن حاطب قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا، قال: « يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه » قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا، قال: « يا ثعلبة أما لك في أسوة؟ أما ترضى أن تكون مثل نبي الله تعالى؟ أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهبًا وفضة لسارت » قال: والذي بعثك بالحق نبيا لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه، ولأفعلن ولأفعلن، قال رسول الله ﷺ: « اللهم ارزق ثعلبة مالا » فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها، فنزل واديا من أوديتها، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع ما سواها، ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الجماعة إلا الجمعة، وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة، وطفق يلقي الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار في المدينة. وسأل رسول الله ﷺ فقال: « ما فعل ثعلبة بن حاطب؟ » فقل: يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة، وأخبر بأمره كله، فقال: « يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة » قال: وأنزل الله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣] وأنزل الله تعالى فرائض الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلا من جُهينة ورجلا من بني سليم على الصدقة، وكتب لهما كتابا بأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجوا فيأخذا من المسلمين، وقال: « مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان - رجلا من بني سليم - وخذا صدقاتهما » فخرجا حتى أتيا بثعلبة، فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله ﷺ فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا جزية، إلا أخت الجزية! انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا، فانطلقا نحو السلمي فسمع بهما فقام إلى خيار أسنان إبله فعزلهما للصدقة، ثم استقبلهما بها، فلما رأوها قالوا: لا يجب عليك ذلك وما نريد أن نأخذ هذا منك، قال: بلى خذوها، فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسألاه الصدقة، فقال: أروني كتابكما، فنظر فيه فقال: هذه أخت الجزية!

(١) هو أبو أمامة صدي بن عجلان بن والبة الباهلي الصحابي الجليل، روى عنه خالد بن سعدان وأبو إدريس الخولاني، وكان من عباد الصحابة وزهادهم (ت ٢١ هـ)، ن: تهذيب الأسماء (١٧٦/٢) وسير أعلام النبلاء (٣٥٩/٣) .

انطلقا حتى أرى رأيي، فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ فلما رآهما قال: « يا ويح ثعلبة » قبل أن يكلماه ودعا للسليمي، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السليمي فأنزل الله تعالى في ثعلبة: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٧٥) فَلَمَّا ءَاتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة، فسمع ما أنزل الله فيه، فخرج حتى أتى ثعلبة فقال: لا أم لك يا ثعلبة! قد أنزل الله فيك كذا، فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته فقال: « إن الله منعني أن أقبل منك صدقك » فجعل يحثو التراب على رأسه، فقال رسول الله ﷺ: « هذا عملك أمرتك، فلم تطعني » فلما أبى أن يقبل منه شيئا رجع إلى منزله، فلما قبض رسول الله ﷺ جاء بها إلى أبي بكر الصديق ؓ فأبى أن يقبلها منه، وجاء بها إلى عمر بن الخطاب ؓ فأبى أن يقبلها منه، وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان ؓ (١).

٥٠٥ - قال مجاهد: رجلان خرجا على الملاء من الناس قعود فقالا، إن رزقنا الله تعالى مالا لتصدقن فبخلا به، فنزلت: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٧٥) فَلَمَّا ءَاتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾. فجعل العزم عهدا، وجعل الخلف فيه كذبا، والوفاء به صدقا.

• ﴿ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ... ﴾ (٧٨)

٥٠٦ - قوله ﷺ في قوله ﷻ: ﴿ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ « أنا أزيد على السبعين » (٢).

٥٠٥ - الإحياء (٤١٢/٤).

٥٠٦ - المنحول من تعليقات الأصول (ص ٢١١، ٢١٢).

(١) حديث أبي أمامة بطوله أخرجه الطبراني بسند ضعيف. وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره، ورواه ابن أبي حاتم، ن: تفسير ابن كثير (٤٥٥/٢)، ون: المغني بهامش الإحياء (٢٨٧/٣).

(٢) الحديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري ومسلم، ولفظ البخاري: عن ابن عمر ؓ: « لما توفي عبد الله ابن أبي » جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ، فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، ثم سأله أن يصلي =

ما نقل في آية الاستغفار كذب قطعاً^(١)؛ إذ الغرض منه التناهي في تحقيق اليأس من المغفرة، فكيف يظن برسول الله ﷺ ذهوله عنه؟

٥٠٧ - ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ فقال ﷺ: «لأزيدن على السبعين» فهذا يدل على أن حكم ما عدا السبعين بخلافه، والجواب من أوجه:

الأول: أن هذا خبر واحد لا تقوم به الحجة في إثبات اللغة، والأظهر أنه غير صحيح^(٢)؛ لأنه ﷺ أعرف الخلق بمعاني الكلام، وذكر السبعين جرى مبالغة في اليأس وقطع الطمع عن الغفران؛ كقول القائل: اشفع أو لا تشفع وإن شفعت لهم سبعين مرة لم أقبل منك شفاعتك.

الثاني: أنه قال: «لأزيدن على السبعين» ولم يقل ليغفر لهم، فما كان ذلك لانتظار الغفران بل لعله كان لاستمالة قلوب الأحياء منهم لما رأى من المصلحة فيهم ولترغيبهم في الدين، لا لانتظار غفران الله تعالى للموتى مع المبالغة في اليأس وقطع الطمع.

الجواب الثالث: أن تخصيص نفي المغفرة بالسبعين أدل على أن جواز المغفرة بعد السبعين، أو على وقوعه، فإن قلتم على وقوعه فهو خلاف الإجماع، وإن قلتم على جوازه فقد كان الجواز ثابتاً بالعقل قبل الآية، فانتفى الجواز المقدر بالسبعين، والزيادة ثبت جوازها بدليل العقل لا بالمفهوم.

• ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا...﴾ (١٣٧)

٥٠٨ - لا يدل على وجوب الأداء بمجرد الأداء بمجرد على الأمة، وربما ظن ظان أنه

٥٠٨ - نفسه (١٣/٢).

٥٠٧ - المستصفى (١٩٥/٢، ١٩٦).

= عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما خيرني الله فقال: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ وسأزيده على السبعين» قال: إنه منافق. قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تُقِمَّ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤]. كتاب التفسير باب ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ...﴾ حديث (٤٦٧٠)، وصحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث رقم (٢٧٣٤).

(١) ن: النص التفسيري الذي بعده.

(٢) قال محقق المنحول: محمد حسن هيتو: «قال ابن السبكي في رفع الحاجب (٢/ق ١٠٤ ب): والحديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم فلا يغرنك قول الغزالي: «الأظهر أن هذا الخبر غير صحيح» فإنه تلقاه من إمام الحرمين، والإمام تلقاه من القاضي، ولو علموا أنه في الصحيحين لما قالوا ذلك، على أن عبارة القاضي في التقريب: هذا الخبر من أخبار الآحاد التي لا نعلم ثبوتها، فلا حجة فيه، يعني في المسائل الأصولية على عادته في تطلب القواطع، ن: هامش المنحول (ص ٢١٢).

يدل على الوجوب وليس الأمر كذلك، لكن دلّ الشرع على أن أمر النبي - عليه الصلاة والسلام - واجب الطاعة وأنهم لو كانوا مأذونين في المنع لكان ذلك تحقيراً للنبي ﷺ وتنفيراً للأمة عنه، وذلك يغض من قدره ويشوش مقصود الشرع.

٥٠٩ - لغة العرب منقسمة إلى حقيقة ومجاز، فالزكاة من حيث الصورة تنقيص، ومن حيث المعنى نمو وزيادة، قال الله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ والتطهير والتزكية وصفان من طرف التخلية والتحلية من قسمي الصفات المذمومة والمحمودة لحقيقة القلب، قال ﷺ: « ما نقص مال من صدقة » ^(١) ويضاعف له من الوفر في العاجل، ومن الأجر في الآجل، زكاة وزيادة فيعمه معها النقص الخالص، ويشهد نموها في ماله قوله ﷺ: « ما لك من مالك إلا ما أكلت فأفريت أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت » ^(٢) فسمي باقياً لا فانياً، فثبت بهذا أن هذا الاسم بمعنى النمو حقيقة فيها في عالم الحقائق، وقد جاءت الشريعة بالحقيقة والمجاز، وكلاهما في لغة العرب.

• ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾

٥١٠ - لما نزل قوله تعالى: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ قال رسول الله ﷺ لأهل قباء: « ما هذه الطهارة التي أثنى الله بها عليكم؟ » قالوا: كنا نجتمع بين الماء والحجر ^(٣).

• ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ... ﴾

٥١١ - وذلك الجهاد، وهو مسامحة بالمهجة شوقاً إلى لقاء الله ﷻ والمسامحة بالمال أهون.

٥١٢ - إن من قوي يقينه يبيع نفسه وماله، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ

٥٠٩ - الإحياء (١٥٧/١) والوسيط في المذهب (٤٠٣/١).

٥١٠ - مدخل السلوك إلى منازل الملوك (ص ٥٤، ٥٥).

٥١١ - الإحياء (٢٥٣/١).

٥١٢ - الإحياء (٢٣١/٤).

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة ؓ بلفظ: « ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » كتاب البر والصلوة والآداب (٢٠٠١/٤) حديث رقم (٦٩).

(٢) رواه النسائي في سننه كتاب الوصايا (٢٣٨/٦).

(٣) قال الحافظ العراقي: أخرجه البزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف، ورواه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي أيوب وجابر وأنس في الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر (الحجر) وقول النووي تبعاً لابن الصلاح: « إن الجمع بين الماء والحجر في أهل قباء لا يعرف » مردود بما تقدم، ن: المغني بهامش الإحياء (١٥٧/١).

الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴿١١٠﴾ ثُمَّ يَنْبَغِي أَنْ صَفَقْتَهُمْ رَابِحَةً فَقَالَ تَعَالَى:
﴿ فَاسْتَبَشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ﴾ [التوبة: ١١١]

• ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا
إِلَيْهِمْ ... ﴾

٥١٣ - الطائفة نفر يسير كالثلاثة، ولا يحصل العلم بقولهم^(١). وهذا فيه نظر؛ لأنه إن كان قاطعاً فهو في وجوب الإنذار لا في وجوب العمل على المنذر عند اتحاد المنذر، كما يجب على الشاهد الواحد إقامة الشهادة لا ليعمل بها وحدها لكن إذا انضم غيرها إليها.
٥١٤ - ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ هذا لا يدل على الوجوب في حق كل واحد على التعيين.

٥١٥ - ﴿ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾ والمراد هو التعليم والإرشاد.

• ﴿ فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا ... ﴾

٥١٦ - قال ﷺ فيما يروى في بعض الأخبار: « الإيمان يزيد وينقص »^(٢) وذلك بتأثير الطاعات في القلب، وهذا لا يدركه إلا من راقب أحوال نفسه في أوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور وإدراك التفاوت في السكون إلى عقائد الإيمان في هذه الأحوال، حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك، بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة إذا عمل بموجب اعتقاده فمسح رأسه وتلطف به أدرك من باطنه تأكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل، وكذلك معتقد التواضع إذا عمل بموجبه عملاً مقبلاً أو ساجداً لغيره أحس من قلبه بالتواضع عند

٥١٤ - نفسه (١٥/٢).

٥١٣ - المستصفى (١٥٢/١).

٥١٦ - نفسه (١٤٣/١).

٥١٥ - الإحياء (٢٠/١).

(١) أورد الإمام الغزالي هذا النص ردّاً على من ينفي خبر الواحد. ن: المستصفى (١٤٨/١).

(٢) رواه ابن ماجه بهذا اللفظ عن أبي هريرة وابن عباس من قولهما (المقدمة حديث (٧٤)) (٢٨/١).

ورواه ابن ماجه أيضاً من طريق آخر عن أبي الدرداء بلفظ: « الإيمان يزداد وينقص » حديث (٧٥).

وقال الحافظ العراقي تعليقاً على الرواية التي أوردها الغزالي: أخرجه ابن عدي في الكامل وأبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي هريرة، وقال ابن عدي: باطل فيه محمد بن أحمد بن حرب الملحي يعتمد الكذب، وهو عند ابن ماجه موقوف على أبي هريرة وابن عباس وأبي الدرداء، ن: المغني بهامش الإحياء (١٤٣/١).

إقدامه على الخدمة.

وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثم يعود أثر الأعمال عليها فيؤكدها ويزيدها.

• ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٥١٧﴾﴾

٥١٧ - قيل: يفتنون بأمراض يُختبرون بها.

* سُورَةُ يُونُسَ *

• ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿٥١٨﴾﴾

٥١٨ - أوجد الله سبحانه النفس لامتحان الآدمي، ولو أوجدها مبرأة من المادة لم يكن منها عصيان، فجعلها في مادة، كما قال تعالى: ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

• ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ... ﴿٥١٩﴾﴾

٥١٩ - إذ معناه: ما لا يعلم له أصلاً، أي يعلم أنه لا أصل له.

• ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ... ﴿٥٢٠﴾﴾

٥٢٠ - وهذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى، وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم أهل الجنة - وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة^(١)، وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده أهل البدعة.

قال جرير بن عبد الله البجلي^(٢): «كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فرأى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم ترون ربكم كم ترون القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن

٥١٧ - الإحياء (٣٠٧/٤).

٥١٨ - معراج السالكين ضمن رسائل الإمام الغزالي (١) (ص ١٠٥).

٥١٩ - المستصفى (١٣٨/٢). ٥٢٠ - الإحياء (٣٧٧/٤، ٣٧٨).

(١) الإحياء (٣١١/٤).

(٢) هو جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نضر بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن خزيمه بن حرب بن علي البجلي، الصحابي الشهير، ن: الإصابة في تمييز الصحابة (٢٤٢/١) وسير أعلام النبلاء (٥٣٠/٢).

لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا » ثم قرأ: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه: ١٣٠] ^(١) وهو مخرج في الصحيحين.

• ﴿ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾

٥٢١ - قال صاحب الشرع عليه السلام: « أربعة قد فرغ منهن: الخلق والخلق والرزق والأجل » ^(٢).

• ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ... ﴾

٥٢٢ - إنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات.

• ﴿ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا... ﴾

٥٢٣ - أي: حجة وبرهان.

• ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴾

٥٢٤ - إن الله تعالى خلق العقول وكمل هذا بالوحي، وأمر أربابها بالنظر في

مخلوقاته والتفكير والاعتبار مما أودعه من العجائب في مصنوعاته لقوله سبحانه: ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾.

٥٢١ - منهاج العابدين (ص ٢٠٦).

٥٢٢ - الإحياء (١٢٩/١).

٥٢٣ - نفسه (١١٥/١).

٥٢٤ - الحكمة في مخلوقات الله ﷻ، ضمن رسائل الإمام الغزالي رقم (١) (ص ٤).

(١) رواه البخاري ومسلم، ن: صحيح البخاري كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَجُودٌ يُؤْمِرُ نَافِلَةً ﴾ ^(١) ^(٢) ^(٣) ^(٤) ^(٥) ^(٦) ^(٧) ^(٨) ^(٩) ^(١٠) ^(١١) ^(١٢) ^(١٣) ^(١٤) ^(١٥) ^(١٦) ^(١٧) ^(١٨) ^(١٩) ^(٢٠) ^(٢١) ^(٢٢) ^(٢٣) ^(٢٤) ^(٢٥) ^(٢٦) ^(٢٧) ^(٢٨) ^(٢٩) ^(٣٠) ^(٣١) ^(٣٢) ^(٣٣) ^(٣٤) ^(٣٥) ^(٣٦) ^(٣٧) ^(٣٨) ^(٣٩) ^(٤٠) ^(٤١) ^(٤٢) ^(٤٣) ^(٤٤) ^(٤٥) ^(٤٦) ^(٤٧) ^(٤٨) ^(٤٩) ^(٥٠) ^(٥١) ^(٥٢) ^(٥٣) ^(٥٤) ^(٥٥) ^(٥٦) ^(٥٧) ^(٥٨) ^(٥٩) ^(٦٠) ^(٦١) ^(٦٢) ^(٦٣) ^(٦٤) ^(٦٥) ^(٦٦) ^(٦٧) ^(٦٨) ^(٦٩) ^(٧٠) ^(٧١) ^(٧٢) ^(٧٣) ^(٧٤) ^(٧٥) ^(٧٦) ^(٧٧) ^(٧٨) ^(٧٩) ^(٨٠) ^(٨١) ^(٨٢) ^(٨٣) ^(٨٤) ^(٨٥) ^(٨٦) ^(٨٧) ^(٨٨) ^(٨٩) ^(٩٠) ^(٩١) ^(٩٢) ^(٩٣) ^(٩٤) ^(٩٥) ^(٩٦) ^(٩٧) ^(٩٨) ^(٩٩) ^(١٠٠) ^(١٠١) ^(١٠٢) ^(١٠٣) ^(١٠٤) ^(١٠٥) ^(١٠٦) ^(١٠٧) ^(١٠٨) ^(١٠٩) ^(١١٠) ^(١١١) ^(١١٢) ^(١١٣) ^(١١٤) ^(١١٥) ^(١١٦) ^(١١٧) ^(١١٨) ^(١١٩) ^(١٢٠) ^(١٢١) ^(١٢٢) ^(١٢٣) ^(١٢٤) ^(١٢٥) ^(١٢٦) ^(١٢٧) ^(١٢٨) ^(١٢٩) ^(١٣٠) ^(١٣١) ^(١٣٢) ^(١٣٣) ^(١٣٤) ^(١٣٥) ^(١٣٦) ^(١٣٧) ^(١٣٨) ^(١٣٩) ^(١٤٠) ^(١٤١) ^(١٤٢) ^(١٤٣) ^(١٤٤) ^(١٤٥) ^(١٤٦) ^(١٤٧) ^(١٤٨) ^(١٤٩) ^(١٥٠) ^(١٥١) ^(١٥٢) ^(١٥٣) ^(١٥٤) ^(١٥٥) ^(١٥٦) ^(١٥٧) ^(١٥٨) ^(١٥٩) ^(١٦٠) ^(١٦١) ^(١٦٢) ^(١٦٣) ^(١٦٤) ^(١٦٥) ^(١٦٦) ^(١٦٧) ^(١٦٨) ^(١٦٩) ^(١٧٠) ^(١٧١) ^(١٧٢) ^(١٧٣) ^(١٧٤) ^(١٧٥) ^(١٧٦) ^(١٧٧) ^(١٧٨) ^(١٧٩) ^(١٨٠) ^(١٨١) ^(١٨٢) ^(١٨٣) ^(١٨٤) ^(١٨٥) ^(١٨٦) ^(١٨٧) ^(١٨٨) ^(١٨٩) ^(١٩٠) ^(١٩١) ^(١٩٢) ^(١٩٣) ^(١٩٤) ^(١٩٥) ^(١٩٦) ^(١٩٧) ^(١٩٨) ^(١٩٩) ^(٢٠٠) ^(٢٠١) ^(٢٠٢) ^(٢٠٣) ^(٢٠٤) ^(٢٠٥) ^(٢٠٦) ^(٢٠٧) ^(٢٠٨) ^(٢٠٩) ^(٢١٠) ^(٢١١) ^(٢١٢) ^(٢١٣) ^(٢١٤) ^(٢١٥) ^(٢١٦) ^(٢١٧) ^(٢١٨) ^(٢١٩) ^(٢٢٠) ^(٢٢١) ^(٢٢٢) ^(٢٢٣) ^(٢٢٤) ^(٢٢٥) ^(٢٢٦) ^(٢٢٧) ^(٢٢٨) ^(٢٢٩) ^(٢٣٠) ^(٢٣١) ^(٢٣٢) ^(٢٣٣) ^(٢٣٤) ^(٢٣٥) ^(٢٣٦) ^(٢٣٧) ^(٢٣٨) ^(٢٣٩) ^(٢٤٠) ^(٢٤١) ^(٢٤٢) ^(٢٤٣) ^(٢٤٤) ^(٢٤٥) ^(٢٤٦) ^(٢٤٧) ^(٢٤٨) ^(٢٤٩) ^(٢٥٠) ^(٢٥١) ^(٢٥٢) ^(٢٥٣) ^(٢٥٤) ^(٢٥٥) ^(٢٥٦) ^(٢٥٧) ^(٢٥٨) ^(٢٥٩) ^(٢٦٠) ^(٢٦١) ^(٢٦٢) ^(٢٦٣) ^(٢٦٤) ^(٢٦٥) ^(٢٦٦) ^(٢٦٧) ^(٢٦٨) ^(٢٦٩) ^(٢٧٠) ^(٢٧١) ^(٢٧٢) ^(٢٧٣) ^(٢٧٤) ^(٢٧٥) ^(٢٧٦) ^(٢٧٧) ^(٢٧٨) ^(٢٧٩) ^(٢٨٠) ^(٢٨١) ^(٢٨٢) ^(٢٨٣) ^(٢٨٤) ^(٢٨٥) ^(٢٨٦) ^(٢٨٧) ^(٢٨٨) ^(٢٨٩) ^(٢٩٠) ^(٢٩١) ^(٢٩٢) ^(٢٩٣) ^(٢٩٤) ^(٢٩٥) ^(٢٩٦) ^(٢٩٧) ^(٢٩٨) ^(٢٩٩) ^(٣٠٠) ^(٣٠١) ^(٣٠٢) ^(٣٠٣) ^(٣٠٤) ^(٣٠٥) ^(٣٠٦) ^(٣٠٧) ^(٣٠٨) ^(٣٠٩) ^(٣١٠) ^(٣١١) ^(٣١٢) ^(٣١٣) ^(٣١٤) ^(٣١٥) ^(٣١٦) ^(٣١٧) ^(٣١٨) ^(٣١٩) ^(٣٢٠) ^(٣٢١) ^(٣٢٢) ^(٣٢٣) ^(٣٢٤) ^(٣٢٥) ^(٣٢٦) ^(٣٢٧) ^(٣٢٨) ^(٣٢٩) ^(٣٣٠) ^(٣٣١) ^(٣٣٢) ^(٣٣٣) ^(٣٣٤) ^(٣٣٥) ^(٣٣٦) ^(٣٣٧) ^(٣٣٨) ^(٣٣٩) ^(٣٤٠) ^(٣٤١) ^(٣٤٢) ^(٣٤٣) ^(٣٤٤) ^(٣٤٥) ^(٣٤٦) ^(٣٤٧) ^(٣٤٨) ^(٣٤٩) ^(٣٥٠) ^(٣٥١) ^(٣٥٢) ^(٣٥٣) ^(٣٥٤) ^(٣٥٥) ^(٣٥٦) ^(٣٥٧) ^(٣٥٨) ^(٣٥٩) ^(٣٦٠) ^(٣٦١) ^(٣٦٢) ^(٣٦٣) ^(٣٦٤) ^(٣٦٥) ^(٣٦٦) ^(٣٦٧) ^(٣٦٨) ^(٣٦٩) ^(٣٧٠) ^(٣٧١) ^(٣٧٢) ^(٣٧٣) ^(٣٧٤) ^(٣٧٥) ^(٣٧٦) ^(٣٧٧) ^(٣٧٨) ^(٣٧٩) ^(٣٨٠) ^(٣٨١) ^(٣٨٢) ^(٣٨٣) ^(٣٨٤) ^(٣٨٥) ^(٣٨٦) ^(٣٨٧) ^(٣٨٨) ^(٣٨٩) ^(٣٩٠) ^(٣٩١) ^(٣٩٢) ^(٣٩٣) ^(٣٩٤) ^(٣٩٥) ^(٣٩٦) ^(٣٩٧) ^(٣٩٨) ^(٣٩٩) ^(٤٠٠) ^(٤٠١) ^(٤٠٢) ^(٤٠٣) ^(٤٠٤) ^(٤٠٥) ^(٤٠٦) ^(٤٠٧) ^(٤٠٨) ^(٤٠٩) ^(٤١٠) ^(٤١١) ^(٤١٢) ^(٤١٣) ^(٤١٤) ^(٤١٥) ^(٤١٦) ^(٤١٧) ^(٤١٨) ^(٤١٩) ^(٤٢٠) ^(٤٢١) ^(٤٢٢) ^(٤٢٣) ^(٤٢٤) ^(٤٢٥) ^(٤٢٦) ^(٤٢٧) ^(٤٢٨) ^(٤٢٩) ^(٤٣٠) ^(٤٣١) ^(٤٣٢) ^(٤٣٣) ^(٤٣٤) ^(٤٣٥) ^(٤٣٦) ^(٤٣٧) ^(٤٣٨) ^(٤٣٩) ^(٤٤٠) ^(٤٤١) ^(٤٤٢) ^(٤٤٣) ^(٤٤٤) ^(٤٤٥) ^(٤٤٦) ^(٤٤٧) ^(٤٤٨) ^(٤٤٩) ^(٤٥٠) ^(٤٥١) ^(٤٥٢) ^(٤٥٣) ^(٤٥٤) ^(٤٥٥) ^(٤٥٦) ^(٤٥٧) ^(٤٥٨) ^(٤٥٩) ^(٤٦٠) ^(٤٦١) ^(٤٦٢) ^(٤٦٣) ^(٤٦٤) ^(٤٦٥) ^(٤٦٦) ^(٤٦٧) ^(٤٦٨) ^(٤٦٩) ^(٤٧٠) ^(٤٧١) ^(٤٧٢) ^(٤٧٣) ^(٤٧٤) ^(٤٧٥) ^(٤٧٦) ^(٤٧٧) ^(٤٧٨) ^(٤٧٩) ^(٤٨٠) ^(٤٨١) ^(٤٨٢) ^(٤٨٣) ^(٤٨٤) ^(٤٨٥) ^(٤٨٦) ^(٤٨٧) ^(٤٨٨) ^(٤٨٩) ^(٤٩٠) ^(٤٩١) ^(٤٩٢) ^(٤٩٣) ^(٤٩٤) ^(٤٩٥) ^(٤٩٦) ^(٤٩٧) ^(٤٩٨) ^(٤٩٩) ^(٥٠٠) ^(٥٠١) ^(٥٠٢) ^(٥٠٣) ^(٥٠٤) ^(٥٠٥) ^(٥٠٦) ^(٥٠٧) ^(٥٠٨) ^(٥٠٩) ^(٥١٠) ^(٥١١) ^(٥١٢) ^(٥١٣) ^(٥١٤) ^(٥١٥) ^(٥١٦) ^(٥١٧) ^(٥١٨) ^(٥١٩) ^(٥٢٠) ^(٥٢١) ^(٥٢٢) ^(٥٢٣) ^(٥٢٤) ^(٥٢٥) ^(٥٢٦) ^(٥٢٧) ^(٥٢٨) ^(٥٢٩) ^(٥٣٠) ^(٥٣١) ^(٥٣٢) ^(٥٣٣) ^(٥٣٤) ^(٥٣٥) ^(٥٣٦) ^(٥٣٧) ^(٥٣٨) ^(٥٣٩) ^(٥٤٠) ^(٥٤١) ^(٥٤٢) ^(٥٤٣) ^(٥٤٤) ^(٥٤٥) ^(٥٤٦) ^(٥٤٧) ^(٥٤٨) ^(٥٤٩) ^(٥٥٠) ^(٥٥١) ^(٥٥٢) ^(٥٥٣) ^(٥٥٤) ^(٥٥٥) ^(٥٥٦) ^(٥٥٧) ^(٥٥٨) ^(٥٥٩) ^(٥٦٠) ^(٥٦١) ^(٥٦٢) ^(٥٦٣) ^(٥٦٤) ^(٥٦٥) ^(٥٦٦) ^(٥٦٧) ^(٥٦٨) ^(٥٦٩) ^(٥٧٠) ^(٥٧١) ^(٥٧٢) ^(٥٧٣) ^(٥٧٤) ^(٥٧٥) ^(٥٧٦) ^(٥٧٧) ^(٥٧٨) ^(٥٧٩) ^(٥٨٠) ^(٥٨١) ^(٥٨٢) ^(٥٨٣) ^(٥٨٤) ^(٥٨٥) ^(٥٨٦) ^(٥٨٧) ^(٥٨٨) ^(٥٨٩) ^(٥٩٠) ^(٥٩١) ^(٥٩٢) ^(٥٩٣) ^(٥٩٤) ^(٥٩٥) ^(٥٩٦) ^(٥٩٧) ^(٥٩٨) ^(٥٩٩) ^(٦٠٠) ^(٦٠١) ^(٦٠٢) ^(٦٠٣) ^(٦٠٤) ^(٦٠٥) ^(٦٠٦) ^(٦٠٧) ^(٦٠٨) ^(٦٠٩) ^(٦١٠) ^(٦١١) ^(٦١٢) ^(٦١٣) ^(٦١٤) ^(٦١٥) ^(٦١٦) ^(٦١٧) ^(٦١٨) ^(٦١٩) ^(٦٢٠) ^(٦٢١) ^(٦٢٢) ^(٦٢٣) ^(٦٢٤) ^(٦٢٥) ^(٦٢٦) ^(٦٢٧) ^(٦٢٨) ^(٦٢٩) ^(٦٣٠) ^(٦٣١) ^(٦٣٢) ^(٦٣٣) ^(٦٣٤) ^(٦٣٥) ^(٦٣٦) ^(٦٣٧) ^(٦٣٨) ^(٦٣٩) ^(٦٤٠) ^(٦٤١) ^(٦٤٢) ^(٦٤٣) ^(٦٤٤) ^(٦٤٥) ^(٦٤٦) ^(٦٤٧) ^(٦٤٨) ^(٦٤٩) ^(٦٥٠) ^(٦٥١) ^(٦٥٢) ^(٦٥٣) ^(٦٥٤) ^(٦٥٥) ^(٦٥٦) ^(٦٥٧) ^(٦٥٨) ^(٦٥٩) ^(٦٦٠) ^(٦٦١) ^(٦٦٢) ^(٦٦٣) ^(٦٦٤) ^(٦٦٥) ^(٦٦٦) ^(٦٦٧) ^(٦٦٨) ^(٦٦٩) ^(٦٧٠) ^(٦٧١) ^(٦٧٢) ^(٦٧٣) ^(٦٧٤) ^(٦٧٥) ^(٦٧٦) ^(٦٧٧) ^(٦٧٨) ^(٦٧٩) ^(٦٨٠) ^(٦٨١) ^(٦٨٢) ^(٦٨٣) ^(٦٨٤) ^(٦٨٥) ^(٦٨٦) ^(٦٨٧) ^(٦٨٨) ^(٦٨٩) ^(٦٩٠) ^(٦٩١) ^(٦٩٢) ^(٦٩٣) ^(٦٩٤) ^(٦٩٥) ^(٦٩٦) ^(٦٩٧) ^(٦٩٨) ^(٦٩٩) ^(٧٠٠) ^(٧٠١) ^(٧٠٢) ^(٧٠٣) ^(٧٠٤) ^(٧٠٥) ^(٧٠٦) ^(٧٠٧) ^(٧٠٨) ^(٧٠٩) ^(٧١٠) ^(٧١١) ^(٧١٢) ^(٧١٣) ^(٧١٤) ^(٧١٥) ^(٧١٦) ^(٧١٧) ^(٧١٨) ^(٧١٩) ^(٧٢٠) ^(٧٢١) ^(٧٢٢) ^(٧٢٣) ^(٧٢٤) ^(٧٢٥) ^(٧٢٦) ^(٧٢٧) ^(٧٢٨) ^(٧٢٩) ^(٧٣٠) ^(٧٣١) ^(٧٣٢) ^(٧٣٣) ^(٧٣٤) ^(٧٣٥) ^(٧٣٦) ^(٧٣٧) ^(٧٣٨) ^(٧٣٩) ^(٧٤٠) ^(٧٤١) ^(٧٤٢) ^(٧٤٣) ^(٧٤٤) ^(٧٤٥) ^(٧٤٦) ^(٧٤٧) ^(٧٤٨) ^(٧٤٩) ^(٧٥٠) ^(٧٥١) ^(٧٥٢) ^(٧٥٣) ^(٧٥٤) ^(٧٥٥) ^(٧٥٦) ^(٧٥٧) ^(٧٥٨) ^(٧٥٩) ^(٧٦٠) ^(٧٦١) ^(٧٦٢) ^(٧٦٣) ^(٧٦٤) ^(٧٦٥) ^(٧٦٦) ^(٧٦٧) ^(٧٦٨) ^(٧٦٩) ^(٧٧٠) ^(٧٧١) ^(٧٧٢) ^(٧٧٣) ^(٧٧٤) ^(٧٧٥) ^(٧٧٦) ^(٧٧٧) ^(٧٧٨) ^(٧٧٩) ^(٧٨٠) ^(٧٨١) ^(٧٨٢) ^(٧٨٣) ^(٧٨٤) ^(٧٨٥) ^(٧٨٦) ^(٧٨٧) ^(٧٨٨) ^(٧٨٩) ^(٧٩٠) ^(٧٩١) ^(٧٩٢) ^(٧٩٣) ^(٧٩٤) ^(٧٩٥) ^(٧٩٦) ^(٧٩٧) ^(٧٩٨) ^(٧٩٩) ^(٨٠٠) ^(٨٠١) ^(٨٠٢) ^(٨٠٣) ^(٨٠٤) ^(٨٠٥) ^(٨٠٦) ^(٨٠٧) ^(٨٠٨) ^(٨٠٩) ^(٨١٠) ^(٨١١) ^(٨١٢) ^(٨١٣) ^(٨١٤) ^(٨١٥) ^(٨١٦) ^(٨١٧) ^(٨١٨) ^(٨١٩) ^(٨٢٠) ^(٨٢١) ^(٨٢٢) ^(٨٢٣) ^(٨٢٤) ^(٨٢٥) ^(٨٢٦) ^(٨٢٧) ^(٨٢٨) ^(٨٢٩) ^(٨٣٠) ^(٨٣١) ^(٨٣٢) ^(٨٣٣) ^(٨٣٤) ^(٨٣٥) ^(٨٣٦) ^(٨٣٧) ^(٨٣٨) ^(٨٣٩) ^(٨٤٠) ^(٨٤١) ^(٨٤٢) ^(٨٤٣) ^(٨٤٤) ^(٨٤٥) ^(٨٤٦) ^(٨٤٧) ^(٨٤٨) ^(٨٤٩) ^(٨٥٠) ^(٨٥١) ^(٨٥٢) ^(٨٥٣) ^(٨٥٤) ^(٨٥٥) ^(٨٥٦) ^(٨٥٧) ^(٨٥٨) ^(٨٥٩) ^(٨٦٠) ^(٨٦١) ^(٨٦٢) ^(٨٦٣) ^(٨٦٤) ^(٨٦٥) ^(٨٦٦) ^(٨٦٧) ^(٨٦٨) ^(٨٦٩) ^(٨٧٠) ^(٨٧١) ^(٨٧٢) ^(٨٧٣) ^(٨٧٤) ^(٨٧٥) ^(٨٧٦) ^(٨٧٧) ^(٨٧٨) ^(٨٧٩) ^(٨٨٠) ^(٨٨١) ^(٨٨٢) ^(٨٨٣) ^(٨٨٤) ^(٨٨٥) ^(٨٨٦) ^(٨٨٧) ^(٨٨٨) ^(٨٨٩) ^(٨٩٠) ^(٨٩١) ^(٨٩٢) ^(٨٩٣) ^(٨٩٤) ^(٨٩٥) ^(٨٩٦) ^(٨٩٧) ^(٨٩٨) ^(٨٩٩) ^(٩٠٠) ^(٩٠١) ^(٩٠٢) ^(٩٠٣) ^(٩٠٤) ^(٩٠٥) ^(٩٠٦) ^(٩٠٧) ^(٩٠٨) ^(٩٠٩) ^(٩١٠) ^(٩١١) ^(٩١٢) ^(٩١٣) ^(٩١٤) ^(٩١٥) ^(٩١٦) ^(٩١٧) ^(٩١٨) ^(٩١٩) ^(٩٢٠) ^(٩٢١) ^(٩٢٢) ^(٩٢٣) ^(٩٢٤) ^(٩٢٥) ^(٩٢٦) ^(٩٢٧) ^(٩٢٨) ^(٩٢٩) ^(٩٣٠) ^(٩٣١) ^(٩٣٢) ^(٩٣٣) ^(٩٣٤) ^(٩٣٥) ^(٩٣٦) ^(٩٣٧) ^(٩٣٨) ^(٩٣٩) ^(٩٤٠) ^(٩٤١) ^(٩٤٢) ^(٩٤٣) ^(٩٤٤) ^(٩٤٥) ^(٩٤٦) ^(٩٤٧) ^(٩٤٨) ^(٩٤٩) ^(٩٥٠) ^(٩٥١) ^(٩٥٢) ^(٩٥٣) ^(٩٥٤) ^(٩٥٥) ⁽

* سُورَةُ هُود *

٥٢٥ - قوله ﷺ: « شيتني هود وأخواتها » خبر عن الوجد فإن الشيب يحصل من الحزن والخوف، وذلك وجد.

• [﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ ١٥ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ١٦] .

٥٢٦ - هذا متناول بعمومه لحب الجاه، فإنه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زينتها.

• [﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ١٧] .

٥٢٧ - الإخبات: هو الإذعان والانقياد للحق بسهولة.

• [﴿ قَالَ يَنْفُخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّبِعْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّيْ أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ١٨] .

٥٢٨ - قال في قصة نوح: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ أَهْلِكَ ﴾ بين بعد أن توهم أنه من أهله.

٥٢٩ - إن نوحاً شيخ المرسلين الذي احتمل في أمر دينه ما احتمل، لم يقل إلا كلمة واحدة على غير وجهها؛ إذ نودي: ﴿ فَلَا تَتَّبِعْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّيْ أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ حتى روي في بعض الأخبار أنه لم يرفع رأسه إلى السماء حياءً من الله تعالى أربعين سنة.

• [﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ ١٩] .

٥٣٠ - القوي: القوة: هي تمام القدرة.

• [﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ ٢٠] .

٥٣١ - حقيقة الإنابة: تكرار الرجوع إلى الله تعالى وإن لم يتقدمه ذنب.

٥٢٦ - نفسه (٢٩٤/٣) .

٥٢٥ - الإحياء (٢٢٣/٢) .

٥٢٧ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ١٠٣) .

٥٢٩ - منهاج العابدين (ص ١٥٩) .

٥٢٨ - المستصفى (٣٧٢/١) .

٥٣٠ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ٦٥) .

٥٣١ - نفسه (ص ١٠٣) .

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ﴿٥٣٢﴾

٥٣٢ - كان يقول ﷺ: « شيتتي هود وأخواتها » قيل: عنى هذه الآية وأشكالها في القرآن.

٥٣٣ - رأى بعض المشايخ رسول الله في المنام فقال: ما الذي أردت بقولك: « شيتتي هود وأخواتها؟ » فقال: قوله: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ يعني: الاستمرار على الصراط المستقيم.

﴿ وَلَا تَزْكُتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ ﴿٥٣٤﴾

٥٣٤ - إن [المشي] ^(١) إلى السلاطين الظلمة من غير ضرورة وإرهاق معصية كبيرة، فإنه تواضع لهم وإكرام لهم على ظلمهم، وقد أمر الله تعالى بالإعراض عنهم في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزْكُتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾.

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ... ﴾ ﴿٥٣٥﴾

٥٣٥ - بين أنه أهلك جميعهم، إلا قليلاً منهم كانوا ينهون عن الفساد.

* سُورَةُ يُوسُفَ *

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا... ﴾ ﴿٥٣٦﴾

٥٣٦ - نقول: أما أن القرآن عربي فحق؛ إذ نطق به القرآن، وأما أن القرآن قديم فحق؛ إذ نطق به الرسول ﷺ، وأما أن عربية القرآن قديمة فهي مسألة ثالثة لم يرد فيها أنها قديمة، فلا يلزم القول بها، فعلى هذا الوجه يلجم العوام والحشوية عن التصرف فيه ونزعمهم ^(٢) عن القياس والقول باللوازم.

٥٣٢ - منهاج العابدين (ص ٢٦٠، ٢٦١). - ٥٣٣ - ميزان العمل (ص ٢٦٨).

٥٣٤ - بداية الهداية، ضمن رسائل الإمام الغزالي (٥) (ص ٦٨).

٥٣٥ - الإحياء (٣٣٤/٢).

٥٣٦ - إجماع العوام عن علم الكلام، ضمن رسائل الإمام الغزالي رقم (٤) (ص ١٠٩).

(١) في الأصل المطبوع: المشي، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) زم الشيء يزمه زمًا فانزم: شده، ن: اللسان (زم).

﴿ وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ... ﴾ ⑥

٥٣٧ - قال صاحب الكشاف في تفسيرها: « يعني: معاني كتب الله وسنن الأنبياء ﷺ وما غمض واشتبه على الناس في أغراضها ومقاصدها تفسرها لهم وتشرحها، وتدلهم على مودعات حكمها » (١).

﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غَضَبُهُ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ⑧ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيْكُمُ ... ﴾ ⑩

٥٣٨ - ذكر الله تعالى حسد إخوة يوسف ﷺ، وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غَضَبُهُ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ⑧ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيْكُمُ ﴾ فلما كرهوا حب أبيهم له وساءهم ذلك وأحبوا زواله عنه غيبوه عنه.

﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ... ﴾ ④

٥٣٩ - أي بمصدق.

﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ⑫ ﴾

٥٤٠ - معناه: باعوه، فقد يطلق الشراء بمعنى البيع، ووصف إخوة يوسف بالزهد فيه؛ إذ طمعوا أن يخلو لهم وجه أبيهم، وكان ذلك عندهم أحب إليهم من يوسف، فباعوه طمعاً في العوض.

﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ⑭ ﴾

٥٤١ - الوجد: هو الشوق الغالب على قلب الطالب، وهذا الوجد بعد حصوله له أحوال:

الأول: الدهش، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾! وحقيقة الدهش غيبة القلب عن إحساسه لما فاجأه من الأمر العظيم.

٥٣٧ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١٠). ٥٣٨ - الإحياء (٢٠٢/٣).

٥٣٩ - نفسه (١٣٨/١). ٥٤٠ - نفسه (٢٣٠/٤).

٥٤١ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ٥٥).

فمن استعمل جميع قواه على وجه التواصل بها إلى العلم والعمل، فقد تشبه بالملائكة، فحقيق بأن يلحق بهم، وجدير بأن يسمى ملكاً ربانياً، وكما قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

٥٤٢ - من ارتفع إلى أفق الملائكة حتى تحلى بالعلوم والفضائل النفيسة والأعمال الحسنة فهو ملك جسماني، لارتفاعه عن الإنسانية وعدم مشاركته للبشر إلا بالصورة التخطيطية؛ ولهذا قال تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

• ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ...﴾ (٥٤٣)

٥٤٣ - إن قيل: فقد قال تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ﴾ ومعلوم أنهم ما كانوا يعبدون الألفاظ التي هي حروف مقطعة، بل كانوا يعبدون المسميات.

فنقول: إن المستدل بهذا لا يفهم وجه دلالة ما لم يقل: إنهم كانوا يعبدون المسميات دون الأسماء، فيكون في كلامه التصريح بأن الأسماء غير المسميات؛ إذ لو قال القائل: العرب كانت تعبد الأسماء دون المسميات كان متناقضاً، ولو قال: تعبد المسميات دون الأسماء كان مفهوماً غير متناقض.

فلو كانت الأسماء هي المسميات لكان القول الأخير كالأول، ثم يقال أيضاً: معناه: أن اسم الآلهة التي أطلقوها على الأصنام كانت اسماً بلا مسمى؛ لأن المسمى هو المعنى الثابت في الأعيان من حيث دل عليه اللفظ، ولم تكن الأصنام آلهة ثابتة في الأعيان، ولا معلومة في الأذهان، بل كانت أساميها موجودة في اللسان، فكانت أسامي بلا معانٍ، ومن سمي باسم الحكيم، ولم يكن حكيماً، وفرح به قيل: فرح بالاسم، إذ ليس وراء الاسم معنى. وهذا هو الدليل على أن الاسم غير المسمى؛ لأنه أضاف الاسم إلى التسمية وأضاف التسمية إليهم، فجعلها فعلاً لهم فقال: ﴿أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ يعني: أسماء حصلت بتسميتهم وفعلهم، وأشخاص الأصنام لم تكن هي الحادثة بتسميتهم.

• ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٤٤)

٥٤٤ - طلب المنزلة في قلبه بكونه حفيظاً عليمًا، وكان محتاجاً إليه وكان صادقاً فيه.

٥٤٥ - قال عبد الله بن عباس في تفسير هذه الآية حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ ۖ ﴾ قال: معناه: كاتب حاسب.

• ﴿ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا... ﴾ (٨٧)

٥٤٦ - ﴿ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ ﴾ أي: أهل القرية.

٥٤٧ - إذ المسؤول بالحقيقة أهل القرية لا نفس القرية.

٥٤٨ - قد يطلق بالمجاز ما يقتضي الحقيقة، وفي الإطلاق خلافه كقوله تعالى: ﴿ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ أي أهل العير، فالأهل فيهما محذوف مضمّر.

٥٤٩ - والمعنى: واسأل أهل القرية، وهذا النقصان اعتادته العرب فهو توسع وتجاوز.

﴿ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ ﴾ يصح في بعض الجمادات لإرادة صاحب القرية، ولا يقال: سل

البساط والكوز، وإن كان قد يقال: سل الطلل والربع لقربه من المجاز المستعمل.

• ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ... ﴾ (٨٨)

٥٥٠ - قيل في معنى قوله: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾: لا شكوى فيه.

• ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي... ﴾ (٨٩)

٥٥١ - قيل: إن يعقوب عليه السلام إنما قال: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾ ليدعو في وقت

السحر، فقيل: إنه قام في وقت السحر يدعو وأولاده يؤمنون خلفه فأوحى الله عليه السلام: إني قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء.

• ﴿ وَسُبْحَنَ اللَّهُ... ﴾ (٩٠)

٥٥٢ - معناه في كلام العرب: التنزيه والسلب، فهي مشتملة على سلب النقص

والعيب عن ذات الله تعالى وصفاته، فما كان من أسمائه سلبيًا فهو مندرج تحت هذه

الكلمة؛ كالقدوس: وهو الطاهر من كل عيب، والسلام: وهو الذي سلم من كل آفة.

٥٤٥ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ٩٣). ٥٤٦ - المستصفى (٣٤٧/١).

٥٤٧ - معيار العلم (ص ٥٩). ٥٤٨ - الإحياء (٣٤٤/١).

٥٤٩ - نفسه (٣١٠/٤). ٥٥٠ - المستصفى (٣٤٢/١).

٥٥١ - نفسه (٣٦٢/١).

٥٥٢ - روضة الطالبين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٦).

* سُورَةُ الرَّعْدِ *

• ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ... ﴾ (١)

٥٥٣ - يقال: إن النبي ﷺ لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له: أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ﴾ (١).

• ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (٢)

٥٥٤ - سجود عالم الأمر (٢) طوع لله، وسجود الظلال كره.

• ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَرَقٍ كَذَلِكَ يُضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ (٣)

٥٥٥ - معنى الماء هاهنا هو القرآن، ومعنى الأودية: هي القلوب، وأن بعضها احتملت شيئاً كثيراً وبعضها قليلاً وبعضها لم يحتمل.

والزبد: مثل الكفر والنفاق فإنه وإن ظهر وطفا على رأس الماء، فإنه لا يثبت، والهداية التي تنفع الناس تمكث (٣).

٥٥٦ - ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾، ورد في التفسير أن الماء هو المعرفة، والأودية: القلوب.

٥٥٧ - انظر إلى تفسير قوله تعالى كما قال المفسرون: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ

٥٥٣ - الإحياء (١٥٤/٤).

٥٥٤ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٤٣).

٥٥٥ - الإحياء (١٢٢/١).

٥٥٦ - مشكاة الأنوار، ضمن مجموعة الرسائل رقم (٤) (ص ٣١).

٥٥٧ - جواهر القرآن ودرره (٣٦).

(١) قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ. وروى ابن أبي حاتم والثعلبي في تفسيرهما من رواية علي بن زيد ابن جدعان عن سعيد بن المسيب قال: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا أحدًا العيش...» الحديث، ن: المغني بهامش الإحياء (١٥٤/٤).

(٢) قال الإمام الغزالي: «أعني بعالم الأمر: ما لا يتطرق إليه التقدير»، ن: كتاب الأربعين (ص ٤٣).

(٣) يرى الإمام الغزالي أن هذه الآية أريد بها غير الظاهر، وزاد قائلًا: «وفي هذا القسم - أي الإجراء على غير الظاهر - تعمق جماعة فأولوا ما ورد في الآخرة من الميزان والصراط وغيرهما، وهو بدعة، إذ لم ينقل ذلك بطريقة الرواية، وإجراؤه على الظاهر غير محال، فيجب إجراؤه على الظاهر» الإحياء (١٢٢/١).

أُودِيَتْ بِقَدْرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَرَقٍ ﴿٥٥٨﴾
 وأنه كيف مثل العلم بالماء، والقلوب بالأودية والينابيع، والضلال بالزبد، ثم نبهك على
 آخرها فقال: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾.

٥٥٨ - ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدْرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ ذكر
 ذلك تمثيلاً للقرآن.

• ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ...﴾ (٥٥٩)
 ٥٥٩ - ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ ندب إلى العلانية أيضاً لما فيها من فائدة
 الترغيب.

٥٦٠ - قال ابن عباس في معنى قوله: ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾: أي الفحش
 والأذى بالسلام والمداواة.

• ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٥٦١)
 ٥٦١ - قال قتادة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ قال: هشت إليه واستأنست به.

• ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ...﴾ (٥٦٢)
 ٥٦٢ - معناه: أنه يمحو الحكم المنسوخ ويثبت الناسخ، أو يمحو السيئات بالتوبة كما
 قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] ويمحو الحسنات بالكفر
 أو الردة، أو يمحو ما ترفع إليه الحفظة من المباحات ويثبت الطاعات.

* سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ *

• ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ...﴾ (٥٦٣)
 ٥٦٣ - وصف الكفار بذلك، فمفهومه أن المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو أن
 يستحب الآخرة على الحياة الدنيا.

٥٥٨ - المضمون به على غير أهله، ضمن رسائل الإمام الغزالي رقم (٤) (ص ١٢٧).

٥٥٩ - الإحياء (٢٥٦/٢).

٥٦٠ - نفسه (٢٢٦/٢).

٥٦١ - نفسه (٣٥١/٤).

٥٦٢ - المستصفى (١١٠/١).

٥٦٣ - الإحياء (٢٣٣/٤).

• ﴿لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ...﴾ (٧)

٥٦٤ - الشكر سبب الزيادة.

• ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ...﴾ (٨)

٥٦٥ - في هذا تنبيه على أولئك القرون الطاغية، كقوم يارخ ومارخ ودوح وأسر، وما أشبه ذلك.

• ﴿وَسُقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ۖ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ...﴾ (٩)

٥٦٦ - قال أبو أمامة: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَسُقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ۖ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ﴾ قال: «يقرب إليه فيتكره، فإذا أدنى منه شوى وجهه فوقعت فروة» (١) رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره» (٢) يقول تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥] وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩] فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم.

• ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ (١٠)

٥٦٧ - قال زيد بن أسلم (٣) في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ قال: صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة، ثم قالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾.

• ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۚ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (١١)

٥٦٨ - شبه الله العقل بشجرة طيبة، والهوى بشجرة خبيثة.

٥٦٤ - الإحياء (٩٣/٤).

٥٦٥ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٢٩).

٥٦٦ - الإحياء (٥٦٧/٤).

٥٦٧ - الإحياء (٥٦٨/٤).

٥٦٨ - ميزان العمل (ص ٢٤٥).

(١) أي جلده: الإتحاف (٥٥١/١٤).

(٢) أخرجه الترمذي، وقال: غريب.

(٣) هو زيد بن أسلم العدوي العمري، فقيه مفسر من أهل المدينة كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافته، وكان ثقة كثير الحديث، له حلقة بالمسجد النبوي، وله كتاب في التفسير رواه عنه ولده عبد الرحمن، ن: تهذيب التهذيب (٣٩٥/٣) وسير أعلام النبلاء (٣١٦/٦).

• ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ...﴾ (٧)

٥٦٩ - قال البراء بن عازب: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله ﷺ على قبره منكسًا رأسه ثم قال: « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر » ثلاثًا. ثم قال: « إن المؤمن إذا كان في قبل من الآخرة بعث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس، معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره، فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك من السماء، وفتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا يحب أن يدخله بروحه منه، فإذا صعد بروحه قيل: أي رب عبدك فلان، فيقول أرجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فإني وعدته ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه: ٥٥] وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال: يا هذا من ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟، فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ. قال: فينتهرانه انتهازًا شديدًا. وهي آخر فرصة تعرض على الميت، فإذا قال ذلك نادى مناد أن قد صدقت وهي معنى قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ » الحديث (١).

٥٧٠ - التثبيت على المعرفة والإيمان، وهو الذي منه الخوف والفرع، وعليه كل البكاء والجزع، قال عز من قائل: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾.

• ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا...﴾ (٦١)

٥٧١ - إحصاء نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر.

• ﴿وَاجْتَنِبْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَنْ تُغْبِطَ الْأَصْنَامَ﴾ (٦٥)

٥٧٢ - استعاذ إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿وَاجْتَنِبْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَنْ تُغْبِطَ الْأَصْنَامَ﴾ وعنى بها هذين الحجرين: الذهب والفضة؛ إذ رتبة النبوة أجل من أن يخشى عليها أن تعتقد

٥٧٠ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ٣٤٨).

٥٦٩ - الإحياء (٥٣٠/٤ ، ٥٣١).

٥٧٢ - نفسه (٢٤٩/٣).

٥٧١ - الإحياء (١٠٤/٤).

(١) الحديث طويل يصف حالة المؤمن وما أعد الله له من نعيم، وحالة الكافر وما أعد الله له من عذاب. قال الحافظ العراقي: الحديث بطوله أخرجه أبو داود والحاكم بكماله، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وضعفه ابن حبان، ورواه النسائي وابن ماجه مختصرًا، ن: المغني بهامش الإحياء (٥٣١/٤).

الإلهية في شيء من هذه الحجارة؛ إذ قد كفي قبل النبوة مع الصغر، وإنما معنى عبادتهما حبهما والاعتزاز بهما والركون إليهما، قال نبينا ﷺ: «تعس عبد الدينار، وتعس عبد الدرهم، وتعس ولا انتعش، وإذا شيك فلا انتقش»^(١) فبين أن محبهما عابد لهما، ومن عبد حجرًا فهو عابد صنم، بل كل من كان عبدًا لغير الله فهو عابد صنم، أي قطعه ذلك عن الله تعالى أداء حقه، فهو كعابد صنم، وهو شرك، إلا أن الشرك شركان: شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فإنه أخفى من ديب النمل، وشرك جلي يوجب الخلود في النار نعوذ بالله من الجميع.

٥٧٣ - عني به هذين الحجرين: الذهب والفضة؛ إذ رتبة النبوة أجل من أن يخشى فيها أن تعتقد الإلهية في شيء من الحجارة؛ ولهذا قال علي: يا حميراء غري غري، ويا بويضاء غري غري؛ ولهذا شبه السكك طلاب الدنانير والدرهم المشغوفين بعبدة الحجارة، فقال: «تعس عبد الدراهم تعس عبد الدنانير، ولا انتعش، وإذا شيك فلا انتقش».

• ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ...﴾ ﴿١١﴾

٥٧٤ - لا تظن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا، بل لا تساويها إلا في الاسم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ قال ابن عباس: يزداد فيها وينقص وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وتمد مد الأديم العكاظي، أرض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة، والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها.

• ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ ﴿١٢﴾

٥٧٥ - الصفد: هو اقتران القدمين معًا.

٥٧٤ - الإحياء (٥٤٦/٤).

٥٧٣ - ميزان العمل (ص ٣٧٦).

٥٧٥ - نفسه (١٨١/١).

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ولم يقل: «وانتقش» وإنما علق آخره بلفظ: «تعس وانتكس» باب ما يتقى من فتنة المال وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ حديث رقم (٦٤٣٥).

* سُورَةُ الْحَجَرِ *

• ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ۝﴾

٥٧٦ - قال رسول الله ﷺ: «إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى، فيقولون: ما أغنى عنكم إسلامكم؛ إذ أنتم معنا في النار، فيقولون: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فيسمع الله ﷻ ما قالوا فيأمر بإخراج من كان في النار من أهل القبلة فيخرجون فإذا رأى ذلك الكفار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ۝﴾^(١).

• ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝﴾

٥٧٧ - من أسباب حفظه في القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته، مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة.

• ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ لَوْحٍ... ۝﴾

٥٧٨ - إنما إلحاقها في إيقاع الازدواج بين الهواء والأرض.

• ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝﴾

٥٧٩ - أما التسوية: فهي عبارة عن فعل في المحل القابل للروح، وهو الطين في حق آدم ﷺ، والنطفة في حق أولاده بالتصفية وتعديل المزاج والتردد في أطوار الخلقة إلى الغاية حتى ينتهي في الصفاء ومناسبة الأجزاء إلى الغاية، فيستعد لقبول الروح وإمساكها كاستعداد الفتيلة بعد شرب الدهن لقبول النار وإمساكها.

وأما النفخ: فهو عبارة عن اشتعال نور الروح في المحل المقابل، فالنفخ سبب الاشتعال، وصورة النفخ في حق الله تعالى محال، والسبب غير محال، فعبر عن نتيجة النفخ بالنفخ، وهو الاشتعال في فتيلة النطفة، وللنفخ صورة ونتيجة.

٥٧٧ - نفسه (٣٢١/١).

٥٧٦ - الإحياء (٥٧٩/٤).

٥٧٨ - نفسه (١٢٢/٤).

٥٧٩ - روضة الطالبين ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٤٦ - ٤٨).

(١) رواه الطبراني عن أبي موسى الأشعري ؓ، ن: تفسير ابن كثير (٦٦٤/٢، ٦٦٥).

وأما صورته: فهو إخراج هوى من جوف النافخ إلى جوف المنفوخ فيه - وهو فتيلة النطفة - فيشتعل فيها، وأما السبب الذي اشتعل به نور الروح فهو صفة في الفاعل، وصفة في المحل القابل، وأما صفة الفاعل: فالجود الذي هو ينبوع الوجود، وهو فياض بذاته على كل موجود حقيقة وجوده، ويعبر عن تلك الصفة بالقدرة، ومثالها فيضان نور الشمس على كل قابل الاستنارة عند ارتفاع الحجاب بينهما، والقابل هو الملونات دون الهواء الذي لا لون له، وأما صفة القابل: فالاستواء واعتدال الحاصل في التسوية، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾.

ومثال صفة القابل: صفات المرأة، فإن المرأة قبل صقالتها لا تقبل الصورة، وإن كانت محاذية لها، فإذا صقلت حدثت فيها صورة من ذي الصورة المحاذية لها، فكذلك إذا حصل على الاستواء في النطفة حدث فيها الروح من خالق الروح من غير تغير في الخالق تعالى الآن، لا بل إنما حدث الروح قبله لتغير المحل بحصول الاستواء الآن لا قبله.

وأما فيضان الجود، فالمراد به: أن الجود الإلهي سبب لحدوث أنوار الوجود في كل ماهية قابلة للوجود، فعبر عنه بالفيض، لا كما يفهم من فيض الماء من الإناء على اليد، فإن ذلك عبارة عن انفصال جزء مما في الإناء واتصاله باليد، فإن الله سبحانه وتعالى عن مثل هذا. وأما كشف معنى ماهية الروح ومعرفة حقيقتها فهو من السر الذي لم يؤذن لرسول الله ﷺ في كشفه لمن ليس من أهله، فإن كنت من أهله فاسمع.

اعلم أن الروح ليس بجسم يحل في البدن حلول الماء في الإناء، ولا هو عرض يحل في القلب أو الدماغ حلول السواد في الأسود والعلم في العالم، بل هو جوهر لا يتجزأ باتفاق أهل البصائر؛ لأنه لو انقسم لجاز أن يقوم بجزء منه العلم بالشيء، وبجزء آخر منه الجهل بذلك الشيء بعينه، فيكون في حالة واحدة عالماً بالشيء وجاهلاً به، وذلك محال، فدل بذلك على أنه واحد لا ينقسم.

فإن قيل: لم منع رسول الله ﷺ إفشاء سر الروح وكشف حقيقته؟ فيقال: لأنه يتصف بصفات لا تحملها الأفهام؛ إذ الناس قسمان: عوام وخواص، أما من غلب على طبعه العامة فإنه لا يصدق بما هو وصف الروح أن يكون وصفاً لله تعالى، فكيف يصدق به في وصف الروح الإنساني؟ وكذلك أنكرت الكرامية ^(١) والحنبلية وغيرهم ممن غلبت عليهم العامة بتنزيه الإله تعالى عن الجسمية وعوارضها؛ إذ لا يعقلون موجوداً

(١) الكرامية: ثلاثة أصناف: حقايقية وطرائقية وإسحاقية، زعيمها محمد بن كرام، كان مطروداً من سبخستان إلى غرجستان، دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده، ن: الفرق بين الفرق (ص ٢٠٢).

إلا متجسماً مشاراً إليه، ومن ترقى عن العامية قليلاً نفى الجسمية عن الله تعالى، وما أطلق أن ينفي عوارض الجسمية عنه، فأثبت الجهة وترقى عن هذه العامية: الأشعرية والمعتزلة فنزهوا الإله تعالى عن الجسمية والجهة.

فإن قيل: لِمَ لا يجوز كشف هذا السر مع هؤلاء؟ فيقال: لأنهم أحالوا أن تكون هذه الصفة لغير الله تعالى، فإذا ذكرت هذا معهم كفّروا وقالوا: هذا تشبيه؛ لأنك تصف نفسك بما هو صفة الإله تعالى على الخصوص وذلك جهل بأخص صفات الله تعالى. فإن قلنا: إن الإنسان حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم، والله تعالى كذلك ليس فيه تشبيه؛ لأن هذه الصفات ليس أخص أوصاف الله تعالى، فلذلك البراءة عن المكان والجهة ليست أخص وصف الإله تعالى، بل أخص أوصاف الله تعالى أنه قيوم، أي: قائم بذاته وكل ما سواه قائم به وهو موجود بذاته لا بغيره، وليس للأشياء بأنفسها إلا العدم، وإنما لها الوجود من غيرها على سبيل العارية، فالوجود لله تعالى ذاته ليس بمستعار، وما سواه فوجوده منه تعالى لا من نفسه وهذه القيومية ليست إلا لله تعالى. فإن قيل: ما معنى نسبة الروح لله تعالى في قوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ فاعلم أن الروح منزهة عن الجهة والمكان، وفي قوتها العلم بجميع المعلومات والاطلاع عليها، فهذه مضاهاة ومناسبة ليست لغيره من الجسمانيات؛ فلذلك اختصت بالإضافة إلى الله تعالى.

٥٨٠ - ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ فروح الله ﷻ مفتاح أبواب السعادة، ولم يكن نفخها إلا بعد التسوية، ومعنى التسوية يرجع إلى التعديل.

٥٨١ - الأرواح البشرية حدثت عن استعداد النطفة لقبول النفس من واهبها، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ كما حدثت الصورة في المرآة لحدوث الصقالة، وإن كان ذو الصورة سابق الوجود على الصقالة.

• ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٢٦﴾﴾

٥٨٢ - ورد الاستثناء من غير الجنس كقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ﴾، ولم يكن من الملائكة، فإنه قال: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠].

٥٨٠ - كتاب الأربعين (ص ٧١).

٥٨١ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ١٠٥).

٥٨٢ - المستصفى (١٦٧/٢).

• ﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِعٌ ﴾ (٢١)

٥٨٣ - كمالات الموجودات قبول الأمر، وكمالات المكلفين قبولها للشواب، فمن لم يقبل الأمر أخرج من عالم الحق، والإخراج من الحق لعن كحال الشيطان الأول؛ إذ لم يقبل الأمر فأخرج من جنة العقل، وقيل: ﴿ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِعٌ ﴾ وذلك معنى اللعن.

• ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٢٢) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿ (٢٧)

٥٨٤ - قال سفيان بن عيينة: لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه، فإن الله عليم بأجابه دعاء شر الخلق إبليس - لعنه الله - ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾.

• ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٨) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿ (٣٠)

٥٨٥ - ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ثم قال في عقبه ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ (٣٠) لئلا يستولي عليك الرجاء بمرة.

• ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴾ (٣١)

٥٨٦ - قال ﷺ: « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى » (١) وإليه يشير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر: ٧٥] وقوله تعالى: ﴿ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٨].

• ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ (٣٢)

٥٨٧ - من منافع الجبال ما يتخذها العباد من المساكن، تقيهم البرد والحر، ويتخذون مدافن لحفظ جثث الموتى، وقد ذكر الله تعالى: ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾.

• ﴿ فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ (٣٣)

٥٨٨ - روى محمد ابن الحنفية (٢) عن علي رضي الله تعالى عنهما أنه قال: لما نزل

٥٨٣ - معارج القدس (ص ١٧٧).

٥٨٤ - الإحياء (١ / ٣٦٤).

٥٨٥ - منهاج العابدين (ص ٢٥٧).

٥٨٦ - الإحياء (٣ / ٢٦).

٥٨٧ - الحكمة في مخلوقات الله ﷻ، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ١٦).

٥٨٨ - الإحياء (٤ / ١٥٩).

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: « اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله »، ثم قرأ: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [وقال: هذا حديث غريب. كتاب التفسير، حديث رقم (٣١٣٨) (٥ / ٨٨)، ون: الدر المنثور (٤ / ١٠٣).

(٢) هو: السيد الإمام القاسم أبو عبد الله محمد بن الإمام علي بن أبي طالب، رأى عمر وروى عنه وعن أبيه =

قوله تعالى: ﴿ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ قال: « يا جبريل وما الصَّفْحُ الجميل؟ » قال عليه السلام: « إذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه ». فقال: « يا جبريل فالله تعالى أكرم من أن يعاتب من عفا عنه »، فبكى جبريل وبكى النبي صلى الله عليه وآله، فبعث الله تعالى لهم ميكائيل وقال: « إن ربكما يقرئكما السلام، ويقول: كيف أعاتب من عفوت عنه، هذا ما لا يشبه كرمي » ^(١).

• ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ... ﴾ ﴿٨٨﴾

٥٨٩ - تقديره: إن كل من أوتي القرآن العظيم حق له أن لا ينظر إلى الدنيا نظرة باستحلاء، فضلاً عن أن يكون له فيها رغبة، ويلزم الشكر على ذلك، فإنها الكرامة التي حرص خليله إبراهيم عليه السلام أن يمن بها على أبيه فلم يفعل، وحرص حبيبه المصطفى أن يمن بها على عمه أبي طالب فلم يفعل.

* سُورَةُ النَّحْلِ *

• ﴿ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنفُسِهِمْ... ﴾ ﴿٩٨﴾

٥٩٠ - إن انهمكت النفس في الشبهات وغرقت في بحر الظلمات، واخترقت نيران الشهوات، تخرج من الدنيا بغير زاد، وتقدم على الله بغير حجة، وتكون كما أخبر الله بقوله: ﴿ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنفُسِهِمْ ﴾.

• ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿٩٩﴾

٥٩١ - قول الله تعالى لا يشابه قولنا باستدعاء الآله واحتياج المدة، ولكنه مفيد لذوي الأبواب وأصحاب الحاجات، فأقاوله هي أصول الكتابات، كما قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾.

٥٨٩ - منهاج العابدين (ص ٣٢٩ ، ٣٣٠). ٥٩٠ - المعارف العقلية (ص ٤٠).

٥٩١ - نفسه (ص ٦٥).

= وأبي هريرة وغيرهم، حدث عنه بنوه عبد الله والحسن وأبو جعفر الباقر وعمرو بن دينار وآخرون (ت ٨٥ هـ).
ن: وفيات الأعيان (١٨٩/٤) وشذرات الذهب (٨٨/١) وسير أعلام النبلاء (١٠/٤).
(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن مردويه في تفسيره موقوفاً على علي مختصراً، قال: الرضا بغير عتاب، ولم يذكر بقية الحديث، وفي إسناده نظر، ن: المغني بهامش الإحياء (١٥٩/٤).

٥٩٢ - إن ظاهره ممتنع إذ قوله: ﴿ كُنْ ﴾ إن كان خطاباً للشيء قبل وجوده فهو محال؛ إذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمثّل، وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين، ولكن لما كانت هذه الكتابة أوقع في النفوس في تفهيم عناية الاقتدار عدل إليها، وأما المدرك بالشرع، فهو أن يكون إجراؤه على الظاهر ممكناً، ولكنه يروى أنه أريد به غير الظاهر.

• ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

٥٩٣ - المراد به أمر العوام بسؤال العلماء؛ إذ ينبغي أن يتميز السائل عن المسؤول، فمن هو من أهل العلم مسؤول وليس بسائل، ولا يخرج عن كونه من أهل العلم بأن لا تكون المسألة حاضرة في ذهنه؛ إذ هو متمكن من معرفتها من غير أن يتعلم من غيره. الثاني: أي معناه: سلوا، أي سلوا عن الدليل لتحصيل العلم، كما يقال: كل لتشبع واشرب لتروى.

٥٩٤ - قيل للجاهل: ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

٥٩٥ - ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فاعلم أن هذا ليس مناقضاً لمنع موسى من السؤال ولا لما ذكرناه^(١)؛ لأن:

النهي: هو منع عن طلب ما لم يبلغ إلى حد يدركه، فإذا منعه المعلم من السؤال عنه فليمتنع.

٥٩٢ - الإحياء (١٢٢/١). ٥٩٣ - المستصفى (٣٨٥/٢).

٥٩٤ - إجماع العوام عن علم الكلام، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ٦٦).

٥٩٥ - ميزان العمل (ص ٣٤٦).

(١) قال الإمام الغزالي: « مهما أشار المعلم في طريق التعلم بما يراه المتعلم عين الخطأ ويعتقده قطعاً، فليتهم نفسه وليصبر، وليتبع معلمه، فإن خطأ معلمه خير من صواب نفسه، كسالك الطريق يكون قد استفاد بالتجربة ما يتعجب المبتدئ منه.

وعلى هذا نبه الله تعالى في قصة الخضر مع موسى فقال: ﴿ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتُ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦] إلى قوله: ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾، ثم لم يصبر وراجع، وراده إلى أن قال: ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ [الكهف: ٧٨] ثم نبه على أسرار ما استبعده كما ورد به القرآن، فعرف الله موسى أن المعلم يعلم ما لا ينتهي إليه عقل المتعلم ووهمه.

وبالجملة: فكل متعلم لم يتبع مراسم معلمه في طريق التعلم فاحكم عليه بالإخفاق وقلة النجح. ميزان العمل (ص ٣٤٥، ٣٤٦).

والأمر: هو حث على معرفة تفصيل ما تقتضيه رتبته من العلم.

٥٩٦ - فإن قلت: فقد قال الله تعالى: ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فالسؤال من مأمور به؟ فاعلم أنه كذلك، ولكن فيما يأذن المعلم من السؤال عنه فإن السؤال عما لم تبلغ مرتبتك إلى فهمه مذموم؛ ولذلك منع الخضر موسى عليه السلام من السؤال: أي دع السؤال قبل أوانه، فالمعلم أعلم بما أنت أهل له وبأوان الكشف. وما لم يدخل أوان الكشف في كل درجة من مراتب الدرجات لا يدخل أوان السؤال عنه، وقد قال علي عليه السلام: إن من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال، ولا تعنته في الجواب، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تأخذه بثوبه إذا نهض، ولا تفشي له سرًا، ولا تغتابن أحدًا عنده، ولا تطلب عثرته، إن زل قبلت معذرتة، وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى، ما دام يحفظ أمر الله تعالى، ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته.

• ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ... ﴾

٥٩٧ - الفوق: اسم مشترك يطلق لمعنيين:

أحدهما: نسبة جسم إلى جسم بأن يكون أحدهما أعلى والآخر أسفل، يعني الأعلى من جانب رأس الأسفل، وقد يطلق لفوقية الرتبة، وبهذا يقال: الخليفة فوق السلطان والسلطان فوق الوزير، كما يقال: الحلم فوق العلم، والأول يستدعي جسمًا ينسب إلى جسم. والثاني: لا يستدعيه فليعتقد المؤمن قطعًا أن الأول غير مراد، وأنه على الله تعالى محال، فإنه من لوازم الأجسام أو لوازم أعراض الأجسام، وإذا عرف نفى هذا المحال فلا عليه إن لم يعرف أنه لماذا أطلق؟ وماذا أريد؟ فقس على ما ذكرناه ما لم نذكره.

٥٩٨ - تأويل لفظ الفوق بالعلو المعنوي الذي هو المراد بقولنا: السلطان فوق الوزير فإننا لا نشك في ثبوت معناه لله تعالى، لكننا ربما نتردد في أن لفظ الفوق في قوله: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ هل أريد به العلو المعنوي؟ أم أريد به معنى آخر يليق بجلال الله تعالى دون العلو بالمكان الذي هو محال على ما ليس بجسم ولا هو صفة في جسم؟

٥٩٦ - الإحياء (٦٤/١).

٥٩٧ - إجماع العوام عن علم الكلام، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ٦٥).

٥٩٨ - نفسه (ص ٧٣).

• ﴿ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ۝٥٩٩ ﴾

٥٩٩ - هذا أجمع عبارة لمعاني لذات الجنة.

• ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ۝٦٠٠ ﴾

٦٠٠ - ذم الله تعالى قومًا جعلوا لله ما يكرهون، فقال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا ﴾ وقف بعض القراء على النفي تكذيبًا لهم، ثم ابتداء وقال: ﴿ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ﴾ أي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار.

• ﴿ مِنْ بَيْنِ فَرَثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ۝٦٠١ ﴾

٦٠١ - خلوص اللبن ألا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن أن

يمتزج به.

• ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ... ۝٦٠٢ ﴾

٦٠٢ - أراد به النفقة مما رزق.

• ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ... ۝٦٠٣ ﴾

٦٠٣ - أي الأمر بالعدل والاستقامة.

• ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ... ۝٦٠٤ ﴾

٦٠٤ - الطاعات تنقسم إلى فرض ونفل، وهو محتاج إلى الصبر عليهما جميعًا، وقد جمعهما الله تعالى في قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ فالعدل هو الفرض، والإحسان هو النفل، وإيتاء ذي القربى هو المروءة وصلة الرحم، وكل ذلك يحتاج إلى صبر.

• ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً... ۝٦٠٥ ﴾

٦٠٥ - قال كثير من المفسرين: الحياة الطيبة في الدنيا: القناعة.

٥٩٩ - الإحياء (٥٢٨/٤) وكتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٢١٠).

٦٠٠ - الإحياء (٢٥٨/١). ٦٠١ - الإحياء (٤٠٠/٤).

٦٠٢ - نفسه (٣٤٥/١). ٦٠٣ - نفسه (٣٤٥/١).

٦٠٤ - نفسه (٧٤/٤).

٦٠٥ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ١١٨).

٦٠٦ - وفي بعض التفاسير في قوله تعالى: ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّكُمْ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴾ قال: الزوجة الصالحة.

• ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوْٓا۟ اِنَّمَا اَنْتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ ﴾

٦٠٧ - التبديل: يشتمل على رفع وإثبات، والمرفوع إما تلاوة وإما حكم، وكيف ما كان فهو رفع ونسخ.

فإن قيل: ليس المعني به رفع المنزل، فإن ما أنزل الله لا يمكن رفعه وتبديله، لكن المعني به تبديل مكان الآية بإنزال الآية بدل ما لم ينزل، فيكون ما لم ينزل كالمبدل بما أنزل. قلنا: هذا تعسف بارد، فإن الذي لم ينزل كيف يكون مبدلاً؟ والبديل يستدعي مبدلاً، وكيف يطلق اسم التبديل على ابتداء الإنزال، فهذا هوس وسخف.

• ﴿ اِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِثَاٰتِ اللّٰهِ... ﴾

٦٠٨ - عن عبد الله بن جراد ^(١) قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله هل يزني المؤمن؟ قال: « قد يكون ذلك » قال: يا نبي الله هل يكذب المؤمن؟ قال: « لا » ثم أتبعها صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بقوله تعالى: ﴿ اِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِثَاٰتِ اللّٰهِ ﴾ ^(٢).

• ﴿ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ اَسْتَحَبُّوا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا عَلٰى الْآخِرَةِ... ﴾

٦٠٩ - أي ركنوا إليها.

٦٠٦ - الإحياء (٣٥/٢). ٦٠٧ - المستصفى (١١١/١).

٦٠٨ - الإحياء (١٤٤/٣) وكتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٨٤) مع زيادة « أيسرق المؤمن؟ ».

٦٠٩ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ٣٩).

(١) هو عبد الله بن جراد الخفاجي، وقيل: عبد الله بن جراد المنتفق بن عامر بن عقيل العامري العقلي. قال البخاري: له صحبة. روى عنه يعلي بن الأشدق أحد الضعفاء وأبو قتادة الشامي؛ راو وثقة ابن حبان. عداؤه في أهل الطائف. ن. الإصابة (٤٧/٤) وأسد الغابة (٩٣/٣) والاحتاف (٢٥١/٩).

(٢) قال العراقي: رواه ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف. ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت مقتصرًا على الكذب، وجعل السائل أبا الدرداء، ولفظه: قال أبو الدرداء: يا رسول الله هل يكذب المؤمن؟ قال: « لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر من حدث فكذب » ن: التمهيد (٩٥٥/١٦) والمعني (١٤٤/٣) والاحتاف (٢٥١/٩).

• ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا...﴾ ﴿٦١٠﴾

٦١٠ - قد جاء في الخبر أن رجلاً من المجرمين يوقف بين يدي الله تعالى فيقول له: يا عبد السوء كنت مجرمًا عاصيًا، فيقول: ما فعلت؟ فيقال له: عليك بينة، فيؤتى بحفظته، فيقول: كذبوا علي، ويجادل على نفسه وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾

• ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ...﴾ ﴿٦١١﴾

٦١١ - قال في إبراهيم: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ ولأنه في منزلة الإنعام والعافية، ولذلك قيل: لأن أنعم فأشكر أحب إلي من أن أبتلى فأصبر.

• ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا...﴾ ﴿٦١٢﴾

٦١٢ - فوجب بما أوحى إليه لا بما أوحى إلى غيره، وقوله: ﴿أَنْ اتَّبِعْ﴾ أي: افعل مثل فعله، وليس معناه: كن متبعًا له وواحدًا من أمته، كيف والملة عبارة عن أصل الدين والتوحيد والتقديس الذي تتفق فيه جميع الشرائع؟ ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠] ولا يجوز تسفيه الأنبياء المخالفين له، ويدل عليه أنه لم يبحث عن ملة إبراهيم، وكيف يبحث مع اندراس كتابه وإسناد أخباره؟

• ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ ﴿٦١٣﴾

٦١٣ - المدعو بالحكمة إلى الحق قوم، وبالموعظة الحسنة قوم آخرون، وبالمجادلة الحسنة قوم آخرون على ما فصلنا أقسامهم في كتاب «القسطاس المستقيم» (١).

٦١٤ - إن المدعو إلى الله تعالى بالحكمة قوم، وبالموعظة قوم، وبالمجادلة قوم، فإن الحكمة إن غذي بها أهل الموعظة أضرت بهم كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير، وإن المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشمازوا منها كما يشمئز طبع الرجل

٦١٠ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٣٢).

٦١١ - منهاج العابدين (ص ٣٢٣). ٦١٢ - المستصفى (٢٥٦/١).

٦١٣ - إجماع العوام عن علم الكلام ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٣٠).

٦١٤ - القسطاس المستقيم، ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ٦، ٧).

القوي من الارتضاع بلبن الآدمي، وإن من استعمل الجدال مع أهل الجدال لا بالطريق الأحسن كما تعلم من القرآن، كان كمن غذى البدوي بخبز البر وهو لم يألف إلا التمر أو البلدي بالتمر وهو لم يألف إلا البر، وليته كانت له أسوة حسنة كما تعلم من القرآن في إبراهيم الخليل - صلوات الله عليه - حيث حاج خصمه فقال: ﴿رَبِّیَ الَّذِی یُحِیْ وَیُمِیتُ﴾ فلما رأى ذلك لا يناسبه، وليس عنده حين قال: ﴿أَنَا أُحِیْ وَأُمِیتُ﴾ عدل إلى الأوفق لطبعه والأقرب إلى فهمه فقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ یَأْتِی بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِی کَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

• ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾
٦١٥ - مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصاص وغيره، فقال تعالى:
﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾.

* سُورَةُ الْإِسْرَاءِ *

• ﴿سُبْحَنَ الَّذِی أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾
٦١٦ - نال هيكله من الصعود إلى السماء ما ناله قلب سواه من الإسراء، بل نال في اليقظة بقلبه ما ناله غيره في المنام بقلبه، لا غرو كان يحمل نفسه مع قوة معارفه من وظائف العبادات ما أعطى هيكله الشريف من صفات الروحانيات، قيل له في ذلك قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»^(١).
• ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ...﴾
٦١٧ - وإنما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة.

٦١٥ - الإحياء (٧٥/٤).

٦١٦ - مدخل السلوك إلى منازل الملوك (ص ٦٤).

٦١٧ - الإحياء (٣٩٣/١).

(١) رواه البخاري ومسلم، ن: صحيح البخاري، كتاب التهجد (ح ١١٣٠)، وصحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: إكثار الأعمال (ح ٢٨١٩) (٢١٧١/٤).

• ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ (١٦)

٦١٨ - روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله ما أول ما يلقي الميت إذا دخل قبره؟ قال: « يا ابن مسعود ما سألتني عنه أحد إلا أنت، فأول ما يناديه ملك اسمه رومان يجوس خلال المقابر فيقول: يا عبد الله اكتب عملك! فيقول ليس معي دواة ولا قرطاس، فيقول: هيهات! كفك قرطاسك ومدادك ريقك، وقلمك إصبعك، فيقطع قطعة من كفيه ثم يجعل العبد يكتب، وإن كان غير كاتب في الدنيا فيكتب حينئذ حسناته وسيئاته كيوم واحد، ثم يطوي الملك الرقعة ويعلقها في عنقه، » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ ... الحديث (١).

٦١٩ - إذا استقر الناس في صعيد واحد، طلعت عليهم سحابة سوداء، فأمطرتهم صحفاً منشورة، فإذا صحيفة المؤمن ورقة ورد، وإذا صحيفة الكافر ورقة سدر، والكل مكتوب، فتتطاير الصحف إذا هي بالميامن والمياسر، وليس عن اختيار، وإنما هي تقع يمينه وبشماله، وهو قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾.

• ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ...﴾ (١٧)

٦٢٠ - الآية سبقت لقصد معلوم، وهو: الحث على توقير الوالدين وإعظامهما واحترامهما، والبر والإحسان إليهما. والتأفيف والإيذاء يناقض الإعظام الواجب، فالضرب وأنواع التعذيب يشتمل على مثل ذلك الإيذاء، فهو بمناقضة الإعظام الواجب أولى، فقد وجد فيها العلة وزيادة، فكان ذلك اعتباراً بطريق الأولى.

ولقد ثار بين الأصوليين خلاف مستند هذا الفهم بأن تحريم الضرب بتحريم التأفيف قياس أم لا؟

فقال القائلون: هو قياس، وقال آخرون: لا، بل هو مفهوم من نفس اللفظ، وقال قائلون: مفهوم من فحوى اللفظ، وقال آخرون: مفهوم من سياق الآية، وهو الذي كان يشير إليه إمامي رحمته الله (٢).

٦١٨ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٠٩).

٦١٩ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٣٩).

٦٢٠ - شفاء الغليل (ص ٥٢ - ٥٦).

(١) لم أقف على تخريج لهذا الحديث.

(٢) هو إمام الحرمين ضياء الدين عبد الملك ابن الشيخ محمد بن عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب =

وهذه أقاويل محتملة، والذي يتحصل منه أن يقال: تحريم الضرب معلوم من تحريم التأفيف، فيحتمل أن يحال به على دلالة نفس اللفظ عليه، ويحتمل أن يحال على دلالة معنى اللفظ، نعني به علة تحريم التأفيف، فإن أسند على دلالة نفس اللفظ، فلا وجه لتسميته قياسًا، وإن استند على فهم علة الملفوظ ووقوع المشاركة بين الضرب والتأفيف في علة تحريمه، حسن تسميته قياسًا، ولم يمنع منه كونه جليًا سابقًا إلى الفهم، مستغنيًا عن الاستنباط والنظر بعد وقوع المشاركة، فكون القياس مظنونًا أو مشكوكًا فيه ليس من حد القياس، وإنما القياس عبارة عن إثبات مثل حكم الأصل في الفرع، لمشاركته إياه في العلة، ثم ينقسم إلى معلوم وإلى مظنون. والمظنون ينقسم إلى جلي وخفي، والمعلوم ينقسم إلى أولي ويديهي وإلى فكري ونظري.

فما كانت مقدماته جلية سابقة إلى الفهم، لم يفتقر فيه إلى نظر وفكر، وهذا - إن تخيل - إستناد العلم به إلى نفس اللفظ، لا إلى فهم علة حكم الملفوظ به، ولم يتخيل، إما أن تكون دلالاته من حيث اللغة، وإما أن تكون دلالاته من حيث العرف، وباطل أن يتخيل دلالاته من حيث اللغة؛ إذ يقول القائل: لا تقل له أف، ليس موضوعًا للنهي عن الضرب لغة؛ إذ يجوز أن يقول الملك - المستولي على واحد من الأكابر - لغلامه: لا تقل له أف، ولا تنهره ولا تقطع يده، ولا تفقأ عينه، واقتله، والمعنى به النهي عن الاستخفاف به مع الأمر بالإهلاك فهو بوضع اللسان غير دال عليه.

وإنما مظنة الخيال أن يضاف إليه من حيث العرف، فيقال: هذه الصيغة في العرف موضوعة مستعملة للنهي عن الإيذاء، فالنهي عنه بصيغة تدل على تحريم الإيذاء في العرف، فكأنه قال: لا تؤذ والديك ولا تستخف بهما، ولو قال ذلك لكان تحريم الضرب مأخوذًا من اللفظ؛ لأنه يندرج تحت عموم الإيذاء، لا من القياس، فإن التأفيف أقل درجات الإيذاء، فالنهي عنه بصيغته يدل على تحريم الإيذاء في جنسه من حيث العرف، وهو كقول القائل: ليس لفلان حبة، لا يدل على نفي ما فوق الحبة عرفًا، وإن لم يتعرض له...

فنقول: دلالة الألفاظ على الشيء إما أن تكون بطريق التعليل، أو اللغة أو العرف،

= الجويني، ولد عام (٤١٩ هـ) جاور بمكة والمدينة، ودرس بالمدرسة النظامية في نيسابور، وبقي قريبًا من ثلاثين سنة، يخطب ويجلس للمناظرة والوعظ والتدريس، توفي سنة (٤٧٨ هـ)، ن: وفيات الأعيان (٣٨٧/٣)، وسير أعلام النبلاء (٤٦٨/١٨) والأعلام (١٦٠/٤).

ولا يحكم بالإحالة على العرف إلا إذا امتنع إحالته على اللغة والتعليل؛ لأن التنبيه بطريق التعليل من اللغة، كما أنه بطريق الوضع في اللغة، وأما دعوى كونه مستعملًا من جهة العرف، فهذا تحكم يصار إليه إذا حصل الفهم وامتنع له مدرك وضعي.

وفي مسألتنا أمكن الإحالة بالتنبيه على التعليل، لظهور إيجاب التوقيير من الآية، وظهور كون التأفيف مناقضًا له بالعقل والعرف، وظهور كون الضرب مشتملاً على ذلك الإيذاء وزيادة.

فهذه مقدمات أولية استند إليها العلم بتحريم الضرب، هو القياس بعينه.

٦٢١ - فإن قيل: وبم تنكرون على من يقول: إن قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾

عبارة عن النهي عن الإيذاء؟

قلنا: لأنه تحكم لا مستند له؛ إذ حمله على حقيقته - مع فهم علته وإلحاق غيره به - ممكن، فتحويله إلى غير حقيقته، من غير ضرورة - لا وجود له، بخلاف النقيير والقطمير. فإن قيل: لو كان هذا قياسًا لامتنع من لا يرى القياس في الشرع، ولا متنعنا منه لورود الحجر عن القياس.

قلنا: إنما لا يمتنع؛ لأن هذا القياس معلوم، فإن مقدماته معلومة، فلو ورد الحجر عن القياس المعلوم ووجب الجمود على موضع النص، لقصرنا التحريم على التأفيف، وقلنا: الضرب لم يتعرض له النص، ولكنه يكاد يفضي إلى التناقض؛ إذ عرف وجوب التعظيم، وعرف تحريم التأفيف لكونه ضدًا، وعلم أن الضرب أقوى منه في المضادة، ولا سبيل إلى دفع علم مقدمات معلومة على القطع.

٦٢٢ - فحوى الخطاب: هو فهم تحريم الضرب من آية التأفيف.

قال قائلون: إنه قياس؛ لأنه ليس بمنصوص، وهو ملحق بالنص ولا معنى للقياس سواه.

قال القاضي: ليس بقياس؛ لأنه مفهوم من فحوى فهم المنصوص من غير حاجة إلى

تأمل، وطلب جامع.

والمختار: أنه من المفهوم، لا لما ذكره القاضي؛ إذ لا يبعد في العرف أن يقول الملك

لخدمه: اقتل الملك الفلاني، ولا تواجهه بكلمة سيئة، فليس فهم ذلك من اللفظ من

صورته، ولكن لسياق الكلام وقرينة الحال فهم على القطع؛ إذ الغرض منه الاحترام فلا يعد قياساً، والخلاف آيل إلى العبارة.

٦٢٣ - اتفق أهل اللغة على أن فهم ما فوق التأفيف من الضرب والشتم... أسبق إلى الفهم منه من نفس.. التأفيف.

٦٢٤ - الأف: وسخ الظفر... وقوله ﷻ: ﴿فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أُنْفٍ﴾ تعبهما بما تحت الظفر من الوسخ، وقيل: لا تتأذى بهما كما تتأذى بما تحت الظفر.

٦٢٥ - ﴿فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أُنْفٍ﴾ دل على تحريم الضرب لا بلفظه المنطوق به حتى يتمسك بعمومه، وقد ذكرنا أن العموم للألفاظ لا للمعاني وللأفعال.

٦٢٦ - ﴿فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أُنْفٍ﴾ فإن تحريم الضرب مدرك منه قطعاً.

٦٢٧ - فهم غير المنطوق بدلالة سياق الكلام ومقصوده كفهم تحريم الشتم والقتل والضرب من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أُنْفٍ وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾.

٦٢٨ - تحريم التأفيف لإكرام الآباء.

٦٢٩ - تحريم الشتم من آية التأفيف.

٦٣٠ - المسكوت عنه أولى بالحكم من المنطوق به كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أُنْفٍ﴾ فإنه أفهم تحريم الضرب والشتم.

٦٣١ - أبو حنيفة رحمه الله أنكر المفهوم إلا ما يقطع به كآية التأفيف.

• ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّيْبِ غَفُورًا ۝﴾

٦٣٢ - قال سعيد بن المسيب^(١): أنزل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّيْبِ غَفُورًا﴾ في الرجل يذنب الذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب.

٦٢٣ - المستصفى (١٣٥/١). ٦٢٤ - الإحياء (١٦٣/١).

٦٢٥ - المستصفى (٧٠/٢). ٦٢٦ - نفسه (١٢٧/١).

٦٢٧ - نفسه (١٩٠/١). ٦٢٨ - نفسه (٢٨٣/٢).

٦٢٩ - المنخول من تعليقات الأصول (ص ٦٧). ٦٣٠ - المستصفى (٢٨١/٢).

٦٣١ - المنخول من تعليقات الأصول (ص ٢٠٩). ٦٣٢ - الإحياء (١٥/٤).

(١) هو أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي المدني، سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد (ت ٩٤هـ) بالمدينة، ن: صفة الصفوة (٧٩/٢، ٨٠) وتهذيب الأسماء (٢١٩/١).

٦٣٣ - والأواب الذي ألق عن الذنب فلم يعد أبداً، وقد سمي داود عليه السلام. أواباً وغيره من المرسلين.

• ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۖ﴾ (٦١)

٦٣٤ - نزل هذا في رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئاً لعياله، فطولب بالنفقة فلم يقدر على شيء.

• ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ...﴾ (٦٢)

٦٣٥ - وما القسطاس المستقيم؟

قلت: هي الموازين الخمس ^(١) التي أنزلها الله في كتابه وعلم أنبياءه الوزن بها، فمن تعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزن بميزان الله فقد اهتدى، ومن ضل عنها إلى الرأي والقياس فقد ضل وتردى.

• ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۖ﴾ (٦٣)

٦٣٦ - ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ المراد بالآية: منع الشاهد عن جزم الشهادة إلا بما يتحقق.

٦٣٧ - ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ المراد من الآية: منع الشاهد عن جزم الشهادة بما لم يبصر ولم يسمع، والفتوى بما لم يرو ولم ينقله العدول.

٦٣٨ - ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه... والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه ما لم تقع الإحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح.

٦٣٣ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٣٣).

٦٣٤ - الإحياء (٣٧٠/٢).

٦٣٥ - القسطاس المستقيم، ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ٨).

٦٣٦ - المستصفى (١٤٦/١). ٦٣٧ - نفسه (١٥٥/١).

٦٣٨ - الإحياء (٤٤/٣).

(١) قال الإمام الغزالي: فاعلم أن موازين القرآن في الأصل ثلاثة: ميزان التعادل، وميزان التلازم، وميزان التعائد، لكن ميزان التعادل ينقسم إلى ثلاثة أقسام: إلى الأكبر والأوسط والأصغر، فيصير الجميع خمسة... إلخ، انظر القسطاس المستقيم، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٣) (ص ١٢) فما بعد.

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ ﴿٦٣٩﴾

٦٣٩ - لو كان مع ذي العرش آلهة ﴿ لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ ومعلوم أنهم لم يبتغوا، فيلزم نفي إلهية سوى ذي العرش.

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمُ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ... ﴾ ﴿٦٤٠﴾

٦٤٠ - يغار على كلامه أن يُسمعه إلا لأهل خاصته، قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمُ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾.

﴿ وَءَايَاتِنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ... ﴾ ﴿٦٤١﴾

٦٤١ - معناه: آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها.

فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء، ولم يدر أنهم بماذا ظلموا غيرهم أو أنفسهم؟

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ ﴿٦٤٢﴾

٦٤٢ - فكان من أعظم ما شرفه به وكرمه العقل الذي تنبه به على البهجة وألحقه بسببه بعالم الملائكة، حتى تأهل به لمعرفة بارئه ومبدعه بالنظر في مخلوقاته واستدلاله على معرفة صفاته بما أودعه في نفسه من حكمة وأمانة، قال الله العظيم: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١].

٦٤٣ - لا كرامة ولا مكربة إلا وهي صادرة منه سبحانه... والكرامة فائضة منه على خلقه، وضنون^(١) إكرامه خلقه لا تكاد تنحصر وتتناهى، وعليه دلّ قوله: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾.

٦٣٩ - القسطاس المستقيم، ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ٢٧).

٦٤٠ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٥٥).

٦٤١ - الإحياء (٣٤٣/١).

٦٤٢ - الحكمة في مخلوقات الله ﷻ، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ٤٢).

٦٤٣ - المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى (ص ١٢٥).

(١) الضَّن: الشيء النفيس، ن: اللسان (ضن).

٦٤٤ - كرامة الله تعالى للنفس الناطقة فحسب، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾.

وهذه الكرامة للمؤمنين خاصة؛ لأن علامة النطق بالإيمان، ومن لم يختص بشرف النطق لم ينل كرامة الله تعالى؛ لأنه قال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

• ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ...﴾ (٧٥)

٦٤٥ - أي: ضعف عذاب الأحياء وضعف عذاب الموتى، فحذف العذاب وأبدل الأحياء والموتى بذكر الحياة والموت، وكل ذلك جائز في فصيح اللغة.

• ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا...﴾ (٧٧)

٦٤٦ - السنة يعبر بها عن الطريقة والشرعية بدليل قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾.

• ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ...﴾ (٧٨)

٦٤٧ - قال القاضي في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ من هذا الجنس - أي من صيغ التعليل؛ لأن هذا لام التعليل، والدلوك لا يصلح أن يكون علة، فمعناه: صلّ عنده فهو التوقيت.

وهذا فيه نظر؛ إذ الزوال والغروب لا يبعد أن ينصبه الشرع علامة للوجوب، ولا معنى لعلة الشرع إلا العلامة المنصوبة، وقد قال الفقهاء: الأوقات أسباب؛ ولذلك يتقرر الوجوب بتكررها ولا يبعد تسمية السبب علة.

• ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ...﴾ (٧٩)

٦٤٨ - أمر.

• ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي...﴾ (٨٠)

٦٤٩ - الروح أمر رباني، به وصفه الله تعالى؛ إذ قال سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ

٦٤٤ - المعارف العقلية (ص ٣٨). ٦٤٥ - الإحياء (٣٤٤/١).

٦٤٦ - المشغول من تعليلات الأصول (ص ٢٧٨، ٢٧٩).

٦٤٧ - المستصفي (٢/٢٨٨، ٢٨٩). ٦٤٨ - أيها الولد (ص ١١٣).

٦٤٩ - الإحياء (٢٧٩/٣).

قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴿١﴾ أو معنى كونه ربانيًا أنه من أسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في إظهاره؛ إذ لم يظهره رسول الله ﷺ (١).

٦٥٠ - إذ بين أنه أمر رباني خارج عن حد عقول الخلق.

٦٥١ - اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان الذي هو أحد معنى القلب وهو الذي أراده الله تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ وهو أمر عجيب رباني يعجز أكثر العقول والأفهام عن درك فهم حقيقته.

٦٥٢ - هذا الروح ليس بجسم ولا عرض؛ لأنه من أمر الله تعالى كما أخبر بقوله: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾.

وأمر الله تعالى ليس بجسم ولا عرض، بل هو جوهر ثابت دائم لا يقبل الفساد ولا يضمحل ولا يفنى ولا يموت، بل يفارق البدن وينتظر العود إليه يوم القيامة كما ورد به الشرع، وهذا الروح يتولد منه صلاح البدن وفساده، والروح الحيواني وجميع القوى كلها من جنوده، فإذا فارق الروح الحيواني البدن، تعطلت أحوال القوى الحيوانية فيسكن المتحرك فيقال لذلك موت، وإن كان الروح من أمر الله تعالى في البدن كالغريب، فاعلم أنه لا يحل في محل ولا يسكن في مكان، وليس البدن مكان الروح ولا محل القلب، بل البدن آلة الروح، والله أعلم.

• ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمِيًَّا وَبُكْمًا وَصُمًّا...﴾ (٧)

٦٥٣ - معناه: عميًا عن النور الذي يشعشع بين أيدي المؤمنين وعن أيمانهم، وليس العمى الكلي إرادتهم؛ لأنه لا خلاف أنهم ينظرون السماء تنشق بالغمام، والملائكة تنزل والجبال تسير، والكواكب تنثر.

٦٥٠ - الإحياء (٣٢٤/٤).

٦٥١ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٤٠).

٦٥٢ - نفسه (ص ٤٥، ٤٦).

٦٥٣ - الدرر الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٢١).

(١) حديث: أنه ﷺ لم يظهر سر الروح: أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود، كتاب العلم، باب قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْتَشِرُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٤٠/١) حديث رقم (١٢٥).

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ... ﴾ (١١٤)

٦٥٤ - الرحمن أخص من الرحيم؛ ولذلك لا يسمى به غير الله، والرحيم قد يطلق على غيره، فهو من هذا الوجه قريب من اسم الله الجاري مجرى العلم، وإن كان هذا مشتقاً من الرحمة قطعاً؛ ولذلك جمع الله بينهما فقال: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾. فلزم من هذا الوجه، ومن حيث معنا الترادف في الأسماء المحصاة، أن يفرق بين معنى الاسمين، فبالحرى أن يكون المفهوم من الرحمن نوعاً من الرحمة هي أبعد من مقدورات العباد، وهي ما يتعلق بالسعادة الأخروية، فالرحمن هو العطوف على العباد بالإيجاد أولاً، وبالهداية إلى الإيمان وأسباب السعادة ثانياً، والإسعاد في الآخرة ثالثاً، والإنعام بالنظر إلى وجهه الكريم رابعاً.

تنبيه: حظ العبد من اسم الرحمن: أن يرحم عباد الله تعالى الغافلين فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله بالوعظ والنصح بطريق اللطف دون العنف، وأن ينظر إلى العصاة بعين الرحمة لا بعين الإيذاء، وأن تكون كل معصية تجري في العالم كمعصية له في نفسه، فلا يألو جهداً في إزالتها بقدر وسعه، رحمة لذلك العاصي أن يتعرض لسخط الله تعالى ويستحق البعد عن جواره. وحظه من اسم الرحيم: أن لا يدع فاقة لمحتاج إلا يسدها بقدر طاقته، ولا يترك فقيراً في جواره وبلده إلا ويقوم بتعهده ودفع فقره، إما بماله أو جاهه، أو السعي في حقه بالشفاعة إلى غيره، فإن عجز عن جميع ذلك فيعنيه بالدعاء وإظهار الحزن لسبب حاجته رقة عليه وعطفاً، حتى كأنه مساهم له في ضره وحاجته.

﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا... ﴾ (١١٥)

٦٥٥ - قالت عائشة رضي الله عنها في قوله عليك: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾: أي بدعائك (١).

(١) روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أنزل ذلك في الدعاء»، ن: كتاب التفسير باب ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ (٢٢٩/٥) حديث رقم (٤٣٢٧).

* سُورَةُ الْكَهْفِ *

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّمَنَّا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ٦٥٦

٦٥٦ - قيل: معناه: أيهم أزهد فيها، فوصف الزهد بأنه أحسن الأعمال.

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ ٦٥٧

٦٥٧ - ال ابن عباس رضي الله عنه: ما أتى الله تعالى عبدًا علمًا إلا شابًا، والخير كله في الشباب، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ [الأنبياء: ٦٠] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم: ١٢].

﴿ رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوكَ مِنْ دُونِهِ ءِإِلَٰهًا ... ﴾ ٦٥٨

٦٥٨ - أما ترى أصحاب الكهف وما كانوا عليه من الكفر طول أعمارهم قاموا وقالوا: ﴿ رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوكَ مِنْ دُونِهِ ءِإِلَٰهًا ﴾ والتجأوا إليه، كيف قبلهم ثم أعزهم وأكرمهم، فقال: ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾، وكيف أعظم لهم الحرمة، وألبسهم المهابة والخشية حتى يقول لأكرم الخلق عليه السلام: ﴿ لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴾ [الكهف: ١٨]، بل كيف أكرم كلنا تبعهم حتى ذكره في كتابه العزيز مرات، ثم جعله معهم في الدنيا محجوبًا، ويدخل في الآخرة الجنة مكرمًا، فهذا فضله مع كلب خطأ خطوات مع قوم عرفوه ووجدوه أيامًا معدودة من غير عبادة أو خدمة، فكيف فضله مع عبده المؤمن الذي خدمه ووحده وعبده سبعين سنة؟ ولو عاش سبعين ألف سنة كان قاصدًا العبودية.

﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ... ﴾ ٦٥٩

٦٥٩ - اعلم أن لفظة الصبر من طريق اللغة: الحبس، قال الله تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾: احبس نفسك معهم.

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ... ﴾ ٦٦٠

٦٦٠ - ولم يقل: يحيط بهم، وهو معنى من قال: إن الجنة والنار مخلوقتان، وقد

أنطق الله لسانه بالحق، ولعله لا يطلع على سر ما يقوله.

• ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ ﴿٦٦١﴾

٦٦١ - غرور الكفار بالله: مثاله قول بعضهم في أنفسهم وبألسنتهم: إنه لو كان لله من معاد فنحن أحق به من غيرنا ونحن أوفر حظًا فيه وأسعد حالًا، كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين؛ إذ قال: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾، وجملة أمرهما كما نُقل في التفسير: أن الكافر منهما بنى قصرًا بألف دينار، واشترى بستانًا بألف دينار، وتزوج امرأة على ألف دينار، وفي ذلك كله يعظه المؤمن ويقول: اشتريت قصرًا يفنى ويخرب، ألا اشتريت قصرًا في الجنة لا يفنى؟ أو اشتريت بستانًا يخرب ويفنى ألا اشتريت بستانًا في الجنة لا يفنى وخدمًا لا يضمنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت؟ وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول: ما هنالك شيء وما قيل من ذلك فهو أكاذيب! وإن كان فليكون لي في الجنة خير من هذا.

• ﴿يُوْتِلَنَّا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَيْنَاهَا...﴾ ﴿٦٦٢﴾

٦٦٢ - قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يُوْتِلَنَّا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَيْنَاهَا﴾: إن الصغيرة: التبسم بالاستهزاء بالمؤمن، والكبيرة: القهقهة بذلك. وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر.

٦٦٣ - عن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال: الصغيرة: التبسم، والكبيرة: الضحك، فكيف بما عملته الأيدي وحصدته الألسن؟

• ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ ﴿٦٦٤﴾

٦٦٤ - العلم اللدني يكون لأهل النبوة والولاية، كما للخضر عليه السلام؛ حيث أخبر الله تعالى عنه فقال: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾.

٦٦٥ - هذا هو العلم الرباني، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ مع أن كل علم من لدنه، ولكن بعضه بوسائط تعليم الخلق، فلا يسمى ذلك علمًا لدنيًا، بل اللدني الذي يفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج.

• ﴿ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ ٧٧

٦٦٦ - ﴿ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ ﴾ أراد به صفات الربوبية، وهو العلوم التي لا يحل السؤال عنها حتى يبتدئ بها العارف في أوان الاستحقاق.

٦٦٧ - مهما أشار المعلم في طريق التعلم بما يراه المتعلم عين الخطأ، ويعتقده قطعاً، فليتهم نفسه وليصبر، وليتبع معلمه، فإن خطأ معلمه خير من صواب نفسه، كسالك الطريق يكون قد استفاد بالتجربة ما يتعجب المبتدئ منه.

وعلى هذا نبه الله تعالى في قصة الخضر مع موسى: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِنِّي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦] إلى قوله: ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ ثم لم يصبر وراجع، وراده إلى أن قال: ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ [الكهف: ٧٨].

ثم نبه على أسرار ما استبعده كما ورد به القرآن، فعرف الله موسى أن المعلم يعلم ما لا ينتهي إليه عقل المتعلم ووهمه.

وبالجملة: فكل متعلم لم يتبع مراسم معلمه في طريق التعلم فاحكم عليه بالإخفاق وقلة النجاح.

• ﴿ إِنَّا مَكْنَأُ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ ... ﴾ ٧٨

٦٦٨ - قال في أعظم ملوك الأرض ذي القرنين: ﴿ إِنَّا مَكْنَأُ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ فلم يكن جميع ملكه وسلطنته إلا بتمكين الله تعالى إياه في جزء من الأرض.

• ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ ٧٩

٦٦٩ - أنبأ الله سبحانه وتعالى عن ذي القرنين من إخباره عن العلوم الغيبية وصدقه فيه حين قال: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾، وإن كان وقع الاختلاف في نبوة ذي القرنين، فالإجماع على أنه ليس برسول، وهو خلاف المسطور في الآية.

﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ ١١٠

٦٧٠ - يرجع إلى العُجب بالعمل.

﴿ لَنفَعَدَّ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي... ﴾ ١١١

٦٧١ - إن المفسرين يقولون في قوله تعالى: ﴿ لَنفَعَدَّ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي ﴾:

إن هذه الكلمات التي يقول الله تعالى لأهل الجنة في الجنة باللفظ والإكرام.

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ

عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ ١١٢

٦٧٢ - النبي إذا شارك الناس في البشرية والإنسانية من حيث الصورة، فقد بينهم

من حيث المعنى؛ إذ بشريته فوق بشرية الناس لاستعداد بشريته لقبول الوحي ﴿ قُلْ إِنَّمَا

أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ أشار إلى طرف من المشابهة من حيث الصورة ﴿ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ أشار إلى

طرف المباينة من حيث المعنى.

٦٧٣ - روى طاوس وغيره من التابعين أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن مصطنع المعروف -

أو قال يتصدق - فيحب أن يحمد ويؤجر، فلم يدر ما يقول له حتى نزلت: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا

لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١)، وقصد الحمد والأجر جميعًا.

٦٧٤ - ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠]

نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس، وكن حذرًا مشفقًا من هذا الشرك.

٦٧٥ - إن الإنسان عند الشراكة أبدًا في خطر، فإنه لا يدري أي الأمرين أغلب على

قصده فربما يكون عليه وبالاً؛ ولذلك قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا

وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ أي: لا يرجى اللقاء مع الشراكة التي أحسن أحوالها التساقط.

٦٧١ - منهاج العابدين (ص ٣٥٠).

٦٧٠ - الإحياء (٣/٣٨٩).

٦٧٣ - الإحياء (٤/٤٠٦)، (٣/٣١٠).

٦٧٢ - معارج القدس (ص ١٣٢).

٦٧٥ - نفسه (٤/٤٠٧).

٦٧٤ - نفسه (١/١٧٩).

(١) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب السنة والحاكم نحوه من رواية طاوس مرسلًا، ن: المغني بهامش الإحياء (٤/٤٠٦).

ورواه ابن أبي حاتم من رواية طاوس قال: قال رجل: يا رسول الله إني أقف المواقف أريد وجه الله وأحب أن يرى موطني، فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئًا حتى نزلت هذه الآية: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠]، ن: تفسير ابن كثير (٣/١٣٣).

٦٧٦ - ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ﴾ أراد به الإخلاص.

٦٧٧ - قال الحسن البصري: إن أقوامًا ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ليست لهم حسنة، يقول: إني أحسن الظن بربي، وكذب لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل له، ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾.

* سُورَةُ مَرْيَمَ *

• ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝﴾

٦٧٨ - ترد الباء بمعنى في، كقوله تعالى: ﴿بِدُعَائِكَ﴾، وقيل معناه: لأجل دعائك، وقيل معناه: لسبب دعائك.

• ﴿يَخِيَّ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۝﴾

٦٧٩ - قيل في تفسير ﴿يَخِيَّ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾: أي: بجِد واجتهاد، وأخذه بالجد أن يكون متجردًا له عند قراءته منصرف الهمّة إليه من غيره.

٦٨٠ - قال ابن عباس رضي الله عنه: ما أتى الله ﷻ عبدًا علمًا إلا شابًا، والخير كله في

الشباب، ثم تلا قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠] وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣] وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢].

• ﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ... ۝﴾

٦٨١ - يحيى بن زكرياء عليه السلام فإنه أقيم مقام الهيبة والحياء، فلم ينطق حتى أثنى عليه خالقه، فقال: ﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ﴾.

• ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِمِجْذِ النَّخْلَةِ تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ۝﴾

٦٨٢ - قد كان الله قادرًا على تحصيل الرطب لمريم من غير هزٍّ، كما قال في النظم البديع:

٦٧٦ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١٢٣). ٦٧٧ - منهاج العابدين (ص ٢٧٣).

٦٧٨ - المنحول (٨٢). ٦٧٩ - الإحياء (٣٣٢/١).

٦٨٠ - نفسه (١٦٩/١). ٦٨١ - نفسه (٣٦١/٤).

٦٨٢ - سر العالمين وكشف ما في الدارين، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ٢٧).

ألم تر أن الله قال لمريم
ولو شاء أجنى الجذع من غير هزها
وهزي إليك الجذع يساقط الرطب
ولكنما الأشياء تجري لها سبب

• ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمٍ أَمُوتُ وَيَوْمٍ أُبْعَثُ حَيًّا ٦٨٣﴾

٦٨٣ - كان عيسى عليه السلام من المفضلين، ولإدلاله سلم على نفسه: فقال: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمٍ أَمُوتُ وَيَوْمٍ أُبْعَثُ حَيًّا ٦٨٣﴾ وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الأنس.

• ﴿يَتَأْتِيَ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ٦٨٤﴾

٦٨٤ - الولد وإن كان فرعًا، فلربما صار بمزيد العلم أصلًا، لذلك قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿يَتَأْتِيَ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ٦٨٤﴾.

• ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ... ٦٨٥﴾

٦٨٥ - قد أثنى الله تعالى على نبيه إسماعيل عليه السلام في كتابه العزيز فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ قيل: إنه وعد إنسانًا في موضع فلم يرجع إليه ذلك الإنسان بل نسي، فبقي إسماعيل اثنين وعشرين يومًا في انتظاره.

• ﴿ثُمَّ لَنَزِعَنَّ مِنَ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ٦٨٦﴾

٦٨٦ - أخبر أن أشد أهل النار عذابًا أشدهم عتيًا على الله تعالى فقال: ﴿ثُمَّ لَنَزِعَنَّ مِنَ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ٦٨٦﴾.

• ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ٦٨٧﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا... ٦٨٧

٦٨٧ - قال عليه السلام: «يقول الله تعالى لآدم عليه السلام يوم القيامة: يا آدم ابعث من ذريتك بعث النار، فيقول: يا رب من كم؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين» (٢).

هذا الحديث صحيح، ولكن ليس المعنى به أنهم كفار مخلدون، بل إنهم يدخلون النار يعرضون عليها ويتركون فيها بقدر معاصيهم، والمعصوم من المعاصي لا يكون في الألف

٦٨٣ - الإحياء (٣٦١/٤). ٦٨٤ - نصيحة من الإمام الغزالي (ص ٣٨).

٦٨٥ - الإحياء (١٤١/٣). ٦٨٦ - نفسه (٣٦٤/٣).

٦٨٧ - فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ١٤٣).

(١) رواه البخاري، ن: كتاب الأنبياء، حديث رقم (٣٣٤٨).

إلا واحداً، وكذلك قال الله تعالى: ﴿وَأِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

٦٨٨ - ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، أي الذين كان قربهم إلى الصراط المستقيم أكثر

من بعدهم عنه.

• ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا ۖ﴾ (٧٧)

٦٨٩ - روي عن خباب بن الأرت^(١) أنه قال: «كان لي على العاص بن وائل^(٢)

دين فجئت أتقاضاه، فلم يقض لي، فقلت: إني آخذه في الآخرة، فقال لي: إذا صرت إلى الآخرة فإن لي هناك مالا وولدا أقضيك منه، فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا ۖ﴾ (٣).

• ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ۖ﴾ (٨٨)

٦٩٠ - كان الحسن البصري يقول في موعظته: المبادرة بالمبادرة فإنما هي الأنفاس،

لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله ﷻ، رحم الله امرأً نظر إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه! ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ۖ﴾.

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۖ﴾ (٩١)

٦٩١ - قرأ الحسن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۖ﴾،

قال: يحبهم إلى المؤمنين.

٦٨٩ - نفسه (٤٠٤/٣).

٦٨٨ - الإحياء (٦٩/٣).

٦٩١ - منهاج العابدين (٢٩٥).

٦٩٠ - الإحياء (٤٨٨/٤).

(١) هو خباب بن الأرت بن جندلة بن مسعد بن خزيمه بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي ويقال الخزاعي أبو عبد الله، أسلم قديماً وكان من المستضعفين، عذب عذاباً شديداً لإظهار إسلامه، روى عن النبي ﷺ وروى عنه أبو أمامة وابنه عبد الله بن خباب وآخرون. (ت ٣٧ هـ) بالكوفة، ن: الإصابة (١٠١/٢) رقم (٢٢٠٢) وسير أعلام النبلاء (٣٢٣/٢).

(٢) هو ابن هشام السهمي والد عمرو بن العاص، أحد الحكام في الجاهلية، أدرك الإسلام وظل على الشرك، ويعد من المستهزئين والزنادقة الذين ماتوا على الكفر. (ت ٣ ق هـ)، ن: الكامل لابن الأثير (٤٩/٢) والأعلام للزركلي (٢٤٧/٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ن: كتاب التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا ۖ﴾ [مريم: ٧٧] حديث رقم (٤٧٣٢).

* سُورَةُ طه *

• ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ •

٦٩٢ - روي عن مالك رحمته الله أنه سئل عن الاستواء، فقال: «الاستواء معلوم، والإيمان به واجب، والكيفية مجهولة، والسؤال عنه بدعة» ^(١).

٦٩٣ - الاستواء حق، والسؤال عنه مع الاستغناء بدعة، والكيفية مجهولة.

٦٩٤ - وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواء منزهاً عن المماسمة ^(٢) والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال.

لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش والسماء، وفوق كل شيء إلى ثخوم الثرى، فوقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء، كما لا تزيده بعداً عن الأرض والثرى، بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء، كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد.

٦٩٥ - اعلم أن من أجرى الاستواء على العرش على ما ينبئ عنه ظاهر اللفظ - وهو الاستقرار على العرش - فقد التزم التجسيم، وإن تشكك في ذلك كان في حكم المصمم على التجسيم أيضاً، وإن قطع باستحالة الاستقرار على العرش فقد تأول الظاهر، وهو اعتقاد أهل الحق.

٦٩٢ - فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ١٢٩، ١٣٠)، والقسطاس المستقيم ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ٥٤).

٦٩٣ - الرسالة الوعظية، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ٥٨).

٦٩٤ - الإحياء (١٠٨/١).

٦٩٥ - روضة الطالبين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٩).

(١) قال سفيان بن عيينة: «سأل رجل مالكا فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى يا أبا عبد الله؟ فسكت مالك ملياً حتى علاه الرُّخضاء، وما رأيت مالكا وجد من شيء وجده من مقالته، وجعل الناس ينظرون ما يأمر به، ثم سرى عنه فقال: الاستواء منه معلوم، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإنني لأظنك ضالاً، أخرجوه، فناداه الرجل: يا أبا عبد الله والله الذي لا إله إلا هو، لقد سألت عن هذه المسألة أهل البصرة والكوفة والعراق، فلم أجد أحداً وفق لما وفقت له»، ن: ترتيب المدارك (٣٩/٢)، ون: درء تعارض العقل والنقل (٢٧٨/١).

(٢) أي منزهاً عن المس، ن: اللسان (مسس).

٦٩٦ - فيعلم قطعاً أنه ما أراد الجلوس والاستقرار الذي هو صفة الأجسام، ولا ندري ما الذي أرادته، ولم نكلف معرفته.

٦٩٧ - المتشابه: ما عسر إجراؤه على ظاهره كآية الاستواء، وإليه ميل ابن عباس رضي الله عنه.

• ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ١٧ ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ ١٨ ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ ١٩

٦٩٨ - ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ أي دُم على ما أنت عليه من البحث والطلب، فإنك على هداية ورشد.

والوادي المقدس عبارة عن مقام الكليم موسى عليه السلام مع الله تعالى في الوادي، وإنما تقدس الوادي بما أنزل فيه من الذكر، وسمع كلام الله تعالى، وأقيم ذكر الوادي مقام ما حصل فيه، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وإلا فالمقصود ما حذف لا ما ظهر بالقول؛ إذ الموضع لا تأثير لها وإنما هي ظروف.

ومعنى ﴿فَاسْتَمِعْ﴾ أي: سر بقلبك لما يوحى، فلعلك تجد على النار هدى، ولعلك من سرادقات العز [تنادى] ^(١) بما نودي به موسى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ أي: فرغ قلبك لما يرد عليك من فوائد المزيد وحوادث الصدق وثمار المعرفة وارتياح سلوك الطريق وإشارات قرب الوصول، وسر القلب كما [يقال] ^(٢): أذن الرأس ووسع الآذان. و ﴿لِمَا يُوحَى﴾ أي: ما يرد من الله تعالى بواسطة الملك، أو إلقاء في روع، أو مكاشفة بحقيقة، أو ضرب مثل مع العلم بتأويله...

ما نودي به موسى: هو علم التوحيد التي وسعت العبارة اللطيفة عنه بقوله حين قال له: يا موسى ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾.

٦٩٩ - ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ ظاهر الأمر الوجوب، والغفلة تضاد الذكر، فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيمًا للصلاة لذكره؟

٦٩٦ - إجماع العوام عن علم الكلام، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٠٨).

٦٩٧ - المنحول (ص ١٧١).

٦٩٨ - الإملاء عن إشكالات الإحياء: ملحق بالإحياء (٣٨/٥، ٣٩).

٦٩٩ - الإحياء (١٨٩/١).

٧٠٠ - قوله ﷺ: « من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها » ^(١) وقرأ قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾، وهذا خطاب مع موسى عليه السلام. قلنا: ما ذكره ﷺ تعليلاً للإيجاب، لكن أوجب بما أوحى إليه ونبه على أنهم أمروا كما أمر موسى عليه السلام.

وقوله: ﴿ لِذِكْرِي ﴾ أي: لذكر إيجابي للصلاة، ولولا الخبر لكان السابق إلى الفهم أنه لذكر الله تعالى بالقلب أو لذكر الصلاة بالإيجاب.

• ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا... ﴾ ١٥

٧٠١ - قال المفسرون: على نفسي ^(٢)، فإنه أخفاها تحقيقاً عن غيره.

• ﴿ وَأَضْمَمْتُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيَّضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ... ﴾ ٢٧

٧٠٢ - ولفظ التوراة: « وهنا يا ذو مطورا عث كالشولغ »، وتفسير هذا اللفظ العبراني بالعربية: وهذه يدك برصاء كالثلج. صرحت التوراة بالبرص، وصرح الكتاب العزيز بأن بياضها من غير سوء، وفي القلب حسكة من ذلك في بادئ الرأي، لكن الجمع على الممارس الفهم غير عسر.

وبيانه: أن البرص عبارة عن عرض ينشأ عن سوء مزاج يحصل بسببه، كلزج بلغم تضعف القوة المغيرة عن إحالته إلى لون الجسد.

ومعلوم أن بياض يد موسى عليه السلام، ما نشأ عن سوء مزاج؛ لأن كل أحد إذا ساء مزاجه على نهج ما وصفناه حصل له ذلك، وإذا قويت القوة المغيرة أحالته.

وحينئذ تذهب خصوصية الإعجاز!! بل بياضها كان من قبيل المعجز الخارق، وشأن المعجز الخارق أن يكون مخالفاً للمعهود المألوف، وإلى هذا المعنى إشارة الكتاب العزيز

٧٠٠ - المستصفى (٢٥٩/١).

٧٠١ - المنحول (ص ١٧١).

٧٠٢ - الرد الجميل (ص ٩٦، ٩٧).

(١) في الصحيحين: عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك، ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه: ١٤] ن: البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب: من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها ولا يعيد إلا تلك الصلاة، حديث رقم (٥٩٧) وصحيح مسلم، كتاب المساجد، ومواضع الصلاة، باب الفائتة واستحباب تعجيله.

(٢) قال الضحاك عن ابن عباس: إنه كان يقرؤها: أكاد أخفيها من نفسي. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: من نفسه. وكذا قال مجاهد وأبو صالح ويحيى بن رافع وغيرهم. ابن كثير (١٧٦/٣، ١٧٧).

بقوله: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾.

أي: أن الله تعالى أقدر موسى على أن يجعل يده برصاء من غير سوء وأن يردّها إلى لون جسده من غير قوة مغيرة، ليحصل له بذلك خصوصية بإجراء المعجز الخارق المخالف للمعهود على يده.

وإنما يكون معجزاً مخالفاً للمعهود، إذا أتى بالسبب منفكاً عن سببه العادي الذي لا ينشأ إلا عنه.

• ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِ ۖ هَٰؤُلَاءِ ۖ أَشْدُّ بِهِ ۖ أَزْرِى ۖ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِى ۖ﴾

٧٠٣ - إذا لم يستغن الأنبياء ﷺ عن الوزراء، واحتاجوا إليهم كان غيرهم من الناس أحوج.

• ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّمُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ۖ﴾

٧٠٤ - البارئ تعالى لما أرسل موسى إلى فرعون بأمره قال عز من قائل: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا ۖ وَإِذَا كَانَ الْحَقُّ ۖ﴾ أمر نبيه ﷺ أن يقول لعدوه قولاً ليناً، فالناس أجدر أن يلينوا أقوالهم.

٧٠٥ - ﴿لَعَلَّمُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ۖ﴾ يعني: قول من يرتجى أنه يتذكر أو يخشى وهذا على قدر فهم الخطاب.

• ﴿الَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ۖ﴾

٧٠٦ - الهادي: هو الذي هدى خواص عباده أولاً إلى معرفة ذاته حتى استشهدوا بها على معرفة ذاته، وهدى عوام عباده إلى مخلوقاته حتى استشهدوا بها على ذاته، وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد منه في قضاء حاجاته.

فهدى الطفل إلى التقام الثدي عند انفصاله، والفرخ إلى التقاط الحب وقت خروجه، والنحل إلى بناء بيته على شكل التسديس لكونه أوفق الأشكال لبدنه وأحواها له، وشرح ذلك يطول ^(١)، وعنه عبر قوله تعالى: ﴿الَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ۖ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۖ﴾ [الأعلى: ٣].

٧٠٣ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ٨٧).

٧٠٤ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ٩٠). ٧٠٥ - المنحول (ص ٩١).

٧٠٦ - المقصد الأسنى، طبعة دار الكتب العلمية (ص ١١٦).

(١) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحْمٰنُ الرَّحِيْمُ﴾ من سورة الفاتحة.

٧٠٧ - فالخلق دون الهداية لا يفضي إلى خير؛ ولذلك قال ﷻ: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾.

• ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (٨٧).

٧٠٨ - القرآن من أوله إلى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر، ولو لم يكن فيه إلا قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ كان كافياً؛ إذ علق المغفرة على أربعة شروط يعجز العبد عن أحادها.

• ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (٩٠).

٧٠٩ - اعلم أن العزم عبارة عن القصد المؤكد، قال الله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ أي: قصداً بليغاً، وسمي بعض الرسل: أولي العزم لتأكد قصدهم في طلب الحق. والعزيمة في لسان حملة الشرع: عبارة عما لزم العباد بإيجاب الله تعالى.

• ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (٩٣).

٧١٠ - أنكر الأكثرون من المسلمين عصمة الأنبياء^(١)، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾.

٧١١ - قالت طوائف من أصحابنا: العصمة لا تثبت للنبي من الصغائر^(٢)، واستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾.

٧٠٧ - مقاصد الفلاسفة (ص ٣٧٤).
٧٠٨ - الإحياء (١٧٩/٤).
٧٠٩ - المستصفى (٩٨/١).
٧١٠ - فضائح الباطنية (ص ١١٥).
٧١١ - نفسه (ص ١٤٨).

(١) قال محقق المنحول: محمد حسن هيتو: «الأكثر من المسلمين على أنه لا يمتنع عقلاً عن الأنبياء ﷺ قبل الرسالة معصية: كبيرة كانت أو صغيرة، وخالف الروافض فذهبوا إلى امتناعها، والمعتزلة إلا في الصغائر، وشبه الفريقين التحسين والتقييح العقلين.

والإجماع منعقد على عصمتهم بعد الرسالة من تعمد الكذب في الأحكام لدلالة المعجزة على الصدق، وجوزه القاضي غلطاً؛ لأن الغلط والنسيان غير داخلين تحت التصديق المقصود بالمعجزة، وأما غيره من المعاصي فالإجماع على عصمتهم من الكبائر والصغائر الدالة على الخسة، والأكثر على جواز غيرها.

واختار ابن السبكي مع والده رأي الأستاذ أبي إسحاق، والقاضي عياض وأبي الفتح الشهرستاني امتناع الكل على كل وجه من العمد والسهو. رفع الحاجب (١/١٤٧ ب) ن: هامش المنحول (ص ٢٢٣).

(٢) قال الإمام الغزالي: «قد تقرر بمسلك النقل كونهم معصومين عن الكبائر، وأما الصغائر، ففيه تردد العلماء، والغالب على الظن وقوعه، وإليه تشير بعض الآيات والحكايات» المنحول (ص ٢٢٣).

• ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿٧١٢﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنتَكَ ءَايَتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴿٧١٣﴾ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي﴾

آيات الله حكمته في خلقه، وقد أُلقيت إلى الخلق على لسان الأنبياء - صلوات الله عليهم - كما فصلت في جملة الشريعة من أولها إلى آخرها، وما من حد من حدود الشرع إلا وفيه سر وخاصية وحكمة، يعرفها من يعرفها، وينكرها من يجهلها.

٧١٣ - قال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعًا، ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر، هل تدرّون في ماذا أنزلت: ﴿إِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تينًا، هل تدرّون ما التين؟ تسعة وتسعون حية، لكل حية تسعة وتسعون رؤوس يخذشونه ويلحدونه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون»^(١).

ولا ينبغي أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص، فإن أعداد هذه الحيات والعقارب بعدد الأخلاق المذمومة من الكبر، والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات، فإن لها أصولًا معدودة، ثم تتشعب منها فروع معدودة، ثم تنقسم فروعها إلى أقسام. وتلك الصفات بأعيانها هي المهلكات، وهي بأعيانها تنقسم فروعها إلى أقسام. وتلك الصفات بأعيانها هي المهلكات، وهي بأعيانها تنقلب عقارب وحيات، فالقوي منها يلدغ لدغ التين، والضعيف يلدغ لدغ العقرب، وما بينها يؤذي إيذاء الحية.

وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة، هذه المهلكات وانشعاب فروعها، إلا أن مقدار عددها لا يوقف عليه إلا بنور النبوة، فأمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية، ولكنها عند أرباب البصائر واضحة، فمن لم تنكشف له حقائقها

٧١٢ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١٧٠).

٧١٣ - الإحياء (٥٣٢/٤)، وكتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٢١٢) مع الاختصار على الحديث الذي رواه ابن حبان.

(١) قال الحافظ العراقي: رواه ابن حبان. وقال الزبيدي: رواه كذلك ابن أبي الدنيا في الموت، والحكيم في النواذر وأبو يعلي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وابن مردويه والآجري وابن منده. ن: المغني (٥٣٤/٤) والإتحاف (٣١٤/١٤).

فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الإيمان التصديق والتسليم.

٧١٤ - ﴿كَذَلِكَ أَنْتَ ءَايَتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ أي: تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها، فإن المقصر في الأمر يقال: إنه نسي.

• ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ ﴿١٣١﴾

٧١٥ - معناه: لولا الكلمة وأجل مسمى لكان لازماً ولولاه لكان نصباً كاللزام.

• ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا...﴾ ﴿١٣٢﴾

٧١٦ - قال جرير بن عبد الله البجلي: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فرأى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم ترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون من رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ وهو مخرج في الصحيحين.

• ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ ﴿١٣٣﴾

٧١٧ - عن أبي رافع أنه قال: ورد على رسول الله ﷺ ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه، فأرسلني إلى رجل من يهود خيبر وقال: «قل له: يقول لك محمد أسلفني أو بعني دقيقاً إلى هلال رجب» قال: فأتيته فقال: لا والله إلا برهن، فأخبرت رسول الله ﷺ بذلك فقال: «أما والله إني لأمين في أهل السماء، أمين في أهل الأرض، ولو باعني أو سلفني لأديت إليه، اذهب بدرعي هذا إليه فارهنه» فلما خرجت نزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ^(١) وهذه الآية تعزية لرسول الله ﷺ عن الدنيا.

• ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا...﴾ ﴿١٣٤﴾

٧١٨ - يروى عن رسول الله ﷺ: أنه كان إذا أصاب أهله خصاصة قال: «قوموا إلى الصلاة» ويقول: «بهذا أمرني ربي ﷻ»، قال ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ ^(٢).

٧١٥ - نفسه (٣٤٤/١).

٧١٤ - الإحياء (٣٣٩/١).

٧١٧ - نفسه (٢٠٧/٤).

٧١٦ - نفسه (٥٧٨/٤).

٧١٨ - نفسه (٢٦٠/٤) وكتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١٨٠).

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه الطبراني بسند ضعيف، ن: المغني بهامش الإحياء (٢٠٧/٤).

(٢) قال الحافظ العراقي: أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث محمد بن حمزة عن عبد الله بن سلام =

* سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ *

• ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٧) ﴿ (١)

• ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا... ﴾ (٢٢)

٧١٩ - الله ﷻ واحد لا شريك له، فرد لا ند له، انفرد بالخلق والإبداع واستند بالإيجاد والاختراع، لا مثل له يساهمه ويساومه، ولا ضد له فينازعه ويناوئه، وبرهانه قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ وبيانه أنه لو كان اثنين وأراد أحدهما أمراً، فالثاني إن كان مضطراً إلى مساعدته كان هذا الثاني مقهوراً عاجزاً، ولم يكن إلهاً قادراً، وإن كان قادراً على مخالفته ومدافعته، كان الثاني قوياً قاهراً، والأول قاصراً ولم يكن إلهاً قادراً.

٧٢٠ - لو كان للعالم إلهان لفسد، فهذا أصل، ومعلوم أنه لم يفسد، وهذا أصل آخر، فيلزم عنهما نتيجة ضرورة وهي نفي أحد الإلهين.

٧٢١ - قوله: ﴿ لَفَسَدَتَا ﴾ لازم، وملزوم قوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ولزمت النتيجة من نفي اللازم.

٧٢٢ - إن اجتماع المدبرين سبب إفساد التدبير... وإن التدبير لا ينتظم في دار واحدة بمدبرين، فكيف ينتظم في كل العالم؟

٧٢٣ - عمدة أدلة المتكلمين في التوحيد قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾.

• ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (٢٢)

٧٢٤ - السؤال قد يطلق ويراد به الإلزام، يقال: ناظر فلان فلاناً وتوجه عليه لسؤاله،

٧١٩ - الإحياء (١٢٩/١).

٧٢٠ - القسطاس المستقيم، ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ٢٧) والمستصفى (٢٣٩/١).

٧٢١ - القسطاس المستقيم ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ٣٠).

٧٢٢ - إجماع العوام عن علم الكلام، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ٨٣ - ٨٧).

٧٢٣ - الإحياء (١١٥/١).

٧٢٤ - المضمون به على غير أهله، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٣٩).

= وقال: « كان النبي ﷺ إذا نزل بأهله الضيق أمرهم بالصلاة ثم قرأ هذه الآية » ن: المغني بهامش الإحياء: (٢٦٠/٤).

(١) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣].

وقد يطلق ويراد به الاستخبار، كما يسأل التلميذ أستاذه.

والله تعالى لا يتوجه عليه السؤال بمعنى الإلزام، وهو المعنى بقوله: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ إذ لا يقال له: لم؟ قول إلزام. فأما أن لا يستخبر ولا يستفهم فليس كذلك، وهو المراد بقوله: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٥].

• ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا...﴾ (٣٥)
٧٢٥ - الأول^(١): انطباق فلك البروج على معدل النهار، والفتق بعد الرتق: ظهور الليل.

• ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (٥١)
٧٢٦ - الرشد نعني به العناية الإلهية التي تعين الإنسان عند^(٢) توجهه إلى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساد، ويكون ذلك من^(٣) الباطن كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ فالرشد: عبارة عن هداية باعثة إلى جهة السعادة محركة إليها.

• ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾ (٧٦)
٧٢٧ - سمى ما آتاهما علماً وحكماً، وخصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدماً على الحكم والعلم.

٧٢٨ - ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَنَ﴾ خص ما انكشف باسم الفهم.
• ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ...﴾ (٨٥)

٧٢٩ - روي أن داود عليه السلام كان يخرج متنكراً يطوف في الآفاق يسأل عن سيرة داود فيهم، فتعرض له جبريل عليه السلام على صورة آدمي فسأله عن سيرته، فقال جبريل: نعم الرجل داود ونعم السيرة سيرته غير أنه يأكل من بيت مال المسلمين ولا يأكل من كد يده. فرجع باكيًا متضرعًا إلى محرابه يسأل ربه تعالى أن يعلمه صنعة يأكل منها فعلمه

٧٢٥ - المضمون به على غير أهله (ص ١٢٣). ٧٢٦ - الإحياء (١١٤/٤) وميزان العمل (ص ٣٠٣).

٧٢٧ - الإحياء (٣٤٢/١). ٧٢٨ - نفسه (٢٦/٣).

٧٢٩ - فضائح الياطينية (٢١١).

(١) أي: الرتق. (٢) كذا في الإحياء، وفي ميزان العمل: «على».

(٣) كذا في الإحياء، وفي ميزان العمل: «في».

صنعة الدروع، وألان له الحديد، فذلك قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾.

• ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧)

٧٣٠ - يونس - عليه الصلاة والسلام - غضب غضبة واحدة في غير موضعها، فسجنه في بطن الحوت تحت قعر البحار أربعين يوماً وهو ينادي: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وسمعت الملائكة صوته فقالوا: إلهنا وسيدنا، صوت معروف في موضع مجهول، قال تعالى: ذلك عبيد يونس. فشغفت الملائكة فيه.

• ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ (٨٨)

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (٨٩)

٧٣١ - لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ قال بعض اليهود: أنا أخصم لكم محمداً فجاءه وقال: قد عُبِدَت الملائكة وعُبد المسيح، فيجب أن يكونوا من حصب جهنم، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (١).

• ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٩٠)

٧٣٢ - من قبل شرعه، واتبع دينه، وأطاع أمره، فهو في الدنيا مرحوم، وفي الآخرة مسعود، منعم، مكرم أبد الأبدين برحمة رب العالمين.

وما كان محمد بذاته رحمة بل كان بنبوته وشريعته رحمة.

ونبوته ما كانت مختصة بل كانت شاملة لجميع الأنبياء - صلوات الله عليهم - كما قال سبحانه: ﴿لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وهو خاتم النبيين وأفضلهم.

٧٣١ - المستصفى (٤٤/٢).

٧٣٠ - منهاج العابدين (ص ٢٦٠).

٧٣٢ - المعارف العقلية (ص ٨٤).

(١) عن ابن عباس قال: جاء عبد الله بن الزبيري إلى النبي ﷺ فقال: ترعم أن الله أنزل عليك هذه الآية: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ فقال ابن الزبيري: قد عُبِدَت الشمس والقمر والملائكة وعزير وعيسى ابن مريم كل هؤلاء في النار مع آلهتنا؟ فنزلت ﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِيدُونَ﴾ (٩٠) وَقَالُوا يَا إِلَهُنَا خَيْرٌ أَمْرٌ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿ثم نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ رواه الحافظ أبو عبد الله في كتابه الأحاديث المختارة، ن: تفسير ابن كثير (٢٤٢/٣).

* سُورَةُ الْحَجِّ *

• ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ ﴾

٧٣٣ - لما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ قال: « أتدرون أي يوم هذا؟ هذا يوم يقال لأدم عليه الصلاة والسلام: قم فابعث بعث النار من ذريتك، فيقول: كم؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة » قال: فأبلس القوم وجعلوا يكون وتعطلوا يومهم عن الاشتغال والعمل، فخرج عليهم رسول الله ﷺ وقال: « ما لكم لا تعملون؟ » فقالوا: ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا؟ فقال: « كم أنتم في الأمم؟ أين تأويل وثاريت ومنسك ويأجوج ومأجوج أم لا يحصيها إلا الله تعالى؟ إنما أنتم في سائر الأمم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود وكالرقمة في ذراع الدابة » (١).

• ﴿ خَلَقْتَكُمْ مِنْ تُرَابٍ... ۝٢ ﴾

٧٣٤ - عنى به الإنسان التوالدي.

• ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَامٍ يُظْلَمِ نُذْقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۝٣ ﴾

٧٣٥ - قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما من بلد يؤخذ فيه العبد بالنية قبل العمل إلا مكة، وتلا قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَامٍ يُظْلَمِ نُذْقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾.

٧٣٦ - قيل في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَامٍ يُظْلَمِ نُذْقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾: إن الاحتكار من الظلم وداخل تحته في الوعيد.

• ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٤ ﴾

٧٣٧ - قال قتادة: لما أمر الله ﷻ إبراهيم - صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وعلى كل

٧٣٣ - الإحياء (١٥٨/٤).

٧٣٤ - المصنوع به على غير أهله، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٤٠).

٧٣٥ - الإحياء (٢٩٠/١).

٧٣٦ - نفسه (٨٣/٢).

٧٣٧ - نفسه (٢٨٦/١).

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء حديث رقم (٣٣٤٨) وأخرجه الترمذي من حديث عمران بن حصين وقال: حسن صحيح، كتاب أبواب التفسير، حديث رقم (٣١٨٠) (١١٤/٥ ، ١١٥).

عبد مصطفى - أن يؤذن في الناس بالحج نادى: يا أيها الناس إن الله ﷻ بيثا فحجوه.

• ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ...﴾ (٧٣٨)

٧٣٨ - قيل: التجارة في الموسم والأجر في الآخرة، ولما سمع بعض السلف هذا، قال: غفر لهم ورب الكعبة.

• ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَذْرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (٧٣٩)

٧٣٩ - ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ والتفت: الشعث والاغبرار، وقضاؤه بالحلق وقص الشارب والأظفار.

٧٤٠ - قوله تعالى: ﴿وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ لا يتناول طواف المحدث الذي نهى عنه، لأن النهي عنه لا يكون مأمورا به.

الطواف مشروع بقوله تعالى: ﴿وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ولكن وقوعه في حالة الحدث مكروه.

• ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ...﴾ (٧٤١)

٧٤١ - قيل في تفسير قوله تعالى ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ﴾: إنه تحسينه وتسمينه.

• ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (٧٤٢)

٧٤٢ - الإخبات: هو الإذعان والانقياد للحق بسهولة.

• ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ...﴾ (٧٤٣)

٧٤٣ - أي الصفة التي استولت على القلب حتى حملته على امتثال الأوامر هي المطلوبة.

٧٤٤ - خصص الله تعالى التقوى بالإضافة إلى نفسه فقال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ

لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ وإنما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف.

٧٤٥ - وهي صفة القلب، فمن هذا الوجه يجب لا محالة أن تكون أعمال القلب على الجملة أفضل من حركات الجوارح، ثم يجب أن تكون النية من جملتها أفضل؛ لأنها عبارة عن ميل القلب إلى الخير وإرادته له.

• ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥١ ﴾

٧٤٦ - قرأ ابن عباس (رضي الله عنهما) : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث) يعني: الصديقين، والمحدث هو الملهم، والملم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة.

• ﴿ فَتَخَيَّ لَمْ قُلُوبُهُمْ... ٥٢ ﴾

٧٤٧ - الإخبات: هو الإذعان والانقياد للحق بسهولة.

* سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ *

• ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢ ﴾

٧٥١ - مدحهم بعد الإيمان بصلاة مخصوصة؛ وهي المقرونة بالخشوع.

• ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٣ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٤ ﴾

٧٥٢ - لا تصل إلى حفظ الفرج إلا بحفظ العين عن النظر، وحفظ القلب عن التفكير، وحفظ البطن عن الشبهة وعن الشبع، فإن هذه محركات للشهوة ومغارسها.

• ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ٥ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٦ ﴾

٧٥٣ - وصفهم بالفلاح أولاً، وبوراثه الفردوس آخرًا، وما عندي أن هزيمة (١)

٧٤٦ - نفسه (٢٧/٣).

٧٤٥ - الإحياء (٣٨٧/٤).

٧٤٧ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ١٠٣).

٧٥١ - الإحياء (٢٠١/١).

٧٥٢ - بداية الهداية، ضمن المجموعة رقم (٥) (ص ٦٧).

٧٥٣ - الإحياء (٢٠١/١).

(١) هزيمة: من الهذر، وهو الكلام الذي لا يعبا به، ن: اللسان (هذر).

اللسان مع غفلة القلب تنتهي إلى هذا الحد.

• ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخِرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١١ ﴾

٧٥٤ - ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخِرَ ۝١١ ﴾ أي: نفخنا فيه الروح.

٧٥٥ - ﴿ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١١ ﴾ أي: المقدرين.

• ﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا... ۝١٢ ﴾

٧٥٦ - قال بعض السلف الصالحين: إن الأكل من الدين، وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو أصدق القائلين: ﴿ كُلُّوْا مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۝١٢ ﴾ فمن يقدم على الأكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغي أن يترك نفسه مهملاً سدى، يسترسل في الأكل استرسال البهائم في المرعى، فإن ما هو ذريعة إلى الدين ووسيلة إليه ينبغي أن تظهر أنوار الدين عليه.

٧٥٧ - ﴿ كُلُّوْا مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۝١٢ ﴾ أمر بالأكل من الطيبات، وقيل: إن المراد به الحلال.

٧٥٨ - ﴿ كُلُّوْا مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۝١٢ ﴾ والحرام خبيث وليس بطيب، فقد قرن ﴿﴾ أكل الطيبات بالعبادات.

• ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَّا ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ... ۝١٣ ﴾

٧٥٩ - قالت عائشة رضي الله عنها: قلت يا رسول الله: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَّا ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ۝١٣ ﴾ هو الرجل يسرق ويزني؟ قال: « لا، بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ألا يقبل منه » ^(١).

٧٦٠ - ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَّا ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ۝١٣ ﴾ قال الحسن: يعملون ما عملوا من أعمال البر، ويخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله.

٧٥٥ - المستصفى (١٣٩/٢).

٧٥٤ - الإحياء (٥٩/٢).

٧٥٧ - نفسه (١٠١/٢).

٧٥٦ - الإحياء (٣/٢).

٧٥٨ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٤٨، ٤٩).

٧٦٠ - نفسه (٤٣٣/٤).

٧٥٩ - الإحياء (١٧٠/٤).

(١) رواه الترمذي. أبواب تفسير القرآن (٩/٥)، حديث رقم (٣٢٢٥).

• ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا... ﴾ (١٥)

٧٦١ - كان ابن عباس يقول: من مات ولم يترك ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا، وقرأ قوله ﷻ: ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾.

٧٦٢ - عن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقرأ قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ قال: أي شيء تريد؟ في أي شيء ترغب؟ أتريد أن ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني البنيان وتشق الأنهار؟ قال: لا ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ قال: فيقول الجبار: ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ أي ليقولنها عند الموت.

• ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۚ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ (١٦)

٧٦٣ - ووجهها أن الله يحدث في صحائف الأعمال وزناً بحسب درجات الأعمال عند الله تعالى، فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب.

• ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ... ﴾ (١٧)

٧٦٤ - قال بعض العلماء في قوله: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴾: إنها لفحتهم لفحة واحدة، فما أبقت لحمًا على عظم إلا ألقته عند أعقابهم.

• ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ۚ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ۚ قَالَ أَخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ (١٨)

٧٦٥ - قال الأعمش^(١): أنبت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام قال:

٧٦٢ - نفسه (٥٣٢/٤).

٧٦١ - الإحياء (٢٩٢/١).

٧٦٤ - نفسه (٥٦٥/٤).

٧٦٣ - نفسه (١٣٦/١).

٧٦٥ - نفسه (٥٦٦/٤).

(١) هو سليمان بن مهران الكوفي الإمام، شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدثين، كان ثقة عالمًا فاضلاً، رأى أنس بن مالك وحكى عنه وعن كثير من التابعين، كما روى عنه خلق كثير؛ منهم أبو حنيفة والأوزاعي وشعبة، ت سنة (١٤٨ هـ) ن: وفيات الأعيان (٤٠٠/٢ - ٤٠٣) وحلية الأولياء (٤٦/٥ - ٦٠) وسير أعلام النبلاء (٢٢٦/٦).

فيقولون: ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾ ﴿١٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٧﴾ قال: فيجيئهم: ﴿ أَخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ قال: فعند ذلك يئسوا من كل خير، وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل.

• ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ ﴿١٨﴾

٧٦٦ - الكريم: يدل على سعة الإكرام مع شرف الذات.

* سُورَةُ النُّورِ *

• ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ... ﴾ ﴿٢٠﴾

٧٦٧ - ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ﴾ فإنه كما فهم وجوب الجلد على الزاني وهو المنطوق به، فهم كون الزنا علة الحكم، وكونه علة غير منطوق به، لكن يسبق إلى الفهم من فحوى الكلام.

٧٦٨ - ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ جعل الزنا علة إيجاب المائة، ثم استثنى الإمام فقال: ﴿ فَإِذَا أَحْصَيْنَ فَإِنْ أَتَيْكَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ [النساء: ٢٥] فدار العبد بين الأمة المخصوصة، وبين القاعدة، فألحقناه بالأمة لمشاركته إياها في الرق الذي هو به ظهر وجه المصلحة في الاستثناء.

٧٦٩ - سمى الزاني زانيًا؛ لأنه مولج فرجه في فرج محرم، فيقاس اللائط في إثبات اسم الزاني حتى [يدخل] ^(١) في عموم قوله تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ﴾.

• ﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً... ﴾ ﴿٢١﴾ [

٧٧٠ - نعلم أن الله تعالى لم يوجب على من قذف محصنًا بالزنا إلا ثمانين جلدة، ونعلم أن هذا الحكم يشمل كافة الخلق ويعمهم على وتيرة واحدة، وأنه لو قذف قاذف

٧٦٦ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٦).

٧٦٨ - شفاء الغليل (ص ٦٧٠، ٦٧١).

٧٧٠ - فضائح الباطنية (ص ١٤٩).

٧٦٧ - المستصفى (١٨٩/٢).

٧٦٩ - المستصفى (٣٨٢/١).

(١) في الأصل المطبوع: « يدل »، والصواب ما أثبتته.

أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بالزنا فما زاده على إقامة حد الله تعالى المنصوص عليه في كتابه، ولم يدعوا لأنفسهم التمييز بخاصية في الخروج عن مقتضى العموم.

• ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا...﴾ ⑤

٧٧١ - لا يرجع إلى الجلد، ويرجع إلى الفسق، وهل يرجع إلى الشهادة؟ فيه خلاف.

• ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَتْ أَحَدُهُمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ① وَالْخَمِيسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ② وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ③ وَالْخَمِيسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ④﴾ [٧٧٢ - نزلت آية اللعان: في هلال بن أمية.

• ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ⑤﴾

٧٧٣ - ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾؛ إذ تكلم مسطح بن أثاثة ^(١) في واقعة الإفك ^(٢) فحلف أبو بكر أن يقطع عنه رفقته - وقد كان يواسيه بالمال - فنزلت الآية مع عظم معصية مسطح وآية معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله صلی الله علیه و آله وإطالة اللسان في مثل عائشة رضي الله عنها، إلا أن الصديق رضي الله عنه كان كالجني عليه في نفسه بتلك الواقعة، والعفو عمن ظلم والإحسان إلى من أساء من أخلاق الصديقين.

٧٧٤ - لما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح - وكان قريبه - لكونه تكلم في واقعة الإفك نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فقال أبو بكر: نعم نحب ذلك، وعاد إلى الإنفاق عليه.

٧٧٢ - نفسه (٦٠/٢).

٧٧١ - المستصفى (١٧٨/٢).

٧٧٤ - نفسه (١٩٣/٣).

٧٧٣ - الإحياء (١٨٢/٢).

(١) هو ابن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي المطلبى المهاجري البصري المذكور في قصة الإفك، كان فقيراً ينفق عليه أبو بكر. ت سنة (٤٣ هـ)، ن: تهذيب الأسماء واللغات (٨٩/٢) وسير أعلام النبلاء (١٨٧/١، ١٨٨).
(٢) متفق عليه من حديث عائشة، ن: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، حديث رقم (٤٧٥٠). وصحيح مسلم حديث رقم (٥٦) ومسند الإمام أحمد (١٣٦/٦) وتفسير ابن كثير (٣٣٦/٣).

• ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٧٧٥﴾

٧٧٥ - ينادي بهم فردًا فردًا، فيحاسب كل واحد منهم، فإذا الأقدام تشهد، واليدين تشهدان، وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. • ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ٧٧٦﴾

٧٧٦ - اعلم أنني تأملت هذه الآية فوجدت فيها مع قصرها ثلاثة معاني عزيزة: تأديب وتنبيه وتهديد.

فأما التأديب: فقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ ولا بد من امثال أمر السيد والتأديب بأدبه، وإلا فيكون سيئ الأدب فيحجب، فلا يؤذن له في حضور المجلس والمثول بالحضرة، فافهم هذه النكتة، وتأمل ما تحتها، فإنها فيها ما فيها. وأما التنبيه: فقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ ويطلق على معنيين والله أعلم. أحدهما: إن ذلك أطهر لقلوبهم، والزكاة: الطهارة، والتركية التطهير.

والثاني: ذلك أنمي لخيرهم وأكثر، والزكاة في الأصل: النمو، فنبه على أن في غض البصر تطهير القلب وتكثير الطاعة والخير، وذلك أنك إن لم تغض بصرك وأرخيت عنانه، تنظر إلى ما لا يعينك، فلا يخلو من أن تقع عينك على حرام، فإن تعمدت فذنب وكبيرة، وربما تعلق قلبك بذلك فتهلك إن لم يرحم الله تعالى، فلقد روي أن العبد لينظر النظرة ينغل^(١) فيها قلبه كما ينغل الأديم في الدباغ، لا ينتفع فيه أبدًا، وإن كان مباحًا، وربما يشتغل قلبك به، فجاءك الوسواس والخواطر بسببه، ولعلك لا تصل إليه، فتبقى مشغول القلب منقطعًا عن الخير، وإن كنت لم ترد ذلك، كنت مستريحًا عن ذلك كله، وفي هذا المعنى ذكر عن عيسى صلوات الله على نبينا وعليه، أنه قال: إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة.

٧٧٥ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٣٢).

٧٧٦ - منهاج العابدين (ص ١٣٣ - ١٣٥).

(١) ينغل: على وزن يطرب، أي يفسد، وفي الحديث: «ربما نظر الرجل نظرة فنغل قلبه كما ينغل الأديم في الدباغ فيثقب» ن: اللسان (نغل).

وقال ذو النون: نِعَم - صاحب الشهوات - غض الأبصار! ولقد أحسن القائل:

وأنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليك ولا عن بعضه أنت صابر
فإياك والأمر الذي إن توسعت موارده ضاقت عليك المصادر

فإذن لما كنت غاض البصر، حافظاً للعين، لا تنظر لما لا يعينك ولا يهملك، كنت نقي الصدر، فارغ القلب، مستريحاً عن كثير من الوسواس، سالم النفس عن الآفاق، متزايداً في الخيرات، فتنبه لهذه النكتة الجامعة واللّه الموفق بمنه وفضله.

وأما التهديد فقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾
• ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢٤)
٧٧٧ - هذا أمر على العموم.

٧٧٨ - والتوبة: نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه.

• ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ...﴾ (٢٥)
٧٧٩ - هذا أمر.

٧٨٠ - قال [الإمام الشافعي] (١) في كتاب أحكام القرآن: لم يتبين لي وجوب إنكاح العبد؛ لأنه لم يرد فيه النهي عن العضل، بل لم يرد إلا قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ﴾ الآية؛ فهذا أمر، وهو محتمل للوجوب والندب.

• ﴿وَالَّذِينَ يَبْنُونَ الْكُنُبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ...﴾ (٢٦)

٧٨١ - ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ استحباب.

٧٨٢ - ﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ﴾ إيجاب.

٧٧٨ - نفسه (٤/٤٢٨).

٧٧٧ - الإحياء (٦/٤).

٧٨٠ - المستصفى (١/٤٢٦).

٧٧٩ - نفسه (٢/٢٥).

٧٨٢ - نفسه (٢/٧٢).

٧٨١ - المستصفى (٢/٧١).

(١) قال الإمام الشافعي: «ولم أعلم دليلاً على إيجاب إنكاح صالحي العبيد والإماء كما وجدت الدلالة إنكاح الحرائر إلا مطلقاً؛ فأحب إلي أن ينكح من بلغ من العبيد والإماء، ثم صالحوهم خاصة. ولا يبين لي أن يجبر أحد عليه؛ لأن الآية محتملة أن تكون أريد بها الدلالة، لا الإيجاب». ن: أحكام القرآن (١/١٧٦).

• ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾

٧٨٣ - شبه الله سبحانه العقل بالنور فقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي منورهما.

٧٨٤ - سمى الله العقل نوراً في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ﴾.

٧٨٥ - ﴿مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ قال أبي بن كعب: معناه: مثل نور المؤمن وقلبه.

٧٨٦ - قرأ ابن مسعود: ﴿مِثْلُ نُورِهِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ وقرأ أبي ابن كعب: ﴿مِثْلُ نُورِ قَلْبٍ مَنْ آمَنَ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾.

٧٨٧ - إشراف نور الملك على النفوس البشرية، يضاهي إشراف نور السراج على الأجسام المتلونة، أو إشراف نور الشمس عليها، وحصول العلم بنسبة تلك المفردات، يضاهي حصول الإبصار بائتلاف ألوان الأجسام.

ولذلك شبه الله تعالى هذا النور على طريق ضرب مثال محسوس: ﴿مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾.

وإن بان لك أن النفس جوهر قائم بنفسه ليس بجسم، ولا هو منطبع في جسم كان قوله تعالى: ﴿زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ موافقة حقيقة في براءته عن الجهات كلها. وإن لم ين لك ذلك بطريق النظر، فيكون تأويل هذا التمثيل على وجه آخر.

٧٨٨ - ﴿مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾.

قلنا: المراد بهذا النور العقلي هاهنا أربعة أشياء: المشكاة والزجاجة والمصباح والزيتونة.

٧٨٣ - ميزان العمل (ص ٣٣٢). ٧٨٤ - الإحياء (٩٩/١).

٧٨٥ - نفسه (١١/٣).

٧٨٦ - مشكاة الأنوار، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ٢٥).

٧٨٧ - معيار العلم في المنطق (ص ٢٢٦).

٧٨٨ - معراج السالكين، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ١٣٥، ١٣٦).

وأما المشكاة فمثالها النفس، ومثال الزجاج القوة الخيالية، والمصباح كالعقل والزيتونة التي هي الشجرة: العقل الفعال.

ولما كان المصباح - الذي هو النور - لا بد في إظهار ثمرته وحكمته للأجسام من آلة جسمانية تشاكل الأجسام كالنور يفتقر إلى زيت يناسب النار بالحر ويناسب الفتيلة بالرطوبة، فكثيراً ما قدمنا أن العقل لا يباشر، كانت واسطته النفس فهي المشكاة، ثم كانت النفس لا بد لها من حيلة في معرفة المحسوسات كما قررناه، فجملت له الحكمة الإلهية قوى، فمنها القوة الخيالية التي يرسم فيها ما تورده الحواس، فكان مثالها مثال الزجاج وإنما خص الزجاج لانطباع المرئيات فهي كالمرآة الصقلية التي يبصر فيها، ولأن الزجاج أصفى الجواهر من حيث يشف ما وراءها، والأنبياء ﷺ يعلمون الغيب بواسطة القوة فيعبرون الصورة ويفهمونها، ولها علم مختص وهو علم تعبير الرؤيا ينفرد بخواص هذه القوة.

وأما الشجرة: فهي العقل الفعال من حيث انفعلت الأشياء منه. فلما أن المصباح الواحد توقد منه المصابيح لم يقل سبحانه نبت، فإن النبات يدل على نقصان الأصل، وإنما قال تعالى: ﴿تُوقَدُ﴾ فنبه بالوقيد على أن الشجرة لا تنقص، وعلى أن هذه الشجرة ليست الشجرة المعهودة، لأن الشجرة لا يوقد منها، وخصها بالزيتونة لدوام ورقها وفوائدها وغزارة منفعتها وكثرة ورقها وشعبها، وأنها وإن كانت زيتونة فيخرج منها نار تستضيء بها. ووجه المشابهة واستيعابه يطول، وقد شرحناه في كتاب مشكاة الأنوار^(١).

وأما النار: فهي عبارة عن الأنوار الإلهية، ويحتمل وجهاً آخر أن تكون الشجرة الرسول ﷺ والنار الملك.

٧٨٩ - العقل كالسراج، والشرع كالزيت يمده، فما لم يكن زيت لم يحصل السراج، وما لم يكن سراج لم يضيئ الزيت، وعلى هذا نبه الله سبحانه بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾.

٧٩٠ - لكونهما متحدتين قال: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ أي: نور العقل ونور الشرع، ثم قال:

٧٨٩ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٥٧).

٧٩٠ - نفسه (ص ٥٨).

(١) ن: مشكاة الأنوار ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ٢٤ - ٤٠).

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ فجعلهما نورًا واحدًا.

فالشرع إذا فقد العقل لم يظهر به شيء وصار ضائعًا ضياع الشعاع عند فقد نور البصر، والعقل إذا فقد الشرع عجز عن أكثر الأمور عجز العين عند فقد النور.

٧٩١ - اعلم أن الله تعالى ذكر هذه المراتب ^(١) في آية واحدة فقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... وَاللَّهُ يَكُلِّ شَيْءً عَلِيمٌ﴾.

فالمشكاة مثل العقل الهولاني ^(٢)، فكما أن المشكاة مستعدة لأن يوضع فيها النور، فكذلك النفس بالفطرة مستعدة لأن يفيض عليها نور العقل، ثم إن قويت أدنى قوة وحصلت لها مبادئ المعقولات فهي الزجاجية، فإن بلغت درجة تتمكن من تحصيل المعقولات بالفكرة الصائبة فهي الشجرة؛ لأن الشجرة ذات أفنان، فكذلك الفكرة ذات فنون، فإن كانت أقوى وبلغت درجة الملكة فإن حصل لها المعقولات بالحدس فهي الزيت، فإن كانت أقوى من ذلك فيكاد زيتها يضيء، فإن حصل له المعقولات فهو نور على نور، نور العقل المستفاد على نور العقل الفطري.

ثم هذه الأنوار مستفادة من سبب هذه الأنوار بالنسبة إليه، كالسراج بالنسبة إلى نار عظيمة طبقت الأرض، فتلك النار هي العقل الفعال المفيض لأنوار المعقولات على الأنفس البشرية.

وإن جعلت الآية مثالاً للعقل النبوي فيجوز؛ لأنه مصباح يوقد من شجرة أمرية مباركة نبوية زيتونة أمية لا شرقية طبيعية ولا غربية بشرية، يكاد زيتها يضيء ضوء الفطرة وإن لم تمسه نار الفكرة، نور من الأمر الكروبي ^(٣) على نور من العقل النبوي يهدي الله لنوره من يشاء.

٧٩١ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٥٥ ، ٥٦).

(١) أي مراتب العقل من الكتاب الإلهي.

(٢) قال الإمام الغزالي: « حد العقل الهولاني أنه قوة للنفس مستعدة لقبول ماهيات الأشياء، مجردة عن المواد، وبها يفرق الصبي بين الفرس وسائر الحيوانات، لا بعلم حاصل ولا بقوة قريبة من العلم » معيار العلم (ص ٢٧٨). ويقول ابن سينا: « وهذه القوة التي تسمى عقلاً هولانيًا موجودة لكل شخص من النوع، وإنما سميت هولانية تشبيهًا بالهولوى الأولي التي ليست هي بذاتها ذات صورة من الصور، وهي موضوعة لكل صورة ». النجاة: (ص ١٦٥).

(٣) في طبعة دار الكتب العلمية: « من الأمر الربوبي » ن: معارج القدس (ص ٧٢).

• ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَفْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِ يَرَبُّهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٧٩٢﴾ ﴾
 ٧٩٢ - ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ﴾ فعبّر عن الاعتقادات الفاسدة بالظلمات وعن ترادف الشكوك بترادف الموج.

٧٩٣ - ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ﴾ مثل قلب المنافق.

٧٩٤ - ﴿ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَفْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾.

البحر اللجي هو الدنيا بما فيها من الأخطار المهلكة والحوادث الرديئة والمكدرات المعمية. والموج الأول: موج الشهوات الباعثة إلى الصفات البهيمية والاشتغال بالذات الحسية وقضاء الأوطار الدنيوية، حتى إنهم يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام، والنار مثوى لهم، فبالحري أن يكون هذا الموج مظلماً؛ لأن حب الشيء يعمي ويصم.

والموج الثاني: موج الصفات السبعية الباعثة على الغضب والعداوة والبغضاء والحقد والحسد والمباهات والتفاخر والتكاثر، وبالحري أن يكن مظلماً؛ لأن الغضب في الأكثر مستولٍ على الشهوات، حتى إذا ماج أذهل عن الشهوات وأغفل عن اللذات، فإن الشهوة لا تقاوم الغضب الهائج أصلاً.

وأما السحاب: فهو الاعتقادات الخبيثة والظنون الكاذبة والخيالات الفاسدة التي صارت حجاً بين الكافر وبين الإيمان ومعرفة الحق والاستضاءة بنور شمس القرآن والعقل، فإن خاصية السحاب أن يحجب إشراق نور الشمس، وإذا كانت هذه الظلمات تحجب عن معرفة الأشياء القريبة فضلاً عن البعيدة؛ فلذلك تحجب الكفار عن معرفة عجائب أحوال النبي ﷺ مع قرب متناوله وظهوره بأدنى تأمل، فبالحري أن يعبر عنه بأنه إذا أخرج يده لم يكد يراها. وإذا كان منبع الأنوار كلها من النور الأول الحق كما سبق، فبالحري أن يعتقد كل موحد أن من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور. ويكفيك هذا القدر من أسرار هذه الآية فاقنع.

٧٩٢ - معراج السالكين ضمن المجموعة (١) (ص ٨٥).

٧٩٣ - الإحياء (١١/٣).

٧٩٤ - مشكاة الأنوار، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ٣٩، ٤٠).

﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٥٧)

٧٩٥ - ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى، فعلمت أن حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية، وهي تنزيه القلب عن الذنوب على ما ذكرنا (١).

* سُورَةُ الْفُرْقَانِ *

﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴾ (١٦)

٧٩٦ - أي: تعظيمًا وحنقًا.

﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ (١٧)

٧٩٧ - إظهاره القدرة بقبض الظل؛ إذ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس.

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (١٧)

٧٩٨ - أي: يخلف أحدهما الآخر ليتدارك في أحدهما ما فات في الآخر.

٧٩٩ - أي يخلف أحدهما الآخر في الفضل، والثاني: أنه يخلفه فيتدارك فيه ما فات

في أحدهما.

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (١٧)

٨٠٠ - قال عطاء بن أبي رباح (٢): ﴿ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ أي: حلماء.

٧٩٥ - منهاج العابدين (ص ١٢٨ ، ١٢٩).

٧٩٦ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٢٧).

٧٩٨ - نفسه (٣٩٣/١).

٧٩٧ - الإحياء (٣٩٤/١).

٨٠٠ - نفسه (١٨٨/٣ ، ١٨٩).

٧٩٩ - نفسه (٤٠٢/١).

(١) قال الإمام الغزالي: التقوى في القرآن تطلق على ثلاثة أشياء: أحدها: بمعنى الخشية والهيبة، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنِّي فَأَنْقُوتُ ﴾ [البقرة: ٤١] ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨١]. الثاني: بمعنى الطاعة والعبادة قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، قال ابن عباس: أطيعوا الله حق طاعته، وقال مجاهد: هو أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر.

الثالث: بمعنى التنزيه للقلب عن الذنوب، فهذه هي حقيقة التقوى دون الأولين. ن: منهاج العابدين (ص ١٢٨).

(٢) هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح القرشي تابعي مفسر، فقيه، سمع عبد الله بن عمر، وروى عنه عمرو

ابن دينار (ت ١١٥ هـ).

٨٠١ - ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ أي: سلامة، والألف بدل من الهاء، ومعناه: إنا سلمنا من إثمكم وأنتم سلمتم من شرنا.

• ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٧٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٧٩﴾﴾

٨٠٢ - الآية نص في مضاعفة عذاب من جمع بين الكفر والقتل والزنا، لا كمن جمع بين الكفر والأكل والشرب.

• ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٦﴾﴾

٨٠٣ - قال مجاهد: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ أي: إذا أودوا صفحوا. وروي أن ابن مسعود مر بلغو معرضاً فقال رسول الله ﷺ: «أصبح ابن مسعود وأمسي كريماً» ^(١) ثم تلا إبراهيم بن ميسرة ^(٢) - وهو الراوي - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾.

* سُورَةُ الشَّعَرَاءِ *

• ﴿قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٥﴾﴾

٨٠٤ - قال تعالى إخباراً عن موسى عليه السلام: ﴿فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾، وما أراد من الكافرين، بل أراد من الخاطئين.

يقال: ضل فلان الطريق، وضل سعي فلان. كل ذلك: الخطأ.

• ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُومُ قَوْمَيْنِ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَعِينُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ

٨٠٢ - المستصفى (٩٢/١).

٨٠١ - الإحياء (١٨٨/٢).

٨٠٤ - المستصفى (١٧٧/١).

٨٠٣ - الإحياء (١٨٩/٣).

= ن: تهذيب الأسماء (٣٣٣/١) وصفة الصفوة (٢١١/٢).

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن المبارك في البر والصلة. ن: المغني بهامش الإحياء (٩٢/١).

(٢) إبراهيم بن ميسرة هو الطائفي الفقيه نزيل مكة، حدث عن أنس بن مالك وطاوس وغيرهما، وعنه ابن جريج والسفيانان. ن: تهذيب التهذيب (١٧٢/١) وشذرات الذهب (١٨٩/١) وسير أعلام النبلاء (١٢٣/٦).

الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾

٨٠٥ - لما قال فرعون لموسى: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ كالتائب لمهية، لم يجبه إلا بأفعاله؛ إذ كانت الأفعال أظهر عند السائل، فقال: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فقال فرعون لمن حوله: ﴿أَلَا تَسْتَعُونُ﴾؟ كالمنكر عليه في عدوله في جوابه عن طلب الحقيقة، فقال موسى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ فنسبه فرعون إلى الجنون؛ إذ كان مطلبه المثال والماهية وهو يجيب عن الأفعال بالأفعال، وقال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

• ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٧٧﴾

٨٠٦ - هذا الاستثناء ليس فيه معنى التخصيص والإخراج؛ إذ المستثنى ما كان ليدخل تحت اللفظ أصلاً، ومن معتاد كلام العرب: ما في الدار رجل إلا امرأة، وما له ابن إلا ابنة، وما رأيت أحداً إلا ثوراً، وقال شاعرهم:

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس
وقال آخر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتاب

• ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿٧٩﴾

٨٠٧ - إبراهيم خليل الله ﷺ لم يكن منه إلا هفوة واحدة، فكم خاف وتضرع وقال: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ حتى روي أنه كان يبكي من شدة الخوف، فيرسل الله ﷻ الأمين جبريل عليه السلام، فيقول: يا إبراهيم: هل رأيت خليلاً يعذب خليله بالنار؟ فيقول: يا جبريل إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلته.

• ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ﴿٨٠﴾

٨٠٨ - قرأ أبو سليمان (١) قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ فقال: هو

٨٠٥ - المستصفي (١٦٨/٢، ١٦٩).

٨٠٦ - مشكاة الأنوار، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ٢٨).

٨٠٧ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ٢٥٩).

٨٠٨ - الإحياء (٢٤٣/٤).

(١) هو الإمام الكبير، زاهد العصر، أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد. روى عن سفيان الثوري وأبي الأشهب =

القلب الذي ليس فيه غير الله تعالى، وقال: إنما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها للآخرة.

• ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠٩﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٨١٠﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٨١١﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿٨١٢﴾﴾

٨٠٩ - إن الله تعالى علّمه القرآن وكتب معانيه في قلبه، ثم أوحى إليه بواسطة جبريل وأمره بالبيان عن المسموع المعلوم بلسانه لأمته وأصحابه، كما قال ﷺ: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠٩﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٨١٠﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٨١١﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿٨١٢﴾﴾.

فالوحي بمنزلة اللوح، والقرآن فيه بمنزلة المكتوب المنظوم، والنبي ﷺ طالع لوح الوحي، وقرأ المكتوب المنظوم، وبلغه لأمته.

• ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٨١٣﴾﴾

٨١٠ - لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ناداهم بطناً بعد بطن حتى قال: « يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ اعملا لأنفسكما فإني لا أغني عنكما شيئاً » (١).

• ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨١٤﴾﴾

٨١١ - قال الله تعالى لنبيه ﷺ في عشيرته: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ولم يقل: إني بريء منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب، وإلى هذا أشار أبو الدرداء لما قيل له: تبغض أخاك وقد فعل كذا؟ فقال: وإنما أبغض عمله وإلا فهو أخي، وأخوة الدين أوكد من أخوة القرابة.

٨٠٩ - المعارف العقلية (ص ٨٢، ٨٣). ٨١٠ - الإحياء (٣/٣٩٦).

٨١١ - نفسه (٢/٢٠٠، ٢٠١).

= العطاردي وغيرهما. وروى عنه: تلميذه أحمد بن أبي الحواري وهاشم بن خالد وغيرهما. توفي سنة (٢١٥هـ)

وقيل: (٢٥٠هـ) ن. وفيات الأعيان (٣/١٣١) وسير أعلام النبلاء (١٠/١٨٢).

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، ورواه مسلم من حديث عائشة. ن: صحيح البخاري، كتاب التفسير

حديث رقم (٤٧٧١)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾

[الشعراء: ٢١٤] (ح ٣٥١).

• ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ۖ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ ۖ﴾

٨١٢ - قال عكرمة في قوله ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ۖ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ﴾ قال: قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه.

• ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۖ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾

٨١٣ - قوة التخيل ليست متشابهة في أصناف الناس، بل هي مترتبة متفاضلة، وربما تكون متضادة، فمن ذلك ما يناسب الروحانيين من الملائكة... ومن ذلك ما يناسب الشياطين من الأبالسة، ويكون مهبطهم إليه، وظهورهم له وتأثيرهم فيه وتمثلهم به، حتى إذا ظهوروا عليه تكلم الشخص بكلامهم وتكلموا بلسانه، ورأى الشخص بأبصارهم وأبصروا بعينه، ويسمع بأذانهم وسمعوا بأذنيه، وهم شياطين الإنس يمشون في الأرض متوهجين: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۖ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾. وحيثما كانت استقامة في حال الخيال كان منزل الملائكة، وحيثما كان اعوجاج في حال الخيال كان منزل الشياطين.

* سُورَةُ النَّملِ *

• ﴿وَسُبِّحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ (١).

• ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوٓأِ إِنِّي أَفْقَىٰ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ۝﴾

٨١٤ - قال عبد الله بن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَفْقَىٰ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾: أي: مختوم.

• ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ ... ۝﴾

٨١٥ - ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ﴾ تنبيهًا على أنه اقتدر بقوة العلم.

٨١٦ - ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ فعلم

٨١٢ - الإحياء (١٩٩/١). ٨١٣ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٧٩).

٨١٤ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ٩٥). ٨١٥ - الإحياء (١٥/١).

٨١٦ - الإملاء عن إشكالات الإحياء (ملحق بالإحياء) (٤٠/٥).

(١) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿وَسُبِّحَنَ اللَّهُ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ما غاب عن غيره من إمكان بيان ما وعد به، وأراد أنه قدر عليه ولم يكن نبيًا ولا رسولاً^(١).

* سُورَةُ الْقَصَصِ *

• ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ... ﴾ ١٦١

٨١٧ - موسى بن عمران عليه السلام، لم يكن منه إلا وكزة واحدة، فكم خاف واستغفر وقال: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾.

• ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُنْ عَلَى الطِّينِ ... ﴾ ١٦٨

٨١٨ - نظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام إلى صرح قد بني بجص وآجر، فكبر وقال: ما كنت أظن أن يكون في هذه الأمة من يبنّي بنيان هامان لفرعون، يعني قول فرعون: ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُنْ عَلَى الطِّينِ ﴾ يعني به الآجر، ويقال: إن فرعون هو أول من بُني له بالجص والآجر، من عمله هامان، ثم تبعهما الجابرة، وهذا هو الزخرف.

• ﴿ وَأَسْتَكْبَرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ... ﴾ ١٦٩

٨١٩ - فتكبر هو على الله وعلى رسله جميعًا، قال وهب^(٢): قال له موسى عليه السلام آمن ولك ملكك، قال: حتى أشاور هامان، فشاور هامان فقال هامان: بينما أنت رب يعبد إذ صرت عبدًا تعبد فاستنكف عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام.

• ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ... ﴾ ١٧٠

٨٢٠ - ﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ أي: لا تنس في الدنيا نصيبك منها

٨١٧ - منهاج العابدين (ص ١٥٩). ٨١٨ - الإحياء (٢٥١/٤).

٨١٩ - نفسه (٣٦٥/٣). ٨٢٠ - نفسه (٩٤/٢).

(١) أورد الإمام الغزالي هذا الكلام في الرد على من يقول باستحالة علم ما في الملكوت ومشاهدة الملائكة، وما غاب عن المشاهدة والحس... إلا من كان رسولاً.

ون: تفسير قوله تعالى: ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ إِلَّا مَنْ أَرَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴿ [الجن: ٢٦، ٢٧].

(٢) هو ابن كامل بن سيج بن ذي كبار، وهو الأسوار الإمام، العلامة الإخباري القصصي، أبو عبد الله الأنباري، اليماني الذماري الصنعاني، أخو همام بن منبه ومعل بن منبه وغيلان بن منبه، ولد في زمان عثمان ابن عفان وأخذ عن النعمان بن بشير وجابر وابن عمر وطاوس وغيره. وحدث عنه عمرو بن دينار وعوف الأعرابي وغيرهما، ت. سنة (١١٤ هـ) ن: تذكرة الحفاظ (١٠٠/١) وسير أعلام النبلاء (٥٤٤/٤).

للآخرة، فإنها مزرعة الآخرة، وفيها تكتسب الحسنات.

٨٢١ - ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾.

وإنما يكمن الإحسان بإدخال السرور على قلوب المسلمين بالمال.

• ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا... ﴿٧٧﴾﴾

٨٢٢ - قال تعالى في حق قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ الآية، فبين أن الزهد من ثمرات العلم.

٨٢٣ - ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ الآية. فعرف أهل العلم بإيثار الآخرة على الدنيا.

٨٢٤ - ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ﴾ فنسب الزهد إلى العلماء ووصف أهله بالعلم وهو غاية الشناء.

• ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا... ﴿٧٧﴾﴾

٨٢٥ - إنه الرئاسة والتطاؤل في البنيان.

٨٢٦ - جمع بين إرادة الفساد والعلو، ويبين أن الدار الآخرة للخالين عن الإرادتين جميعًا.

٨٢٧ - علق الحكم بنفي الإرادة دون الطلب والفعل للمراد.

• ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٠٨﴾﴾

٨٢٨ - ذاته ليست بفانية وعلمه ليس بمتناه، وكلامه ليس بمنقطع؛ لأن الكلام باق ببقاء الذات، ولا فناء لذاته، فكلامه كعلمه، وعلمه كذاته: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

٨٢٢ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١٤٤).

٨٢١ - المستصفى (ص ٣٨٥).

٨٢٤ - نفسه (٢٣٣/٤).

٨٢٣ - الإحياء (٧٧/١).

٨٢٦ - نفسه (٢٥٠/٤).

٨٢٥ - نفسه (٢٩٤/٣).

٨٢٨ - المعارف العقلية (ص ٥٥).

٨٢٧ - منهاج العابدين (ص ٨٥).

* سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ *

﴿ فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا... ﴾ (١٧)

٨٢٩ - دلّ على تسعمائة وخمسين سنة، لا على سبيل المحال، بل الوضع كذلك، وضع وكأن العرب وضعت عن تسعمائة وخمسين عبارتین: إحداهما: ألف سنة إلا خمسين، والأخرى: تسعمائة وخمسون، ويمكن أن يقال: ما صار عبارة بالوضع عن هذا القدر، بل بقي الألف للألف والخمسون للخمسين، وإلا للرفع بعد الإثبات.

ونحن بعلم الحساب عرفنا أن هذا تسعمائة وخمسون، فإننا إذا وضعنا ألفاً ورفعنا خمسين علمنا مقدار الباقي بعلم الحساب، فلا نقول المجموع صار عبارة موضوعة عن هذا العدد، وهذا أدق وأحق، لا كزيادة الألف واللام والياء والنون على المسلم، فإن تلك الزيادة لا معنى لها لا بغير اللفظ الأول.

﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا... ﴾ (١٧)

٨٣٠ - لا يعارض قوله: ﴿ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] لأن المعنى به الكذب دون الإيجاد.

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ... ﴾ (١٥)

٨٣١ - قد نبه على مصالح الدين في قوله في الصلاة: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ وما يكف عن الفحشاء، فهو جامع لمصالح الدين، وقد تقترن به مصلحة الدنيا أيضاً.

٨٣٢ - رفع ذكره فوق الصلاة؛ حيث قال: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ فكما أن مشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة^(١) بل هو غاية مطلب سكان الجنان.

٨٣٣ - ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: له وجهان: أحدهما: أن

٨٣٠ - نفسه (١٣٨/٢، ١٣٩).

٨٢٩ - المستصفى (٥٥/٢، ٥٦).

٨٣٢ - الإحياء (٣٦٣/٤).

٨٣١ - شفاء الغليل (ص ١٦١).

٨٣٣ - الإحياء (٣٥٠/٤).

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّةٍ عَذُوبٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التوبة: ٧٢].

ذكر الله أعظم من ذكركم إياه، والآخر: أن ذكر الله أعظم من كل عبارة سواه.

• ﴿ نِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا... ﴾ ﴿٥٩﴾

٨٣٤ - أي صبروا إلى تمام العمل.

• ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿٦٠﴾

٨٣٥ - قال ابن عمر رضي الله عنهما: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الأنصار، فجعل يلتقط من التمر ويأكل، فقال: « يا ابن عمر، ما لك لا تأكل؟ ... » فقلت: يا رسول الله لا أشتهيه، فقال: « لكنني أشتهيه، وهذا صبح رابعة لم أذق طعاماً ولم أجده، ولو سألت ربي لأعطاني ملك قيصر وكسرى، فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين في قلوبهم؟ » قال: فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ قال: فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله لم يأمركم بكنز المال ولا باتباع الشهوات، من كنز دنائير يريد بها حياة فانية، فإن الحياة بيد الله، ألا وإني لا أكنز ديناراً ولا درهماً ولا أخبأ رزقاً لغد ^(١). »

• ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٦١﴾

٨٣٦ - قيل: معناه أنهم يقولون لولا استواء الريح لما نجونا.

ومن انكشف له أمر العلم كما هو عليه، علم أن الريح هو الهواء، والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك، وكذلك محركه، وهكذا إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه ﷻ.

فالتفات العبد في النجاة إلى الريح يضاهي من أخذ لِتَحْزُرَ رقبته فكتب الملك توقيعاً بالعفو عنه وتخليته، فأخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع يقول: لولا القلم لما تخلصت، فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل.

٨٣٥ - نفسه (١٩١/٤).

٨٣٤ - الإحياء (٧٤/٤).

٨٣٦ - نفسه (٢٦٤/٤).

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن مردويه في التفسير، والبيهقي في الزهد من رواية رجل لم يسم عن ابن عمر، قال البيهقي: هذا إسناد مجهول، والجراح بن منهال ضعيف، ن: المغني بهامش الإحياء (١٩١/٤).

• ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ...﴾ (٣٨) ﴿

٨٣٧ - قد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذباً وبين من كذب بالحق فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾.

• ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٩) ﴿

٨٣٨ - المجاهدة.. جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية؛ حيث قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا﴾.

٨٣٩ - [من] أراد أن يكون من سالكي طريق الآخرة، وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل، ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى، واشتغل بالرياضة والمجاهدة، انفتحت له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة، تحقيقاً لوعده ﷺ؛ إذ قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وهو الجوهر النفيس الذي غاية إيمان الصديقين والمقربين، وإليه الإشارة بالسر الذي وقر في صدر أبي بكر الصديق ﷺ؛ حيث فضل به الخلق، وانكشف ذلك السر، بل تلك الأسرار، له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى وفي الاستضاءة بنور اليقين، وذلك كتفاوت الخلق في أسرار الطب والفقه وسائر العلوم؛ إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة، وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه.

٨٤٠ - ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا﴾ يعني الذين جاهدوا في طاعتنا وفي ديننا لنوفقنهم لذلك.

٨٤١ - الإقبال على طاعة الله تعالى والإعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب ويصفيه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا﴾.

٨٤٢ - ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا﴾ فالمجاهدة: أعمال الجوارح، والهداية أعمال القلوب، وقد جعل إحداهما مرقاة إلى [الأخرى] ^(١) فعلم أنها مرآة لها، وأن تلك هي المراد لعينها.

٨٣٨ - نفسه (٣٤/١).

٨٣٧ - الإحياء (٦٠/١).

٨٤٠ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١٢).

٨٣٩ - نفسه (١١٣/١).

٨٤١ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٩٤).

٨٤٢ - مدخل السلوك إلى منازل الملوك (ص ٣٤).

(١) في الأصل المطبوع: «الآخرة»، ولعل الصواب ما أثبتته.

* سُورَةُ الرُّومِ *

• ﴿الْم ۝ غَلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝﴾

٨٤٣ - لما نزل قوله تعالى: ﴿الْم ۝ غَلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ كذبه المشركون، وقالوا للصحابه: ألا ترون ما يقول صاحبكم؟ يزعم أن الروم ستغلب، فخاطرهم أبو بكر رضي الله عنه بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما حقق الله صدقه وجاء أبو بكر رضي الله عنه بما قامرهم به قال عليه الصلاة والسلام: « هذا سحت فتصدق به »، وفرح المؤمنون بنصر الله، وكان قد نزل تحريم القمار بعد إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له في المخاطرة مع الكفار ^(١).

• ﴿فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝﴾

٨٤٤ - قال يحيى بن كثير ^(٢) في قوله تعالى: ﴿فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ قال: السماع في الجنة.

• ﴿فَسُبِّحْنَ اللَّهَ... ۝﴾ ^(٣)

• ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ۝﴾

٨٤٥ - فانظر إلى نعمة الله عليه، كيف نقله من تلك الذلة والقلّة والخسة والقذارة، إلى هذه الرفعة والكرامة؟ فصار موجودًا بعد العدم، وحيًا بعد الموت، وناطقًا بعد البكم، وبصيرًا بعد العمى، وقويًا بعد الضعف، وعالمًا بعد الجهل، ومهديًا بعد الضلال، وقادرًا بعد العجز، وغنيًا بعد الفقر، فكان في ذاته لا شيء، وأي شيء أحسن من لا شيء؟ وأي قلة من العدم المحض؟ ثم صار بالله شيئًا.

٨٤٤ - نفسه (٥٧٥/٤).

٨٤٣ - الإحياء (١٤٤/٢).

٨٤٥ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٦).

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة من حديث ابن عباس، وليس فيه أن ذلك كان بإذنه صلى الله عليه وسلم، والحديث عند الترمذي وحسنه دون قوله: « هذا سحت فتصدق به » ن. كتاب أبواب التفسير حديث رقم (٣٢٠٥) (١٣٤/٥) والذر المنثور (١٥/٥) والمغني بهامش الإحياء (١٤٤/٢).

(٢) هو ابن درهم أبو عنان العبدي، مولا هم البصري الحافظ، روى عن قرّة وشعبة وعلي بن المبارك وغيرهم، وعنه بNDAR والفلاس وآخرون، قال النسائي: ليس به بأس، ت سنة (٢٦٥ هـ) ن: تهذيب التهذيب (٢٦٦/١١) وسير أعلام النبلاء (٥٣٩/٩).

(٣) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَسُبِّحْنَ اللَّهَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وإنما خلقه من التراب الذليل الذي يوطأ بالأقدام والنطفة القذرة بعد العدم المحض أيضاً ليعرف خسة ذاته فيعرف به نفسه، وإنما أكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم عظمته وجلاله وأنه لا يليق الكبرياء إلا به جل وعلا.

• ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّيْلَ لِيَخْلُقَ اللَّهُ ذَلِكَ الَّذِي الْقَيْمُ...﴾ (٣٥)

٨٤٦ - ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ أي: كل آدمي فطر على الإيمان بالله ﷻ،

بل على معرفة الأشياء على ما هي، أعني أنها كالمُضْمَنَةِ فيها لقرب استعدادها للإدراك.

ثم لما كان الإيمان مركزاً في النفوس بالفطرة انقسم الناس إلى قسمين: إلى من أعرض فَنَسِي وهم الكفار، وإلى من أجال خاطره فتذكر، فكان كمن حمل شهادة فَنَسِيها بغفلة ثم تذكرها.

٨٤٧ - ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ فكل آدمي فطر على الإيمان، وما جاء

الأنبياء إلا بالتوحيد؛ ولذلك قال: «قولوا: لا إله إلا الله».

٨٤٨ - لكون العقل شرعاً من داخل قال الله تعالى في صفة العقل: ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ

الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّيْلَ لِيَخْلُقَ اللَّهُ ذَلِكَ الَّذِي الْقَيْمُ﴾ فسمى العقل ديناً.

• ﴿وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِّن رَّبِّا لَّيَرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ...﴾ (٣٦)

٨٤٩ - طلب الزيادة داخل تحت قوله تعالى: ﴿وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِّن رَّبِّا لَّيَرَبُّوا فِي أَمْوَالِ

النَّاسِ﴾ فإن الربا هو الزيادة، وهذا طلب زيادة على الجملة.

• ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ...﴾ (٣٧)

٨٥٠ - ﴿خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ فدل على أن الرزق من الله لا غير، كالخلق.

٨٤٦ - الإحياء (١٠٣/١). ٨٤٧ - ميزان العمل (ص ٣٣٥).

٨٤٨ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٥٨).

٨٤٩ - الإحياء (٤٦/٢).

٨٥٠ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (١٩٨).

* سُورَةُ لُقْمَانَ *

• ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ...﴾ (١)

٨٥١ - قال ابن عباس وابن مسعود والحسن البصري والنخعي (١) : إن لهو الحديث هو الغناء.

• ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (٢)

٨٥٢ - قال قتادة: الظلم ثلاثة أضرب: ظلم لا يغفر لصاحبه، وظلم لا يدوم، وظلم يغفر لصاحبه. فأما الظلم الذي لا يغفر لصاحبه، فهو الشرك بالله تعالى، ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وأما الظلم الذي لا يدوم، فهو ظلم العباد بعضهم البعض، وإنما الظلم الذي يغفر لصاحبه، فهو ظلم العبد نفسه بارتكاب الذنوب ثم يرجع إلى ربه ويتوب، فإن الله يغفر له برحمته ويدخله الجنة بفضله.

• ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (٣)

٨٥٣ - يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن.

• ﴿وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ...﴾ (٤)

٨٥٤ - طائفة نطقت بكلمتي الشهادة تقليدًا مأخوذًا من الآباء والأمهات والمعلمين، لكنهم مقبلون على وظائف الشرع، فهؤلاء هم المسلمون على الحقيقة، ولهم مقدمة على الفرقة الأولى (٢) وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] وبقوله سبحانه: ﴿وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾

٨٥١ - الإحياء (٣١٠/٢).

٨٥٢ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ٥٥).

٨٥٣ - الإحياء (٢٩٥/٢).

٨٥٤ - معراج السالكين، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ٨١).

(١) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس أبو عمران النخعي، فقيه أهل الكوفة ومفتيها هو والشعبي في زمانهما، روى عن علقمة ومسروق، وروى عنه الأعمش وسماك بن حرب. (ت ٩٦ هـ) ن: صفة الصفوة (٨٦/٣) وتهذيب الأسماء (١٠٤/١).

(٢) قال الإمام الغزالي: «الفرقة الأولى: طائفة نطقوا بالشهادتين من غير التفات إلى ما تنطوي إليه عليه من المعنى، ولا احتفاء بالوظائف...» ن: معراج السالكين ضمن المجموعة رقم (١) (ص ٨١).

• ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (١)

* سُورَةُ السَّجْدَةِ *

• ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ (٢)

٨٥٥ - ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ فبين أنهم عند ربهم إلا أنهم منكوسون، قد انقلبت وجوههم إلى أقفيتهم وانتكست رؤوسهم عن جهة فوق إلى جهة أسفل، وذلك حكم الله فيمن حرمه توفيقه ولم يهده طريقه، فنعوذ بالله من الضلال والنزول إلى منازل الجهال.

٨٥٦ - ﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ أي: علمنا أنه لا يولد إلا بوقاع ونكاح، ولا ينبت زرع إلا بحرثة وبث بذر، فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح: ﴿ فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ فقد علمنا الآن صدقك في قولك: ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (٣) وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى ﴾ [النجم: ٣٩، ٤٠].

• ﴿ نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ... ﴾ (٤)

٨٥٧ - روي عن الحسن وأسنده ابن أبي زياد إلى رسول الله ﷺ، أنه سئل عن هذه الآية فقال ﷺ: « الصلاة بين العشائين » ثم قال ﷺ: « عليكم بالصلاة بين العشائين فإنها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره » (٢) والملاغات: جمع ملغاة من اللغو.

٨٥٨ - إحياء ما بين العشائين هي سنة مؤكدة، ومما نقل عدده من فعل رسول الله ﷺ

٨٥٥ - الإحياء (٣١/٤). - نفسه (٤٠٧/٣) و (٤٨/٤).

٨٥٧ - الإحياء (٤٠٤/١) وبداية الهداية، ضمن المجموعة رقم (٥) (ص ٤١).

٨٥٨ - الإحياء (٢٣١/١).

(١) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٦١].

(٢) قال العراقي: قال المصنف: أسنده ابن أبي الزناد إلى رسول الله ﷺ. قلت: إنما هو إسماعيل بن أبي زياد بالياء المثناة من تحت. رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية إسماعيل بن أبي زياد الشامي عن الأعمش، وحدثنا أبو العلاء العنبري عن سلمان قال: « قال رسول الله ﷺ: « عليكم بالصلاة بين العشائين فإنها تذهب بملاغات أول النهار ومهذبة آخره » وإسماعيل هذا متروك يضع الحديث قاله الدارقطني. ن: المغني بهامش الإحياء (٤٠٤/١). والحديث عند الترمذي وحسنه بلفظ: « نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة » ن: كتاب أبواب التفسير حديث رقم (٣٢٠٧) (١٣٦/٥).

بين العشائين ست ركعات ^(١)؛ ولهذه الصلاة فضل عظيم، وقيل: إنها المراد بقوله ﴿كَانَ﴾
﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾.

٨٥٩ - قال الأسود ^(٢): ما أتيت ابن مسعود رضي الله عنه في هذا الوقت إلا ورأيت يصلي فسألته فقال: نعم هي ساعة، وكان أنس رضي الله عنه يواظب عليها ويقول: هي ناشئة الليل، ويقول: فيها نزل قوله تعالى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾.

• ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٧)

٨٦٠ - قيل: كان عملهم الصيام.

٨٦١ - اعلم أن الله تعالى أثبت فعل العبد في موضع نحو قوله تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ... والحكمة فيه أنه تعالى خالق الأفعال ومقدرها، والعبد كاسبها ومسيبها، فالعبد يعمل العبادة، والله تعالى يجازي عليها، ولولا نسبة هذه الأفعال خلقاً وكسباً لما سمي عابداً ومعبوداً، فثبت أن العبد عابد كاسب، وأن الله تعالى معبود خالق.

• ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ (٨)

٨٦٢ - قصورهم وأملاكهم ومساكنهم صوامت ناطقة، تشهد بلسان حالها على غرور عمالها.

٨٥٩ - الإحياء (٤١٧/١). ٨٦٠ - نفسه (٢٧٤/١).

٨٦١ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٣٤).

٨٦٢ - نصيحة من الإمام أبي حامد الغزالي (ص ٣٢).

(١) أخرجه ابن منده في الضحى، والطبراني في الأوسط والأصغر من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف، والترمذي، وضعفه من حديث أبي هريرة: «من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيها بينهن بسوء عدلن له بعبادة اثنتي عشرة سنة» ن. المغني بهامش الإحياء (٢٣١/١) وسنن الترمذي (٢٧٢/١) حديث رقم (٤٣٣).

(٢) هو ابن قيس الإمام القدوة أبو عمرو النخعي الكوفي، كان الأسود مخضرمًا أدرك الجاهلية والإسلام. حدث عن معاذ بن جبل وبلال وابن مسعود وغيرهم، وحدث عنه ابنه عبد الرحمن وأخوه إبراهيم النخعي وغيرهما، ت: سنة (٧٥ هـ) ن: شذرات الذهب (٨٢/١) وسير أعلام النبلاء (٥٠/٤).

* سُورَةُ الْأَحْزَابِ *

• ﴿لَيْسَ لَ الصَّدِيقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ...﴾ (٨)

٨٦٣ - عن الجنيد (٢) في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَ الصَّدِيقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ قال: يسأل الصادقين عند أنفسهم عن صدقهم عند ربهم، وهذا أمر على خطر.

• ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...﴾ (١٦)

٨٦٤ - الصدق كمال الإخلاص.

• ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ...﴾ (٢٥) (٣)

• ﴿وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَاتِ...﴾ (٣٥)

٨٦٥ - ﴿وَالْحَفِظَاتِ﴾ بعد قوله: ﴿وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ﴾ مجاز في حفظ الفرج على الخصوص، وهو نص في مقصوده.

• ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا...﴾ (٦١)

٨٦٦ - ورد ذلك في حق المؤمنات، ويلحق بهن الكافرات؛ لأنه فهم السبب وهو الطلاق قبل المسيس، فإذا كان سبباً لسقوط العدة في حق المؤمنة، فكذلك يكون في حق الكافرة.

• ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ...﴾ (٦٢)

٨٦٧ - يعني: منتظرين حينه ونضجه.

• ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ...﴾ (٦٦)

٨٦٨ - إصلاح العمل وإتمام التقصير حتى يتم هو المتيقن.

٨٦٣ - الإحياء (٤٠٩/٤). ٨٦٤ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١٧٧).

٨٦٥ - المنحول (ص ١٦٧). ٨٦٦ - شفاء الغليل (ص ١١٦).

٨٦٧ - الإحياء (١١/٢).

٨٦٨ - روضة الطالبين ضمن، المجموعة رقم (٢) (ص ٣١).

(١) هو الجنيد محمد الزاهد المشهور، والإمام القدوة المحدث أبو القاسم شيخ الصوفية، كان مولده (سنة ٤٦٦ هـ) وتوفي (٥٤٧ هـ). قيل عنه: كان فقيهاً فاضلاً ومحدثاً صدوقاً موصوفاً بالعبادة، ن: حلية الأولياء (٢٥٥/١) ووفيات الأعيان: (٢٧٣/١) وسير أعلام النبلاء (٢٨٢/٢٠).
(٢) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٣].

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٧٦)

٨٦٩ - كل قلب هو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق؛ لأنه أمر رباني شريف، فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾ إشارة إلى أن له خاصية تميز بها عن السموات والأرض والجبال، بها صار مطيقاً لحمل أمانة الله تعالى، وتلك الأمانة هي المعرفة والتوحيد، وقلب كل آدمي مستعد لحمل الأمانة ومطبق لها في الأصل، ولكن يشبطه عن النهوض بأعبائها والوصول إلى تحقيقها الأسباب التي ذكرناها^(١)؛ ولذلك قال ﷺ: « كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه »^(٢)، وقول رسول الله ﷺ: « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء »^(٣) إشارة إلى بعض هذه الأسباب التي هي الحجاب بين القلوب وبين الملكوت.

٨٧٠ - كان الحسن البصري رحمة الله عليه إذا تلا قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ قال: عرضها على السموات السبع الطباق والطرائق التي زينها بالنجوم وحملة

٨٦٩ - الإحياء (١٦/٣) ومعارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٩٦).

٨٧٠ - الإحياء (٩٥/٣).

(١) أي الأسباب المانعة للقلوب من معرفة حقيقة الأمور وهي خمسة: أولها: نقصان في ذاته، كقلب الصبي فإنه لا تنجلي له المعلومات لنقصانه. الثاني: لكدورة المعاصي والخبث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات، فإن ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه. الثالث: أن يكون معدولاً به عن جهة الحقيقة المطلوبة.. وهي التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الإلهية. الرابع: الحجاب، فإن المطيع القاهر لشهواته المتجرد الفكر في حقيقة من الحقائق، قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوباً عنه باعتقاد مسبق إليه.

الخامس: الجهل بالجهة التي يقع منها العثور على المطلوب، ن: الإحياء (١٦/٣) (بتصرف).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز باب ما جاء في أولاد المشركين، رقم الحديث (١٣٩). ومسلم كتاب القدر باب كل مولود يولد على الفطرة، رقم الحديث (٢٦٥٨)، ومالك، كتاب الجنائز، باب جامع الجنائز، رقم الحديث (٥٢).

(٣) قال الحافظ العراقي: رواه أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه، ن: المغني بهامش الإحياء (١٠/٣).

العرش العظيم، فقال لها ﴿١٥﴾ هل تحملن الأمانة بما فيها؟ قالت: لا، ثم عرضها كذلك على الأرض فأبت، ثم عرضها على الجبال الشوامخ الصلاب الصعاب فقال لها: هل تحملين الأمانة بما فيها؟ قالت: وما فيها؟ فذكر الجزاء والعقوبة فقالت: لا، ثم عرضها على الإنسان فحملها، إنه كان ظلومًا لنفسه جهولًا بأمر ربه.

* سُورَةُ سَبَأٍ *

• ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا...﴾ ﴿١٥﴾

٨٧١ - يعني العلم.

• ﴿وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ...﴾ ﴿١٦﴾

٨٧٢ - امتن سبحانه على سليمان عليه السلام بقوله: ﴿وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ أي: سهلنا له الانتفاع بالنحاس وأطلعناه على معدنه.

• ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُ﴾ ﴿١٧﴾

٨٧٣ - جعلهم أخص الخواص.

• ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿١٨﴾

٨٧٤ - فإنه لم يذكر قوله: ﴿وَأِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ في معرض التسوية والتشكيك، وبـل فيه إضمار أصل آخر، وهو لسنا على ضلال في قولنا: إن الله يرزقكم من السماء والأرض، فإنه الذي يرزق من السماء بإنزال الماء ومن الأرض بإنبات النبات، فإذا أنتم ضالون بإنكار ذلك.

وكمال صورة هذا الميزان؛ إنا أو إياكم لعلـى ضلال مبين، وهذا أصل، ثم نقول: ومعلوم أنا لسنا في ضلال، وهذا أصل آخر، فيلزم من ازدواجهما نتيجة ضرورية، وهو أنكم في ضلال.

٨٧١ - الإحياء (٢١٩/١).

٨٧٢ - الحكمة في مخلوقات الله ﷻ، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ١٤).

٨٧٣ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ٣٢٢).

٨٧٤ - القسطاس المستقيم، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٤).

• ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٧٧) • [

٨٧٥ - الشهيد: يدل على العلم مضافاً إلى ما يشاهد.

• ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ... ﴾ (٧٨) •

٨٧٦ - أعظم العذاب أن يمنع الإنسان من مراده، كما قال تعالى: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم.

* سُورَةُ فَاطِر *

• ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ... ﴾ (٧٩) •

٨٧٧ - قيل في غريب التأويل: اللحية هي المراد بقوله تعالى: ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾.

٨٧٨ - يدل على إباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده؛ إذ قال:

﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ فقليل: هو الصوت الحسن.

• ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا... ﴾ (٨٠) •

٨٧٩ - هذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله ﷻ غير مضمون بها على

أحد، ولكن إنما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى، كما قال ﷺ: « إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها »^(٢) والتعرض لها بتطهير القلب وتركه من الخبث والكدورة الحاصلة من الأخلاق المذمومة.

٨٧٥ - روضة الطالبين وعمدة السالكين ضمن المجموعة رقم (٣٢) (ص ٢٨ ، ٢٩).

٨٧٦ - الإحياء (٥٢٨/٤) وكتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٢١٠).

٨٧٧ - الإحياء (١٧٠/١) - نفسه (٢٩٥/٢).

٨٧٩ - نفسه (١٠/٣) وميزان العمل (ص ٢٠٨).

(١) قال العراقي: أخرجه الترمذي الحكيم في النوادر، والطبراني في الأوسط من حديث محمد بن مسلمة بلفظ: « إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبداً » وقال السيوطي: حديث ضعيف. ن الجامع الصغير للسيوطي (٣٦٧/١) (ح ٢٣٩٨)، والمغني (٢١٩/١) والإتحاف (٤٦٠/٣).

• ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُرْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ... ﴾ ①

٨٨٠ - هذا أقصى التحذير وغايته.

• ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ ②

٨٨١ - ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ أي: المعرفة ﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ فالعمل الصالح كالجبال لهذه المعرفة وكالخادم، وإنما العمل الصالح كله في تطهير القلب أولاً من الدنيا، ثم إدامة طهارته، فلا يراد العمل إلا لهذه المعرفة.

٨٨٢ - ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ والكلم الطيب إلى العلم عند البحث، فهو الذي يصعد ويقع الموقع.

والعمل كالخادم له، يرفعه ويحمّله، وهذا تنبيه على علو رتبة العلم.

٨٨٣ - ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ الكلم الطيب: هو التوحيد والمعرفة، والعمل الصالح: هو طهارة القلب الرافعة لقدر التوحيد والمعرفة، ومعنى الرفة: هو حضور القلب وتأثره بهما، لينقاد خضوعاً ومسكنة ومهابة، فحينئذ يكون قريباً من الله تعالى.

٨٨٤ - ﴿ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ قال مجاهد: هم أهل الرياء.

• ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ... ﴾ ③

٨٨٥ - إن العلم النافع يثمر خشية الله تعالى ومهابته، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ وذلك أن من لم يعرفه حق معرفته لم يهبه حق مهابته، ولم يعظمه حق تعظيمه وحرمته، فالعالم يعرفه ويعظمه ويهابه، فصار العلم يثمر الطاعة كلها ويحجز عن المعصية كلها بتوفيق الله تعالى.

٨٨٠ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ١٠٨).

٨٨١ - الإحياء (٣٣٥/٤). ٨٨٢ - ميزان العمل (ص ١٩٤).

٨٨٣ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٩٧).

٨٨٤ - الإحياء (٣١٠/٣).

٨٨٥ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ٦٣ ، ٦٤).

٨٨٦ - إنما العلم: الخشية لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ وكأنه أشار إلى ثمرات العلم.

٨٨٧ - ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ وصفهم بالعلم لخشيتهم.

• ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً... ﴾ (١٣)

٨٨٨ - ندب إلى العلانية أيضاً لما فيها من فائدة الترغيب، فليكن العبد دقيق التأمل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيه، فإن ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص، فقد يكون الإعلان في بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل، ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الأولى والأليق بكل حال.

• ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ... ﴾ (١٤)

٨٨٩ - قال بعض السلف: ما من عبد يعصي إلا استأذن مكانه من الأرض أن يخسف به، واستأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه كسفاً، فيقول الله تعالى للأرض والسماء: كفا عن عبادي وأمهلاه، فإنكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه، ولعله يتوب إلي فأغفر له، ولعله يستبدل صالحاً فأبدله له حسنات. فذلك معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ﴾.

* سُورَةُ يَسْ *

٨٩٠ - قال ﷺ: « يس قلب القرآن » (١).

• ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا... ﴾ (١٨)

٨٩١ - قال الضحاك (٢) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ﴾ قال:

٨٨٧ - نفسه (١٦٩/٤).

٨٨٦ - الإحياء (٦٣/١).

٨٨٩ - نفسه (٤٥/٤).

٨٨٨ - نفسه (٢٥٦/١).

٨٩١ - الإحياء (٢٧٠/٣).

٨٩٠ - جواهر القرآن ودرره (٤٨).

(١) رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه بلفظ: « إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن (يس)، ومن قرأ (يس) كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات » ثم قال: هذا حديث حسن غريب. كتاب فضائل القرآن، حديث رقم (٢٨٩٦) وتفسير ابن كثير (٦٧٩/٣).

(٢) هو الضحاك بن مزاحم أبو القاسم الهلالي الخرساني تابعي مفسر، سمع سعيد بن جبير وروى عنه =

البخل، أمسك الله تعالى أيديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى:
• ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءِثَرَهُمْ... ﴾ (١٧)

٨٩٢ - أي: نكتب أيضًا ما أخروه من آثار أعمالهم كما نكتب ما قدموه.

٨٩٣ - الآثار: ما يلحق من الأعمال بعد انقضاء العمل والعامل.

• ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَكِهُونِ ﴾ (٢٥)

٨٩٤ - قال الأوزاعي: ﴿ فِي شُغْلٍ فَكِهُونِ ﴾ قال: شغلهم افتضاض الأبقار.

• ﴿ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا... ﴾ (٢٥)

٨٩٥ - إشارة إلى من لم يحي حياة باطنة.

• ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ... ﴾ (٢٦)

٨٩٦ - استدل بالابتداء على الإعادة.

٨٩٧ - عمدة المتكلمين في البعث قوله تعالى: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾.

٨٩٨ - من قدر على الخلق فهو على الإعادة أقدر كما قال: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾.

* سُورَةُ الصَّافَّاتِ *

• ﴿ إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَكِبِ ﴾ (١)

٨٩٩ - الحكمة في سائر الكواكب - السيارة منها والثوابت - خفية لا يطلع عليها

كافة الخلق، والقدر الذي يحتمله فهم الخلق أنها زينة للسماء لتستلذ العين النظر إليها،

وأشار إليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَكِبِ ﴾.

٨٩٣ - نفسه (٣٥/٤).

٨٩٢ - الإحياء (٨٤/٢).

٨٩٥ - نفسه (١٠٧/٤).

٨٩٤ - نفسه (٥٧٥/٤).

٨٩٧ - نفسه (١١٥/١).

٨٩٦ - نفسه (١٣٦/١).

٨٩٨ - إجماع العوام عن علم الكلام، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١١٥).

٨٩٩ - الإحياء (٩٥/٤).

• ﴿ أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ... ﴾ ٢٢

٩٠٠ - أي: الظلمة وأعوان الظلمة.

• ﴿ فَأَمْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ٢٣ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ ٢٤

٩٠١ - الصراط: هو جسر ممدود على متن جهنم، أرق من الشعرة وأحد من السيف.

• ﴿ إِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ ٢٥

٩٠٢ - أي: لمحاسبون.

• ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ٢٦

٩٠٣ - خلق الخلق وأوجد قدرتهم وحركتهم، فجميع أفعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقاً له في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

• ﴿ قَدْ صَدَّقَت الرُّؤْيَا ... ﴾ ٢٧

٩٠٤ - معناه: حاولت الإقدام اعتماداً على الرؤيا.

• ﴿ سَلَّمَ عَلَىٰ إِيَّاسِينَ ﴾ ٢٨

٩٠٥ - أي: على إيلياس، وقيل: إدريس؛ لأن حرف ابن مسعود: ﴿ سلم على إدراسين ﴾.

• ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ ٢٩

٩٠٦ - معناه: هم قوم إذا رأيتهم ظننتهم مائة ألف أو يزيدون.

• ﴿ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ ٣٠ (١)

• ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ٣١ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾ ٣٢

٩٠٧ - اعلم أن خلقة الملائكة تخالف خلقة الإنس، وما من واحد منهم إلا وهو وحداني الصفة، ليس فيه خلط وتركيب البتة، فلا يكون لكل واحد منهم إلا فعل واحد، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل،

٩٠١ - نفسه (١٣٦/١).

٩٠٠ - الإحياء (٣٨٣/٢).

٩٠٣ - نفسه (١٣١/١).

٩٠٢ - نفسه (٤٢٠/٤).

٩٠٥ - الإحياء (٣٤٤/١).

٩٠٤ - المنحول (ص ٢٩٨).

٩٠٧ - الإحياء (١٢٧/٤).

٩٠٦ - المنحول (ص ٩١).

(١) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَسُبْحَنَ اللَّهُ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

بل مثالهم في تعيين مرتبة كل واحد منهم وفعله مثال الحواس الخمس، فإن البصر لا يزاحم السمع في إدراك الأصوات، ولا الشم يزاحمها، ولا هما يتنازعان الشم.

٩٠٨ - فكل واحد نوع برأسه هو كل ذلك النوع، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ۖ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ۖ﴾. وبقوله ﷺ: «الراكم منهم لا يسجد والقائم لا يركع، وإنه ما من واحد منهم إلا له مقام معلوم» (١).

* سُورَةُ ص *

• ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۖ﴾

٩٠٩ - الارتقاء: صعود الأخص إلى الأشرف حتى ينتهي إلى واجب الوجود كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤١].

• ﴿الْصَّفِينَتُ الْجَيَادُ ۖ﴾

٩١٠ - الصفن: هو رفع إحدى الرجلين.

• ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ۖ﴾

٩١١ - أراد الشمس.

• ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۖ﴾

٩١٢ - الصفد: هو اقتران القدمين معاً.

• ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ ۖ﴾

٩١٣ - أخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم؛ إذ لم يروا الذين ازدروهم

٩٠٨ - الأجوبة الغزالية ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٧٩).

٩٠٩ - المضمون به على غير أهله، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٢٣).

٩١٠ - الإحياء (١٨١/١). ٩١١ - نفسه (٣٤٤/١).

٩١٢ - نفسه (١٨١/١). ٩١٣ - نفسه (٣٦٥/٣).

(١) أورده الطبري في تفسيره عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بلفظ: قال نبي الله ﷺ: «ما في سماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم»، فذلك قول الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ۖ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ۖ﴾. [الصفات: ١٦٤ - ١٦٦] (١١١/١٢).

فقالوا: ﴿ مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴾ قيل: يعنون عمارًا وبلالًا وصهيبًا والمقداد.

• ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ۖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۖ ﴿٧٢﴾ ﴾

٩١٤ - نبه على أن الجسد منسوب إلى الطين، والروح إلى رب العالمين، والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد.

٩١٥ - نبه على أن الإنسان مخلوق من جسم مدرك بالبصر، ونفس مدركة بالعقل والبصيرة، لا بالحواس، وأضاف جسده إلى الطين، وروحه إلى نفسه.

وأراد بالروح ما نعينه بالنفس، منبها لأرباب البصائر، أن النفس الإنسانية من الأمور الإلهية، وأنها أجل وأرفع من الأجسام الخسيسة الأرضية كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥].

٩١٦ - النفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرًا؛ ولذلك أضافها الله ﷻ إلى نفسه، وأضاف البدن إلى الطين، فقال: ﴿ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ۖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾.

٩١٧ - الأرواح البشرية حادثة حدثت عند استعداد النطفة لقبول النفس من واهبها كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ كما حدثت الصورة في المرأة لحدوث الصقالة، وإن كان ذو الصورة سابق الوجود على الصقالة.

٩١٨ - ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾.

التسوية: هي عبارة عن فعل في المحل القابل للروح، وهو الطين في حق آدم ﷺ، والنطفة في حق أولاده بالتصفية وتعديل المزاج والتردد في أطوار الخلقة إلى الغاية حتى ينتهي في الصفاء ومناسبة الأجزاء إلى الغاية، فيستعد لقبول الروح وإمساكها كاستعداد الفتيلة بعد شرب الدهن لقبول النار وإمساكها.

٩١٤ - الإحياء (٥٨/٣).

٩١٥ - ميزان العمل (ص ١٩٩).

٩١٦ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١٣٥).

٩١٧ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ١٠٥).

٩١٨ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٤٦).

وأما النفخ: فهو عبارة عن اشتعال نور الروح في المحل القابل، فالنفخ سبب الاشتعال، وصورة النفخ في حق الله تعالى محال، والسبب غير محال، فعبر عن نتيجة النفخ بالنفخ، وهو الاشتعال في فتيلة النطفة، وللنفخ صورة ونتيجة.

٩١٩ - سئل الشيخ الإمام الأجل الزاهد السيد: حجة الإسلام زين الدين مقتدي الأمة قدوة الفريقين أبو حامد محمد بن محمد الغزالي - قدس الله روحه ونور ضريحه - عن معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ ما التسوية وما النفخ وما الروح؟ فقال: التسوية فعل في المحل القابل للروح، وهو الطين في حق آدم عليه السلام، والنطفة في حق أولاده بالتصفية وتعديل المزاج، فإنه كما لا يقبل النار يابس محض كالتراب والحجر، ولا رطب محض كالماء، بل لا تتعلق النار إلا بمركب، أي من يابس ورطب ولا كل مركب، فإن الطين مركب ولا تشتعل فيه النار، بل لا بد بعد تركيب الطين الكثيف من تردد في أطوار الخلقة حتى يصير نباتاً لطيفاً، فتثبت فيه النار وتشتعل فيه.

وكذلك الطين بعد أن ينشئه خلقاً بعد خلق في أطوار متعاقبة يصير نباتاً، فيأكله الآدمي فيصير دماً، فتنتزع القوة المركبة في كل حيوان صفوة الدم الذي هو أقرب إلى الاعتدال، فيصير نطفة فيقبلها الرحم ويمتزج بها مني المرأة فتزداد عند ذلك اعتدالاً، ثم ينضجها الرحم بحرارة فتزداد تناسباً حتى تنتهي في الصفاء واستواء نسبة الأجزاء إلى الغاية، فتستعد لقبول الروح وإمساكها كالفتيلة التي تستعد عند شرب الدهن لقبول النار وإمساكها، فالنطفة عند تمام الاستواء والصفاء تستحق باستعدادها روحاً يدبرها ويتصرف فيها، فتفيض إليها الروح من جود الجواد الحق الوهاب لكل مستحق ما يستحقه، ولكل مستعد ما يقبله على قدر قبوله واحتماله من غير منع ولا بخل. فالتسوية: عبارة عن هذه الأفعال المرددة لأصل النطفة في الأطوار السالكة بها إلى صفة الاستواء والاعتدال.

وسئل: ما النفخ؟

فقال: النفخ عبارة عما أشعل نور الروح في فتيلة النطفة، وللنفخ صورة ونتيجة. أما صورته: فأخراج الهواء من جوف النافخ إلى جوف المنفوخ فيه حتى يشتعل الحطب القابل للنار، فالنفخ سبب الاشتعال، وصورة النفخ الذي هو سبب في حق الله تعالى

محال، والمسبب غير محال، وقد يكتفى بالسبب عن الفعل الذي يحصل المسبب عنه على سبيل المجاز، وإن لم يكن الفعل المستعار له على صورة الفعل المستعار منه كقوله تعالى: ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المجادلة: ١٤] ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ١٣٦]، والغضب عبارة عن نوع تغير الغضبان يتأذى به، ونتيجة الهلاك للمغضوب عليه وإيلامه، فعبر عن نتيجة الغضب بالغضب، وعن نتيجة الانتقام بالانتقام، وكذلك عبر عما ينتج نتيجة النفخ بالنفخ وإن لم يكن على صورة النفخ.

ف قيل له: فما السبب الذي اشتعل به نور الروح في فتيلة النطفة؟

قال: هو صفة في الفاعل وصفة في المحل القابل. أما صفة الفاعل فالجود الإلهي الذي هو ينبوع للوجود على ما له قبول الوجود، فهو فياض بذاته على كل حقيقة أوجدها، ويعبر عن تلك الصفة بالقدرة، ومثالها: فيضان نور الشمس على كل قابل للاستنارة عند ارتفاع الحجاب بينهما، فالقابل للاستنارة هي الملونات دون الهواء الذي لا لون له، وأما صفة القابل فالاستواء والاعتدال الحاصل بالتسوية، كما قال: ﴿سَوَّيْتُهُ﴾.

ومثاله: صقالة الحديد، فإن المرأة التي ستر الصداً وجهها لا تقبل الصورة وإن كانت محاذية صورة، فلو حاذتها الصورة واشتغل الثقيل بتسقيها، فكلما حصل الصقال حدثت فيها الصورة المحاذية من ذي الصورة المحاذية، فكذلك إذا حصل الاستواء في النطفة حدثت فيها الروح من خالق الروح من غير تغير في الخالق، بل إنما حدث الروح الآن لا قبله لتغير المحل بحصول الاستواء الآن لا قبله، كما أن الصورة فاضت من ذي الصورة على المرأة في حكم الوهم من غير حدث في الصورة، ولكن كان لا يحصل من قبل، لا لأن الصورة ليست مهيأة لأن تنطبع في المرأة، لكن لأن المرأة لم تكن صقيلة قابلة للصورة...

قيل له: قد ذكرت التسوية والنفخ، فما الروح وما حقيقته؟ وهل هو حال في البدن حلول الماء في الإناء؟ أو حلول العرض في الجوهر؟ أم هو جوهر قائم بنفسه؟ فإن كان جوهرًا قائمًا بنفسه، فمتحيز هو أم غير متحيز؟ وإن كان متحيزًا فما مكانه أهو القلب أو الدماغ أو موضع آخر؟ وإن لم يكن متحيزًا فكيف يكون جوهرًا غير متحيز؟

فقال: هذا سؤال عن سر الروح الذي لم يؤذن لرسول الله ﷺ في كشفه لمن ليس أهلاً له، فإن كنت من أهله فاسمع.

واعلم أن الروح ليس بجسم يحل البدن حلول الماء في الإناء، ولا هو عرض يحل القلب والدماغ حلول السواد في الأسود والعلم في العالم، بل هو جوهر وليس بعرض؛

لأنه يعرف نفسه وخالقه ويدرك المعقولات وهذه علوم، والعلوم أعراض، ولو كان موضوعاً والعلم قائم به لكان قيام العرض بالعرض. وهذا خلاف المعقول؛ ولأن العرض الواحد لا يفيد إلا واحداً فيما قام به، والروح يفيد حكيمين متغايرين، فإنه حين ما يعرف خالقه يعرف نفسه، فدل على أن الروح ليس بعرض، والعرض لا يتصف بهذه الصفات، ولا هو جسم؛ لأن الجسم قابل القسمة والروح لا ينقسم؛ لأنه لو انقسم لجاز أن يقوم بجزء منه علم بالشيء الواحد، وبالجزء الآخر منه جهل بذلك الشيء الواحد بعينه، فيكون في حالة واحدة عالماً بالشيء جاهلاً به فيتناقض لأنه في محل، وإلا فالسواد والبياض في جزأين من العين غير متناقض؛ والعلم والجهل شيء واحد في شخص واحد محال وفي شخصين غير محال، فدل على أنه واحد وهو باتفاق العقلاء جزء لا يتجزأ، أي شيء لا ينقسم؛ إذ لفظ جزء غير لائق به؛ لأن الجزء إضافة إلى الكل ولا كل هنا، فلا جزء إلا أن يراد به ما يريد القائل بقوله الواحد جزء من العشرة، فإنك إذا أخذت جميع الأجزاء التي بها قوام العشرة في كونها عشرة كان الواحد من جملتها، كذلك إذا أخذت جميع الموجودات أو جميع ما به قوام الإنسان في كونه إنساناً، كان الروح واحداً في جملتها. فإذا فهمت أنه شيء لا ينقسم فلا يخلو إما أن يكون متحيزاً أو غير متحيز، وباطل أن يكون متحيزاً؛ إذ كل متحيز منقسم، والجزء الذي لا يتجزأ باطل أن يكون منقسماً بأدلة هندسية وعقلية، أقربها أنه لو فرض جوهر بين جوهرين لكان كل واحد من الطرفين يلقي من الوسط غير ما يلقي الآخر.

فيجوز أن يقوم بالوجه الذي يلقاه هذا الطرف علم، وبالوجه الآخر جهل، فيكون عالماً جاهلاً في حالة واحدة بشيء واحد، وكيف لا ولو فرض بسيط مسطح من أجزاء لا تتجزأ لكان الوجه الذي يحاذينا ونراه غير الوجه الآخر الذي لا نراه، فإن الواحد لا يكون مرئياً وغير مرئي في حالة واحدة، ولكانت الشمس إذا حازت أحد وجهيه استنار بها ذلك الوجه دون الوجه الآخر، فإذا ثبت أنه لا ينقسم وأنه لا يتجزأ ثبت أنه قائم بنفسه وغير متحيز أصلاً.

قيل له: وما حقيقة هذه الحقيقة، وما صفة هذا الجوهر، وما وجه تعلقه بالبدن؟ أهو داخل فيه أو خارج عنه أو متصل به أو منفصل عنه؟

قال ﷺ: لا هو داخل، ولا خارج، ولا هو منفصل، ولا متصل؛ لأن مصحح الاتصال بالاتصاف والانفصال - الجسمية والتحيز - قد انتفيا عنه فانفك عن الضدين،

كما أن الجماد لا هو عالم، ولا هو جاهل؛ لأن مصحح العلم والجهل الحياة، فإذا انتفت انتفى الضدان.

فقل له: هل هو في جهة؟

فقال: هو منزّه عن الحلول في المحال والاتصال بالأجسام والاختصاص بالجهات، فإن كل ذلك صفات الأجسام وأعراضها، والروح ليس بجسم ولا عرض في جسم، بل هو مقدس عن هذه العوارض.

٩٢٠ - ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ فروح الله ﷻ مفتاح أبواب السعادة، ولم يكن نفخها إلا بعد التسوية، ومعنى التسوية: يرجع إلى التعديل.

٩٢١ - فإن قيل: ما معنى نسبة الروح إلى الله تعالى في قوله: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾؟ فاعلم أن الروح منزّهة عن الجهة والمكان، وفي قوتها العلم بجميع المعلومات والاطلاع عليها، فهذه مضاهاة ومناسبة ليست لغيره من الجسمانيات، فلذلك اختصت بالإضافة إلى الله تعالى.

• ﴿ قَالَ يَبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ ٧٥ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقَهُ مِنْ طِينٍ ﴿ ٧٦ ﴾

٩٢٢ - قول إبليس: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ في جواب قوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾

وقد أدرج إبليس في هذا ميزانين؛ إذ علل منع السجود بكونه خيراً منه، ثم أثبت الخيرية بأنه خلق من نار، وإذ صُرح بجميع أجزاء حجته وُجد ميزانه مستقيم التركيب لكن فاسد المادة، وكمال صورته أن يقول: ما خلق من نار خير، والخير لا يسجد، فأنا إذا لا أسجد. فكلا أصلي هذا القياس ممنوع لأنه غير معلوم، والعلوم الخفية توزن بالعلوم الجلية، وما ذكره غير جلي ولا مسلم، إذ نقول له: نسلم أنك خير منه، وهذا منع الأصل الأول، والآخر أنا لا نسلم أن الخير لا يلزمه السجود؛ لأن اللزوم والاستحقاق بالأمر لا بالخيرية. لكن ترك إبليس الدلالة على الأصل الثاني، وهو أن اللزوم والاستحقاق بالأمر لا بالخيرية، واشتغل بإقامة الدليل على أنه خير؛ لأنني خلقت من نار. وهذه دعوة الخيرية

٩٢٠ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٧١).

٩٢١ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٤٨).

٩٢٢ - القسطاس المستقيم، ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ٤٠ ، ٤١).

بالنسب، وكمال صورة دليله وميزانه أن يقول: المنسوب إلى الخير خير. وأنا منسوب إلى الخير فإذا أنا خير.

وكلتا هاتين الكفتين أيضًا فاسدة، فإننا لا نعلم أن المنسوب إلى الخير خير، بل الخيرية بصفات الذات لا بالنسب، فيجوز أن يكون الحديد خيرًا من الزجاج، ثم يتخذ من الزجاج بحسن الصنعة ما هو خير من المتخذ من الحديد، وكذلك نقول: إبراهيم - صلوات الله عليه - خير من ولد نوح، وإن كان إبراهيم مخلوقًا من آزر وهو كافر، وولد نوح من نبي.

وأما أصله الثاني: وهو أنه مخلوق من خير؛ لأن النار خير من الطين، فهذا أيضًا غير مسلم، بل الطين خير؛ لأنه من التراب والماء، وربما يقال: إن بامتزاجهما قوام الحيوان والنبات، وبهما يصل النشوء والنمو، وأما النار فمفسدة ومهلكة للجميع، فقله: إن النار خير باطل.

فهذه الموازين صحيحة الصورة، فاسدة المادة، تشبيهاً بالسيف المتخذ من الخشب، بل هي: ﴿ كَرَابٍ بِقِيَعِهِ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ﴾ [النور: ٣٩].

• ﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾

٩٢٣ - كمالات الموجودات قبولها الأمر، وكمالات المكلفين قولها للشواب، فمن لم يقبل الأمر أخرج من عالم الحق، والإخراج من الحق لعن كحال الشيطان الأول؛ إذ لم يقبل الأمر فأخرج من جنة العقل وقيل: ﴿ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ وذلك معنى اللعن.

• ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿

٩٢٤ - اعلم أن الشيطان مسلط على كل ناظر ومشغوف بتلبيس الحق وتغطيته، ومصر على الوفاء بقوله: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾، والتحذر منه شديد، ولا يتيسر إلا لمن هو في محل استثنائه؛ حيث قال: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾. جعلنا الله وإياكم منهم، فعليك أن تأخذ في نظرك من الشيطان ووسواسه حذرك.

* سُورَةُ الزُّمَرِ *

• ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى...﴾ (٩٢٥)
 ٩٢٥ - أي: يقولون ما نعبدهم.

• ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ...﴾ (٩٢٦)
 ٩٢٦ - أي: خلق.

• ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادُهُ...﴾ (٩٢٧)
 ٩٢٧ - أخبر الله تعالى أن النار أعدها لأعدائه، وإنما خوف بها أوليائه.

• ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ...﴾ (٩٢٨)
 ٩٢٨ - سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ ما هذا الشرح؟ فقال: «هو التوسعة، إن النور إذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح».

٩٢٩ - إن أول ما ينبه العبد للعبادة ويتحرك لسلوك طريقها بخطر سماية وتوفيق خاص إلهي، وهو المعني بقوله ﷺ ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ وإليه أشار صاحب الشرع ﷺ فقال: «إن النور إذا دخل القلب انفسح وانشرح»، فقيل: يا رسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها؟ فقال: «نعم، التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزول الموت» (١).

٩٣٠ - إنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيتة وجلأؤه، ومراد تزكيتة: حصول أنوار المعارف فيه، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾.

٩٢٥ - الإحياء (٣٤٤/١).

٩٢٦ - الحكمة في مخلوقات الله ﷻ، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ١٥).

٩٢٧ - الإحياء (١٥٤/٤). ٩٢٨ - نفسه (٢٦/٣).

٩٢٩ - منهاج العابدين (ص ٥١) وفيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ١٤٣).

٩٣٠ - معارج القدس في مدارك معرفة النفس (ص ٩٧).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣١١/٤).

٩٣١ - قوله ﷺ: « خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم شيئاً من نوره، فمن أصابه شيء من ذلك النور اهتدى، ومن لم يصبه فظلمات بعضها فوق بعض » (١) وهو معنى قوله: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾.

• ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ... ﴾ (٣٢)

٩٣٢ - الحديث الحسن: كلام الله القديم المنزل المحفوظ في صدور الرجال الراسخين، المعلوم في قلوب المؤمنين الذي ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢] وهذه الكلمات النبوية المستخرجة من الأسرار الإلهية التي نطق بها الرسول ﷺ وصدقه الله تعالى في جميع منطقته؛ حيث قال: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣، ٤].

• ﴿ وَبَدَأَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ (٤٧)

٩٣٣ - قيل في التفسير: عملوا أعمالاً ظنوا أنها حسنات فكانت في كفة السيئات.

• ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٥٧)

٩٣٤ - وفي قراءة رسول الله ﷺ: ﴿ وَلَا يِيَالِي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾.

٩٣٥ - ﴿ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ حرم أصل اليأس.

• ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ... ﴾ (٦١)

٩٣٦ - قال الثوري في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ قال: هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا بها صادقين.

٩٣١ - سر العالمين وكشف ما في الدارين، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ٣٠).

٩٣٢ - المعارف العقلية (ص ٥٨، ٥٩).

٩٣٣ - الإحياء (١٤٧/١) و (٣٣/٣).

٩٣٤ - نفسه (١٥٤/٤).

٩٣٥ - نفسه (١٥٤/٤).

٩٣٦ - نفسه (٤٠٨/٤).

(١) رواه البزار عن عبد الله بن عمر: « إن الله خلق خلقه في ظلمة، فألقى عليهم نوراً من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأ ضل » ن: تفسير ابن كثير (٣٥٥/٣).

• ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ...﴾ (١)

• ﴿ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾

٩٣٧ - يلبث الخلق في النفخة الأولى أربعين سنة، ثم يحيي الله تعالى إسرائيل فيأمره أن ينفخ الثانية، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ على أرجلهم ينظرون إلى البعث.

• ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ...﴾

٩٣٨ - حفاف الشيء: حوله.

* سُورَةُ غَافِرٍ *

• ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ...﴾

٩٣٩ - ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ ثم قال في عقبه: ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ لئلا يستولي عليك الخوف بمرة.

• ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾

٩٤٠ - نهى عن الجدال بالباطل كما قال تعالى: ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [غافر: ٥] بدليل قوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

• ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾

٩٤١ - شرط الله ﷻ الإنابة في الفهم والتذكير.

• ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾

٩٤٢ - لقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم، لا ذلك اليوم على الخصوص، ولكن الغافلين لا يسمعون هذا النداء إلا ذلك اليوم، فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من كشف الأحوال؛ حيث لا ينفهم الكشف، فنعوذ بالله الحليم الكريم من الجهل والعمى، فإنه أصل أسباب الهلاك.

٩٣٨ - نفسه (١٦٦/١).

٩٣٧ - الإحياء (٥٤٥/٤).

٩٤٠ - المستصفى (٣٨٨/٢).

٩٣٩ - منهاج العابدين (ص ٢٥٧).

٩٤٢ - نفسه (٩٥/٤).

٩٤١ - الإحياء (٣٣٥/١).

(١) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

• ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَمْنُنُ ابْنِ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ (٦٦)

٩٤٣ - ذم الله تعالى فرعون في اعتقاد كون الأسباب والمعارج جسمانية في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَمْنُنُ ابْنِ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ (٦٦).

• ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ (٦٧)

٩٤٤ - الأموات إذا باءت أعينهم: منهم المستقر، ومنهم الطواف ومنهم المضروب عليه، ومنهم المعذب، والدليل على صحة ذلك قوله تعالى: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾.

٩٤٥ - عذاب القبر ورد الشرع به، قال تعالى: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾.

• ﴿ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ... ﴾ (٦٨)

٩٤٦ - قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ ﴾ قال: عظيمة لم يبلغوها. ففسر الكبر بتلك العظيمة.

• ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ... ﴾ (٦٩)

٩٤٧ - روى النعمان بن بشير (١) عن النبي ﷺ أنه قال: « إِنْ الدَّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ » ثم قرأ: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (١) [غافر: ٦٠].

• ﴿ خَلَقْتُ كُلَّ شَيْءٍ... ﴾ (٧٠)

• ﴿ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٧١)

٩٤٨ - القضاء يطلق تارة يراد به الأمر المبرم نحو قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا

٩٤٣ - معراج السالكين، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ٨٥).

٩٤٤ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١١٥).

٩٤٥ - الإحياء (١٣٦/١) - نفسه (٣٦٣/٣).

٩٤٧ - نفسه (٣٦١/١).

٩٤٨ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٣٣).

(١) هو: النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة خلاص بن زيد الأنصاري الخزرجي، قال الواقدي: كان أول مولود ولد في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة، روى عن النبي ﷺ، وعن خاله عبد الله بن رواحة ت: سنة (٦٥ هـ). ن: الإصابة في تمييز الصحابة (٢٤٠/٦) رقم (٨٧٢٢) وسير أعلام النبلاء (٤١١/٣).
(٢) أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح. ن: أبواب التفسير (١٢٥/٥) حديث رقم (٣٤٣٢).
(٣) ن: تفسير قوله: ﴿ خَلَقْتُ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٠﴾

* سُورَةُ فَصَّلَتْ *

• ﴿ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ... ﴾ ① ﴿

٩٤٩ - المادة والصورة... ومادة الأرض مادة مشتركة بين أزواج وفحول وهي أحس؛ لأنها مثل مومسة تقبل كل ناكح؛ ومنها الجماد، والمعدنيات داخلة في الجماد، والنبات والحيوانات العجم والإنسان؛ ومنها: الأرض والماء والهواء والنار والآثار العلوية والأجرام السماوية، وكل ما هو فوق الأرض فهو سماء من طريق اللغة؛ لأن أهل اللغة تقول: كل ما علاك فهو سماؤك، وكل ما دون الفلك يعني فلك القمر بالنسبة إلى الأفلاك أرض، لقوله: ﴿ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ١٢]:

الأولى: كرة النار.

الثانية: كرة الهواء.

الثالثة: كرة الطين المجفف الذي فوق الماء.

الرابعة: الماء.

الخامسة: الأرض البسيطة.

السادسة: المترجات من هذه الأشياء.

السابعة: الآثار العلوية.

• ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ ② ﴿

٩٥٠ - العلم بأنه تعالى مستوي على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى بالاستواء، هو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق إليه سمات الحدوث والفناء، وهو الذي أريد بالاستواء إلى السماء؛ حيث قال في القرآن: ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾، وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق

٩٤٩ - المضمون به على غير أهله، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٢٢، ١٢٣).

٩٥٠ - الإحياء (١٢٣/١).

(١) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥]

٩٥١ - البليد يفتقر في فهمه إلى أن يقدر لهما حياة وعقلاً وفهماً للخطاب [والخطاب] ^(١) هو صوت وحرف تسمعه السماء والأرض، وتجييان بحرف وصوت وتقولان: ﴿أَيْنَا طَائِعِينَ﴾، والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال وأنه إنباء عن كونهما مستخترتين بالضرورة مضطرتين إلى التسخير.

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾

٩٥٢ - قوة التخيل ليست متشابهة في أصناف الناس، بل هي مرتبة متفاضلة، وربما تكون متضادة، فمن ذلك ما يناسب الروحانيين من الملائكة ويكون مهبطهم إليه ونزولهم عليه، وظهورهم له وتأثيرهم فيه وتمثلهم به، حتى تكلم الشخص بكلامهم وتكلموا بلسانه، ورأى الشخص بأبصارهم وأبصروا بعينه، وسمع بأسماعهم وسمعوا بأذانه وهم ملائكة يمشون على الأرض مطمئنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾.

٩٥٣ - ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فلا يخاف مما تقدم عليه في العقبى، ولا يحزن على ما خلفه في الدنيا.

• ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا...﴾

٩٥٤ - قيل في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: نزلت في المؤذنين.

• ﴿إِنَّمَا يُلَقَّاهَا إِذَا دَعَا إِلَى اللَّهِ وَبَيَّنَّ عَدَاوَةَ كَانَتْهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ

٩٥٥ - قال أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُلَقَّاهَا إِذَا دَعَا إِلَى اللَّهِ وَبَيَّنَّ عَدَاوَةَ كَانَتْهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ إلى قوله: ﴿عَظِيمٍ﴾: هو الرجل يشتبه أخوه فيقول:

٩٥١ - الإحياء (١٢٩/١).

٩٥٢ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٧٩).

٩٥٣ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ٣٤٨).

٩٥٥ - نفسه (١٩٠/٣).

٩٥٤ - الإحياء (١٧٤/١).

(١) في الأصل المطبوع: خطاباً.

إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَغَفَرَ اللَّهُ لِي.

• ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ...﴾ (٢٧)

٩٥٦ - ليس المأمور به هو المنهي عنه، والإجماع منعقد على أن الساجد للشمس عاص بنفس السجود والقصد جميعًا.

• ﴿سَرُّيَهُمْ ءَايَاتُنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٢٨)

٩٥٧ - أظهر الآثار التي يرى فيها جلال ذات الحق وكمال صفاته إنما هو معرفة النفس، كما قال تعالى: ﴿سَرُّيَهُمْ ءَايَاتُنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.

٩٥٨ - ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ خص بالخطاب سيد الأخلاق والأحباب، غيرة على ذلك المقام، وحرمة لأهله النجب الكرام: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ إشارة إلى معرفة ما سوى الله بالله.

* سُورَةُ الشُّورَى *

• ﴿وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ...﴾ (٢٩)

٩٥٩ - مفهومه أن ما اتفقت فيه فهو الحق.

• ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...﴾ (٣٠)

٩٦٠ - ليس بجسم مصور ولا جوهر محرور مقدور...، لا يماثل الأجسام لا في التقدير، ولا في قبول الانقسام... ليس بجوهر ولا تحله الجواهر، ولا بعرض ولا تحله الأعراض، بل لا يماثل موجودًا ولا يماثله موجود: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ولا هو مثل الشيء.

٩٦١ - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فإن الكاف وضعت للإفادة.

٩٥٦ - المستصفى (٧٦/١، ٧٧).

٩٥٧ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٦) وكيمياء السعادة، ضمن المجموعة رقم (٥) (ص ١٢٤).

٩٥٨ - مدخل السلوك إلى منازل الملوك (ص ٣٢). ٩٥٩ - المستصفى (١٧٤/١).

٩٦١ - المستصفى (٣٤٢/١).

٩٦٠ - الإحياء (١٠٨/١).

٩٦٢ - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ دال على نفي المماثل لسائر الموجودات.
 ٩٦٣ - ليس لله تعالى مثل كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ولكن له مثال، وقول النبي عليه الصلاة والسلام: «إن الله تعالى خلق آدم على صورته»^(١) إشارة إلى هذا المثال، فإنه لما كان تعالى وتقدس موجوداً قائماً بنفسه حياً سمياً بصيراً عالماً قادراً متكلاً فالإنسان كذلك، ولو لم يكن الإنسان بهذه الأوصاف موصوفاً لم يعرف الله تعالى، ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»^(٢).

• ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا...﴾ ﴿١٢﴾

٩٦٤ - قيل: كان النبي ﷺ على شرع نوح عليه السلام بدليل قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا...﴾ والمختار التوقف.

٩٦٥ - ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ الدين: عبارة عن أصل التوحيد وإنما خصص نوحاً بالذكر تشريفاً له وتخصيصاً.

• ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَقِيًا بَيْنَهُمْ...﴾ ﴿١٣﴾

٩٦٦ - أنزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته، وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا؛ إذ أراد كل واحد منهم أن ينفرد منهم بالرياسة وقبول القول، فرد بعضهم على بعض.

• [﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾] ﴿١٤﴾

٩٦٧ - القوة: هي تمام القدرة.

• ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ...﴾ ﴿١٥﴾

٩٦٨ - روي في غريب التفسير في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

٩٦٢ - فضائح الباطنية (ص ١١٩).

٩٦٣ - المضمون به على غير أهله، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٣٢).

٩٦٤ - المنحول من تعليقات الأصول (ص ٢٢١، ٢٢٢).

٩٦٥ - المستصفي (٢٥٧/١). ٩٦٦ - الإحياء (٢٠٢/٣).

٩٦٧ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٥).

٩٦٨ - الإحياء (١٨٥/٢).

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، ن: الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١٢/٣) حديث رقم (٦١٢٩).

(٢) لم أقف على تخريج لهذا الحديث.

الْصَّلَاحَتِ وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ ﴿٩٦٩﴾ قال: يشفعهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم.

• ﴿وَمَا أَصْبَحْتُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾

٩٦٩ - قال علي كرم الله وجهه: ألا أخبركم بأرجى آية في القرآن؟ قالوا: بلى، فقرأ عليهم: ﴿وَمَا أَصْبَحْتُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ ﴿٩٦٩﴾ فالمصائب في الدنيا تكسب الأوزار، فإذا عاقبه الله في الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانيًا، وإن عفا عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه يوم القيامة.

• ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ...﴾ ﴿٩٧٠﴾

٩٧٠ - ما يحصل إلى الرسول إما بواسطة أشخاص الملائكة - بأن يتمثل له بشرًا سويًا أو على صورة ما - وإما بغير واسطة، بأن ينقش الله تعالى ذلك نقشًا في الحاسة المتخيلة، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ وهو ما يحصل في قوته الخيالية وهو المعروف بالإلهام، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ٧].
﴿أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾: أو بواسطة ملك من الملائكة وهو الحجاب، أو يرسل ما يشاء رسولًا فيوحي بإذنه ما يشاء به.

٩٧١ - إن العلوم إنما تحصل في النفوس الإنسانية من الله تعالى بواسطة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾.
٩٧٢ - نور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب إلا بواسطة الملائكة.. ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾.
• ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا...﴾ ﴿٩٧٣﴾

٩٧٣ - سمي الله ﷻ العلم روحًا، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾.

٩٦٩ - الإحياء (١٣٨/٤).

٩٧٠ - معراج السالكين، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ١٣٩).

٩٧١ - ميزان العمل (ص ٢٠٥).

٩٧٢ - الإحياء (٦٢/١).

٩٧٣ - ميزان العمل (ص ٣٣٣).

* سُورَةُ الزُّخْرَفِ *

• ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣٦﴾ أَهْمَرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ... ﴾ ﴿٣٧﴾

٩٧٤ - من التكبر والتعزز كان حسد أكثر الكفار لرسول الله ﷺ؛ إذ قالوا: كيف يتقدم علينا غلام يتيم، وكيف نطأطئ رؤوسنا؟ فقالوا: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ ^(١) أي: كان لا يثقل علينا أن نتواضع له ونتبعه إذا كان عظيمًا، وقال تعالى يصف قول قريش: ﴿ أَهْتُولَاءَ مَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنَا ﴾ [الأنعام: ٥٣] كالاستحقار لهم والأنفة منهم.

٩٧٥ - قالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ قال قتادة: عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي، طلبوا من هو أعظم رئاسة من النبي ﷺ؛ إذ قالوا: غلام يتيم، كيف بعثه الله إلينا؟ فقال تعالى: ﴿ أَهْمَرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾.

• ﴿ وَإِن كُُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

٩٧٦ - عن سعيد بن المسيب أن عمر وأبي بن كعب وأبا هريرة ؓ دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله من أعلم الناس؟ فقال ﷺ « العاقل » قالوا: أليس من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته؟ فقال ﷺ: « ﴿ وَإِن كُُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ » إن العاقل هو المتقي وإن كان في الدنيا خسيسًا قليلًا ^(٢).

٩٧٥ - نفسه (٣٦٥/٣).

٩٧٤ - الإحياء (٢٠٥/٣).

٩٧٦ - نفسه (١٠٢/١).

(١) قال الحافظ العراقي: حديث سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ ذكره ابن إسحاق في السيرة، وإن قائل ذلك الوليد بن المغيرة قال: أنزل على محمد وأترك، وأنا كبير قريش وسيدها، ويترك أبو مسعود بن عمير الثقفي سيد ثقيف، فنحن عظماء القريتين فأنزل الله فيما بلغني هذه الآية.

ورواه أبو محمد بن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيرهما من حديث ابن عباس، إلا أنهما قالا مسعود بن عمرو، وفي رواية لابن مردويه: حبيب بن عمير الثقفي، وهو ضعيف، ن: المغني بهامش الإحياء (٣٦٥/١).

(٢) قال الحافظ العراقي: الحديث أخرجه ابن الجبير، ن: المغني بهامش الإحياء (١٠٢/١).

﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ ٥٨ ﴿

٩٧٧ - في الحديث: « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » (١) ثم قرأ

﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾.

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ... ﴾ ٥٩ ﴿

٩٧٨ - معناه: إن اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم.

* سُورَةُ الدَّخَانِ *

﴿ فَآسَرِ بِعِبَادِي لَيْلًا... ﴾ ٦٠ ﴿

٩٧٩ - قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿ فَآسَرِ بِعِبَادِي لَيْلًا ﴾ والتحصن بالليل اختفاء عن

أعين الأعداء ونوع تسبب.

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ ٦١ ﴿

٩٨٠ - قال علي كرم الله وجهه: إذا مات العبد يبكي عليه مصلاه من الأرض ومصعد

عمله من السماء، ثم قرأ: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ وقال ابن عباس:

تبكي عليه الأرض أربعين صباحاً. وقال عطاء الخرساني (٢): ما من عبد يسجد لله سجدة

في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت.

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ ﴾ ٦٢ ﴿

٩٨١ - عجائب الجو؛ ما يظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والأمطار والثلوج

والشهب والصواعق، فهي عجائب ما بين السماء والأرض، وقد أشار القرآن إلى جملة

٩٧٧ - الإحياء (٥٣/١).

٩٧٨ - الإحياء (١٠٣/١) وميزان العمل (ص ٣٣٥).

٩٧٩ - الإحياء (٢٩٦/٤). ٩٨٠ - نفسه (١٨٠/١).

٩٨١ - نفسه (٤٧٠/٤).

(١) رواه الترمذي من حديث أبي أمامة، وقال: حسن صحيح، ن: أبواب التفسير (٥٥/٥، ٥٦) حديث رقم (٣٣٠٦).

(٢) هو عطاء بن مسلم المحدث الواعظ، نزيل دمشق والقدس. أرسل عن أبي الدرداء وابن عباس وغيرهما،

روى عنه معمر وشعبة ومالك وغيرهم، وثقه ابن معين. (ت ١٣٥ هـ) ن: تهذيب التهذيب (٢١٢/٧ - ٢١٥)

وشذرات الذهب (١٩٢/١، ١٩٣) وسير أعلام النبلاء (١٤٠/٦).

ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ﴾ وهذا هو الذي بينهما، وأشار إلى تفصيله في مواضع شتى؛ حيث قال تعالى: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، حيث تعرض للرعْد والبرق والسحاب والمطر.

* سورة الجاثية *

• ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ (١١)
٩٨٢ - ومعناها: أيظن الذين اكتسبوا الخطايا ويعملون الأعمال المذمومة أن نسوي بينهم في الآخرة وبين الذين يعملون الخيرات وهم يؤمنون؟ كلا ساء ما يحكمون.

• ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ...﴾ (١٢)

٩٨٣ - كل متيع هواه فقد اتخذ هواه معبوده، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ وقال ﷺ «أبغض إله عبد في الأرض عند الله تعالى هو الهوى» (١).
٩٨٤ - ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ وهو إشارة إلى أن من اتخذ الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله.

٩٨٥ - ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ إذ لا معنى للإله إلا المعبود والمعبود هو المتبوع إشارة؛ فمن كان تردده في جميع أطواره خلف أغراضه البدنية وأوطاره، فقد اتخذ إلهه هواه.

• ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٣)

٩٨٦ - وليس الكتاب آلة العبارة، ولا عدة الإشارة، لكن لما تضمن جميع الأشياء، وأحاط بكل المكونات، واستولى على لطائف الموجودات وكثائفها، كما قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقال تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي

٩٨٢ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ٢٣).

٩٨٣ - الإحياء (٤٦/١) ومشكاة الأنوار، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ٤١).

٩٨٤ - الإحياء (٣١/٣). ٩٨٥ - ميزان العمل (٢٤١).

٩٨٦ - المعارف العقلية (ص ٣١، ٣٢).

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه الطبراني من حديث أبي أمامة بإسناد ضعيف، ن: المغني بهامش الإحياء (٤٦/١).

كِتَابٌ مُبِينٌ ﴿ [الأنعام: ٥٩] فبهذا المعنى سمي الله كتابه ناطقًا، ليعلم العاقل أن الناطق من الناس قد تكون نفسه.

٩٨٧ - أعمال الخلائق كل يوم تعرض على الله، فيأمر الكرام البررة أن يستنسخوها في ذلك الكتاب العظيم، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

* سُورَةُ الْأَحْقَافِ *

• ﴿ وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا... ﴾ ﴿ ١٥ ﴾

٩٨٨ - تقدير أقل الحمل بستة أشهر أخذًا من قوله تعالى: ﴿ وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾. وقد قال في موضع آخر: ﴿ وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ [لقمان: ١٤].

• ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ ﴿ ١٦ ﴾

٩٨٩ - فإنه بقدر ما تأخذ من لذات الدنيا ينقص لك من لذات الآخرة؛ ولهذا المعنى روي أن الله تعالى لما عرض الدنيا على نبيينا ﷺ قال له: « ولا أنقص لك من آخرتك شيئًا » ^(١) خصه بذلك، فدل على أن لغيره النقصان إلا أن يتفضل الله عليه بذلك.

• ﴿ فَأَصْبَرَ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ... ﴾ ﴿ ٢٥ ﴾

٩٩٠ - روى مسروق عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت يا رسول الله ألا تستطعم لله فيطعمك؟ قالت: وبكيت لما رأيت به من الجوع؟ فقال: « يا عائشة، والذي نفسي بيده

٩٨٧ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٣١).

٩٨٨ - المستصفى من علم الأصول (١٨٩/٢).

٩٨٩ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ١٦٦، ١٦٧).

٩٩٠ - الإحياء (٢٣٥/٤).

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا مرسلًا، ورواه أحمد والطبراني متصلًا من حديث أبي مويبة في أثناء حديث فيه: « إني أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة ... » وسنده صحيح، ن: المغني بهامش الإحياء: (٢١٦/٣) وفي مسند ابن حنبل (٤٨٩/٣) روى هذا الحديث عن أبي مويبة مولى رسول الله ﷺ بلفظ: « إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، والجنة، وخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي ﷻ والجنة » قال: قلت: بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح الدنيا والخلد فيها ثم الجنة: قال: « لا والله يا أبا مويبة لقد اخترت ربي والجنة » ن: أيضًا سراج الطالبين للكيدري (٤٩٦/١) ون: هامش منهاج العابدين (ص ١٦٦، ١٦٧).

لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهباً لأجراها حيث شئت من الأرض، ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها، وفقر الدنيا على غناها، وحزن الدنيا على فرحها، يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد، يا عائشة إن الله لم يرز لأولي العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر على محبوبها، ثم لم يرز إلا أن يكلفني ما كلفهم، فقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ والله ما لي بد من طاعته وإني والله لأصبرن كما صبروا بجهدني ولا قوة إلا بالله» (١).

* سُورَةُ مُحَمَّدٍ *

• ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ...﴾ (٣١)

٩٩١ - من لم يكن له فهم ما في القرآن ولو في أدنى الدرجات دخل في قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾.

والطابع: موانع الفهم...

أولها: أن يكون الهم منصرفاً إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها، وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله ﷻ، فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف، يخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه.

فهذا يكون تأمله مقصوراً على مخارج الحروف فأنى تنكشف له المعاني؟ وأعظم ضحكة الشيطان من كان مطيعاً لمثل هذا التلبس.

ثانيها: أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه، وثبت في نفسه التعصب

٩٩١ - الإحياء (٣٤٤/١ - ٣٣٦).

(١) قال الحافظ العراقي: حديث مسروق عن عائشة رضي الله عنها، أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من رواية عباد بن عباد عن مجالد عن الشعبي عن مسروق مختصراً: «يا عائشة إن الله لم يرز من أولي العزم من الرسل إلا الصبر على مكروهها والصبر على محبوبها ثم لم يرز إلا أن يكلفني ما كلفهم، فقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾». ومجالد مختلف في الاحتجاج به، ن: المغني بهامش الإحياء (٢٣٥/٤).

له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة. فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه، فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده، فصار نظره موقوفاً على مسموعه، فإن لمع برق على بعد، وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة، وقال: كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك؟ فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويتحرز عن مثله. ومثل هذا قالت الصوفية: إن العلم حجاب، وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها إليهم.

فأما العلم الحقيقي فهو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة، فيكف يكون حجاباً، وهو منتهى المطلب؟.

وهذا التقليد قد يكون باطلاً، فيكون مانعاً كمن يعتقد في الاستواء على العرش التمكن والاستقرار، فإن خطر له مثلاً في القدوس أنه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك في نفسه، ولو استقر في نفسه لانجر إلى كشف ثانٍ وثالث ولتواصل، ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل، وقد يكون حقاً ويكون أيضاً مانعاً من الفهم والكشف؛ لأن الحق الذي كلف الخلق اعتقاده، له مراتب ودرجات، وله مبدأ ظاهر وغور باطن، وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن في كتاب «قواعد العقائد» (١).

ثالثها: أن يكون مصرّاً على ذنب أو متصفاً بكبر أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه، وهو كالخبث على المرأة فيمنع جليلة الحق أن يتجلى فيه، وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الأكثرين. وكلما كانت الشهوات أشد تراكمًا، كانت معاني الكلام أشد احتجاباً، وكلما خف عن القلب أثقال الدنيا قرب تجلي المعنى فيه، فالقلب مثل المرأة والشهوات مثل الصدا، ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرأة، والرياضة للقلب بإمالة الشهوات مثل تصفيل الجلاء للمرأة، ولذلك قال ﷺ: «إذا عظمت أمتي الدينار والدرهم نُزع منها هبة الإسلام، وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا بركة الوحي» (٢) قال الفضيل (٣): يعني حرموا فهم القرآن، وقد شرط الله ﷻ الإنابة في

(١) ن: الإحياء (١١٩/١).

(٢) قال الحافظ العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف معضلاً من حديث الفضل بن عياض قال: ذكر عن نبي الله ﷺ. ن: المغني بهامش الإحياء (٣٣٥/١).

(٣) هو ابن مسعود بن بشر، الإمام القدوة الثبت، شيخ الإسلام، أبو علي التميمي الربوعي الخراساني، المجاور =

الفهم والتذكير فقال تعالى: ﴿ تَبَصَّرْهُ وَذَكَرْهُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ [ق: ٨] وقال ﷺ: ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴾ [غافر: ١٣] وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الرعد: ١٩] فالذي أثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الأبواب؛ ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب.

رابعها: أن يكون قد قرأ تفسيرًا ظاهرًا واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأي وأن « من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار » ^(١) فهذا أيضًا من الحجب العظيمة. وسنبين معنى التفسير بالرأي في الباب الرابع ^(٢). وأن ذلك لا يناقض قول علي عليه السلام: « إلا أن يؤتي الله عبدًا فهمًا في القرآن » وأنه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلفت الناس فيه.

• ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۖ ﴾ (٧)

٩٩٢ - الهداية: ما يمد به العبد حالًا بعد حال، بحسب ترقيه في العلوم، زيادته في صالح الأعمال، وإياه عنى بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۖ ﴾.

• ﴿ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوهُمْ أَخْبَارَكُمْ ﴾ (٢١)

٩٩٣ - معناه أنه يعلم المجاهدة كائنة وحاصلة، وفي الأزل لا يوصف علمه بتعلقه بحصوله المجاهدة قبل حصولها.

• ﴿ إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا... ﴾ (٢٧)

٩٩٤ - يحفكم: أي يستقصي عليكم.

٩٩٥ - أي يستقصي عليكم فتبخلوا.

٩٩٢ - ميزان العمل (ص ٣٠٢). ٩٩٣ - المستصفى (١٣٨/٢).

٩٩٤ - الإحياء (١٦٦/١، ٢٥٣).

٩٩٥ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٢٨).

= بحرم الله. كتب بالكوفة عن منصور الأعمش وبيان بن بشر وغيرهم، حدث عنه ابن المبارك وعبد الرحمن ابن مهدي وابن عيينة وغيرهم. قال النسائي: ثقة مأمون، رجل صالح. ت: سنة (١٨٥ هـ). ن: تذكرة الحفاظ (٢٤٥/١) وسير أعلام النبلاء (٤١٢/٨).

(١) أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس بلفظ: « اتقوا الحديث عني إلا من علمتم فمن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » كتاب تفسير القرآن حديث رقم (٢٩٦٠) (٤٣٩/٤).

(٢) ن: الإحياء (٣٤١/١).

• ﴿ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ... ﴾ (٧٨) •

٩٩٦ - كل موجود سوى الله فهو فقير؛ لأنه محتاج إلى دوام الوجود في ثاني الحال، ودوام وجوده مستفاد من فضل الله تعالى وجوده، فإن كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفاد له من غيره، فهو الغني المطلق، ولا يتصور أن يكون مثل الوجود إلا واحداً، فليس في الوجود إلا غني واحد، وكل من عداه فإنهم محتاجون إليه ليمدوا وجودهم بالدوام، وإلى هذا الحصر الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾.

٩٩٧ - الغني: هو الذي لا تعلق له بغيره لا في ذاته، ولا في صفات ذاته، بل يكون منزهاً عن العلاقة مع الأغيار ولا يتصور ذلك إلا لله تعالى.

* سُورَةُ الْفَتْحِ *

• ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ... ﴾ (١) •

٩٩٨ - الفتح: هو الذي بعنايته يفتح كل منغلق، وبهدايته ينكشف كل مشكل، فتارة يفتح الممالك لأنبيائه ويخرجها من أيدي أعدائه.

• ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ ۚ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۖ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ... ﴾ (٢) •

٩٩٩ - ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنزل عليهم من السكينة.

• ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ... ﴾ (٣) •

١٠٠٠ - انكشف دخول مكة لرسول الله ﷺ في النوم حتى نزول قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ﴾ (١).

٩٩٧ - المقصد الأسنى (ص ١٢٨).

٩٩٩ - الإحياء (١٧٦/٣).

٩٩٦ - الإحياء (٢٠٢/٤).

٩٩٨ - المقصد الأسنى (ص ٨٠).

١٠٠٠ - نفسه (٥٣٧/٤).

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره من روايه مجاهد مرسلًا، ن: المغني بهامش الإحياء: (٥٣٧/٤).

• ﴿ تَحْمَدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ... ﴾ (٢١) ﴿

١٠٠١ - ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ وصفهم بالشدة، وإنما تصدر الشدة عن الغضب، ولو بطل الغضب لبطل الجهاد.

١٠٠٢ - وصف الله تعالى الصحابة فقال: ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ إشارة إلى أن للشدة موضعها وللرحمة موضعها، فليس الكمال في الشدة بكل حال، ولا في الرحمة بكل حال.

١٠٠٣ - من الشجاعة يصدر الإقدام والإحجام، حيث يجب وكما يجب، وهو الخلق الحسن المحمود، وإياه أراد بقوله تعالى: ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ فلا الشدة في كل مقام محمود ولا الرحمة، بل المحمود ما يوافق معيار العقل والشرع.

١٠٠٤ - قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى: ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ قال: يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم، فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد صلی الله علیه و آله قال: اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به وإذا نظر الصالح قال: اللهم اهده وتب عليه واغفر له عشرته.

١٠٠٥ - ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ إشارة إلى الشفقة والإكرام.

١٠٠٦ - ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ قيل: هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود.

١٠٠٧ - إذا كانت النفس متصفة بالأخلاق المحمودة منزهة عن الصفات المذمومة، مشغلة بالله فارغة مما سواه، ظهرت ثمارها على الجثة، فأنابت وخضعت وحققت لها الطمأنينة، فسكنت وبانت عليها الأنوار، وتجللتها الهيبة والوقار، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾.

- | | |
|---|-------------------------|
| ١٠٠١ - الإحياء (٦٢/٣) . | ١٠٠٢ - نفسه (٦٠/٣) . |
| ١٠٠٣ - ميزان العمل (٢٦٧) ومعارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٨٧) . | |
| ١٠٠٤ - الإحياء (٢١١/٢) . | ١٠٠٥ - نفسه (١٩١/٢) . |
| ١٠٠٦ - نفسه (١٧٧/١) . | |
| ١٠٠٧ - مدخل السلوك إلى منازل الملوك (ص ٤٤) . | |

* سُورَةُ الْحَجَّرَاتِ *

• ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَى...﴾ ①

١٠٠٨ - قيل: نزع منها محبة الشهوات.

• ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا...﴾ ②

١٠٠٩ - احتج الأشعري^(١) في إثبات خبر الواحد بقوله تعالى: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ قال: هذا يدل على أن العدل بخلافه... وقال جماعة من المتكلمين ومنهم القاضي وجماعة من حذاق الفقهاء، ومنهم ابن شريح^(٢). إن ذلك لا دلالة له، وهو الأوجه عندنا.

١٠١٠ - الفاسق مردود الشهادة، والكفر أعظم أنواع الفسق، وقد قال تعالى: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا﴾؛ لأن الفاسق متهم بجرأته على المعصية.

• ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ...﴾ ③

١٠١١ - ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ الإصلاح: نهي عن البغي وإعادة إلى الطاعة، فإن لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ وذلك هو النهي عن المنكر.

• ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَنَّ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ...﴾ ④

١٠١٢ - معنى السخرية: الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على

١٠٠٩ - المستصفى (١٩١/١).

١٠١١ - الإحياء (٣٣٤/٢).

١٠٠٨ - الإحياء (٧١/٣).

١٠١٠ - نفسه (١٥٧/١).

١٠١٢ - الإحياء (١٤٠/٣).

(١) أبو الحسن الأشعري؛ علي بن إسماعيل بن إسحاق. وهو مؤسس مذهب الأشاعرة، وكان من الأئمة المتكلمين المجتهدين. ولد بالبصرة، وتوفي ببغداد، (ت ٣٢٤ هـ).

(٢) هو الإمام شيخ القراء أبو عبد الله محمد بن شريح بن أحمد بن شريح مصنف كتاب «الكافي» كان رأساً في القراءات. بصيراً بالنحو والصرف، أخذ عن مكّي وأجاز له. (ت ٤٧٦ هـ) ن: شذرات الذهب (٣٥٤/٣) وسير أعلام النبلاء (٥٥٤/١٨).

وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء، وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة، وفيه معنى الغيبة، قالت عائشة رضي الله عنها: حاكيت إنساناً، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «والله ما أحب أني حاكيت إنساناً ولي كذا وكذا» ^(١).

• ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَـْـعُضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

١٠١٣ - الذين زعموا أن في الشرع ما يدل على رد القياس تمسكوا بقوله: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ قلنا: قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ مقبول به عندنا، فليوصف بعضه بخلافه.

١٠١٤ - من ثمرات سوء الظن التجسس، فإن القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس، وهو أيضاً منهي عنه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة.

ومعنى التجسس: أن لا يترك عباد الله تحت ستر الله، فيتوصل إلى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف له ما لو كان مستوراً عنه كان أسلم لقلبه ودينه.

١٠١٥ - يكفيك زجراً عن الغيبة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَـْـعُضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ فقد شبهك الله بأكل لحم الميتة، فما أجدرك أن تحتزز منها.

١٠١٦ - من عادات العرب في البيان التنبيه على الشيء بذكر نظيره وضرب مثل فيه، دون التعرض له في نفسه، وهو في الإفادة كالعرض له كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَـْـعُضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ يعني: أنه محرم كأكل لحم الغير.

١٠١٤ - الإحياء (١٦١/٣).

١٠١٣ - المنحول (٣٢٨).

١٠١٥ - بداية الهداية، ضمن المجموعة (٦) (ص ٦٣).

١٠١٦ - شفاء الغليل (ص ١٠٧).

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب: في الغيبة (٢٩٦/٤) حديث رقم (٤٨٧٥).

• ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ...﴾ (١٦) ﴿

١٠١٧ - ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾ أي: لا تفاوت في أنسابكم لاجتماعكم في أصل واحد، ثم ذكر فائدة النسب فقال: ﴿وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ ثم بين أن الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ﴾. ولما قيل لرسول الله ﷺ: من أكرم الناس؟ لم يقل: من ينتمي إلى نسبي، ولكن قال: «أكرمهم أكثرهم للموت ذكراً وأشدّهم له استعداداً» (١).

وإنما نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على الكعبة، فقال الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن أسيد: هذا العبد الأسود يؤذن؟!

١٠١٨ - سئل ابن عباس: ما الكرم؟ فقال: هو ما بيّن الله في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ﴾.

• ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا...﴾ (١٧) ﴿

١٠١٩ - ومعناه: استسلمنا في الظاهر. فأراد بالإيمان ههنا التصديق بالقلب فقط، وبالإسلام: الاستسلام ظاهر باللسان والجوارح، وفي حديث جبرائيل عليه السلام لما سأله عن الإيمان فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت، وبالحساب وبالقدر خيره وشره»، فقال: فما الإسلام؟ فأجاب بذكر الخصال الخمس (٢) فعبّر بالإسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل.

١٠٢٠ - طائفة نطقوا بالشهادتين من غير التفات إلى ما تنطوي عليه من المعنى، ولا احتفاء بالوظائف كأجلاف الأعراب والأعاجم، لكنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً،

١٠١٨ - نفسه (٥٧/٣).

١٠١٧ - الإحياء (٣٩٥/٣).

١٠١٩ - نفسه (١٣٨/١، ١٣٩).

١٠٢٠ - معراج السالكين، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ٨١).

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر دون قوله: «أكرم الناس» وهو بهذه الزيادة عند ابن أبي الدنيا في ذكر الموت آخر الكتاب، ن: سنن ابن ماجه (١٤٢٣/٢) حديث رقم (٤٢٥٩) ون: المغني بهامش الإحياء (٣٩٥/٣).

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة، ومسلم من حديث عمر دون ذكر «الحساب». ن: صحيح البخاري، كتاب الإيمان (١٨/١) حديث رقم (٥٠) وصحيح مسلم، كتاب الإيمان (٣٦/١) حديث رقم (١).

فلهم حكم المشيئة، وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسَلَمْنَا﴾
والسيف عند هؤلاء أصدق أنباء من الكتب، وهو أحد ما يساسون به.

• ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾

١٠٢١ - الإيمان بالله وبرسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين، وهو ثمرة العقل ومنتهى
الحكمة، والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة، والمجاهدة بالنفس
هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال، فقد
وصف الله تعالى الصحابة فقال: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] إشارة إلى
أن للشدة موضعاً، فليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال.

١٠٢٢ - فدل بـ «الإيمان بالله ورسوله» على نفي الارتياب وعلى العلم اليقيني.
والحكمة التي لا يتصور حصولها إلا بإصلاح قوة الفكر.

ودل بالمجاهدة بالأموال على العفة والجود، اللذين هما تابعان بالضرورة لإصلاح الشهوة.
ودل بالمجاهدة بالنفس على الشجاعة والحلم، اللذين هما تابعان لإصلاح الحمية
وإسلامها للدين والعقل حتى تنبعث مهما انبعثا، وتسكن مهما سكنا، وعليه دل قوله تعالى:
﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

* سُورَةُ ق *

• ﴿تَبَصَّرَ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾

١٠٢٣ - قد شرط الله ﷻ الإنابة في الفهم والتذكير فقال تعالى: ﴿تَبَصَّرَ وَذَكَرَى
لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾.

• ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ... ﴿١٦﴾﴾

١٠٢٤ - قيل في معنى قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾: أي بالسابقة،
يعني أظهرتها.

﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾

١٠٢٥ - الحياة الدنيا نوم بالإضافة إلى الآخرة، فإذا مات ظهرت له الأشياء على ما يشاهده الآن، ويقال له عند ذلك: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾.

١٠٢٦ - بعد الموت وعند ذلك ينكشف الغطاء وتنجلي الأسرار ويصادف كل أحد ما قدمه من خير أو شر محضراً، ويشاهد كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وعندها يقال له: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ إنما الغطاء: الخيال والوهم.

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٧﴾ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ كُلُّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾

١٠٢٧ - أراد به الملك الموكل به.

﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْفَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾

١٠٢٨ - أراد به الشيطان.

﴿ مَن خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ... ﴾

١٠٢٩ - علق الخشية باسم الرحمن، دون اسم الجبار أو المنتقم والمتكبر ونحوه، لتكون الخشية مع ذكر الرحمة، فلا تكون الخشية تطير قلبك بمرّة، فيكون تخويفاً في تأمين، وتحركاً في تسكين، كما تقول: أما تخشى الوالدة الرحيمة؟ أما تخاف الوالد الشفيق؟ أما تحذر الأمير الكريم؟ والمراد من ذلك أن يكون الطريق عدلاً فلا تذهب إلى أمن أو قنوط.

﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾

١٠٣٠ - قال بعض المفسرين: يأتي أهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند

رب العالمين:

إحداها: هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧].

والثانية: السلام عليهم من ربهم، فيزيد ذلك على الهدية فضلاً! وهو قوله تعالى:

١٠٢٥ - المنقذ من الضلال (ص ٣٣٣).

١٠٢٦ - مشكاة الأنوار، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١١).

١٠٢٨ - نفسه (٣٤٥/١).

١٠٢٧ - الإحياء (٣٤٥/١).

١٠٣٠ - الإحياء (٣٦٣/١).

١٠٢٩ - منهاج العابدين (ص ٢٥٧).

﴿ سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٨].

والثالثة: يقول الله تعالى: إني عنكم راضٍ. فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم
فذلك قوله تعالى: ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التوبة: ٧٢] أي: من النعيم الذي هم فيه.
فهذا فضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد.

• ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (٢٩٦)

١٠٣١ - ومعنى كونه ذا قلب: أن يكون قابلاً للعلم فهماً، ثم لا تعينه القدرة على
الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد، حاضر القلب؛ ليستقبل كل ما ألقى إليه بحسن
الإصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة.

١٠٣٢ - أن يكون مشتغلاً بالعلم هو المراد بمن له قلب، أو كان فيه من العقل
ما يحمله على إلقاء السمع وحسن الإصغاء والضراعة.

١٠٣٣ - ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ فجعل من لم يتذكر بالقرآن
مفلساً من القلب، ولست أعني بالقلب هذا الذي تكتنفه عظام الصدر، بل أعني به السر
الذي هو من عالم الأمر، واللحم الذي هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه، وسائر
الأعضاء عالمه ومملكته، ولله الخلق والأمر جميعاً، ولكن ذلك السر الذي قال الله تعالى
فيه: ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥] هو الأمير والملك؛ لأن بين عالم الأمر
وعالم الخلق ترتيباً، وعالم الأمر أمير على عالم الخلق، وهو اللطيفة التي إذا صلحت
صلح سائر الجسد.

* سُورَةُ الذَّارِيَّاتِ *

• ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ (٢٩٧)

١٠٣٤ - قيل: الحبك: الطرق، وقيل: ذات الزينة.

فهي دلائل واضحة تدل على فاعلها، وصنعتة محكمة صمدية تدل على سعة علم
بارئها وأمر ترتيبها، كما تدل على إرادة منشئها، فسبحان القادر العالم المريد.

• ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (١٠٣٥)

١٠٣٥ - السدس الأخير من الليل هو وقت السحر، فإن الله تعالى قال: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قيل: يصلون لما فيها من الاستغفار، وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار.

١٠٣٦ - ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ شكر.

• ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (١٠٣٧)

١٠٣٧ - ليستدل بما شاهد في نفسه على ما لم يشاهد.

١٠٣٨ - ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ وما أراد به ظاهر الجسد، فإن ذلك تبصرة البهائم، فضلاً عن الناس.

١٠٣٩ - قيل في: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ هو سبيل الغائط والبول.

• ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (١٠٤٠) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ ﴿

١٠٤٠ - قال الحسن رحمته الله: لعن الله أقواماً أقسم لهم الله تعالى ثم لم يصدقوه ثم قرأ:

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (١٠٤٠) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ ﴿

١٠٤١ - قالت الملائكة عند نزول هذه الآية: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: هلكت

بنو آدم، أغضبوا الرب حتى أقسم لهم على أرزاقهم.

• ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (١٠٤٢)

١٠٤٢ - أكرموا بتعجيل الطعام إليهم، دل عليه قوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ

يَعِجْلٍ حَنِيفٍ﴾ [هود: ٦٩].

• ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ يَعْجَلٍ سَمِينٍ﴾ (١٠٤٣)

١٠٤٣ - الروغان: الذهاب بسرعة، وقيل: في خفية. وقيل: جاء بفخذ من لحم،

وإنما سمي عجلاً؛ لأنه عجله ولم يلبث.

١٠٣٦ - أيها الولد (ص ١١٣).

١٠٣٥ - الإحياء (٤٤/١).

١٠٣٧ - معراج السالكين، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ٨٦).

١٠٣٩ - الإحياء (٣٥٨/٣).

١٠٣٨ - ميزان العمل (ص ٢٠٠).

١٠٤١ - منهاج العابدين (ص ١٩٩).

١٠٤٠ - نفسه (٢٣، ٢٢/٤).

١٠٤٣ - نفسه (١٨/٢).

١٠٤٢ - الإحياء (١٨/٢).

• ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

١٠٤٤ - لم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد.

• ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٢٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

١٠٤٥ - المخلوقات كلها مفطورة على الازدواج لطيفها وكثيفها، معقولها

ومحسوسها، ففي المركبات ازدواج، وفي البسائط ازدواج، وبين البسائط والمركبات ازدواج، والنفوس بواسطة الأفلاك معطية، والعناصر قابلة، وبين المعطي والقابل نتائج ومواليد من المعادن والنبات والحيوان والإنسان، وبين العقل والنفس ازدواج كما بين القلم واللوح ازدواج ومواليد، هما للروحانيات من العقول والنفوس.

ومن له الخلق والأمر متعالٍ على الازدواج أداءً وقبولاً سبحانه أن يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة، وخلق كل شيء فقدره تقديراً.

١٠٤٦ - ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ فإن الموجودات كلها متقابلة مزدوجة،

إلا الله تعالى فإنه فرد لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها.

• ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

١٠٤٧ - تعبد الله ﷻ الخلق بأن يكون همهم واحداً وهو الله سبحانه واليوم

الآخر، وهو المعني بقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.

١٠٤٨ - أي ليكونوا عبيداً لي، ولا يكون العبد عبداً ما لم يعرف ربه بالربوبية

ونفسه بالعبودية، ولا بد أن يعرف نفسه وربه.

١٠٤٩ - اعلم أن مراعاة مصالح العباد من جملة العبادة، بل هي أفضل العبادات،

قال ﷺ: « الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله » (١).

١٠٤٤ - نفسه (١٣٨/١).

١٠٤٥ - معارج القدس (ص ١٧٣).

١٠٤٦ - الإحياء (٣٠/٣).

١٠٤٧ - نفسه (٢٦٣/١).

١٠٤٨ - نفسه (٢١/٤).

١٠٤٩ - ميزان العمل (ص ٣٨٣).

(١) أخرجه البيهقي في الشعب بروايات متقاربة وأسانيد متعددة (٤٣/٦) والطبراني في المعجم الكبير

(١٠٥/١٠).

١٠٥٠ - ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ أي: ليعرفون، وعلى التحقيق فلا عبادة إلا عن معرفة بمقتضى النص.

١٠٥١ - ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ كفى بهذه الآية دليلاً على شرف العبادة ولزوم الإقبال عليها.

١٠٥٢ - ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ المراد به الإعلام؛ إذ لو كان قضاءً وحكمًا مبرمًا لعبده الكل، فنشأ الخلاف لعدم الفرقان.

* سُورَةُ الطُّورِ *

• ﴿ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتَ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٥١)

١٠٥٣ - كل أهوال القيامة تفسر في قوله تعالى: ﴿ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتَ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ فمعنى العمى في القيامة الخوض في الظلمة والمنع عن النظر إلى الكريم؛ إذ نور الله ﷻ تشرق به الأرض البيضاء، وهم قد ضرب على أبصارهم غشاوة لا ينظرون إلى شيء من ذلك.

• ﴿ الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ... ﴾ (٥٢)

١٠٥٤ - أي: ما نقصناهم من أعمالهم، وجعلنا أولادهم مزيداً في إحسانهم.

• ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ (٥٣)

١٠٥٥ - أي: من غير خالق، فربما يتوهم به أنه يدل على أنه لا يخلق بشيء إلا من شيء.

شيء.

• ﴿ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٥٤) (١)

١٠٥٠ - مدخل السلوك إلى منازل الملوك (ص ٥٢).

١٠٥١ - منهاج العابدين (ص ٥٩).

١٠٥٢ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة (٢) (ص ٣٣).

١٠٥٣ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٢١).

١٠٥٤ - الإحياء (٣٠/٢) . ١٠٥٥ - نفسه (٣٤٥/١) .

(١) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَسُبْحَنَ اللَّهُ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

* سُورَةُ النَّجْمِ *

• ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿١﴾ ﴾

١٠٥٦ - في هذا العالم.

• ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٢﴾ ﴾

١٠٥٧ - قال قائلون: كان رسول الله ﷺ لا يجتهد لقوله تعالى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ ... فالغالب على الظن أنه كان لا يجتهد في القواعد، وكان يجتهد في الفروع، كما روي أنه عليه السلام قال: « أُرِيتُ لَوْ تَقَضَّمْتُ »^(١).

• ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٣﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٤﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٥﴾ ﴾

١٠٥٨ - كان علمه ﷺ أكمل وأشرف وأقوى، لأنه حصل من التعليم الرباني، وما اشتغل قط بالتعليم الإنساني، قال تعالى: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾.

١٠٥٩ - رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام مرتين على صورته، وأخبر عنه بأنه سد الأفق^(٢) وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٤﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٥﴾.

• ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿٦﴾ ﴾

١٠٦٠ - ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر، سماه الله تعالى باسمه فقال: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ سَمَى إدراك الفؤاد رؤية.

• ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿٧﴾ ﴾

١٠٦١ - في ذلك العالم.

١٠٥٦ - معارج القدس (ص ١٣١). ١٠٥٧ - المنحول (ص ٤٦٨).

١٠٥٨ - الرسالة اللدنية، ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ١٠٥).

١٠٥٩ - الإحياء (٣٢٠/٢). ١٠٦٠ - نفسه (١٩/٣).

١٠٦١ - معارج القدس (ص ١٣١).

(١) ن: موارد الظمآن لابن حبان، الحديث رقم (٩٠٥).

(٢) قال الحافظ العراقي: « متفق عليه من حديث عائشة ». ن: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب: ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ

ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [النجم: ١٨]، حديث (٤) وصحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٥٩/١)، حديث رقم (٦٨٧).

• ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمُ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ... ﴾ ٢٧

١٠٦٢ - كل إمام يقع بصغيرة لا عن توطين نفسه عليه فهو جدير بأن يكون من اللمم المغفو عنه.

• ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ... ﴾ ٢٨

١٠٦٣ - قال ابن جريج: معناه: إذا عملت خيراً فلا تقل عملت.

• ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ ٢٩

١٠٦٤ - إبراهيم عليه السلام: لما وضع في المنجنيق قال: حسبي الله، وكانت هذه من الدعوات العظام، فامُتحن وعورض بجبريل في الهواء، حتى قال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، فكان ذلك وفاء بحقيقة قوله: حسبي الله، فأخبر الله تعالى عنه فقال ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ أي: بموجب قوله: حسبي الله.

• ﴿ أَفَنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْبُونَ ﴾ ٣٠ وَتَضَعُكُمْ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ ٣١ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴾ ٣٢ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ ٣٣

١٠٦٥ - قال ابن عباس عليه السلام: هو الغناء بلغة حمير يعني السمد - فنقول: ينبغي أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضاً؛ لأن الآية تشتمل عليه.

* سُورَةُ الْقَمَرِ *

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

• ﴿ أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ ١

١٠٦٦ - قال بعضهم: إن انشقاق القمر ثبت بالقرآن، وهو قوله تعالى: ﴿ أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾.

١٠٦٢ - الإحياء (٤٦/٤).

١٠٦٣ - الإحياء (٣٨٩/٣).

١٠٦٤ - نفسه (١٧٩/٤ ، ١٨٠ ، ٢٦١).

١٠٦٥ - نفسه (٣١٠/٦).

١٠٦٦ - فضائح الباطنية (ص ١٤١).

* سُورَةُ الرَّحْمَنِ *

• ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ ١٠٦٧

١٠٦٧ - أي: حركتها بحساب معلوم.

• ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ ١٠٦٨

وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ١٠٦٩ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ١٠٧٠

١٠٦٨ - ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ يعني به العدل.

١٠٦٩ - ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ اعلم يقيناً أن هذا الميزان هو ميزان

معرفة الله تعالى ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وملكه وملكوته، لتتعلم كيفية الوزن به من أنبيائه كما تعلموا هم من الملائكة، فإن الله تعالى هو المعلم الأول، والثاني جبريل والثالث الرسول ﷺ، والخلق كلهم يتعلمون من الرسل ما ليس لهم طريق إلى المعرفة إلا بهم.

١٠٧٠ - الميزان: ما تعرف به حقائق الأشياء ويميز به صحيح العقيدة من الفاسد وهو

الواسطة بين السماء والأرض؛ حيث قال: ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ ١٠٧١

وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ١٠٧٢ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ١٠٧٣

وذلك الميزان سر من أسرار الربوبية، لا يعرفه إلا الراسخون في العلم، والله أعلم.

١٠٧١ - قال قتادة في تفسير هذه الآية: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾ قال: أراد به

العدل، فقال: يا ابن آدم اعدل كما تحب أن يعدل فيك.

١٠٧٢ - في قراءة عبد الله بن مسعود: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾ ١٠٧٣

باللسان ولا تخسروا الميزان (أي: لسان الميزان، فإن النقصان والرجحان يظهر بميله.

• ﴿ يَخْرُجُ مِنْهَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ ١٠٧٣

١٠٧٣ - خلق الله اللؤلؤ مدوراً في صدف تحت الماء، وأثبت المرجان في جنح

١٠٦٧ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١٦).

١٠٦٨ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ٧٦).

١٠٦٩ - القسطاس المستقيم، ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ٩).

١٠٧٠ - المضمون به على غير أهله، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٤٢).

١٠٧١ - التبر المسبوك (ص ٥٥). ١٠٧٢ - الإحياء (٨٨/٢).

١٠٧٣ - الحكمة في مخلوقات الله ﷻ، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ١٨).

صخور البحر، فقال سبحانه: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ وذلك في معرض الامتنان، وقيل المرجان المذكور في القرآن: هو الرقيق من اللؤلؤ.

• ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

١٠٧٤ - والآؤه: تفضله ونعمه.

• ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾

١٠٧٥ - يعني على الأرض.

• ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾

١٠٧٦ - قال أبو الدرداء: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ فقلت:

«إن سرق وإن زنى يا رسول الله؟ قال: «وإن، رغم أنف أبي الدرداء»^(١).

• ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾

١٠٧٧ - قال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ

الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قال: «تنظر إلى وجهها في خدرها أصفى من المرأة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنه يكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك»^(٢).

• ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾

١٠٧٨ - قد تكون [هل] بمعنى قد، كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ [الإنسان: ١]

١٠٧٤ - نفسه رقم (١) (ص ١٨).

١٠٧٥ - المضمون به على غير أهله، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٤١).

١٠٧٦ - الإحياء (٥٨١/٤، ٥٨٢). - نفسه (٧٤٥/٤).

١٠٧٨ - المنحول (ص ٩١). - الإحياء (٣٤٥/١).

(١) أخرجه ابن جرير الطبري (١٤٦/١٣) ون: ابن كثير (٣٣٣/٤).

(٢) قال الحافظ العراقي: أخرجه أبو يعلى من رواية أبي الهيثم عن أبي سعيد بإسناد حسن، ورواه أحمد وفيه ابن لهيعة، ورواه ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية أبي الهيثم عن النبي ﷺ دون ذكر أبي سعيد. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «لكل امرئ منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن» ن: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، حديث رقم (٣٢٤٥)، وصحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، وصفاتهم وأزواجهم حديث رقم (٢٨٣٤). ون: المغني (٥٧٥/٤)، وابن كثير (٢٣٥/٤).

والمختار أن معناه استدعاء التقرير، كقوله: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾.

١٠٧٩ - ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ قيل: الإحسان في الدنيا: قول لا إله إلا الله، وفي الآخرة: الجنة.

١٠٨٠ - ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ ومتهى الإحسان رضا الله عن عبده، وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى.

• ﴿ فِيهِنَّ خَيْرٌ حَسَنٌ ﴾

١٠٨١ - أراد بالخيرات حسنات الأخلاق.

• ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾

١٠٨٢ - قال أنس: قال رسول الله ﷺ: « لما أسري بي دخلت في الجنة موضعاً يسمى البيدخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر، فقلن: السلام عليك يا رسول الله، فقلت: يا جبريل ما هذا النداء؟ قال: هؤلاء المقصورات في الخيام، استأذن ربهن في السلام عليك فأذن لهن، فطفقن يقلن: نحن الراضيات فلا نسخط أبداً ونحن الخالدات فلا نظعن أبداً ». وقرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ (١).

* سُورَةُ الْوَاقِعَةِ *

• ﴿ لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿ ١ ﴾

١٠٨٣ - أي: جف القلم بما هو كائن، وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة: إما خافضة قومًا كانوا مرفوعين في الدنيا، وإما رافعة قومًا كانوا مخفوضين في الدنيا.

• ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ فَأَصْحَبُ الِّمِئَنَةِ مَا أَصْحَبُ الِّمِئَنَةِ ﴿ ٢ ﴾ وَأَصْحَبُ الشَّعْمَةِ مَا

١٠٨١ - نفسه (٤٥/٢).

١٠٨٠ - الإحياء (٣٦٣/٤).

١٠٨٣ - نفسه (١٧٨/٤).

١٠٨٢ - نفسه (٥٧٥/٤).

(١) قال الحافظ العراقي: لم أجده هكذا بتمامه، وللترمذي من حديث علي: « إن في الجنة لمجتمعاً للحوار العين يرفعن أصواتاً لم تسمع الخلائق مثلها، يقلن: نحن الخالدات فلا نبئد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له » وقال: غريب. ن: المغني بهامش الإحياء (٧٧٥/٤) ون: سنن الترمذي، أبواب التفسير (٨٨/٥ - ١٠٠)، حديث رقم (٢٦٩٠).

أَصْحَابُ الْمَشْأَةِ ① وَالسَّيِّئُونَ ② ﴿١٥﴾

١٠٨٤ - قالوا: الناس ثلاثة أصناف:

صنف: المنهمكون في الدنيا بلا التفات إلى العقبى؛ إلا باللسان وحديث النفس، وهم الأكثرون، وقد سموا في كتاب الله تعالى (عبد الطاغوت) و ﴿شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ [الأنفال: ٢٢] ونحوها.

وصنف: مخالفون لهم غاية المخالفة، اعتكفوا بكنه همهم على العقبى، ولم يلتفتوا أصلاً إلى الدنيا، وهم النساك.

وصنف ثالث: متوسطون، وفوا الدارين حقهما، وهم الأفضلون عند المحققين؛ لأن بهم قوام أسباب الدنيا والآخرة، ومنهم عامة الأنبياء ﷺ؛ إذ بعثهم الله ﷻ لإقامة مصالح العباد في المعاش والمعاد.

وقيل: ثلاثتهم المراد بقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ③﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ④ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَةِ ⑤ وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ⑥.

• ﴿وَفَكَهْمٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ⑦﴾ وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ⑧ ﴿١٦﴾

١٠٨٥ - تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى: ﴿وَفَكَهْمٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ⑦﴾ ثم قال: ﴿وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ⑧﴾ ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد.

• ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ⑨﴾

١٠٨٦ - قال أبو أمامة: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن الله ﷻ ينفعنا بالأعراب ومسائلهم، أقبل أعرابي فقال: يا رسول الله، قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أدري أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله ﷻ: «يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكه ثمرة ثم تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما منها لون يشبه الآخر» (١).

١٠٨٥ - الإحياء (١٩/٢).

١٠٨٤ - ميزان العمل (٣٨٣).

١٠٨٦ - الإحياء (٥٧٢/٤).

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن المبارك في الزهد عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر مرسلًا من غير ذكر لأبي أمامة، ن: المغني بهامش الإحياء (٥٧٢/٤).

• ﴿ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴾ ٥٥

١٠٨٧ - قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرأوا إن شئتم: ﴿ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴾ » (١).

• ﴿ وَفُشٍّ مَرْفُوعَةٍ ﴾

١٠٨٨ - قال أبو سعيد الخدري (٢): قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَفُشٍّ مَرْفُوعَةٍ ﴾ قال: « ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض » (٣).

• ﴿ عُرْبًا أَتْرَابًا ﴾ ٥٦

١٠٨٩ - العروب: هي العاشقة لزوجها المشتبهة للوقاع، وبه تتم اللذة.

• ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۝ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ٥٧

١٠٩٠ - لا يمس ظاهره إلا المتحرز من المنهيات الشرعية، ولا يمس حقائقه إلا المطهرون من أدناس الطبيعة.

١٠٩١ - ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ كما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة الملامس إلا إذا كان متطهراً، فباطن معناه أيضاً بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان متطهراً من كل رجس ومستنيراً بنور التعظيم والتوقير، وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد، فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان، ولا لنيل معانيه كل قلب.

• ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ ٥٨

١٠٩٢ - أي: شكر رزقكم.

١٠٨٨ - الإحياء (٥٧٣/٤).

١٠٨٧ - نفسه (٥٧٢/٤).

١٠٩٠ - المعارف العقلية (ص ٥٨).

١٠٨٩ - نفسه (٤٥/٢).

١٠٩٢ - نفسه (٣٤٤/١).

١٠٩١ - الإحياء (٣٣٢/١).

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة. ن: صحيح البخاري، كتاب التفسير، حديث (٤٨٨١)؛ وصحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، حديث رقم (٢٨٢٦).

(٢) هو سعد بن مالك أبو سعيد الخدري الخزرجي، الأنصاري، المدني، صحابي ملازم لرسول الله ﷺ، روى عنه أحاديث كثيرة، توفي بالمدينة (٧٤هـ) ن: صفة الصفوة (٧١٤/١) والاستيعاب (٧١٤/٢).

(٣) أخرجه الترمذي بلفظ: « ارتفاعها كما بين السماء والأرض » وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين ابن سعد، ن: أبواب التفسير (٧٥/٥) حديث رقم (٣٣٤٨).

* سُورَةُ الْحَدِيدِ *

• ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾

١٠٩٣ - الأول: هو السابق على الموجودات، والآخر: هو الذي إليه مصير الموجودات.

١٠٩٤ - أما الظاهر، فمركز في غراز العقول؛ إذ إن لكل مبدأ، وإن للحادث مُخَدِّثًا وللممكن موجودًا واجبًا.

١٠٩٥ - الظاهر: هو الذات بالإضافة إلى دليل العقل.

١٠٩٦ - وأما الباطن، فلأن وصفه الخاص لا يعرفه إلا هو، وربما كان باطنًا لغاية ظهوره، كما أن الشمس التي هي في غاية البعد عن هذا المثال ظاهره باهرة، وبسبب غاية ظهورها لا تدركها الحاسة المبصرة محاذاة ومقابلة.

١٠٩٧ - الباطن: هو الذات بالإضافة إلى إدراك الحس والوهم.

• ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ...﴾ (١)

١٠٩٨ - حمل ذلك بالاتفاق على الإحاطة والعلم.

• ﴿أَنْظُرُونَا نَقَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا...﴾ (٢)

١٠٩٩ - يدل على أن الأنوار لا بد أن تتزود أصلها في الدنيا، ثم يزداد في الآخرة إشراقًا فأما أن يتجدد نور فلا.

• ﴿وَلَكُمْ فَنَاءٌ أَنْفُسِكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (٣)

١١٠٠ - قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿فَنَاءٌ أَنْفُسِكُمْ﴾ قال: بالشهوات

واللذات ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ قال: بالتوبة ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ قال: شككتكم ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ قال: الموت ﴿وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ قال: الشيطان.

١٠٩٣ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٥).

١٠٩٤ - المضمون به على غير أهله، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٤٢).

١٠٩٥ - روضة الطالبين ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٥).

١٠٩٦ - المضمون به على غير أهله، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٤٢).

١٠٩٧ - روضة الطالبين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٥).

١٠٩٨ - الإحياء (١٢٨/١). ١٠٩٩ - نفسه (٣٤٢/٤).

١١٠٠ - نفسه (٤٨٩/٤).

١١٠١ - كل [من] ^(١) ادعى أن معرفة الواحد منحصرة في معرفته فهو بالحقيقة مكمور مغرور، وقوله تعالى: ﴿ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ إشارة إلى هذا الغرور.

• ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾ ١١

١١٠٢ - الصحابة رضي الله عنهم الذين هم خير قرن من خير أمة، كان يبدو شيء منهم من المزاح، فنزل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ الآية.

• ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ... ﴾ ١٢

١١٠٣ - هذا خطاب للعموم.

• ﴿ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ... ﴾ ١٣

١١٠٤ - وإنما أنزل هذه الثلاث؛ لأن الناس ثلاثة أصناف، وكل واحد من الكتاب والحديد والميزان علاج قوم.

١١٠٥ - قال امتناناً على عباده: ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ ﴾ [الحديد: ٢٥] والنزول بمعنى الخلق.

* سُورَةُ الْمَجَادِلَةِ *

• ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ ١ ^(٢)

• ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ... ﴾ ٢ [الآية]

١١٠٦ - نزلت آية الظهار في سلمة بن صخر ^(٣).

١١٠١ - روضة الطالبين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٢٧). ١١٠٢ - منهاج العابدين (ص ٢٦١).

١١٠٣ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ١٥).

١١٠٤ - القسطاس المستقيم، ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ٤٨).

١١٠٥ - الحكمة في مخلوقات الله ﷻ، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ١٥).

١١٠٦ - المستصفى (٦٠/٢).

(١) في الأصل المطبوع: « ما »، والصواب ما أثبتته.

(٢) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٦١].

(٣) أحكام القرآن (١٨٦/٤) وقيل: نزلت في أوس بن الصامت، ن: أحكام القرآن (١٨٥/٤) =

• ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ... ﴾ ⑤ •

١١٠٧ - قوله ﷻ: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ ليس نصًّا في أن الإيمان شرط، ولكنه يشعر به بعموم الصيغة، ونحن غيرناه بالقياس، وحملنا الرقبة المطلقة على الرقبة المسلمة بطريق التخصيص، كما حملوا الكافر المطلق في حديث: « قتل المسلم بالذمي » على الكافر الحربي، وحملنا السارق المطلق على السارق للنصاب، وحملوا ذوي القربى في آية الغنائم على الفقراء منهم بطريق التخصيص، وذلك غير ممتنع.

فإن قيل: الإيمان زيادة في وصف الواجب، والزيادة في الوصف كالزيادة في القدر. فكما امتنع في إطعام ستين مسكينًا، وصوم ستين زيادة في القدر المنصوص بالقياس، فكذلك لا تجوز الزيادة في الوصف.

قلنا: لو ورد الإطعام مطلقًا في موضع ومقيّدًا بالعدد في موضع، فيجوز أن يجعل المطلق مقيّدًا، فذلك العدد إذا فهمنا العلة في التبليغ إلى ذلك المبلغ، فأما إذا نص على قدرين متفاوتين متعددين في المحلين، فلا نقيس أحدهما على الآخر؛ لأن التقدير نص، فلا تطلق أربعون لإرادة الستين، ويجوز أن تطلق الرقبة ويراد المؤمنة على الخصوص، اكتفاء بالتنبيه على أصل الإيجاب، وإعراضًا عن التفصيل، واكتفاء بما جرى من التعرض له في غير ذلك الموضع بالوقوف على علته.

فقد يقول الفقيه في مساق كلامه: الزنا يثبت بأربعة شهود، ولا يتعرض في الحال للعدالة، وهو يريد الشهود العدول، إذا لم تكن الصفات من مقصود كلامه، بل غرضه التنبيه على العدد، فيقتصر عليه، فلا يتعلق بعمومه حتى لا ينسب إلى مخالفة ولكن يقال: إذا عرفت الشهادة مقيدة بالعدالة شرعًا في مواضع، فإطلاق الفقيه اسم الشهادة محتمل للمقيد بذلك القيد.

فكذلك مطلق الرقبة في هذا الموضع محتمل للمقيد بقيد الإيمان المعلوم وجوبه في الشرع. فإذا احتمل هذا لم يكن نصًّا، فيجوز أن يقدم القياس عليه.

١١٠٨ - ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ يعم الكافرة، فلو ورد مرة أخرى: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾ في الظهار بعينه، لتبين لنا أن المراد بالرقبة المطلقة العامة هي المؤمنة على الخصوص

فعموم الرقبة مثلاً يقتضي أجزاء الكافرة مهما أريد به العموم، والتقيد بالمؤمنة يقتضي منع أجزاء الكافرة، فهما متعارضان، وإذا أمكن النسخ والبيان جميعاً فلم يتحكم بحمله على البيان دون النسخ؟ ولم يقطع بالحكم على العام بالخاص؟ ولعل العام هو المتأخر الذي أريد به العموم وينسخ به الخاص، وهذا هو الذي اختاره القاضي.

والأصح عندنا تقديم الخاص، وإن كان ما ذكره القاضي ممكناً، ولكن تقديم النسخ محتاج إلى الحكم بدخول الكافرة تحت اللفظ ثم خروجه عنه، فهو إثبات وضع ورفع بالتوهم.

وإرادة اللفظ العام غالباً معتاد، بل هو الأكثر، والنسخ كالنادر، فلا سبيل إلى تقديره بالتوهم، ويكاد يشهد لما ذكرناه من سير الصحابة والتابعين كثير، فإنهم كانوا يسارعون إلى الحكم بالخاص على العام، وما اشتغلوا بطلب التاريخ والتقدم والتأخر.

١١٠٩ - ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ فإنه يعم المؤمنة وغير المؤمنة، فيجوز تخصيص العموم؛ إذ قد يراد بالآية ذكر أصل الكفارة، ويكون أمراً بأصل الكفارة دون قيودها وشروطها، فلو استقر العموم وحصل القطع بكون العموم مراداً لكان نسخه ورفع بالقياس وخبر الواحد ممتنعاً.

١١١٠ - ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ ليس هو نصاً في أجزاء الكفارة، بل هو عام يعتقد ظهوره مع تحرير قيام الدليل على خصوصه، أما أن يعتقد عمومه قطعاً فهذا خطأ في اللغة.

١١١١ - إن اتحد الموجب واختلف الموجب ففيه خلاف، ومثاله: شرط الإيمان في كفارة الظهار لثبوته في القتل.

١١١٢ - زعم أبو حنيفة رحمته الله أن حمل المطلق على المقيد زيادة على النص، وهو النسخ، وجعل إيجاب الرقبة المؤمنة في الظهار اعتبار له بالقتل من هذا الفن.

• ﴿ فَأِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ... ﴾ ①

١١١٣ - يقتضي مراعاة عدد المساكين.

١١١٤ - قال قوم: قوله تعالى: ﴿ فَأِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ نص في وجوب رعاية

١١١٠ - نفسه (١٨٦/٢).

١١٠٩ - المستصفى (١١٩/١).

١١١٢ - نفسه (ص ١٧٢).

١١١١ - المنحول (ص ١٧٨).

١١١٤ - المستصفى (٤٠٠/١ ، ٤٠١).

١١١٣ - نفسه (ص ١٤٧).

العدد ومنع الصرف لمسكين واحد في ستين يومًا، وقطعوا ببطلان تأويله، وهو عندنا من جنس ما تقدم^(١)، فإنه إن أبطل لقصور الاحتمال. وكون الآية نصًا بالوضع الثاني فهو غير مرضي فإنه يجوز أن يكون ذكر المساكين لبيان مقدار الواجب.

ومعناه: فإطعام ستين مسكينًا، وليس هذا استناعًا في توسع لسان العرب، نعم دليله تجريد النظر إلى سد الخلة.

والشافعي يقول: لا يبعد أن يقصد الشرع ذلك لإحياء ستين مهجة، تبركًا بدعائهم وتحصنًا عن حلول العذاب بهم، ولا يخلو جمع من المسلمين عن ولي من الأولياء يغتنم دعاؤه، ولا دليل على بطلان هذا المقصود.

فتصير الآية نصًا بالوضع الأول والثالث لا بالوضع الثاني.

• ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...﴾ (١١)

١١١٥ - فسر ابن عباس رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ فقال: يرفع الله العالم فوق المؤمن بسبعمئة درجة، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض.
١١١٦ - وقال: للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمئة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام.

١١١٧ - العلم فوق الإيمان، والذوق فوق العلم، والذوق وجدان، والعلم قياس، والإيمان قبول مجرد بالتقليد وحسن الظن بأهل الوجدان أو بأهل العرفان.

• ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰتِكُمْ صَدَقَةٌ...﴾ (١٢) [

١١١٨ - نسخ تقديم الصدقة أمام المناجاة، والتلاوة باقية.

• ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ...﴾ (١٣)

١١١٩ - في الأولياء.

١١١٦ - نفسه (١٥/١).

١١١٥ - الإحياء (٢٥/٣).

١١١٧ - مشكاة الأنوار، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ٣٦).

١١١٨ - المستصفى (١٢٤/١).

١١١٩ - معراج السالكين، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ١٠٤، ١٠٥).

(١) قول بعض الأصوليين: كل تأويل يرفع النص أو شيئًا منه فهو باطل، ن: المستصفى (٣٩٤/١).

* سُورَةُ الْحَشْرِ *

• ﴿يُخْرِجُونَ يُؤْتِيهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَالْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَتَأُولَى الْأَبْصَرِ ۝﴾
 ١١٢٠ - ﴿يُخْرِجُونَ يُؤْتِيهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ ثم قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الحشر: ٤].

وليس كل من يشاقق الله يخرب بيته، فتكون العلة منقوضة، ولا يمكن أن يقال: إنه علة في حقهم خاصة؛ لأن هذا يعد تهافتاً في الكلام، بل نقول: تبين بآخر الكلام أن الحكم المعلن ليس هو نفس الخراب، بل استحقاق الخراب، خرب أم لم يخرب، أو نقول: ليس الخراب معلولاً بهذه العلة لكونه خراباً، بل لكونه عذاباً، وكل من شاق الله ورسوله فهو معذب، إما بخراب البيت أو غيره، فإن لم يتكلف مثل هذا كان الكلام منتقضاً.

١١٢١ - ﴿فَاعْتَبِرُوا يَتَأُولَى الْأَبْصَرِ﴾ إذ معنى الاعتبار: العبور من الشيء إلى نظيره إذا شاركه في المعنى، كما قال ابن عباس: «هلا اعتبروا بالأصابع».

• ﴿مَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كُنْ لَا يَكُنْ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا إِلَهُكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا... ۝﴾

١١٢٢ - الفيء: هو كل مال فاء إلى المسلمين من الكفار بغير إيجاف خيل وركاب كما إذا انجلوا عنه خوفاً أو بذلوه لنكف عن قتالهم فهو مخمس، وكذا ما أخذ بغير تخويف كالجزية والخراج والعشر، ومال المرتد، ومال من مات ولا وارث له.

فخمس هذا المال مقسوم بخمسة (ح) أسهم بحكم نص الكتاب:

السهم الأول: المضاف إلى الله تعالى ورسوله ﷺ مصروف إلى مصالح المسلمين (و) إذ كان لرسول الله ﷺ في حياته، والأنبياء لا يورثون، ومصالح المسلمين: سد الثغور وعمارة القناطر وأرزاق القضاة وأمثاله.

السهم الثاني: لذوي القربى، وهم أقارب رسول الله ﷺ، كبنى هاشم وبنى عبد المطلب، دون غيرهم من بنى عبد شمس وبنى نوفل، ويشترك في استحقاقه الغني والفقير والصغير والكبير والرجل والمرأة والغائب والحاضر، بعد أن يكون الانتساب لجهة الآباء، ولا يفضل

أحد على أحد إلا بالذكورة فإنه يضعف به الحق كما في الميراث.

السهم الثالث: اليتامى: وهو كل طفل لا كافل له، وشرط كونه فقيرًا على أظهر الوجهين؛ لأن لفظ اليتيم ينبئ عنه.

السهم الرابع: للمساكين.

السهم الخامس: لأبناء السبيل.

وبيانها في تفريق الصدقات. والمستحقون بالحاجة تتفاوت حقوقهم بتفاوت الحاجة.

أما الأخماس الأربعة فقد كانت لرسول الله ﷺ في حياته، وبعده ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها للمصالح كخمس الخمس. والثاني: يقسم كما يقسم الخمس، فيكون جملة الفيء مقسومًا بخمسة أقسام كما دل ظاهر الكتاب عليه، والثالث: وهو الأظهر أنه للمرزقة المقاتلين كأربعة أخماس الغنيمة.

١١٢٣ - ﴿ كُنْ لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ هذا صريح في التعليل.

١١٢٤ - ألزم الخلق تصديقه في جميع ما أخبر به عنه في أمر الدنيا والآخرة، وألزمهم اتباعه والافتداء به، فقال: ﴿ وَمَا ءَاتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾.

• ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ... ﴾ ①

١١٢٥ - وصف الله تعالى المحبين في الله فقال: ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ﴾ ووجود الحاجة هو الحسد.

١١٢٦ - ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ﴾ أي: لا تضيق صدورهم به ولا يغمون فأثني عليهم بعدم الحسد.

• ﴿ لَأَنْتَ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ ②

١١٢٧ - أحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه (١).

١١٢٤ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٢٠).

١١٢٣ - شفاء الغليل (ص ٢٤).

١١٢٦ - نفسه (٢٠٢/٢).

١١٢٥ - الإحياء (٢٠٤/٣).

١١٢٧ - نفسه (٤٤/١).

(١) قال الإمام الغزالي: « ما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا الفقه دون تعريفات الطلاق والعناق واللعان والسلم والإجارة، فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف، بل التجرد على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من المتجردين له ». الإحياء (٤٤/١).

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١١)

١١٢٨ - روي عن النبي ﷺ أنه قال: « كان راهب في بني إسرائيل فعمد الشيطان إلى جارية فخنقها، وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب، فأتوا بها إليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها، فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه، فوسوس إليه وقال: الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فإن سألك قل ماتت، فقتلها ودفنها، فأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها، فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال: ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال: أنا الذي خنقتها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها، فأطعني تنج وأخلصك منهم قال: بماذا؟ قال: اسجد لي سجدتين، فسجد له سجدتين، فقال له الشيطان: إني بريء منك فهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ ﴾ (١) ».

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ... ﴾ (١٢)

١١٢٩ - هذه إشارة إلى المحاسبة على ما مضى من الأعمال.

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١٣)

١١٣٠ - تنبيهها على تلازم الأمرين، وأن نسيان أحدهما مع نسيان الآخر.

١١٣١ - ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ أي: الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة

استحقاقهم، يقال: فسقت الرطبة عن كمامها إذا خرجت عن معدنها الفطري.

﴿ أَلَمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ... ﴾ (١٤)

١١٣٢ - القدوس: هو المسلوب عنه كل ما يخطر بالبال ويدخل في الوهم.

السلام: هو المسلوب عنه كل عيب ونقص.

١١٢٨ - الإحياء (٣٤/٣).

١١٢٩ - الإحياء (ص ٤٢٨).

١١٣٠ - ميزان العمل (ص ٢٠٠).

١١٣١ - الإحياء (ص ٤٠٣/٣).

١١٣٢ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٥).

(١) قال الحافظ العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان، وابن مردويه في التفسير من حديث عبيد بن أبي رفاعة مرسلًا، وللحاكم نحوه موقوفًا على علي بن أبي طالب، وقال: صحيح الإسناد ووصله بطين في مسنده من حديث علي، ن: المغني بهامش الإحياء (٣٤/٣) وتفسير ابن كثير (٤٠٩/٤).

• ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١)

* سُورَةُ الْمُنْحَنَةِ *

• ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ...﴾ (١٥)

١١٣٣ - ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ المراد به: العلم الحقيقي بكلمة الشهادة التي هي ظاهر الإيمان، دون الباطن الذي لم يكلف به. والإيمان باللسان يسمى إيماناً مجازاً.

١١٣٤ - ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ نسخ لما قرره ^{الكتاب} من العهد والصلح.

* سُورَةُ الصَّفِّ *

• ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (١)

١١٣٥ - المراد به: الوعد الكاذب.

* سُورَةُ الْجُمُعَةِ *

• ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ...﴾ (١)

١١٣٦ - أي: يطهرهم من الأخلاق المذمومة؛ من صفات البهائم، ويجعل صفات الملائكة لباسهم وحليتهم.

• ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا...﴾ (٥)

١١٣٧ - مثل الله ﷻ من يعلم ولا يعمل بالحمار، فقال ﷻ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا

١١٣٤ - نفسه (١٢٤/١).

١١٣٣ - المستصفى (١٤٥/١، ١٤٦).

١١٣٥ - الإحياء (٣٤٢/٢).

١١٣٦ - كيمياء السعادة، ضمن المجموعة رقم (٥) (ص ١٢٣).

١١٣٧ - الإحياء (٣٨٣/٣)، وكتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١١٨).

(١) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿وَسُبْحَنَ اللَّهُ﴾ [يوسف: ١٠٨].

النَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴿٦﴾ أراد به علماء اليهود.

• ﴿قُلْ يَتَّابِعُهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾﴾

١١٣٨ - ذلك أنهم ادعوا الولاية، وكان من المعلوم أن الولي يتمنى لقاء وليه، وكان من المعلوم أنهم لا يتمنون الموت الذي هو سبب اللقاء، فلزم ضرورة أنهم ليسوا أولياء لله. وكمال صورة هذا الميزان أن يقال: كل ولي يتمنى لقاء وليه، واليهودي لا يتمنى لقاء الله، فلزم منه أنه ليس بولي الله، وحده أن التمني يوصف به الولي وينتفي عن اليهود، فيكون الولي واليهودي متباينين لسلب أحدهما عن الآخر فلا يكون الولي يهوديًا، ولا اليهودي وليًا.

١١٣٩ - ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فإنه علم في العادة أن المحب يحب لقاء الحبيب، وتأليف القياس فيه أن يقال: إن كنت تحب لقاء زيد فأنت صديقه، لكنك تحب لقاءه فأنت إذا صديقه، فيجيء البيان على وفق المقدمة.

ونظم القياس لليهود أن يقال: إن كان اليهودي يحب لقاء الله تعالى فهو ولي، لكنه يكره لقاء الله تعالى، فإذا ليس هو بولي.

• ﴿يَتَّابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾﴾

١١٤٠ - حرم الاشتغال بأمور الدنيا وبكل صارف عن السعي إلى الجمعة.

١١٤١ - ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ فمعقوله: تحريم التجارة والجلوس في البيت.

١١٤٢ - ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ فإنه أوجب السعي، والتعريض على البيع مانع، فكان تحريمه لكونه مانعًا، فلا جرم انعقد البيع وفارق البيع المنهي عنه لعينه. فإن قيل: بَم عرف هذا، وهلا قيل: السعي إلى الجمعة مقصود الإيجاب، والمنع من

١١٣٨ - القسطاس المستقيم، ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ٢٢).

١١٣٩ - معراج السالكين، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ١٥٣).

١١٤١ - شفاء الغليل (ص ٥٠، ٥١).

١١٤٠ - الإحياء (٢١١/١).

١١٤٢ - المستصفى (٢٤٥/٢).

البيع مقصود؟ قلنا: فهم ذلك من سياق الآية فهمًا لا يتمارى فيه.

فإن قيل: السياق عبارة عن محملة، فما معنى السياق؟ وما مستند هذا الفهم؟

قلنا: المعنى به: أن هذه الآية في سورة الجمعة إنما نزلت وسيقت لمقصد: وهو بيان الجمعة، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وما نزلت الآية لبيان أحكام البيعات ما يحل منها وما يحرم.

فالتعرض للبيع لأمر يرجع إلى البيع في سياق هذا الكلام يخطب الكلام ويخرجه عن مقصوده، ويصرفه إلى ما ليس مقصودًا به، وإنما يحسن التعرض للبيع إذا كان متعلقًا بالمقصود، وليس يتعلق به إلا من حيث كونه مانعًا للسعي الواجب، وغالب الأمر في العادات جريان التكاسل والتساهل في السعي بسبب البيع، فإن وقت الجمعة يوافي الخلق وهم منغمسون في المعاملات.

فكان ذلك أمرًا مقطوعًا به لا يتمارى فيه، فعقل أن النهي عنه لكونه مانعًا من السعي الواجب، فلم يقتض ذلك فسادًا، ويتعدى التحريم إلى ما عدا البيع من الأعمال والأقوال وكل شاغل عن السعي لفهم العلة.

١١٤٣ - ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ فهي نهى عن البيع، وحكمنا بأنه غير منهي عنه لعينه، بدلالة عرضت من سياق الآية فقط، وهو: أن الآية سيقّت لمقصد، وحظره لأمر يرجع إلى البيع في إدراجه، فكان التعرض للبيع من الوجه الذي يتعلق به، وهو تضمنه ترك السعي الواجب، فيتعدى التحريم إلى الإجارة والنكاح والأقوال والأعمال المانعة مع الحكم بصحة البيع وسائر التصرفات؛ لأن النهي لا يلاقيها، ولا دليل سوى ما عرف من سياق الآية.

• ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ ...﴾ (١٥) •
١١٤٤ - قال أنس بن مالك (٢) في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾: أما أنه ليس بطلب دنيا، لكن عيادة مريض وشهود جنازة

١١٤٤ - الإحياء (١١٩/١) .

١١٤٣ - شفاء الغليل (ص ٦٥ ، ٦٦) .

(٢) هو أنس بن مالك بن النضر الأنصاري أبو حمزة صاحب النبي ﷺ وخادمه، شهد بدرًا وهو غلام (ت ٩٣ هـ) ، ن: صفة الصفوة (٧١٠/١) وتهذيب الأسماء (١٢٦/١) .

وتعلم علم وزيارة أخ في الله ﷻ (١).

وقد سمي الله ﷻ العلم فضلاً في مواضع: قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [سبأ: ١٠] يعني العلم.

فتعلم العلم في هذا اليوم وتعليمه أفضل القربات.

١١٤٥ - ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ فالمراد به: العلم والثواب، وقيل: هو رخصة؛ إذ هو أمر وارد بعد الحظر، فيكون بمعنى الإباحة لا بمعنى الإيجاب والإلزام.

* سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ *

[بسم الله الرحمن الرحيم]

• ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾

١١٤٦ - أي: في دلائلهم بقولهم على ضمائرهم.

١١٤٧ - ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ وقد قالوا: إنك لرسول الله، وهذا صدق، ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان، بل هو من حيث ضمير القلب، وكان التكذيب يتطرق إلى الخبر، وهذا القول يتضمن إخباراً بقرينة الحال؛ إذ صاحبه يظهر من نفسه أن يعتقد ما يقول، فكذب في دلالته بقرينة الحال على ما في قلبه، فإنه كذب في ذلك ولم يكذب فيما يلفظ به، فيرجع أحد معاني الصدق إلى خلوص النية وهو الإخلاص، فكل صادق فلا بد وأن يكون مخلصاً.

• ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِكَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقْتُ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا... ﴿١١﴾

١١٤٨ - قيل: الأجل القريب الذي يطلبه: معناه أنه يقول عند كشف الغطاء للعبد:

١١٤٥ - منهاج العابدين (ص ٢٠٤). ١١٤٦ - الإحياء (٣/٣١٩).

١١٤٧ - نفسه (٤/٤١١). ١١٤٨ - نفسه (٤/١٣).

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره عن أنس مرفوعاً، ولم يذكر: «وتعلم». ن: جامع البيان (١٨/١٠٣) ورواه القرطبي في تفسيره (١٨/١٠٩) بنحوه عن ابن عباس من قوله، انظره في الدر (٨/١٦٥).

يا ملك الموت أخرني يوماً أعتذر فيه إلى ربي وأتوب وأتزود صالحاً لنفسي فيقول: فנית الأيام فلا يوم، فيقول: فأخرني ساعة فيقول: فנית الساعات فلا ساعة، فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر بروحه وتردد أنفاسه في شراسفه ^(١)، ويتجرع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر.

* سُورَةُ التَّغَابُنِ *

• ﴿ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا... ﴾ ﴿٨﴾

١١٤٩ - أعظم الحكمة كلام الله تعالى، ومن جملة كلامه القرآن خاصة، فتكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة؛ إذ به يتم الإبصار، فبالحري أن يسمى القرآن نوراً كما يسمى نور الشمس نوراً، فمثال القرآن نور الشمس، ومثال العقل نور العين، وبهذا يفهم معنى قوله تعالى: ﴿ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾.

• ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ... ﴾ ﴿١٥﴾

١١٥٠ - لما نظر ﷺ إلى ولده الحسن ﷺ يتعثر في قميصه نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال: « صدق الله ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ إني لما رأيت ابني تعثر لم أملك نفسي أن أخذته » ^(٢) ففي ذلك عبرة لأولى الأبصار.

١١٤٩ - مشكاة الأنوار، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٢).

١١٥٠ - الإحياء (٧٣/٤).

(١) الشراسيف: أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن. اللسان (شرسف).
(٢) روى الترمذي وغيره واللفظ للترمذي قال: « كان النبي ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين ﷺ، عليهما قميصان أحمران يمشيان ويتعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال: صدق الله؛ ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويتعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما [وقال الترمذي: حسن غريب. كتاب المناقب، مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب والحسين بن علي بن أبي طالب. وأخرجه أبو داود في « كتاب الصلاة » باب: الإمام يقطع الخطبة لأمر يحدث (ح ١١٠٩)، والنسائي في كتاب الجمعة، باب نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة وقطعه كلامه ورجوعه إليه يوم الجمعة (١٠٣/٣) وابن ماجه في كتاب اللباس، باب: لباس الأحمر للرجال (ح ٣٦٠٠). والإمام أحمد (٣٥٤/٥) كلهم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه باختلاف يسير في اللفظ.

* سُورَةُ الطَّلَاقِ *

• ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ... ﴿١﴾﴾

١١٥١ - ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ عام؛ لأن ذكر النبي جرى في صدر الكلام تشريفاً، وإلا فقلوه: ﴿طَلَّقْتُمُ﴾ عام في صيغته.

١١٥٢ - قال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾: مهما بذت على أهله وآذت زوجها فهو فاحشة، وهذا أريد به في العدة، ولكنه تنبيه على المقصود.

• ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿١﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ... ﴿٢﴾﴾

١١٥٣ - ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ من الإشكالات والشبه: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ يعلمه علماً من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة.

١١٥٤ - معناه: ومن يتق الله بالصبر يجعل له مخرجاً من الشدائد.

• ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ... ﴿١﴾﴾

١١٥٥ - ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ أنكر أبو حنيفة مفهومه لما ذكرناه (١) ويجوز أن نوافق الشافعي في هذه المسألة وإن خالفناه في المفهوم من حيث إن انقطاع ملك النكاح يوجب سقوط النفقة، إلا ما استثنى والحمل هي المستثنى، فيبقى الحائل على أصل النفي، وانتفت نفقتها لا بالشرط لكن انتفاء النكاح الذي كان علة النفقة.

١١٥٦ - الصحيح أنه يجب تعجيل النفقة قبل الوضع بنفس الحمل لظاهر الآية.

- | | |
|--------------------------|---------------------------------|
| ١١٥١ - المستصفى (٦٥/٢). | ١١٥٢ - الإحياء (٦٢/٢). |
| ١١٥٣ - نفسه (٢٦/٣). | ١١٥٤ - منهاج العابدين (ص ٢٢). |
| ١١٥٥ - المستصفى (٢٠٦/٢). | ١١٥٦ - الوجيز في الفقه (١١٤/٢). |

(١) ذكر الإمام الغزالي مراتب ودرجات توهم النفي من الإثبات من بينها: الشرط؛ وذلك أن يقول: إن كان كذا فافعل كذا، وإن جاءكم كريم قوم فأكرموه، ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ وقد ذهب ابن شريح وجماعة من المنكرين للمفهوم إلى أن هذا يدل على النفي، ن: المستصفى (٢٠٥/٢).

﴿ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ... ﴾ (٧)

١١٥٧ - قيل معناه: لبيع أحد ثوبيه، وقيل معناه: فليستقرض بجاهه، فذلك مما آتاه الله.

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (١١)

١١٥٨ - قال ابن عباس (رضي الله عنه) في قوله ﴿...﴾: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ لو ذكرت تفسيره لرجتموني، وفي لفظ آخر: لقلتم إنه كافر.

١١٥٩ - عبر ابن عباس (رضي الله عنه) عن اختصاص الراسخين في العلم بعلوم لا تحملها أفهام الخلق، حيث قرأ قوله تعالى: ﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ فقال: لو ذكرت ما أعرفه عن معنى هذه الآية لرجتموني، وفي لفظ آخر: لقلتم إنه كافر.

١١٦٠ - اعلم أن العلم والعمل لأجلهما خلقت السماوات والأرض وما بينهما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ وكفى بهذه الآية دليلاً على شرف العلم ووجوب طلبه، لا سيما علم التوحيد.

١١٦١ - كأن الله ﷻ يقول: إني خلقت السماوات والأرض وما بينهما في كل هذه الصنائع والبدائع، واكتفيت بنظرك لتعلم أنني عالم، وأنت تصلي ركعتين مع ما فيهما من المعاييب والتقصير، فلا تكتفي بنظري إليك، وبعلمي بك، وثنائي عليك، وشكري لك، حتى تحب أن يعلم الخلق ليمدحوك بذلك، أيكون ذلك وفاء؟ أيكون ذلك عقلاً يرضاه أحد لنفسه؟ ويحك أفلا تعقل؟

* سُورَةُ النَّحْرِ *

﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا... ﴾ (١)

١١٦٢ - قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾

١١٥٨ - نفسه (١١٩/١).

١١٥٧ - الإحياء (٢٢٢/٤).

١١٥٩ - نفسه (١٠٣/٤).

١١٦٠ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٨)، ومنهاج العابدين رقم (٥٩).

١١٦١ - منهاج العابدين (٢٩٢).

١١٦٢ - سر العالمين وكشف ما في الدارين، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٠).

قال في الحديث: « إن أباك هو الخليفة من بعدي »^(٢).

• ﴿ إِن نُّؤَبَّآ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمَا ... ﴾ ①

١١٦٣ - قال الله تعالى حين أفشين سر رسول الله ﷺ: ﴿ إِن نُّؤَبَّآ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ أي: مالت، وقال ذلك في خير أزواجه^(٣).

• ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ... ﴾ ②

١١٦٤ - أمرنا أن نقيهم النار كما نقي أنفسنا.

• ﴿ بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا تُوْبُوْا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوْحًا ... ﴾ ③

١١٦٥ - ومعنى النصوح: الخالص لله تعالى، خاليًا من الشوائب، مأخوذ من النصح.

• ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا ... ﴾ ④

١١٦٦ - روي في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ أن الله تعالى أوحى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام، « إني أجعل حساب أمتك إليك » قال: « لا يا رب أنت أرحم بهم مني ». فقال: « إذن لا نخزيك فيهم »^(٤).

١١٦٧ - ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ أي: يوم القيامة.

١١٦٨ - ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا ﴾ هو أن ينعم عليهم بإتمام النور مهما تزود من الدنيا أصل النور، ويحتمل أن يكون المراد به إتمام النور في غير ما استنارة محتاجة إلى مزيد الاستكمال والإشراق فيكون هو المراد بتمامه.

١١٦٣ - الإحياء (٥١/٢).

١١٦٤ - نفسه (٦/٤).

١١٦٥ - نفسه (١٥٥/٤).

١١٦٦ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٢٢٦).

١١٦٧ - الإحياء (٣٤٢/٤).

(٢) رواه البغوي في المعالم (١١٦/٧) عن ميمون بن مهران قال: « أسر إلى حفصة أن أبا بكر هو خليفتي بعدي ... ».

(٣) حديث نزول قوله تعالى: ﴿ إِن نُّؤَبَّآ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ في خير أزواجه. متفق عليه من حديث عمر، والمرأتان: عائشة وحفصة ؓ، ن: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب: موعظة الرجل ابنته لحال زوجها حديث رقم (٥١٩١)، وصحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب: في الإيلاء واعتزال النساء وتخيرهن وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ ﴾ حديث رقم (٣٤).

(٤) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله. ن: المغني بهامش الإحياء (١٥٥/٤).

• ﴿ فَخَانَتْهُمَا فَلَمَّ يُفْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا... ﴾ ⑪

١١٦٩ - قيل: كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان، وامرأة نوح تخبر أنه مجنون.

* سُورَةُ الْمَلِكِ *

• ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا... ﴾ ⑫

١١٧٠ - قال السدي (١): أي أيكم أكثر للموت ذكراً وأحسن له استعداداً وأشد منه خوفاً وحذراً.

• ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ... ﴾ ⑬

١١٧١ - أي: تكاد تنشق نصفين من شدة غيظها.

• ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ ⑭

١١٧٢ - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله، فبقدر عقله تكون عبادته، أما سمعتم قول الفجار في النار: ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ » (٢).

• ﴿ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ ⑮ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ⑯

١١٧٣ - أمر العباد بالتحرز في أقوالهم وأفعالهم وإسرارهم وإضمارهم؛ لعلمه بموارد أفعالهم، واستدل على العلم بالخلق، وكيف لا يكون خالقاً لفعل العبد، وقدرته تامة لا قصور فيها، وهي متعلقة بحركة أبدان العباد، والحركات متماثلة، وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها؟ أو كيف يكون الحيوان مستبداً بالاختراع، ويصدر عن العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من

١١٦٩ - الإحياء (١٦٤/٣).

١١٧١ - الدرر الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٢٧).

١١٧٢ - الإحياء (١٠٠/١).

(١) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي الكبير، القرشي أبو بكر، اشتهر بالتفسير والسير، روى عن ابن عباس وأنس، واتهم بالتشيع. (ت ١٢٧هـ) ن: ميزان الاعتدال (٢٣٦/١) وطبقات المفسرين (١١٠/٢).
(٢) قال الحافظ الزبيدي: أخرجه داود بن المجير في كتابه: «العقل». ن: الإتحاف (٧٥٥/١).

وظائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوي الأبواب فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الأرباب، وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب؟

هيهات هيهات ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار الأرض والسموات.
 ١١٧٤ - ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم بأنك لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب، ولو في الشيء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف، فما ذكر الله سبحانه هو المنتهى في الهداية والتعريف.

١١٧٥ - ﴿اللَّطِيفُ﴾: يدل على الفعل مع الرفق.

• ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا...﴾ ١٥

١١٧٦ - من الحكمة في لينها تيسير السير للسعادة فيها، وإذا صلبت عسر السير ولم تظهر الطرق، وقد نبه الله تبارك وتعالى على ذلك بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾.

• ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ١٦

١١٧٧ - قيل في تفسيره: إنه مثل ضربه الله ليوم القيامة في حشر المؤمنين والكافرين.

* سُورَةُ الْقَلَمِ *

• ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ١

١١٧٨ - من فضل القلم وشرفه، أن الله تعالى أقسم به فقال عز من قائل: ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

١١٧٩ - من شرف الكتابة أن الله ﷻ أقسم بها فقال: ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ فإن

١١٧٤ - الإحياء (١٢٩/١).

١١٧٥ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٦).

١١٧٦ - الحكمة في مخلوقات الله ﷻ، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ١٤).

١١٧٧ - الدررة الفاخرة في كشف علوم الآخرة ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٢١).

١١٧٨ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ٩٣).

١١٧٩ - المعارف العقلية (ص ٧٨).

الكتابة نعمة من نعم الله تعالى ولها مزية حسنة عند ذوي الألباب؛ لأنها تحفظ ما يتولد عن أفهام العقلاء، وتقيد ما تصطاده أذهان الحكماء.

• ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾

١١٨٠ - قال الله تعالى لنبه وحبيه مثنيًا عليه ومظهرًا نعمته لديه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ خلقه القرآن» ^(١).

• ﴿هَمَازٍ مَشَامٍ بَنِيمٍ ۝ مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ۝﴾

١١٨١ - ﴿عُتْلٍ﴾ قيل: العتل هو الفظ اللسان، الغليظ القلب على أهله.

١١٨٢ - قال عبد الله بن المبارك ^(٢): الزنيم: ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث، وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد الزنا، استنباطًا من قوله ﷺ: ﴿عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ والزنيم: هو الدعي.

• ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتْلَمُونَ ۝﴾

١١٨٣ - تخصيصًا لقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥].

• ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝﴾

١١٨٤ - يكشف الجليل عن ساقه فيسجد الناس تعظيمًا له وتواضعًا، إلا الكفار فإن أصلابهم تعود حديدًا فلا يقدرّون على السجود، وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝﴾، وروى البخاري في تفسيره مسندًا إلى رسول الله ﷺ قال: «يكشف الله عن ساقه يوم القيامة فيسجد كل مؤمن ومؤمنة» ^(٣).

١١٨٠ - الإحياء (٥٤/٣). ١١٨١ - نفسه (٥٠/٢).

١١٨٢ - نفسه (١٦٤/٣). ١١٨٣ - المستصفى (١٤٦/٢).

١١٨٤ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة ضمن المجموعة (٦) (ص ١٢٦).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٢) هو أبو عبد الرحمن بن المبارك بن واضح المروزي، كان قد جمع بين العلم والزهد، تفقه على سفيان الثوري ومالك بن أنس وغيرهم، وروى عنه معمر وابن وهب وغيرهما. توفي (سنة ١٨١هـ)، ن: صفوة الصفوة (١٣٤/٤) ووقيات الأعيان (٣٢/٣) والسير: (٣٧٨/٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ن: كتاب التفسير حديث رقم (٤٩١٩).

• ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١٨٥﴾﴾

١١٨٥ - قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: إنهم كلما أحدثوا ذنباً، أحدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨].

• ﴿لَوْلَا أَن تَدَارَكُوهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿١١٨٦﴾﴾

١١٨٦ - قال الحسن: العراء هو يوم القيامة.

ونهي النبي ﷺ أن يقتدي بيونس عليه السلام، وقيل له: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨] ^(١).

* سُورَةُ الْحَاقَّةِ *

• ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١١٨٧﴾﴾

١١٨٧ - ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] وهو معنى قوله: ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾.

• ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿١١٨٨﴾﴾

١١٨٨ - قال وكيع ^(٢) في قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ

١١٨٥ - الإحياء (٤٠٥/٣). ١١٨٦ - نفسه (٣٦٠/٤).

١١٨٧ - سر العالمين وكشف ما في الدارين، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ٧٩).

١١٨٨ - الإحياء (٢٧٣/١).

(١) قال الإمام الغزالي: «الانبساط والإدلال يحتمل من بعض العباد دون بعض، فمن انبساط الأنس قول

موسى عليه السلام: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن شَاءَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] وقوله في التعليل والاعتذار لما قيل له:

﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ [طه: ٢٤] فقال: ﴿وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ﴾ [الشعراء: ١٤] وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾

وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَبْسُطُ لِسَانِي﴾ [الشعراء: ١٢، ١٣] وقوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَن يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه: ٤٥]،

وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الأدب؛ لأن الذي أقيم مقام الأنس يلاطف ويحتمل، ولم يحتمل ليونس عليه السلام

ما دون هذا لما أقيم مقام القبض والهيبة، فعوقب بالسجن في بطن الحوت، في ظلمات ثلاث «الإحياء (٣٦٠/٤).

(٢) هو ابن الجراح بن مليح بن عدي، الإمام الحافظ، محدث العراق، سمع ابن جريج والأوزاعي وغيرهما، وحدث

عنه سفيان الثوري وعبد الله بن المبارك وغيرهما، قال الإمام أحمد: ما رأيت أحداً أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع،

ن: تاريخ بغداد (٤٦٦/١٣) وشذرات الذهب (٣٤٩/١) وسير أعلام النبلاء (١٤٠/١٩).

لَّغَالِيَةٍ ﴿١١٨٩﴾ هِيَ أَيَّامُ الصِّيَامِ؛ إِذْ تَرَكُوا فِيهَا الْأَكْلَ وَالشَّرْبَ.

١١٨٩ - كانوا قد أسلفوا ترك الشهوات.

• ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ﴾

١١٩٠ - أعظم حسرة أهل النار فقدهم في القيامة حميمًا يشفع لهم، قال الله

تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ﴾.

* سُورَةُ الْمَعَارِجِ *

• ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿١١٩١﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿١١٩٢﴾﴾

١١٩١ - لا تصل إلى حفظ الفرج إلا بحفظ العين عن النظر، وحفظ القلب عن الفكر، وحفظ البطن عن الشبهة وعن الشبع، فإن هذه محركات للشهوة ومغارسها.

* سُورَةُ نُوحٍ *

• ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١١٩٢﴾﴾

١١٩٢ - أي لا تخافون.

* سُورَةُ الْجِنِّ *

• ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿١١٩٣﴾﴾

• ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١١٩٤﴾﴾

١١٩٣ - علم على مزاج الظن، وظن على مزاج العلم.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ إشارة إلى الظن الأول ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ

نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ إشارة إلى الظن الثاني.

• ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ... ۝ ﴾

١١٩٤ - في الكلام حذف يدل على صحة تقدير الشرع الصادق والمشاهدة الصورية؛ وهو أن يكون معناه: إلا من ارتضى من رسول، ومن اتبع الرسول بالإخلاص والاستقامة، أو عمل بما جاء به النبي؛ لأن النبي ﷺ قال: « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » وهل يبقى إلا ما غاب عنه أن ينكشف إليه؟!

١١٩٥ - وقوله: ﴿ مِن رَّسُولٍ ﴾ وهو ستر على الحال، لكلا يحسب أجلاف العامة أنها مشاركة غيبية، وهذا غير بعيد؛ إذ خزائن الملوك يطلع عليها المملوك، والأمور المستورة عن المعشوق فقد يشاهدها العاشق الصادق قياسًا بالصورة الحسنة يشاهدها مالکها وهي مستورة عن الغير.

• ﴿ وَأَخَصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝ ﴾

١١٩٦ - المحصي: يدل على العلم الذي يحيط بمعلومات محصورات معدودة التفصيل.

* سُورَةُ الْمَزْمَلِ *

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

• ﴿ يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ۝ قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِصْفَهُ ۝ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ ﴾

١١٩٧ - أي: قم نصفه وليس باستثناء.

• ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝ ﴾

١١٩٨ - أوقات ليليات ما بين العشائين هي ناشئة الليل.

١١٩٩ - لأنها أول نشأتها.

• ﴿ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝ ﴾

١٢٠٠ - معناه الانقطاع عن كل شيء، وتطهير القلب من كل شيء والابتهاال إليه ﷻ

١١٩٤ - الإملاء: ملحق بالإحياء (٤٠/٥). ١١٩٥ - سر العالمين، ضمن المجموعة (٦) (ص ٨٦).

١١٩٦ - روضة الطالبين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٥).

١١٩٧ - المستصفى (١٧٣/٢). ١١٩٨ - مدخل السلوك إلى منازل الملوك (ص ٧٤).

١١٩٩ - بداية الهداية، ضمن المجموعة رقم (٥) (ص ٤٠).

١٢٠٠ - كيمياء السعادة، ضمن المجموعة رقم (٥) (ص ١٣٧).

بالكلية وهو طريق الصوفية في هذا الزمان.

١٢٠١ - ﴿ وَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ أي: أخلص إخلاصًا.

١٢٠٢ - ﴿ وَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ أي: انقطع إليه، والانقطاع إليه يكون بالإقبال عليه والإعراض عن غيره، وترجمته قوله: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل: ٩] والإقبال عليه إنما يكون بملزمة الذكر، والإعراض عن غيره يكون بمخالفة الهوى والتنقي عن كدورات الدنيا وتركية القلب عنها، والفلاح نتيجتها، كما قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥].

• ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثُ وَطَافٍ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ... ﴾ [١٦]

١٢٠٣ - فأدنى من ثلثي الليل كأنه نصفه ونصف سدسه، فإن كسر قوله: ﴿ وَنِصْفَهُ وَثُلُثُهُ ﴾ كان نصف الثلثين وثلثه، فيقرب من الثلث والربع، وإن نصب كان نصف الليل. وقالت عائشة رضي الله عنها: « كان صلى الله عليه وسلم يقوم إذا سمع الصارخ » ^(١) يعني الديك، وهذا السدس فما دونه.

* سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ *

• ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾ [١]

١٢٠٤ - أي: لا تعط لتطلب أكثر.

١٢٠٥ - قال قتادة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾: أي لا تدل بعملك. وفي الخبر: « إن صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه، ولأن تضحك وأنت معترف بذنبك خير من أن تبكي وأنت مدل بعملك » ^(٢). والإدلال وراء العجب.

١٢٠٢ - جواهر القرآن ودرره (ص ١٦).

١٢٠١ - منهاج العابدين (ص ٦٢).

١٢٠٤ - الإحياء (٤٦/٢).

١٢٠٣ - الإحياء (٤٢٥/١).

١٢٠٥ - نفسه (٣٣١/٢).

(١) متفق عليه، ن: صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب: من نام عند السحر، الحديث رقم (١١٣٢) ون: صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم في الليل وأن الوتر ركعة، وأن الركعة صلاة صحيحة، ن: الحديث رقم (١٣١).

(٢) قال العراقي: لم أجد له أصلاً، ن: المغني بهامش الإحياء (٣٩١/٣).

• ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۚ ﴿١٢﴾ قَالُوا لَوْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۚ ﴿١٣﴾ ﴾

١٢٠٦ - أخبر أنه عذب الكفار بترك الصلاة، وحذر المسلمين به.

• ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۚ ﴿١٤﴾ ﴾

١٢٠٧ - قال ﷺ: « أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل » (١)

وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۚ ﴿١٥﴾ ﴾.

* سُورَةُ الْقِيَامَةِ *

• ﴿ وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۚ ﴿١٦﴾ ﴾

١٢٠٨ - قال الحسن في قوله تعالى: ﴿ وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۚ ﴾ قال: لا يلقي المؤمن

إلا يعاتب نفسه، ماذا أردت بكلمتي؟ ماذا أردت بأكلتي؟ ماذا أردت بشربتي؟ والفاجر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه.

١٢٠٩ - إن كانت مع قواها وجنودها في حراب وقتال وشجار ونزاع، وكانت

الحرب بينهما سجالاً، فتارة لها اليد عليها، وتارة للقوى عليها اليد، فلا تكون حالها مستقيمة، فتارة تنزع إلى جانب العقول فتلقى المعقولات وتثبت على الطاعات، وتارة تستولي عليها القوى فتتهبط إلى حضيض منازل البهائم، فهذه النفس نفس لوامة، وهذه النفس هي حالة أكثر الخلق.

• ﴿ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَغَ قُرْآنُهُ ۚ ﴿١٧﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۚ ﴿١٨﴾ ﴾

١٢١٠ - قيل في التفسير: معناه: إذا قرأه عليك جبريل.

١٢١١ - ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۚ ﴾، ﴿ ثُمَّ ﴾: للتأخير.

١٢٠٧ - الإحياء (١٢٥/٣).

١٢٠٩ - معارج القدس (ص ١٦).

١٢١١ - المستصفى (٣٧١/١).

١٢٠٦ - المستصفى (٩١/١).

١٢٠٨ - الإحياء (٤٢٩/٤).

١٢١٠ - الإحياء (٢٧٣/٤).

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلاً ورجاله ثقات، ورواه هو والطبراني موقوفاً على ابن مسعود بسند صحيح، ن: المغني بهامش الإحياء (١٢٥/٣).

• ﴿وَجُودٌ يُؤْمِدُ نَاصِرَةٌ ﴿٣٣﴾ إِلَى رَبِّهَا نَظَرَةٌ ﴿٣٤﴾﴾

١٢١٢ - إنه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والمقدار مقدسا عن الجهات والأقطار، مرئي بالأعين والأبصار في الدار الآخرة - دار القرار - لقوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِدُ نَاصِرَةٌ ﴿٣٣﴾ إِلَى رَبِّهَا نَظَرَةٌ ﴿٣٤﴾﴾.

• ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴿٣٥﴾﴾

١٢١٣ - قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴿٣٥﴾﴾: أي يتبختر.

* سُورَةُ الْإِنْسَانِ *

• ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ... ﴿١﴾﴾

١٢١٤ - إنما عني به الإنسان التوالدي.

• ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾

١٢١٥ - قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ فقال: وهم يشتهونه.

• ﴿إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾﴾

١٢١٦ - مدح المخلصين بنفي كل إرادة سوى وجه الله، والرياء ضده.

* سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ *

• ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٦٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٦٦﴾﴾

١٢١٧ - انظر كيف جعل الله الأرض مهادا ليستقر عليها الحيوان، فإنه لا بد له من مستقر ولا غنى له عن قوت، فجميع الأرض محل للنبات لقوته، ومسكن يسكنه من الحر والبرد، ومدفن يدفن فيه ما تؤذي رائحته والجيف والأقذار من أجسام بني آدم وغيرها، كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٦٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٦٦﴾﴾ قيل في تفسير هذه

١٢١٢ - الإحياء (١٢٩/١). ١٢١٣ - نفسه (٣٥٩/٣).

١٢١٤ - المضمون به على غير أهله، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٤٠).

١٢١٥ - الإحياء (٢٦٧/١). ١٢١٦ - نفسه (٣١٠/٣).

١٢١٧ - الحكمة في مخلوقات الله ﷻ، ضمن المجموعة رقم (٧) (ص ١٢).

الآية هذا القول وغيره.

* سُورَةُ النَّبَاِ *

• ﴿ جَزَاءٌ وَفَاقًا ۝١٨ ﴾

١٢١٨ - أي: وافق الجزاء أعمالهم، فقبول الخالص بالصرف من الشراب، وقبول الشوب بالشوب، وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه وأعماله.

* سُورَةُ النَّازِعَاتِ *

• ﴿ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ۝١٩ ﴾

١٢١٩ - [قال] ﷺ: « ... ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار، قال الله تعالى: ﴿ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ﴾ أتدري ما هذا يا معاذ؟ » قلت: ما هن بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال: « كلاب في النار تنشط اللحم والعظم ... » الحديث (١).

• ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝٢٠ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۝٢١ ﴾

١٢٢٠ - الزجرة العظيمة: هي الصيحة، والساهرة: هي الأرض السفلى؛ لأنهم فتحوا أبصارهم عند قيامهم، فنظروا إلى جبال منسوفة وبحار منزوفة، والأرض لا عوج فيها ولا أمت، والأمت: الشيء المرتفع كالربوة، والعوج: الأرض المنخفضة كالوعدة والأودية، وإنما صارت مستوية كأنها صفحة قاعدة، فتعجبوا لما نظروا من الساهرة.

• ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ۝٢٢ ﴾

١٢٢١ - قال بعضهم: إنما قال فرعون: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ لطول العافية؛ لأنه لبث

١٢١٨ - الإحياء (٣٥٣/٤).

١٢١٩ - الإحياء (٣١٣/٣) ومنهاج العابدين (ص ٣١١) وبداية الهداية، ضمن المجموعة رقم (٥) (ص ٧٦).

١٢٢٠ - الدرر الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١١٧ ، ١١٨).

١٢٢١ - الإحياء (٣٠٧/٤).

(١) أورد الغزالي حديثًا طويلاً، وأسند روايته إلى عبد الله بن المبارك عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ، ن: منهاج العابدين (ص ٣١١).

وهذا الحديث أخرجه الإمام العراقي فقال: رواه ابن المبارك في الزهد، وقال: رواه ابن الجوزي في الموضوعات، ن: المغني بهامش الإحياء (١١٣/٣) وهامش الأربعين في أصول الدين (ص ٣١١).

أربعمائة سنة.

• ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ ١١ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ١٢﴾

١٢٢٢ - فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا، فينبغي أن يكون الزهد فيه.

* سُورَةُ عَبَسَ *

• ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يُزَكَّى ٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ٤ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ٥ فَأَنْتَ لَمْ تَصَدَّى ٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبَ ٧ وَآمَّا جَاءَكَ يَسْعَى ٨ وَهُوَ يَخْشَى ٩ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ١٠﴾

١٢٢٣ - استأذن ابن أم مكتوم على النبي ﷺ، وعنده رجل من أشرف قريش، فشق ذلك على النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يُزَكَّى ٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ٤﴾ يعني: ابن أم مكتوم. ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ٥ فَأَنْتَ لَمْ تَصَدَّى ٦﴾ يعني: هذا الشريف.

١٢٢٤ - قد عاتب الله نبيه ﷺ في الإعراض عن عبد والإقبال على عبد، وهما في العبودية سيان، ولكن في الحال مختلفان، فقال: ﴿وَآمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ٨ وَهُوَ يَخْشَى ٩ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ١٠﴾ وقال في الآخر: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ٥ فَأَنْتَ لَمْ تَصَدَّى ٦﴾ (١).

• ﴿قُلْ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ ١٧ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ١٨ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ١٩ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ ٢٠ ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ ٢١ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ٢٢﴾

١٢٢٥ - فقد أشارت الآية إلى أول خلق الإنسان وإلى آخر أمره، وإلى وسطه، فلينظر الإنسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية.

أما أول الإنسان فهو أنه لم يكن شيئاً مذكوراً، وقد كان في حيز العدم دهوراً، بل لم يكن لعدمه أول، وأي شيء أحسن وأقل من المحو والعدم؟ وقد كان كذلك في القدم

١٢٢٣ - نفسه (٢٠٩/٤).

١٢٢٢ - الإحياء (٢٤/٤).

١٢٢٥ - نفسه (٣٧٨/٣ - ٣٨٠).

١٢٢٤ - نفسه (٣٦٠/٤).

(١) أخرجه الترمذي من حديث عائشة، وقال: غريب، وقال العراقي: ورجاله رجال الصحيح، ن: أبواب التفسير (١٠٤/٥، ١٠٥) من سنن الترمذي، ون: المغني بهامش الإحياء (٢٠٩/٤).

ثم خلقه الله من أرذل الأشياء، ثم من أقدرها؛ إذ قد خلقه من تراب، ثم نقطة ثم من علقه، ثم من مضغة، ثم جعله عظمًا، ثم كسا العظم لحمًا، فقد كان هذا بداية وجوده؛ حيث كان شيئًا مذكورًا، فما صار شيئًا مذكورًا إلا وهو على أحسن الأوصاف والنعوت؛ إذ لم يخلق في ابتدائه كاملاً، بل خلقه جمادًا ميتًا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا ييطش ولا يدرك ولا يعلم، فبدأ بموته قبل حياته، وبضعفه قبل قوته، وبجهله قبل علمه، وبعماه قبل بصره، وبصممه قبل سمعه، وببكمه قبل نطقه، وبضلالته قبل هداه، وبفقره قبل غناه، وبعجزه قبل قدرته، فهذا معنى قوله: ﴿مِنْ أَى شَىْءٍ خَلَقْتَهُ ۖ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقْتُهُ فَقَدَرْتُهُ﴾ [عبس: ١٨، ١٩] ومعنى قوله: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١، ٢] إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه ﴿[الإنسان: ١، ٢]﴾ كذلك خلقه أولاً.

ثم امتن عليه فقال: ﴿ثُمَّ السَّيِلَ يَسْرُمُ﴾ وهذا إشارة إلى ما تيسر له في مدة حياته إلى الموت وكذلك قال: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ١، ٢] إنا هدّيته السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً ﴿[الإنسان: ١، ٢]﴾ ومعناه: أنه أحياه بعد أن كان جمادًا ميتًا ترابًا أولاً ونطفة ثانياً: واسمعه بعد ما كان أصم، وبصره بعد ما كان فاقداً للبصر، وقوّاه بعد الضعف، وعلمه بعد الجهل، وخلق له الأعضاء بما فيها من العجائب والآيات بعد الفقد لها، وأغناه بعد الفقر، وأشبعه بعد الجوع، وكساه بعد العري، وهداه بعد الضلال، فانظر كيف دبره وصوره، وإلى السبيل كيف يسره، وإلى طغيان الإنسان ما أكفره وإلى جهل الإنسان كيف أظهره؟ فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٧٧] ﴿وَمَنْ ءَايَاتِهِ أَنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠].

فانظر إلى نعمة الله عليه، كيف نقله من تلك الذلة والقلّة والخسة والقذارة إلى هذه الرفعة والكرامة فصار موجوداً بعد العدم، وحيّاً بعد الموت، وناطقاً بعد البكم، وبصيراً بعد العمي، وقوياً بعد الضعف، وعالمًا بعد الجهل، ومهدياً بعد الضلال، وقادراً بعد العجز، وغنياً بعد الفقر؟ فكان في ذاته لا شيء، وأي شيء أحسن من لا شيء؟ وأي قلة أقل من العدم المحض؟ ثم صار بالله شيئاً. وإنما خلقه من التراب الدليل يوطأ بالأقدام والنطفة القدرة بعد العدم المحض أيضاً ليعرف خسة ذاته فيعرف به نفسه، وإنما أكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظّمته وجلاله، وأنه لا يليق الكبرياء إلا به جل وعلا؛ ولذلك امتن عليه فقال: ﴿ثُمَّ أَتَىٰ نَجْعَلْ لَّهُمْ عَيْنَيْنِ ۖ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۖ وَهَدَيْتُهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [عبس: ٨ - ١٠] وعرف خسته

أولاً فقال: ﴿الَّذِي بَكَ نُظْفَةٌ مِّن مَّيِّ يُمَتَّى ۖ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾ [القيامة: ٣٧، ٣٨] ثم ذكر منته عليه فقال: ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّى ۖ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [القيامة: ٣٨، ٣٩] ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أولاً بالاختراع.

فمن كان هذا بدؤه وهذه أحواله فمن أين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء؟ وهو على التحقيق أخس الأخساء وأضعف الضعفاء، ولكن هذه عادة الخسيس إذا رفع من خسته شمع بأنفه وتعظم، وذلك لدلالة خسة أوله - ولا حول ولا قوة إلا بالله - . نعم لو أكمله وفوض إليه أمره، وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يطغى وينسى المبدأ والمنتهى، ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الأمراض الهائلة والأسقام العظيمة والآفات المختلفة والطباع المتضادة، من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من أجزائه البعض، شاء أم أبى، رضي أم سخط، فيجوع كرهاً ويعطش كرهاً ويمرض كرهاً ويموت كرهاً، لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا، يريد أن يعلم الشيء فيجهله، ويريد أن يصرف قلبه إلى ما يهمله فيجول في أودية الوسوس والأفكار بالاضطرار، فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه، ويشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه، ويكره الشيء وربما تكون حياته فيه، يستلذ الأطعمة وتهلكه وترديه، ويستبشع الأدوية وهي تنفعه وتحبسه، ولا يأمن في لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب سمعه وبصره، وتفلج أعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه، فهو مضطر ذليل إن ترك بقي وإن اختطف فني، عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا شيء من غيره، فأى شيء أذل منه لو عرف نفسه؟ وأنى يليق الكبير به لولا جهله؟

فهذا أوسط أحواله فليتأمله.

وأما آخره ومورده فهو الموت المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَّا نَفْسُ فَآقْبَرُ ۖ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَسْرَرُ﴾ [عبس: ٢١، ٢٢] ومعناه: أنه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته، فيعود جمادًا كما كان أول مرة، لا يبقى إلا شكل أعضائه وصورته، لا حس فيه ولا حركة، ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قدرة كما كان في الأول نطفة قدرة، ثم تبلى أعضاؤه وتتفتت أجزاؤه وتنخر عظامه، ويصير رميمًا رفاتًا، ويأكل الدود أجزائه فيبتدئ بحدقتيه فيقلعهما، ثم بخديه فيقطعهما، وبسائر أجزائه، فيصير روثًا في أجواف الديدان، ويكون جيفة يهرب منه الحيوان، ويستقذره كل إنسان، يهرب منه لشدة الإنتان، وأحسن أحواله أن يعود إلى ما كان فيصير ترابًا يعمل

منه الكيزان ويعمل منه البنيان، فيصير مفقودًا بعد ما كان موجودًا، وصار كأن لم يكن بالأمس، حصيدًا كما كان في أول أمره أمدًا مديدًا، وليته بقي كذلك فما أحسنه لو ترك ترابًا، لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسي شديد البلاء، فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقة، ويخرج إلى أهوال القيامة فنظر إلى قيامة قائمة وسماء مشقة ممزقة، وأرض مبدلة، وجبال مسيرة، ونجوم منكدره وشمس منكشفة، وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد، وجهنم تزفر وجنة ينظر إليها المجرم فيتحسر، ويرى صحائف منشورة فيقال له: ﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ ﴾ [الإسراء: ١٤] فيقول: وما هو؟ فيقال: كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها، ملكان رقيبان يكتبان عليك ما كنت تنطق به أو تعمله من قليل وكثير ونقيير وقطمير وأكل وشرب وقيام وقعود، قد نسيت ذلك وأحصاه الله عليك، فهلم إلى الحساب واستعد للجواب أو تساق إلى دار العذاب، فينقطع قلبه فرغًا من هول هذا الخطاب قبل أن تنشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه، فإذا شاهده قال: ﴿ يَوَيْلَنَا مَا هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ [الكهف: ٤٩] فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرُهُ ﴾.

فما لمن هذا حاله التكبر والتعظم؟ بل ما له وللفرح في لحظة واحدة فضلًا عن البطر والأشر؟ فقد ظهر له أول حاله ووسطه، ولو ظهر آخره - والعياذ بالله تعالى - ربما اختار أن يكون كلبًا أو خنزيرًا ليصير مع البهائم ترابًا ولا يكون إنسانًا يسمع خطابًا أو يلقي عذابًا.

• ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۚ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۚ وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ ۚ ﴾

١٢٢٦ - يأتي الرجل إلى ولده فيقول له: يا بني: إني كسوتك حيث لا تقدر تكسو نفسك، وأطعمتك طعامًا وسقيتك شرابًا حيث كنت عاجزًا عن ذلك، وكفلتك صغيرًا حيث كنت لا تستطيع دفع الضراء ولا جلب السراء، فكم من فاكهة تمنيتها فابتعتها لك، حسبك ما ترى من هول يوم القيامة، وسيئات أهلك كثيرة، فتحمل عني منها ولو سيئة فيخف عني، وأعطني ولو حسنة أزيدها في الميزان، فيفر منه الولد ويقول له: أنا أحوج منك إليها. وكذا يفعل الفصيل مع الفصيلة والصاحب والأخ، وهو قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۚ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۚ وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ ۚ ﴾.

* سُورَةُ الْإِنْفِطَارِ *

• ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ① الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ ② فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ③﴾

١٢٢٧ - لا يعرف كمال معنى قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ① الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ ② فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ③﴾ إلا من عرف تشريح الأعضاء من الإنسان ظاهراً وباطناً، وعددها وأنواعها وحكمتها ومنافعها، وقد أشار في القرآن في مواضع إليها، وهي علوم الأولين والآخرين، وفي القرآن مجامع علم الأولين والآخرين.

١٢٢٨ - الكريم: يدل على سعة الإكرام مع شرف الذات.

• ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ④ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ⑤﴾

١٢٢٩ - أي: لبرهم وفجورهم.

١٢٣٠ - ومعنى البر والفاجر بالسعادة والشقاوة: أن يجعل البر والفجور سبباً يسوق صاحبهما إلى السعادة والشقاوة، كما جعل الأدوية والسموم أسباباً تسوق متناوليهما إلى الشفاء والهلاك.

* سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ *

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

• ﴿وَبِلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ ① الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ③﴾

١٢٣١ - كل من يلتمس من الإنصاف أكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية.

١٢٢٧ - جواهر القرآن (ص ٣٣).

١٢٢٨ - روضة الطالبين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٦).

١٢٣٠ - المقصد الأسنى (ص ٨٥).

١٢٢٩ - المستصفى (١٩٠/٢).

١٢٣١ - الإحياء (١٩٣/٢).

• ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ①

١٢٣٢ - قال كعب (١) وقتادة: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: يقومون مقدار ثلاثمائة عام. بل قال عبد الله بن عمرو: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ثم قال: « كيف بكم إن جمعكم الله كما تجمع النبل في الكنافة خمسين ألف سنة ولا ينظر إليكم » (٢).

• ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ②

١٢٣٣ - قال علي كرم الله وجهه: إن الإيمان ليبدو لمعة بيضاء، فإذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله، وإن النفاق ليبدو نكتة سوداء، فإذا انتهكت الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه، فذلك الختم. وتلا قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

١٢٣٤ - روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: « إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها، فإن زاد زادت حتى تغلق قلبه » (٣)، فذلك الران الذي ذكره الله ﷻ في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

١٢٣٥ - من أكل الشبهة أربعين يوماً أظلم قلبه، وهو تأويل قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

١٢٣٦ - ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: قال شيخي الإمام رحمه الله: هكذا تؤدي الذنوب إلى قسوة القلب؛ أولها خاطر، ثم يؤدي إلى القسوة والرين.

١٢٣٧ - الآثار المذمومة مثل دخان مظلم، يتصاعد إلى مرآت القلب، ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود ويظلم، ويصير بالكلية محجوباً عن الله تعالى،

١٢٣٢ - الإحياء (٥٨٤/٤). ١٢٣٣ - نفسه (١٤٤/١).

١٢٣٤ - نفسه (٣٧٠/١). ١٢٣٥ - نفسه (١٠٣/٢).

١٢٣٦ - منهاج العابدين (ص ١١٤). ١٢٣٧ - الإحياء (١٣/٣).

(١) هو كعب بن مانع الحميري اليماني، العلامة الحبر الذي كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ، كان حسن الإسلام متين الديانة من نبلاء العلماء، وكان خبيراً بكتب اليهود، له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة، توفي بحمص ذاهباً للغزو في أواخر خلافة عثمان ؓ.

(٢) قال العراقي: إنما هو عبد الله بن عمر، ورواه الطبراني في الكبير، وفيه عبد الرحمن بن ميسرة ولم يذكر له ابن أبي حاتم راوياً غير ابن وهب، ولهم غير عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي أربعة هذا أحدهم مصري والثلاثة الآخرون شاميون، ن: المغني بهامش الإحياء (٥٤٨/٤).

(٣) رواه ابن ماجه في سننه، ن: كتاب الزهد (١٤١٨/٢) حديث رقم (٤٢٤٤).

وهو الطبع، وهو الرين، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.
 ١٢٣٨ - قال ميمون بن مهران ^(١): إذا أذنب العبد ذنباً نكت نكتة سوداء، فإذا هو نزع وتاب صقل، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، فهو الران.

• ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾

١٢٣٩ - رتب العذاب بالنار على ألم الحجاب، وألم الحجاب كافٍ من غير علاوة النار، فكيف إذا أضيفت العلاوة إليه؟

١٢٤٠ - احتج الأشعري في مسألة الرؤية بقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ قال: وهذا يدل على أن المؤمنين بخلافهم.

• ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلْتَيْنِ ﴿١٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَتُونَ ﴿١٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿١٩﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾

١٢٤١ - الكتاب عبر به عن جميع الأعمال فقال: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلْتَيْنِ﴾ ثم قال: ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾، فكان أمانة علو كتابهم أنه ارتفع إلى حيث يشهده المقربون.

• ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢١﴾﴾

١٢٤٢ - قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ قال: يمزج لأصحاب اليمين، ويشربه المقربون صرفاً. وقال: لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها.

* سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ *

• ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١﴾﴾

١٢٤٣ - الحمرة التي بغيوبتها يدخل وقت العتمة، قد أقسم الله تعالى به فقال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾.

١٢٣٩ - نفسه (٢٥٥/٤).

١٢٣٨ - الإحياء (١٤/٣).

١٢٤١ - الإحياء (٣٥٢/٤).

١٢٤٠ - المستصفى (١٩٢/٢).

١٢٤٣ - نفسه (٤٠٤/١).

١٢٤٢ - نفسه (٥٧٤/٤).

(١) هو الإمام القدوة أبو أيوب الرقي عالم أهل الجزيرة، روى عن عائشة وأبي هريرة وابن عباس، وعنه الأوزاعي وخلق كثير، قال النسائي: ثقة ت: سنة (١١٧ هـ)، ن: تذكرة الحفاظ (٩٨/١، ٩٩) والأعلام للزركلي (٣٤٢/٧).

• ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ (١٧) ﴿

١٢٤٤ - أي: وما جمع من ظلمة.

* سُورَةُ الْبُرُوجِ *

• ﴿وَشَهِيدٌ وَمَشْهُودٌ﴾ (٢) ﴿

١٢٤٥ - قيل في قوله تعالى: ﴿وَشَهِيدٌ وَمَشْهُودٌ﴾: الشاهد هو الله، والمشهود هو عكس جمال الحضرة الصمدية، فهو الشاهد والمشهود.

• [﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ (١١) ﴿]

١٢٤٦ - الودود: يرجع إلى الإرادة مضافاً إلى الإحسان والإنعام، وفعل الرحمة يستدعي محتاجاً، وفعل الود لا يستدعي ذلك، بل بالإنعام على سبيل الابتداء.

• [﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ (١٥) ﴿]

١٢٤٧ - المجيد: يدل على سعة الإكرام مع شرف الذات.

• ﴿فِي لَوْجٍ مَّخْفُوظٍ﴾ (٢٢) ﴿

١٢٤٨ - قال زيد بن أسلم^(٢) في قوله تعالى: ﴿فِي لَوْجٍ مَّخْفُوظٍ﴾: هو قلب المؤمن.

* سُورَةُ الطَّارِقِ *

• ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ (١) ﴿

١٢٤٩ - أي: يكشف عن أسرار الأعمال وأرواحها القبيحة أو الحسنة.

١٢٤٤ - الإحياء (٤٠٤/١).

١٢٤٥ - روضة الطالبين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ١٩).

١٢٤٦ - نفسه رقم (٢) (ص ٦٦).

١٢٤٧ - نفسه رقم (٢) (ص ٦٦).

١٢٤٨ - الإحياء (١١/٣).

١٢٤٩ - كتاب الأربعين (ص ٢٢٢).

(١) هو زيد بن أسلم العدوي الإمام، أبو جعفر العمري المدني الفقيه. يروي عن مولاه عبد الله بن عمر وأنس ابن مالك وعطاء وغيرهم، وعنه مالك والسفيانان وغيرهم. له كتاب في التفسير، رواه عنه ولده عبد الرحمن، توفي سنة (١٩٦ هـ).

ن: طبقات المفسرين للداودي (١٨٢/٢) وتذكرة الحفاظ للذهبي (١٣٢/١) والأعلام (٥٧/٣).

*** سُورَةُ الْأَعْلَى ***

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

• ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ① ﴾

١٢٥٠ - إن قيل: فقد قال تعالى: ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾، والذات هي المسبحة دون الاسم.

قلنا: الاسم هنا زيادة على سبيل الصفة، وعادة العرب جارية بمثله، وهو كقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]، ولا يجوز أن يستدل فيقال: فيه إثبات المثل؛ إذ قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]، كما يقال: ليس كولد أحد؛ إذ فيه إثبات الولد، بل الكاف فيه زيادة.

• ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ② ﴾

١٢٥١ - الخلق دون هداية لا يفضي إلى خير؛ ولذلك قال تعالى: ﴿ قَدَّرَ فَهَدَى ﴾.

• ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ③ ﴾

١٢٥٢ - إيثار الحياة الدنيا طبع غالب على الإنسان.

• ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ④ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ⑤ ﴾

١٢٥٣ - بين أن الشر قديم في الطباع، وأن ذلك مذكور في الكتب السالفة.

*** سُورَةُ الْفَجْرِ ***

• ﴿ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ ① أَرَجَىٰ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ② ﴾

١٢٥٤ - هذا خطاب موجه لموجود؛ إذ لا يجوز خطاب المعدوم.

١٢٥٥ - إذا سكنت النفس تحت عالم الأمر، وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات، سميت النفس المطمئنة.

١٢٥٠ - المقصد الأسنى (ص ٣٨). ١٢٥١ - مقاصد الفلاسفة (ص ٣٧٤).

١٢٥٢ - الإحياء (٨٥/٣). ١٢٥٣ - نفسه (٨٥/٣).

١٢٥٤ - سر العالمين، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ٧٩).

١٢٥٥ - روضة الطالبين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٤١).

١٢٥٦ - إن اتجهت إلى صواب الصواب، ونزلت عليها السكينات الإلهية، وتواترت عليها نفحات فيض الجود الإلهي فتطمئن إلى ذكر الله ﷻ، وتسكن إلى المعارف الإلهية، وتطير إلى أفق الملكية، يقال: نفس مطمئنة.

* سُورَةُ الشَّمْسِ *

• ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَّا﴾ ١

١٢٥٧ - أراد وبنائها.

• ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ ٢

١٢٥٨ - وإنما فلاحها بالأعمال الصالحة.

١٢٥٩ - إنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها، تصفية القلب وتزكيتة وجلأؤه،

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ ومراد تزكيتة: حصول أنوار الإيمان، أعني: إشراق نور المعرفة.

١٢٦٠ - التزكية: التطهير.

* سُورَةُ اللَّيْلِ *

• ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدُكَ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ ١

١٢٦١ - هذا الاستثناء ليس فيه معنى التخصيص والإخراج؛ إذ المستثنى ما كان

ليدخل تحت اللفظ أصلاً، ومن معتاد كلام العرب: ما في الدار رجل إلا امرأة، وما رأيت أحداً إلا نوراً،... فتكون «إلا» في هذا الموضع بمعنى «لكن».

* سُورَةُ الضُّحَى *

• ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾

١٢٦٢ - سئل رسول الله ﷺ أي الليل أفضل؟ فقال: « نصف الليل الغابر »^(١) وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾، ولأنه وقت غفلة الخلق، يفضل فيه الاشتغال بالحق، ووقت في آخر الليل، وأوله بعد انقضاء ثلث الليل إلى أن يبقى سدسه وهو مقدار سدس الليل، وهي الأسحار المخصوصة بالاستغفار، والأخبار فيه باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن، ونزول الجبار إلى سماء الدنيا، وهي آخر النفحات المندوب إلى التعرض لها.

١٢٦٣ - ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ أي: إذا سكن، وسكونه هدوءه في هذا الوقت، فلا تبقى عين إلا نائمة، سوى الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم. وقيل: إذا سجد: إذا امتد وطال، وقيل: إذا أظلم.

• ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾

١٢٦٤ - عن جابر قال: دخل رسول الله ﷺ على فاطمة - رضي الله تعالى عنها - وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الإبل، فلما نظر إليها بكى وقال: « يا فاطمة، تجرعي مرارة الدنيا لنعيم الأبد »، فأنزل الله عليه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(٢).
١٢٦٥ - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ قال^(٣): « لا يرضى محمد وواحد من أمته في النار »^(٤)، وكان أبو جعفر محمد بن علي^(٥)

١٢٦٢ - مدخل السلوك إلى منازل الملوك (ص ٧٤). ١٢٦٣ - الإحياء (٤٠٩/١).

١٢٦٤ - نفسه (٢٤٧/٤). ١٢٦٥ - نفسه (١٥٥/٤).

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي ذر دون قوله: « الغابر »، ن: الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان (٤/٢) حديث رقم (٢٥٥٥).

(٢) قال العراقي: أخرجه أبو بكر بن بلال في مكارم الأخلاق بإسناد ضعيف، ن: المغني بهامش الإحياء (٨٤٧/٤).
(٣) أي الرسول ﷺ.

(٤) أخرجه ابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية عن علي. انظر فتح القدير (٤٦٠/٥).

(٥) هو السيد الإمام أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي العلوي الفاطمي، المدني، ولد زين العابدين، ولد في حياة عائشة رضيها. روى عن جديه: النبي ﷺ وعلي ﷺ مرسلًا، وجديه الحسن والحسين مرسلًا أيضًا وغيرهم. وروى عنه ابنه عطاء والأعرج وغيرهما، كان من فقهاء المدينة، له تفسير، وهو أحد الأئمة الاثني عشر =

يقول: أنتم أهل العراق تقولون: أرجى آية في كتاب الله ﷻ قوله: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] الآية، ونحن نقول آل البيت: أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾.

• ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ ⑦

١٢٦٦ - الضلال في وضع اللسان لا يناسب الكفر، قال الله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا

فَهَدَىٰ﴾ ⑦.

• ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ ⑩

١٢٦٧ - العبد ينبغي أن يكون مجيبًا أولاً لربه تعالى فيما أمره به ونهاه عنه، وفيما ندبه إليه ودعاه، ثم لعباده فيما أنعم الله عليه بالاقتدار عليه، وفي إسعاد كل سائل بما يسأله إن قدر عليه، وفي لطف الجواب إن عجز عنه، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾.

* سُورَةُ التِّينِ *

• ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ ①

١٢٦٨ - أي: طور سيناء.

* سُورَةُ الْعَلَقِ *

• ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ① الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ② عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ③

١٢٦٩ - الله سبحانه من على نبيه بعلم القلم فقال: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ① الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ② عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ③.

١٢٦٧ - المقصد الأسنى (ص ١٠٦).

١٢٦٩ - المعارف العقلية (ص ٧٧).

١٢٦٦ - المستصفى (١٧٧/١).

١٢٦٨ - الإحياء (٣٤٤/١).

١٢٧٠ - القلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى، جعله سبباً لحصول نقش العلوم في قلوب البشر، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۖ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه، كما لا يشبه وصفه وصف خلقه، فليس قلمه من قصب ولا خشب، كما أنه تعالى ليس من جوهر ولا عرض.

• ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۝﴾

١٢٧١ - قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ وقد ورد: «أقرب ما يكون العبد من ربه في سجوده»^(١)، فالساجد إذا أذيق طعم السجود يقرب؛ لأنه يسجد ويطوي بسجوده بساط الكون، ما كان وما يكون، ويسجد على طرف رداء العظمة فيقترب.

١٢٧٢ - قيل: «إن أقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى أن يكون ساجداً» وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾.

* سُورَةُ الْقَدْرِ *

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

• ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾

١٢٧٣ - أراد القرآن.

١٢٧٤ - ليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.

١٢٧٠ - الإحياء (١٩/٣).

١٢٧١ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٠).

١٢٧٣ - الإحياء (٣٤٤/١).

١٢٧٢ - الإحياء (١٧٧/١).

١٢٧٤ - نفسه (٢٧٨/١).

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣٥٠/١) حديث رقم (٢١٥).

* سُورَةُ الْبَيِّنَةِ *

• ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۝٨ ﴾

١٢٧٥ - سئل بعضهم عن قوله تعالى: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ فقال: معناه: ذلك لمن راقب ربه ^{عكس} وحاسب نفسه وتزود لمعاده.

* سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ *

• ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ ﴾

١٢٧٦ - اتفق أهل اللغة على أن فهم ما وراء الذرة من المقدار الكثير أسبق إلى الفهم.

١٢٧٧ - قد يطلق الخاص، ونريد العام كقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ فيعبر بالقليل عن الكثير.

١٢٧٨ - ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ يدل على أن من يعمل مثقال ذرات خيراً يره أيضاً، لا بطريق اللغة والتعليل، بل بطريق العرف.

١٢٧٩ - والذرة أقل القليل الذي لا أقل دونه في مقصود هذا الكلام، ما دون الذرة لا يتصور في التقدير فهو ملحق به بطريق التعليل، وهو أن السبب هو المجازاة على الحسنة والسيئة، وما دون الذرة حسنة وسيئة، فقد وجد سبب المجازاة فيجازى.

* سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ *

• ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝١ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝٢ ﴾

١٢٨٠ - الهاء الأولى: كناية عن الحوافر وهي الموريات ^(١)، أي: أثرن بالحوافر نقعاً، والثانية: كناية عن الإغارة، وهي المغيرات صبحاً.

١٢٧٥ - الإحياء (٤٢٢/٤). ١٢٧٦ - المستصفى (٣٥٥/١).

١٢٧٧ - معيار العلم في المنطق (ص ١٩٦). ١٢٧٨ - شفاء الغليل (ص ٥٥).

١٢٧٩ - نفسه (ص ٥٧ - ٦٥). ١٢٨٠ - الإحياء (٣٤٥/١).

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَلْمُورِيَّتِ قَدَحًا ﴾ [العاديات: ٢].

﴿ فَوَسَّطَنَ بِهِ ﴾ جمع المشركون فأغاروا بجمعهم.

• ﴿ وَخَصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ ﴿١٥﴾

١٢٨١ - أي: يعرض عليها حاصلها، أي روحها وحقيقتها.

* سُورَةُ التَّكَاثُرِ *

• ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾

١٢٨٢ - ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ أي: في الدنيا ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ ﴿٧﴾

لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ أي: في الآخرة.

١٢٨٣ - ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ أي: أن الجحيم

في باطنكم فاطلبوها بعلم اليقين، ﴿ لَتَرَوُنَّهَا ﴾ ﴿٦﴾ قيل: أن تروها بعين اليقين.

• ﴿ ثُمَّ لَنُنَاشِلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ ﴿٨﴾

١٢٨٤ - النبي حاسبه الله على شبعه مرة واحدة من خبز وشعير وتمر، وقال له:

﴿ ثُمَّ لَنُنَاشِلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾.

* سُورَةُ الْعَصْرِ *

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

• ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾

١٢٨٥ - أقسم الله تعالى بوقت العصر، فقال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ ﴿١﴾ هذا أحد معنيي

الآية، وهو المراد بالآصال في أحد التفسيرين، وهو العشي المذكور في قوله: ﴿ وَعَشِيًّا ﴾

[مريم: ١١] وفي قوله: ﴿ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ [ص: ١٨].

١٢٨١ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٢٢٢).

١٢٨٢ - الإحياء (١٠٨/٤). ١٢٨٣ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٢١٣).

١٢٨٤ - سر العالمين وكشف ما في الدارين، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ٩٥).

١٢٨٥ - الإحياء (٤٠٣/١).

* سُورَةُ الْهُمَزَةِ *

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

• ﴿ وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ ۝ ﴾

١٢٨٦ - عن مجاهد أنه قال: الهمزة: الطغيان في الناس، واللمزة: الذي يأكل لحوم الناس.

١٢٨٧ - قيل: الهمزة: المنام.

* سُورَةُ الْمَاعُونِ *

• ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ﴾

١٢٨٨ - ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾ لا حكم له قبل إتمام الكلام، فإذا تم الكلام كان الويل مقصوراً على من وجد فيه شرط السهو والرياء، لا أنه دخل فيه كل مصل ثم خرج البعض. فهكذا ينبغي أن يفهم حقيقة الاستثناء والشرط، فاعلموه ترشدوا.

١٢٨٩ - سئل أبو العالية ^(١) عن قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ قال: هو الذي يسهو في صلاته، فلا يدري على كم ينصرف، أعلى شفع أم على وتر؟ وقال الحسن: هو الذي سهى عن وقت الصلاة حتى تخرج. وقال بعضهم: هو الذي إن صلاها في أول الوقت لم يفرح، وإن أخرها عن الوقت لم يحزن، فلا يرى تعجيلها خيراً ولا تأخيرها إثماً.

١٢٨٦ - الإحياء (١٥٢/٣).
١٢٨٧ - نفسه (١٦٤/٣).
١٢٨٨ - المستصفى (١٨٤/٢).
١٢٨٩ - الإحياء (٢٠٢/١).

(١) هو رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي، من كبار التابعين المخضرمين، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ. روى عن ابن مسعود وابن عباس، وعنه قتادة والربيع بن أنس. (ت ٩٠ هـ)، ن: صفة الصفوة (٢١١/٣) وتهذيب الأسماء (٢٥١/٢).

* سُورَةُ الْكَوْثَرِ *

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

• ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۝١ ﴾

١٢٩٠ - قال أنس: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة فرفع رأسه مبتسمًا، فقالوا له: يا رسول الله لم ضحكت؟ فقال: « آية أنزلت عليَّ آنفًا » وقرأ: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۝١ ﴾ حتى ختمها ثم قال: « هل تدرون ما الكوثر؟ » قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: « إنه نهر وعدنيه ربي ﷻ في الجنة عليه خير كثير، عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء » وقال أنس: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: « بينما أنا أسير في الجنة إذا بنهر حافته قباب اللؤلؤ المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر » (١).

• ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝٢ ﴾

١٢٩١ - قيل: أراد به صلاة عيد النحر.

* * *

* سُورَةُ النَّصْرِ *

• ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝١ ﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُمْ كَانَ تَوَّابًا ۝٢ ﴾

١٢٩٢ - أنزله منزلة النظارة، وقال: إذا رأيت عباد الله يدخلون في دين الله فقل: بحمد الله لا بحمدي، وهو معنى التسبيح بحمد ربه.

* * *

١٢٩٠ - الإحياء (٥٦٢/٤). ١٢٩١ - الوسيط (٧٨٣/٢).

١٢٩٢ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١٣٩).

(١) قال الحافظ العراقي: رواه البخاري من قول أنس: لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء.. الحديث وهو مرفوع وإن لم يكن صرح به عن النبي ﷺ، ن: كتاب التفسير، سورة ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۝١ ﴾ الحديث (٤٩٦٤) وأخرج الطبري في جامع البيان (٣٢٣/٣٠) بنحوه عن أنس، وانظر: المغني (٥٦٢/٤).

* سُورَةُ الْمَسَدِ *

• ﴿ حَمَلَةَ الْحَطَبِ ① ﴾

١٢٩٣ - قيل: إنها كانت نمامة، حمالة للحديث.

* سُورَةُ الْإِخْلَاصِ *

١٢٩٤ - قال ﷺ: « ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثلث القرآن »^(١)، فما أراك أن

تفهم وجه ذلك، فتارة تقول: هذا ذكره للترغيب في التلاوة وليس المعنى به التقدير، وحاشا منصب النبوة عن ذلك، وتارة تقول: هذا بعيد عن الفهم والتأويل، وأن آيات القرآن تزيد على ست آلاف آية، فهذا القدر كيف يكون ثلثها؟

وهذا لقلة معرفتك بحقائق القرآن، ونظرك إلى ظاهر ألفاظه، فتظن أنها تكثر وتعظم بطول الألفاظ وتقصّر بقصرها، وذلك كظن من يؤثر الدراهم الكثيرة على الجواهر الواحد، نظرًا إلى كثرتها.

فاعلم أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن قطعًا، وارجع إلى الأقسام الثلاثة التي ذكرناها في مهمات القرآن؛ إذ هي معرفة الله تعالى، ومعرفة الآخرة، ومعرفة الصراط المستقيم، فهذه المعارف الثلاثة هي المهمة والباقي توابع، وسورة « الإخلاص » تشتمل على واحد من الثلاث، وهو معرفة الله وتوحيده وتقديسه عن مشارك في الجنس والنوع، وهو المراد بنفي الأصل والفرع والكفؤ، ووصفه بالصمد يشعر بأنه الصمد الذي لا مقصد في الوجود للحوائج سواه، نعم ليس فيها حديث الآخرة والصراط المستقيم، وقد ذكرنا أن أصول مهمات القرآن معرفة الله تعالى ومعرفة الآخرة ومعرفة الصراط المستقيم؛ فلذلك تعدل ثلث القرآن، أي ثلث الأصول من القرآن، كما قال ﷺ: « الحج عرفة »^(٢) أي هو الأصل والباقي توابع.

(١) رواه الترمذي في سننه، ن: أبواب فضائل القرآن (٢٤٠/٤) حديث رقم (٣٠٥٩) .

(٢) روى أبو داود في سننه: « ... فأمر رسول الله ﷺ رجلاً فنادى: الحج الحج يوم عرفة »، ن: كتاب المناسك حديث رقم (١٩٤٩) .

١٢٩٥ - لما قال بعض الأعراب لرسول الله: ما نسبة الله؟ نزل في جوابه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ كُفُوا أَحَدٌ﴾ معناه: التقديس عن النسبة.

• ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾

١٢٩٦ - يعني: إلى الناس دون الجن.

١٢٩٧ - الأحد: هو المسلوب عن النظير والقسمة.

١٢٩٨ - فرق بين الواحد والأحد، قال الله تعالى: ﴿وَالْهَيْكَلُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، فيقال: الإنسان شخص واحد وصنف واحد، والمراد به أنه جملة هي جملة واحدة، ويقال: ألف واحدة، فالواحد المشار إليه من طريق العقل والحس هو الذي يمتنع مفهومه عن وقوع الشراكة فيه، والأحد هو الذي لا تركيب فيه ولا جزء له بوجه من الوجوه، فالواحد نفي الشريك والمثل، والأحد نفي الكثرة في ذاته.

• ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ۝﴾

١٢٩٩ - الصمد: الغني المحتاج إليه غيره، وهذا دليل على أن الله تعالى [أحدي] ^(١) الذات وواحد؛ لأنه لو كان له شريك في ملكه لما كان صمدًا غنيًا يحتاج إليه غيره، بل كان هو أيضًا يحتاج إلى شريكه في المشاركة والتشنية، ولو كان له أجزاء تركيب واحد لما كان صمدًا يحتاج إليه غيره، بل هو محتاج في قوامه ووجوده إلى أجزاء تركيبه وحده فالصمدية دليل على الواحدية والأحدية.

• ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾

و ﴿لَمْ يَكِدْ﴾ دليل على أن وجوده المستمر، ليس مثل وجود الإنسان الذي يبقى نوعه بالتوالد والتناسل، بل هو وجود مستمر أزلي وأبدي.

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ دليل على أن وجوده ليس مثل وجود الإنسان الذي يحصل بعد

١٢٩٥ - مشكاة الأنوار، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ٢٨).

١٢٩٦ - المنحول (ص ١٦٦).

١٢٩٧ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٥).

١٢٩٨ - المصنوع به على غير أهله، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٢٩، ١٣٠).

١٢٩٩ - نفسه رقم (٤) (ص ١٣٠).

(١) في الأصل المطبوع: إحدى، والصواب ما أثبتته.

العدم، ويبقى دائماً إما في جنة عالية لا تفنى، وإما في هاوية لا تنقطع.

• ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ①

﴿أَحَدٌ﴾ دليل على أن الوجود الحقيقي الذي له تبارك وتعالى، وهو الوجود الذي يفيد وجود غيره ولا يستفيد الوجود من غيره ليس إلا له تبارك وتعالى.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ دليل على إثبات ذاته المنزه المقدس، والصمدية نفي، وإضافة نفي الحاجة عنه واحتياج غيره إليه، والأحادية، و﴿لَمْ يَكِلِدْ﴾ إلى آخر السورة سلب ما يوصف به غيره تعالى عنه. فلا طريق في معرفة ذات الله تعالى أين وأوضح من سلب صفات المخلوقات عنه.

* سُورَةُ الْفَلَقِ *

• ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ ①

١٣٠٠ - في نوادر التفسير عن ابن عباس ؓ: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ قال: قيام الذكر.

• ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ ①

١٣٠١ - إن الله أمر بالاستعاذة من شر الحاسد، فقال: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، كما أمر بالاستعاذة من شر الشيطان الرجيم والساحر.

فانظر كم له من الشر والفتنة حتى أنزله منزلة الشيطان والساحر، حتى أن لا مستعان عليه ولا مستعاذ إلا بالله رب العالمين.

* سُورَةُ النَّاسِ *

• ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ ①

١٣٠٢ - ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾: إن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم؛ إذا ذكر الله تعالى خنس، وإذا غفل وسوس.

١٣٠٣ - قال مجاهد في معنى قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ ① قال: هو منبسط على القلب، فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض، وإذا غفل انبسط على القلب، فالتطارد بين ذكر الله تعالى خنس وانقبض، وإذا غفل انبسط على القلب، فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام والليل والنهار، ولتضادهما قال الله تعالى: ﴿أَسْتَحْذَرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩].

الفهارس

- ١ - فهرس التفسير.
- ٢ - فهرس الآيات المفسرة.
- ٣ - فهرس الآيات المستشهد بها داخل المتن.
- ٤ - فهرس القراءات.
- ٥ - فهرس الأحاديث.
- ٦ - فهرس الأعلام.
- ٧ - فهرس أسماء القبائل والشعوب والطوائف والجماعات ونحوها.
- ٨ - فهرس أسماء الأماكن والبلدان والمواضع.
- ٩ - فهرس القوافي.
- ١٠ - فهرس كتب الإمام الغزالي المذكورة في المتن.
- ١١ - فهرس كتب غير الإمام الغزالي المذكورة في المتن.
- ١٢ - فهرس المصادر والمراجع.



<u>الصفحة</u>	<u>السورة</u>	<u>الصفحة</u>	<u>السورة</u>
٢٣٠	الحج	٥٦	الفاتحة
٢٣٢	المؤمنون	٧٢	البقرة
٢٣٥	النور	١٠١	آل عمران
٢٤٣	الفرقان	١١٤	النساء
٢٤٤	الشعراء	١٣٥	المائدة
٢٤٧	النمل	١٤٦	الأنعام
٢٤٨	القصاص	١٥٦	الأعراف
٢٥٠	العنكبوت	١٦٤	الأنفال
٢٥٣	الروم	١٦٨	التوبة
٢٥٥	لقمان	١٨١	يونس
٢٥٦	السجدة	١٨٣	هود
٢٥٨	الأحزاب	١٨٤	يوسف
٢٦٠	سبا	١٨٨	الرعد
٢٦١	فاطر	١٨٩	إبراهيم
٢٦٣	يس	١٩٣	الحجر
٢٦٤	الصفافات	١٩٧	النحل
٢٦٦	ص	٢٠٣	الإسراء
٢٧٢	الزمر	٢١٣	الكهف
٢٧٥	غافر	٢١٧	مريم
٢٧٧	فصلت	٢٢٠	طه
٢٧٩	الشورى	٢٢٧	الأنبياء

٣٢٨ المزل	٢٨٢ الزخرف
٣٢٩ المدثر	٢٨٣ الدخان
٣٣٠ القيامة	٢٨٤ الجاثية
٣٣١ الإنسان	٢٨٥ الأحقاف
٣٣١ المرسلات	٢٨٦ محمد
٣٣٢ النبأ	٢٨٩ الفتح
٣٣٢ النازعات	٢٩١ الحجرات
٣٣٣ عبس	٢٩٤ ق
٣٣٧ الانفطار	٢٩٦ الذاريات
٣٣٧ المطففين	٢٩٩ الطور
٣٣٩ الانشقاق	٣٠٠ النجم
٣٤٠ البروج	٣٠١ القمر
٣٤٠ الطارق	٣٠٢ الرحمن
٣٤١ الأعلى	٣٠٤ الواقعة
٣٤١ الفجر	٣٠٧ الحديد
٣٤٢ الشمس	٣٠٨ المجادلة
٣٤٢ الليل	٣١٢ الحشر
٣٤٣ الضحى	٣١٥ المتحنة
٣٤٤ التين	٣١٥ الصف
٣٤٤ العلق	٣١٥ الجمعة
٣٤٥ القدر	٣١٨ المنافقون
٣٤٦ البينة	٣١٩ التغابن
٣٤٦ الزلزلة	٣٢٠ الطلاق
٣٤٦ العاديات	٣٢١ التحريم
٣٤٧ التكاثر	٣٢٣ الملك
٣٤٧ العصر	٣٢٤ القلم
٣٤٨ الهمة	٣٢٦ الحاقة
٣٤٨ الماعون	٣٢٧ المعارج
٣٤٩ الكوثر	٣٢٧ نوح
٣٤٩ النصر	٣٢٧ الجن

٣٥٢ الفلق	٣٥٠ المسد
٣٥٢ الناس	٣٥٠ الإخلاص

* * *



أرقام الآيات	اسم السورة	أرقام الآيات	اسم السورة
١٧٠ ، ١٦٩ ، ١٥٩		٧ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١	سورة الفاتحة
١٨٥ ، ١٨٠ ، ١٧٥		٣٣ ، ٣٢ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٣ ، ١٠	سورة البقرة
١٩٠ ، ١٨٧ ، ١٨٦		٦٠ ، ٥٧ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٣ ، ٣٤	
٢٠٠ ، ١٩٤ ، ١٩١		١٠٦ ، ٩٣ ، ٩٠ ، ٨٢ ، ٦٧ ، ٦٥	
١٢ ، ١١ ، ١٠ ، ٦ ، ٥ ، ٤	سورة النساء	١٢٧ ، ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٧ ، ١٠٩	
٢٣ ، ٢٢ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٥		١٥٠ ، ١٤٦ ، ١٤٤ ، ١٤٣ ، ١٢٩	
٣٥ ، ٣٤ ، ٢٨ ، ٢٥ ، ٢٤		١٧١ ، ١٦٥ ، ١٦٤ ، ١٥٧ ، ١٥٢	
٥٨ ، ٥٦ ، ٤٣ ، ٣٧ ، ٣٦		١٨٤ ، ١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٧٧ ، ١٧٢	
٨٢ ، ٧٩ ، ٧٧ ، ٦٥ ، ٥٩		٢٠١ ، ١٩٦ ، ١٩٥ ، ١٨٨ ، ١٨٧	
٩٥ ، ٩٢ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ٨٣		٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢١٨ ، ٢١٣ ، ٢٠٧	
١١٣ ، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ٩٧		٢٣٣ ، ٢٣٢ ، ٢٢٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٣	
١٢٣ ، ١٢٠ ، ١١٥ ، ١١٤		٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٠	
١٤٥ ، ١٤٠ ، ١٣٥ ، ١٢٩		٢٦١ ، ٢٦٠ ، ٢٥٨ ، ٢٥٧ ، ٢٥٥	
١٧٦ ، ١٧٤ ، ١٧١ ، ١٤٧		٢٧١ ، ٢٦٩ ، ٢٦٨ ، ٢٦٧ ، ٢٦٤	
٣٨ ، ٣٢ ، ٢٧ ، ٦ ، ٣ ، ٢ ، ١	سورة المائدة	٢٨٦ ، ٢٨٤ ، ٢٨٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٣	
٨٩ ، ٨٢ ، ٧٩ ، ٦٠ ، ٥٤ ، ٤٤			
١٠٨ ، ١٠٥ ، ١٠٠ ، ٩٥ ، ٩١			
١١٨ ، ١١٠			
٤٤ ، ٣٨ ، ٢٥ ، ١٩ ، ١٨ ، ٣	سورة الأنعام	١٧ ، ١٥ ، ١٤ ، ٨ ، ٧	سورة آل عمران
٧٥ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٥٢		٤٧ ، ٤٦ ، ٣١ ، ١٨	
٩٠ ، ٨٢ ، ٧٩ ، ٧٨ ، ٧٧ ، ٧٦		٧٩ ، ٧٥ ، ٦٨ ، ٥٢	
١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٠١ ، ٩٧ ، ٩١		١٠٣ ، ١٠٢ ، ٩٧	
١٢٢ ، ١١٥ ، ١١٠ ، ١٠٨		١١٠ ، ١٠٥ ، ١٠٤	
		١٢٨ ، ١٢٥ ، ١١٤	
		١٣٥ ، ١٣٤ ، ١٣٣	
		١٥٢ ، ١٣٩ ، ١٣٨	

٩٦، ٨٤، ٧٧، ٧٢، ٧١، ٦٩، ٥٤

سورة طه ٥، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ٢٢، ٢٩،

٣٠، ٣١، ٣٢، ٤٤، ٥٠، ٨٢

١١٥، ١٢١، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦

١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢

سورة الأنبياء ٧، ٢٢، ٢٣، ٣٠، ٥١، ٧٩

٨٠، ٨٧، ٩٨، ١٠١، ١٠٧

سورة الحج ١، ٥، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٢، ٣٤

٣٧، ٥٢، ٥٤

سورة المؤمنون ١، ٢، ٥، ٦، ١٠، ١١، ١٤

٥١، ٦٠، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣

١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١٦

سورة النور ٢، ٤، ٦، ٧، ٨، ٩، ٢٤، ٣٠

٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٤٠

سورة الفرقان ١٢، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٦٣، ٦٨

٦٩، ٧٢

سورة الشعراء ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦

٢٧، ٧٧، ٨٢، ٨٩

١٩٢، ١٩٣، ١٩٤

١٩٥، ٢١٤، ٢١٦

٢١٨، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢

سورة النمل ٨، ٢٩، ٤٠

سورة القصص ١٦، ٣٨، ٣٩، ٧٧، ٨٠

٨٣، ٨٨

سورة العنكبوت ١٤، ١٧، ٤٥، ٥٩، ٦٠

٦٥، ٦٨، ٦٩

سورة الروم ١، ٢، ٣، ١٥، ١٧، ٢٠، ٣٠

٣٩، ٤٠

سورة لقمان ٦، ١٣، ١٩، ٢٢، ٢٨

سورة السجدة ١٢، ١٦، ١٧، ٢٦

سورة الأحزاب ٨، ٢٣، ٣٥، ٤٩، ٥٣

٧١، ٧٢

سورة سبأ ١٠، ١٢، ١٣، ٢٤، ٤٧، ٥٤

١٢٥، ١٣٣، ١٤١، ١٤٥، ١٥٣

سورة الأعراف ٣، ٩، ١٠، ١٧، ٢٦، ٤٠

٤٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧

٧٥، ٨١، ١٠٠، ١٤٦

١٥٧، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٢

١٧٦، ١٧٩، ١٨٢، ١٩٩

٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٥

سورة الأنفال ٤، ٥، ١٧، ٢٢، ٢٩، ٣٣

٤١، ٤٦، ٤٩، ٦٠، ٦٧

سورة التوبة ٥، ١٤، ٢٤، ٢٥، ٢٨، ٢٩

٣٤، ٦٠، ٧١، ٧٢، ٧٥، ٧٦

٧٧، ٨٠، ١٠٣، ١٠٨، ١١١

١٢٢، ١٢٤، ١٢٦

سورة يونس ١٤، ١٨، ٢٦، ٤٩، ٦١

٦٨، ١٠١

سورة هود ١٥، ١٦، ٢٣، ٤٦، ٦٦

٨٨، ١١٢، ١١٣، ١١٦

سورة يوسف ٢، ٦، ٩، ١٧، ٢٠، ٣١

٤٠، ٥٥، ٨٢، ٨٣، ٩٨، ١٠٨

سورة الرعد ٦، ١٥، ١٧، ٢٢، ٢٨، ٣٩

سورة إبراهيم ٣، ٧، ٩، ١٧، ٢٤، ٢٥

٢٧، ٣٤، ٣٥، ٤٨، ٤٩

سورة الحجر ٢، ٩، ٢٢، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٤

٣٦، ٣٧، ٤٩، ٥٠، ٥٧، ٨٢، ٨٥، ٨٨

سورة النحل ٢٨، ٤٠، ٤٣، ٥٠، ٧٥، ٦٦

٦٧، ٧٥، ٧٦، ٩٠، ٩٧، ١٠١

١٠٥، ١٠٧، ١١١، ١٢١

١٢٣، ١٢٥، ١٢٦

سورة الإسراء ١، ١٣، ٢٣، ٢٥، ٢٩، ٣٥

٣٦، ٤٢، ٤٦، ٥٩، ٧٠

سورة الكهف ٧، ١٣، ١٤، ٢٨، ٢٩، ٣٦

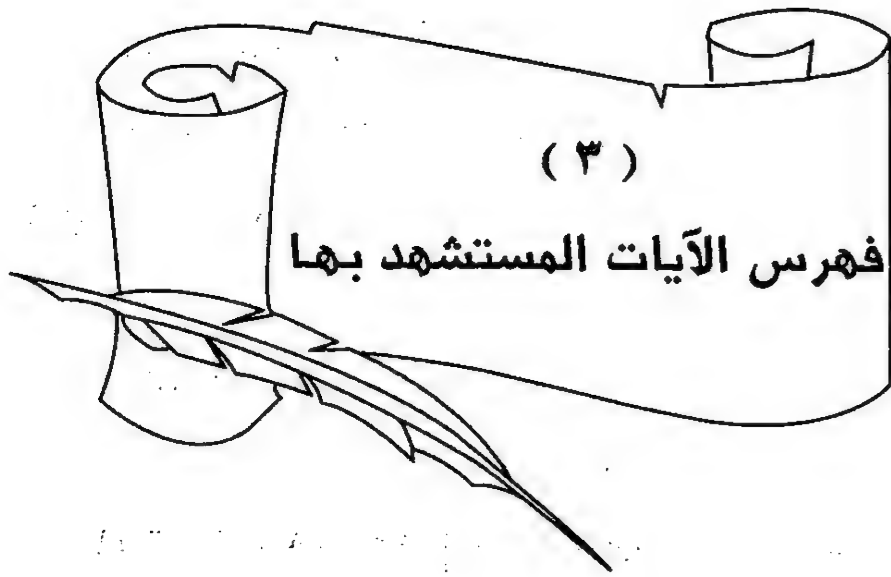
٤٩، ٦٥، ٧٠، ٨٤، ٩٨

سورة مريم ٤، ١٢، ١٥، ٢٥، ٣٣، ٤٣

سورة الرحمن ٥، ٧، ٨، ٩، ١٠، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٤٦، ٥٨، ٦٠، ٧٠، ٧٢
 سورة الواقعة ٢، ٣، ٧، ٨، ٩، ١٠، ٢٠، ٢١، ٢٨، ٣٠، ٣٤، ٣٧، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٢
 سورة الحديد ٣، ٤، ١٣، ١٤، ١٦، ٢٥
 سورة المجادلة ١، ٢، ٣، ٤، ١١، ١٢، ٢٢
 سورة الحشر ٢، ٧، ٩، ١٣، ١٦، ١٨، ١٩، ٢٣
 سورة الممتحنة ١٠
 سورة الصف ٢
 سورة الجمعة ٢، ٥، ٦، ٧، ٩، ١٠
 سورة المنافقون ١، ١١
 سورة التغابن ٨، ١٥
 سورة الطلاق ١، ٣، ٦، ٧، ١٢
 سورة التحريم ٣، ٤، ٦، ٨، ١٠
 سورة الملك ٢، ٨، ١٠، ١٣، ١٤، ١٥، ٢٢
 سورة القلم ١، ٤، ١١، ١٢، ١٣، ٣٠، ٤٢، ٤٤، ٤٩
 سورة الحاقة ١٢، ٢٤، ٣٥
 سورة المعارج ٢٩، ٣٠
 سورة نوح ١٣
 سورة الجن ٧، ١٢، ٢٦، ٢٧، ٢٨
 سورة المزمل ١، ٢، ٣، ٦، ٨، ٢٠
 سورة المدثر ٦، ٤٢، ٤٣، ٤٥
 سورة القيامة ٢، ١٨، ١٩، ٢٢، ٢٣، ٣٣
 سورة الإنسان ٢، ٨، ٩
 سورة المرسلات ٢٥، ٢٦
 سورة النبأ ٢٦
 سورة النازعات ٢، ١٣، ١٤، ٢٤، ٤٠، ٤١
 سورة عبس ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠

سورة فاطر ١، ٢، ٦، ١٠، ٢٨، ٢٩، ٤١
 سورة يس ٨، ١٢، ٥٥، ٧٠، ٧٨، ٧٩
 سورة الصافات ٦، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٥٣، ٩٦، ١٠٥، ١٣٠، ١٤٧
 سورة ص ١٠، ٣١، ٣٢، ٣٨، ٦٢، ٧١، ٧٢، ٧٦، ٧٧، ٨٢، ٨٣
 سورة الزمر ٣، ١٦، ٢٢، ٢٣، ٤٧، ٥٣، ٦٠، ٦٢، ٦٨، ٧٥
 سورة غافر ٣، ٤، ١٣، ١٦، ٣٦، ٤٦، ٥٦، ٦٠، ٦٢، ٦٨
 سورة فصلت ٩، ١١، ٣٠، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٥٣
 سورة الشورى ١٠، ١١، ١٣، ١٩، ٢٦، ٣٠، ٥١، ٥٢
 سورة الزخرف ٣١، ٣٢، ٣٥، ٥٨، ٨٧
 سورة الدخان ٢٣، ٢٩، ٣٨
 سورة الجاثية ٢١، ٢٣، ٢٩
 سورة الأحقاف ١٥، ٢٠، ٣٥
 سورة محمد ١٦، ١٧، ٣٧، ٣٨
 سورة الفتح ١، ٢، ٢٦، ٢٧، ٢٩
 سورة الحجرات ٣، ٦، ٩، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥
 سورة ق ٨، ١٩، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٧، ٣٣، ٣٥، ٣٧
 سورة الذاريات ٧، ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٣
 سورة الطور ١٥، ٢١، ٤٣
 سورة النجم ٢، ٣، ٥، ٦، ٧، ١١، ١٧، ٣٢، ٣٧، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢
 سورة القمر ١

سورة القدر ١	٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٢٢ ، ٢١
سورة البينة ٨	سورة الانفطار ١٤ ، ١٣ ، ٨ ، ٧ ، ٦
سورة الزلزلة ٧	سورة المطففين ٢٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ٦ ، ٣ ، ٢ ، ١
سورة العاديات ١٠ ، ٥ ، ٤	سورة الانشقاق ١٧ ، ١٦
سورة التكاثر ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥	سورة البروج ٢٢ ، ١٥ ، ١٤ ، ٣
سورة العصر ٢ ، ١	سورة الطارق ٩
سورة الهمة ١	سورة الأعلى ١٩ ، ١٨ ، ١٦ ، ٣ ، ١
سورة الماعون ٥ ، ٤	سورة الفجر ٢٨ ، ٢٧
سورة الكوثر ٢ ، ١	سورة الشمس ٩ ، ٥
سورة النصر ٣ ، ٢	سورة الليل ٢٠ ، ١٩
سورة المسد ٤	سورة الضحى ١٠ ، ٧ ، ٥ ، ٢
سورة الإخلاص ٤ ، ٣ ، ١	سورة التين ٢
سورة الفلق ٥ ، ٣	سورة العلق ١٩ ، ٥ ، ٤ ، ٣
سورة الناس ٤	



الآية	رقمها	الصفحة
سُورَةُ الْفَاتِحَةِ		
﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾	٤	٦٤ ، ٦٣
﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾	٦	٦٧
سُورَةُ الْبَقَرَةِ		
﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾	٢	٢٧٤
﴿ قُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾	٦٠	٨٤
﴿ وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾	١١٧	١٣٤
﴿ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾	١١٨	١٩٦
﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ﴾	١٦٣	٣٥١
﴿ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾	١٦٤	٢٨٤
﴿ الَّذِي يَدْرُسُ عُقْدَةَ النِّكَاحِ ﴾	٢٣٧	١٠٢
﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ ﴾	٢٥٨	٢٠٣
﴿ لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾	٢٨٥	٢٢٩
سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ		
﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾	١٨	٩٤
﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ ﴾	٢٦	٩٤
﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾	٥٩	١٣٢
﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾	١٠٥	١٠٧
﴿ إِنَّمَا نُتِلِّي لَهُمْ لِيُذَكِّرُوا إِِنَّمَا ﴾	١٧٨	٣٢٦

سُورَةُ النِّسَاءِ

٢٣٥	٢٥	﴿ فَإِذَا أَحْيَيْنَ ﴾
١٢٧	١١٣	﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

١٣٩	٣٨	﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾
٣٠٥	٦٠	﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾
٧٥	١٢٠	﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

٢٨٤	٣٨	﴿ مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾
٢٨٤	٥٩	﴿ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾
١٥١	٧٥	﴿ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
٩٥	٨٣	﴿ وَبِذَلِكَ حُجِّتْنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

٢٦٩	١٣٦	﴿ فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾
٢٩٤	١٩٩	﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

١٦٤	١	﴿ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾
١٦٩	١٧	﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾
٣٠٥	٢٢	﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبِكْمُ ﴾

سُورَةُ التَّوْبَةِ

١٧١	٥٨	﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾
٢٩٦	٧٢	﴿ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾
١٧٦	١٠٣	﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾

سُورَةُ يُونُسَ

٧٤	١٨	﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ ﴾
----------	----	--

سُورَةُ هُود

٦٤	٦٩	﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ ﴾
٢٩٧	٦٩	﴿ فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ يَعْجِلُ خَبِيرُ ﴾
٦٦	١١٢	﴿ فَأَنْتَقِمَ كَمَا أَمَرْتُ ﴾
١٨٩	١١٤	﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ الْسَّيِّئَاتِ ﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

١٣٣	١٠٩	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا ﴾
-----------	-----	---

سُورَةُ التَّحِيلِ

١٣٣	٤٠	﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ ... ﴾
٨٩	٦١	﴿ وَلَوْ يَوَاحِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ ... ﴾
٩٧	٦٢	﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾
٢٧٥	١٢٥	﴿ وَجَدَلْتَهُمْ بِالْقِيَاسِ هِيَ أَحْسَنُ ﴾

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

٣٣٦	١٤	﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ ﴾
٢٦٧	٨٥	﴿ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾
٢١١	٨٥	﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾

سُورَةُ الْكَهْفِ

٢١٧	١٣	﴿ إِنَّمَا فَتِيَّةٌ عَامَسُوا بِرَبِّهِمْ ﴾
٢١٣	١٨	﴿ لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا ﴾
١٩٠	٢٩	﴿ وَإِنْ يَسْتَفِيسُوا يَفَافُوا بِمَاؤُ كَالْمُهْلِ ﴾
٢١٤	٤٩	﴿ يُؤْتِلُنَا مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ ﴾
١٩٥	٥٠	﴿ إِلَّا إِلَهٌ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾
٢١٥	٦٦	﴿ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتُ رُشْدًا ﴾
٢١٥	٧٨	﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾

سُورَةُ مَرْيَمَ

٣٤٧	١١	﴿ أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾
-----------	----	--

٢١٧	١٢	﴿وَأَيَّتَنُ الْخُكْمِ صَيِّبًا﴾
٦٧	٧١	﴿وَلَنْ يَمُوتَ إِلَّا وَارِدُهَا﴾

سُورَةُ طه

١٩١	٥٥	﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾
٢٢٨	١٢٥	﴿لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى﴾
١٨٢	١٣٠	﴿وَسَيَبْعُ بِمَحْمَدٍ رَّبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

٢١٧ ، ٢١٣	٦٠	﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ﴾
-----------------	----	--

سُورَةُ الْحَاجِّ

١٣٤ ، ١٣٣	٤٦	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾
-----------------	----	---

سُورَةُ التَّحْلِ

٧٥	٢٣	﴿وَأَوَيْتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾
----------	----	--------------------------------

سُورَةُ الْقَصَصِ

٢٨١	٧	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرًا مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾
-----------	---	--

سُورَةُ الْمُنَكُبُوتِ

١٧٥	٤٥	﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾
-----------	----	--

سُورَةُ الرُّومِ

٣٣٤	٢٠	﴿وَمَنْ عَابَتْهُ أَنْ خَلَقْنَا مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتَ بَشَرٌ تَنْشِيرُوتُ﴾
٩٦	٣٩	﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنْ ذِكْوَرٍ تُرِيدُوتُ وَجْهَ اللَّهِ﴾

سُورَةُ السَّجْدَةِ

٢٩٥	١٧	﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾
-----------	----	--

سُورَةُ الْأَحْزَابِ

٢٥٥	٣٥	﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾
-----------	----	---

سُورَةُ سَبِّحَا

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ﴾ ١٠ ٣١٨

سُورَةُ فَاطِر

﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ ٢ ٦٤

سُورَةُ يَس

﴿ سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴾ ٥٨ ٢٩٦

﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ ٧٧ ٣٣٤

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ٨٢ ٩٨

سُورَةُ ص

﴿ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ ١٨ ٣٤٧

﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيدِي ﴾ ٧٥ ١٣٢

سُورَةُ الزُّمَر

﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ ٩ ٢٨٨

﴿ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ ٥٣ ٣٤٤

سُورَةُ غَافِر

﴿ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ ﴾ ٥ ٢٧٥

﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴾ ١٣ ٢٨٨

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

﴿ تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ ٢٥ ٧٥

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

﴿ وَشَقُّوا مَاءَ حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ ١٥ ١٩٠

﴿ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ ﴾ ٣١ ٧٤

سُورَةُ الْفَتْحِ

﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ ٢٩ ٢٩٤

سُورَةُ وَ

- ﴿ تَبَصَّرْهُ وَذَكَرْهُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ ٨ ٢٨٨
 ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ ٣٧ ٣٢٦

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

- ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ٢١ ٢٠٩

سُورَةُ النَّجْمِ

- ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ ٣ ، ٤ ٢٧٤
 ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ ٤٢ ٢٦٦

سُورَةُ الْمُجَادِلَةِ

- ﴿ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ ١٤ ٢٦٩
 ﴿ أَسْتَخَوذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾ ١٩ ٣٥٣

سُورَةُ الْحَشْرِ

- ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ٤ ٣١٢

سُورَةُ الْقَلَمِ

- ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ ٤٨ ٣٢٦

سُورَةُ الْمُرْقِطِ

- ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ ٩ ٣٢٩

سُورَةُ الْمُذْثِّرِ

- ﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴾ ٢١ ٧٠

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

- ﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ قُلُوبٌ مِّن مَّعْيِ يَوْمَئِذٍ ﴾ ٣٧ ٣٣٥

سُورَةُ الْإِنشَانِ

- ﴿ هَذَا أَنَّى عَلَى الْإِنسَانِ ﴾ ١ ٣٣٤

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ ٣٥ ٣٢٥

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

﴿ فَأَمَّا مَنْ مَلَأَ ۝ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ ٣٧ ، ٣٨ ١٠٥

سُورَةُ الْأَعْلَى

﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ ٣ ٢٢٣

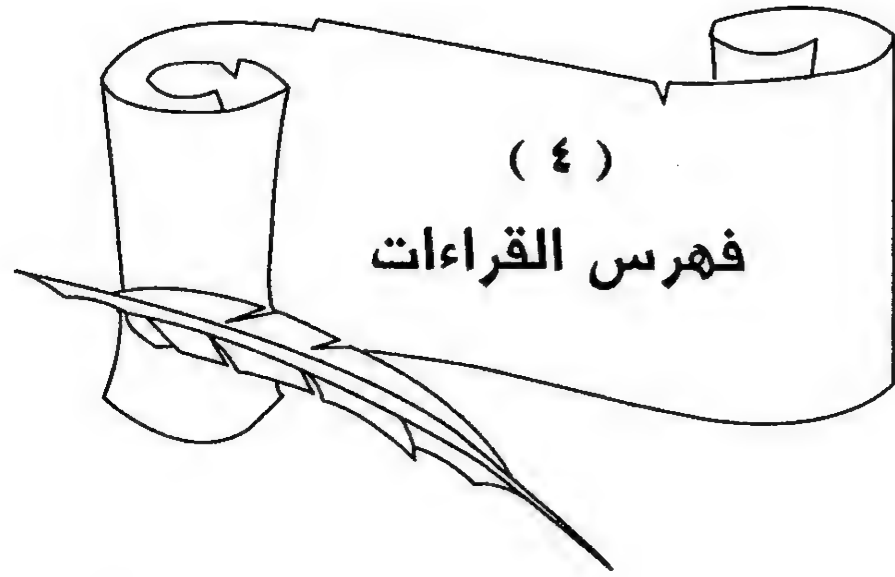
﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ ١٤ ٣٢٩

سُورَةُ الْبَلَدِ

﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عَيْنَيْنِ ﴾ ٨ ٣٣٤

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ١ ٩٤



<u>الصفحة</u>	<u>صاحبها</u>	<u>رقم الآية</u>	<u>القراءة</u>	<u>السورة</u>
١٣٨	ابن كثير وأبو عمرو وحمزة	٦	(وأرجلكم)	المائدة
١٤٢	ابن مسعود	٨٩	(فصيام ثلاثة أيام متتابعات)	المائدة
			(وما أرسلنا من قبلك من رسول)	الحج
٢٣٢	ابن عباس	٥٢	(ولا نبي ولا محدث)	
٢٣٩	ابن مسعود	٣٥	(مثل نوره في قلب المؤمن)	النور
٢٣٩	أبي بن كعب	٣٥	(مثل نور قلب من آمن)	النور
٢٧٤	رسول الله ﷺ	٥٣	(ولا يبالى إنه هو الغفور الرحيم)	الزمر
			(ألا تطفئوا في الميزان وأقيموا)	الرحمن
٣٠٢	عبد الله بن مسعود	٩ ، ٨	(الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان)	

* * *



طرف الحديث الراوي الصفحة

حَرْفُ الْأَلِفِ

٢٨٤	غير مذكور	أبغض إله عُبد في الأرض
١١٦	غير مذكور	أتبع السيئة الحسنة
١٩٦	غير مذكور	اتقوا فراسة المؤمن
١٥٨	غير مذكور	الإحسان أن تعبد الله
١٩٣	غير مذكور	إذا اجتمع أهل النار
١٤٧	عقبة بن عامر	إذا رأيتم الرجل يعطيه
٢٨٧	غير مذكور	إذا عظمت أمتي الدينار
٣٠٠	غير مذكور	أرأيت لو تفضضت
٣٣٠ - ١٣٠	غير مذكور	أعظم الناس خطايا
٨٨	غير مذكور	أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس
٢٠٣	غير مذكور	أفلا أكون عبداً شكوراً
٣٤٥	غير مذكور	أقرب ما يكون العبد
٢٩٣	غير مذكور	أكرمهم أكثرهم للموت ذكراً
٨٣	غير مذكور	ألا لا وصية لوارث
١٦٥	غير مذكور	اللهم أعطني نوراً
١٩١	البراء بن عازب	اللهم إني أعوذ بك
١٢٩	غير مذكور	اللهم هذا جهدي فيما أملك

١٧٧	غير مذكور	أنا أزيد على السبعين
٢٩٣	النعمان بن بشير	إن الدعاء هو العبادة
٧١	أبو هريرة	إن رسول الله ﷺ
٣٢٩	غير مذكور	إن صلاة المدل
٣٠٦	أبو هريرة	إن في الجنة شجرة
٢٨٩	غير مذكور	انكشف دخول مكة
٢٦١	غير مذكور	إن لربكم في أيام دهركم
٩٧	غير مذكور	إن الله طيب
١٥١	غير مذكور	إن لله سبعين حجابا
١٤٣	غير مذكور	إنما سمي المتقون
١٣٠	غير مذكور	إن للنعم أوابد كأوابد
٢٨٠	غير مذكور	إن الله خلق آدم
٨٣	غير مذكور	إن الله أعطى كل ذي حق حقه
٨٢	غير مذكور	إن الله تعالى أمر المؤمنين
٣٣٨	أبو هريرة	إن المؤمن
٢٧٢	غير مذكور	إن النور إذا دخل
٨٧	غير مذكور	إني آخيت بينكما
٦٢	غير مذكور	أول ما يدعى إلى الجنة الحمادون
٣٤٩	أنس	آية أنزلت علي
٩٢	غير مذكور	آية الكرسي سيدة القرآن
١٨٠	غير مذكور	الإيمان يزيد وينقص

حَرْفُ الْبَاءِ

٣٤٩	أنس	بينما أنا أسير في الجنة
-----	-----	-------------------------

حَرْفُ التَّاءِ

١٧١	عمر بن الخطاب	تبا للدينار، تبا للدينار
١٩٢	غير مذكور	تعمس عبد الدينار
٣٠٣	أبو سعيد الخدري	تنظر إلى وجهها في خدرها

حَرْفُ الشَّاءِ

ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى غير مذكور ١٠٤

حَرْفُ الْحَاءِ

حتى تذوق عسيلتها غير مذكور ٩١

الحج عرفة غير مذكور ٣٥٠

حشا الله قبورهم نازًا غير مذكور ١٢٧

حَرْفُ الْخَاءِ

خلق الخلق في ظلمة غير مذكور ٢٧٤

الخلق كلهم عيال الله غير مذكور ٢٩٨

خياركم كل مفتن تواب علي ١٠٩

خير الأمور أوساطها غير مذكور ٦٦

حَرْفُ الرَّاءِ

رأى رسول الله ﷺ جبريل غير مذكور ٣٠٠

الراكع منهم لا يسجد غير مذكور ٢٦٦

حَرْفُ الزَّايِ

الزاد والراحلة غير مذكور ١٠٦

زر غبًا تزدد حبًا عائشة ١١٣

حَرْفُ السِّينِ

سئل رسول الله ﷺ غير مذكور ٢٧٢

سبق درهم غير مذكور ٩٧

السمع أمانة غير مذكور ١٢٢

سيد الإدام اللحم غير مذكور ٧٧

حَرْفُ الشِّينِ

شيتيني هود وأخواتها غير مذكور ١٨٤ ، ١٨٣ ، ٦٦

حَرْفُ الصَّاد

صدق الله غير مذكور ٣١٩

حَرْفُ الْعَيْن

العاقل سعيد بن المسيب ٢٨٢

حَرْفُ الْغَيْن

غفر الله لك غير مذكور ١٢٩

حَرْفُ الْفَاء

فاتحة الكتاب غير مذكور ٥٦

في القلب لمتان غير مذكور ٩٧

حَرْفُ الْقَاف

قتل المسلم بالذمي غير مذكور ٣٠٩

قد يكون ذلك غير مذكور ٢٠١

قسمت الصلاة غير مذكور ٦٨

قل هو الله أحد غير مذكور ٣٥٠

قل: يقول لك محمد أبو رافع ٢٢٦

قوموا إلى الصلاة غير مذكور ٢٢٦

حَرْفُ الْكَاف

كان رسول الله ﷺ غير مذكور ١٣٧

كان ﷺ يقوم عائشة ٣٢٩

كل مولود يولد غير مذكور ٢٥٩

كيف بكم إن جمعكم الله عبد الله بن عمرو ٣٣٨

حَرْفُ اللَّام

لا بد للمؤمن من ذنب غير مذكور ١٠٩

لا تدخل الملائكة	غير مذكور ١٧٠
لا تنكح المرأة على عمتها	أبو هريرة ١١٩
لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب	غير مذكور ٦٩
لكل شيء دعامة	أبو سعيد الخدري ٣٢٣
لما أسرى بي دخلت	أنس ٣٠٤
لولا الشياطين يحرمون	غير مذكور ٢٥٩
لو نزل بلاء من السماء	غير مذكور ١٦٨
لا ومقلب القلوب	غير مذكور ١٥٤
لا يا رب أنت أرحم	غير مذكور ٣٢٢
لا يرث القاتل	أبو هريرة ١١٥
لا يرضى محمد وأحد من أمته	غير مذكور ٣٤٣
لا يزال عبدي يتقرب إلي	غير مذكور ١٤١
لا يقبل الله صدقة منان	غير مذكور ٩٦

حَرْفُ الْمِيمِ

ما بين الفراشين	أبو سعيد الخدري ٣٠٦
ما ضل قوم بعد هدى	غير مذكور ٢٨٣
ما لك من مالك إلا	غير مذكور ١٧٩
ما من عبد يذنب	أبو بكر ١١٠
ما من قوم عملوا بالمعاصي	أبو بكر ١٤٥
ما هذه الطهارة	غير مذكور ١٧٩
المؤمن في قبره	أبو هريرة ٢٢٥
المؤمن كالسنبلة	غير مذكور ١٠٩
من آتاه الله مالاً	أبو هريرة ١١١
من عرف نفسه	غير مذكور ٢٨٠
من فسر القرآن	غير مذكور ٢٨٨
من قال لا إله إلا الله	غير مذكور ١٥٣

١٢٩	غير مذكور	من كان له امرأتان
١٢٣	غير مذكور	من لم يرض بقضائي
٢٢٢	غير مذكور	من نام عن صلاة

حَرْفُ التُّون

٣٤٣	غير مذكور	نصف الليل الغابر
-----	-----------	------------------

حَرْفُ الْهَاءِ

٢٥٣	أبو بكر	هذا سحت
١٧١	أبو ذر	هم الأخسرون
١٠٢	غير مذكور	هم أهل الجدل
٢٧٢	غير مذكور	هو التوسعة
١٦٣	غير مذكور	هو أن تصل من قطعك

حَرْفُ الْوَاوِ

٢٥٥	غير مذكور	ولا أنقص من آخرتك
٣٣٢	معاذ	ولا تمزق الناس
٢٩٢	عائشة	والله ما أحب أني حاكيت
١٥٦	غير مذكور	وهذه سبل
١١٤	غير مذكور	ويل لمن قرأ

حَرْفُ الْيَاءِ

١٧٦	أبو أمامة	يا ثعلبة قليل
١٦٣	غير مذكور	يا جبريل ما هذا
٢٥١	ابن عمر	يا ابن عمر مالك
٢٥٦	مسروق عن عائشة	يا عائشة والذي
٢٠٤	غير مذكور	يا ابن مسعود
١٥٤	غير مذكور	يا مقلب القلوب

٣٤٣	جابر	يا فاطمة
٣٠٥	أبو أمامة	يخضد الله شوكه
٢٦٣	غير مذكور	يس قلب القرآن
١٩٠	أبو أمامة	يقرب إليه فيتركه
٢١٨	غير مذكور	يقول الله تعالى لآدم
٣٢٥	غير مذكور	يكشف الله عن
١٥٨	أبو هريرة	ينادي مناد



العلم	الصفحة
إبراهيم <small>عليه السلام</small> ٧٩، ٩٥، ١٠٦، ١٥٠، ١٥١، ٢٤٥، ٢١٨، ١٩٧، ١٩٢	
إبراهيم بن ميسرة ٢٤٤	
أبي بن كعب ٢٣٩	
الأحنف بن قيس ١٧٠	
إدريس <small>عليه السلام</small> ٢٦٥	
آدم <small>عليه السلام</small> ٧٥، ٧٦، ١١٢، ١٣٢، ١٩٣، ٢١٨، ٢٣٠، ٢٦٧، ٢٦٨، ٣٠٢	
آزر ٢٧٢	
إسرافيل ٢٧٥	
إسماعيل <small>عليه السلام</small> ٧٨، ٢١٨	
الأسود ٢٥٧	
الأشعري ٢٩١، ٣٣٩	
إلياس <small>عليه السلام</small> ٢٦٥	
أبو أمامة الباهلي ١٧٦، ١٩٠، ٣٠٥	
امرأة لوط ٣٢٣	
امرأة نوح ٣٢٣	
أنس ٢٥٧، ٢٧٨، ٣٠٤، ٣١٧، ٣٤٩	
الأوزاعي ١١٣، ٢١٤، ٢٦٤	
أويس القرني ١٢٥	
البخاري ٦٩، ٣٢٥	
العلم	الصفحة
البراء بن عازب ٨٦، ١٩١	
بلال ١١٣، ٢٦٧	
بلعام بن باعوراء ١٦١	
ثعلبة بن حاطب ١٧٦، ١٧٧	
جابر ٣٤٣	
جبريل <small>عليه السلام</small> ٨٧، ١٠٣، ١٩٧، ٢٢٨، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٩٣، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٣٠	
ابن جريج ١٥٩، ٣٠١	
جرير بن عبد الله البجلي ١٨١، ٢٢٦	
أبو جعفر محمد بن علي ٣٤٣	
الجنيد ٢٥٨	
الجويني ٢٠٤	
الحارث بن هشام ٢٩٣	
أبو حامد ٢٦٨	
ابن أبي حبيب ١٠٥	
حجة الإسلام ٢٦٨	
ابن الحداد ٦٤	
الحسن ٨٧، ٩٨، ١٢٢، ١٥٩، ٢١٧، ٢١٩، ٢٣٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٩	
..... ٣٢٦، ٣٤٨	

الصدیق (أبو بكر) ... ٦٠ ، ١١٠ ، ١٢٩ ، ١٤٥ ،
١٥٣ ، ٢٣٦ ، ٢٥٣
صهیب ٢٦٧
الصیدلانی ٥٧
الضحاک ٢٦٣
طاوس ٢١٦
أبو طالب ١٩٧
عائشة ١١٢ ، ٢١٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ،
٢٥٥ ، ٢٥٦
العاص بن وائل ٢١٩
أبو العالیة ٣٤٨
ابن عامر ١٣٣ ، ١٣٤
ابن عباس ٥٨ ، ٥٩ ، ٧٣ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ٩٨ ،
١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٦ ، ١٢٦ ،
١٢٧ ، ١٣٥ ، ١٦١ ، ١٨٧ ،
١٨٩ ، ١٩٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،
٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ،
٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ،
٢٩٣ ، ٣٠١ ، ٣١١ ، ٣١٢ ،
٣٢١ ، ٣٥٢
عبد الله بن جراد ٢٠١
عبد المطلب ٣١٢
عبید بن عمر ١١٢
أبو عیدة ٨٦
عثمان ٥٨ ، ٥٩ ، ١١٧ ، ١٧٧
عطاء ١١٢ ، ٢٤٣
عقبة بن عامر ١٤٧
عكرمة ١٠٥ ، ١١٩
علي ٥٨ ، ٦٢ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ١٠٩ ، ١١٧ ،
١٩٢ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٣٣٨
عمار ٢٦٧

أبو الحسن ١٠١
الحسن بن علي ٣١٩
خالد بن أسید ٢٩٣
خباب بن الأرت ٢١٩
الحضر ١٩٩
داود ٢٠٨ ، ٢٢٨
أبو ذر الغفاري ٨٣ ، ١٧١
ذو القرنین ٢١٥
ذو النون ٢٣٨
أبو رافع ٢٢٦
زكرياء ٢١٧
ابن أبي زياد ٢٥٦
زيد بن أسلم ١٩٠
زيد بن عمرو بن نفیل ١٢٥
سیبويه ٦٤ ، ١٠٦ ، ١٣٣
سعيد بن المسيب ٢٠٧ ، ٢٨٢
أبو سعيد الخدري ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٢٣
أبو سعيد المیهني ١٤١
أبو سفیان ٩١
سفیان بن عینة ٧٤ ، ٩٦ ، ١٩٦
سفیان الثوري ١٠٤ ، ٢٧٤
سلمة بن صخر ٣٠٨
سليمان ٢٢٨
أبو سليمان الداراني ٧٧ ، ٢٤٥
السليمي ١٧٦ ، ١٧٧
سهيل بن عمرو ٢٩٣
الشافعي ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٩١ ،
٩٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٦٧ ،
٢٣٨ ، ٣٢٠
ابن شريح ٢٩١

مسروق ٢٥٥	عمر ٨١، ٨٦، ١٦٨، ١٧١، ١٧٧
مسطح بن أثانة ٢٣٦	٢٣٦، ٢٤٨، ٢٨٢
ابن مسعود ٦١، ٨٦، ١٤٢، ١٥٦، ٢٠٤	ابن عمر ٢٥١
٢٣٠، ٢٣٩، ٢٤٤، ٢٥٥	عيسى <small>عليه السلام</small> ٤٦، ٧٦، ١٠٦، ١٣١
٢٥٧، ٢٦٥، ٣٠٢، ٣٢٠، ٣٣٩	٢١٨، ٢٣٧
أبو مسعود الثقفي ٢٨٢	الفارسي ١٣٢
المسيح <small>عليه السلام</small> ١٠٣، ٢٢٩	فاطمة ٣٤٣
المقداد ٢٦٧	فرعون ١٢٦، ٢٢٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٨
ابن أم مكتوم ١٢٦، ٣٣٣	٢٧٦، ٣٣٢
موسى <small>عليه السلام</small> ١٠٣، ١٤٠، ١٥٢، ١٥٣	الفضيل ٢٨٧
١٩٩، ٢١١، ٢١٥، ٢٢١	قارون ٢٤٩
٢٢٢، ٢٢٣، ٢٤٥، ٢٤٨	قتادة ٥٧، ١٨٩، ٢٣٠، ٢٥٥، ٢٨٢
ميكائيل ٨٧، ١٩٧	٣٠٢، ٣٢٩، ٣٣٨
ميمون بن مهران ٣٣٩	القاضي ٥٨، ٥٩، ١٦٦، ٢٠٦، ٢١٠
النخعي ٢٥٥	٢٩١، ٣١٠
النعمان بن بشير ٢٧٦	قس بن ساعدة ١٢٥
النمرود ٩٥	الكرخي ٨٤
نوح <small>عليه السلام</small> ١٦٣، ٢٧٢، ٢٨٠	الكسائي ١٣٢
هامان ٢٤٨	كعب ٣٣٨
أبو هريرة ٣٢، ١٤٧، ١٥٨، ٢٢٥	لقمان ١١٦
٢٨٢، ٣٠٦، ٣٣٨	مالك ٥٥، ٥٧، ٧٤، ٢٢٠
وهب ١٢٠، ٢٤٨	المتنبي ٦٤
يحيى <small>عليه السلام</small> ٢١٧	محمد ابن الحنفية ١٩٦
يحيى بن كثير ٢٥٣	مجاهد ١٠٤، ١٠٦، ١١٦، ١١٩، ١٧٧
يعقوب <small>عليه السلام</small> ١٨٧	٢٤٤، ٢٦٢، ٣٣١، ٣٤٨
يوسف <small>عليه السلام</small> ١٨٥، ١٨٧	الزني ٦٨، ٦٩
يونس <small>عليه السلام</small> ٢٢٩، ٣٢٦	

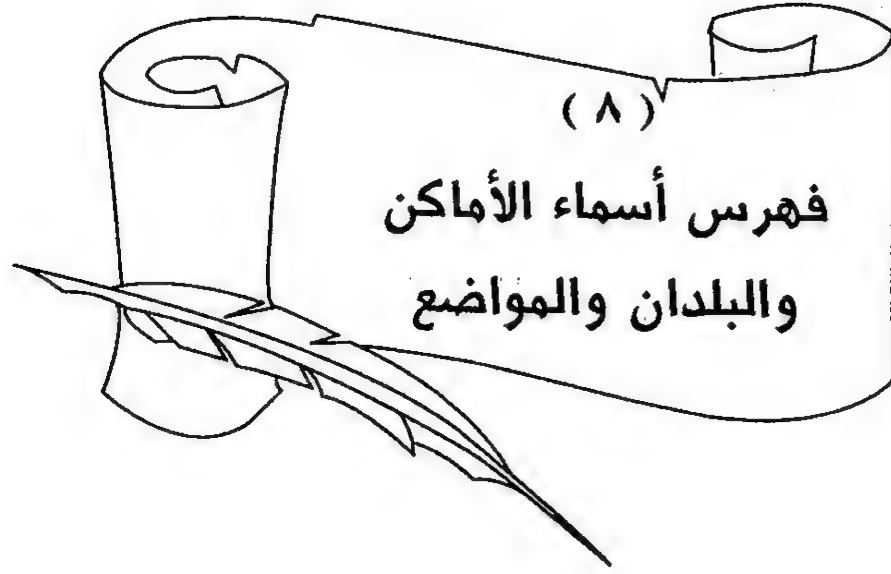


الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
الآباء	٢٥٥	بنو أمية	١٦٦
الأبالسة	٢٤٧	الإنس	٢٦٥ ، ٢٤٧
أجلاف الأعراف	٢٩٣	أهل البدعة	١٨١
أجلاف العامة	٣٢٨	أهل جهنم	٢٦١
بنو آدم	٢٥٩	أهل العراق	٣٤٤
الأشعرية	٢٣١	أهل العرفان	٣١١
أصحاب بئر معونة	١٠٨	أهل قباء	١٧٩
أصحاب الظاهر	٨٤	أهل القبلة	١٩٣
أصحاب الكهف	٢١٣	أهل الكتاب	١٣٦
الأصوليون	٢٠٤	أهل الوجدان	٣١١
الأعاجم	٢٩٣	أهل اللغة	٢٠٧
الأعراب	٣٥١	أهل النار	٣٢٧
أعوان الظلمة	٢٦٥	أولو العزم	٢٥٦
آل البيت	٣٤٤	الأولياء	٣١١
آل محمد	٢٥٦	تأويل	٢٣٠
الإمام	٢٣٥	التابعون	٢١٦
الأمة	٣٠٨ ، ٢٤٨	الجبايرة	٢٤٨
الأموات	٢٧٦	الجيش	١٦٥
الأمهات	٢٥٥		
الأنبياء	٦٧ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ١٢٥		

٣١٦، ٣١١، ٢٤٩	حملة العرش ٢٦١، ٢٦٠
٣١٦ علماء اليهود	٢٨٥ الخلائق
٣٠٨ العموم	٢٣٥ الخلق
٢٩١، ١٣٩، ١٢١، ٦٨ الفقهاء	١٩٤ الحنبلية
٢٠٠، ١٣٢، ٩٧، ٦٠ القراء	٢٧٤ الرجال
١٣٥، ١٢٣ القدرية	٢٩٨، ٢٧٨، ٢٤٧ الروحانيون
٣٣٣، ٢٨٢، ١٧٠، ١٤٧ قريش	٢٢٤، ٢٠٨، ١١٤، ٩٢، ٧٦ الرسل
١٩٤ الكرامية	١٤٢ الرهبانيون
١٣٦، ١٣٥، ٨٦، ٨٥، ٦٨، ٦٧ الكفار	٥٧ الروافض
١٧٤، ١٨٩، ١٩٣، ٢١٤، ٢٤٤	٢٥٣ الروم
٢٩٠، ٢٨٢، ٢٥٤	٢٦٣، ٢٣٣، ١٣٦، ٧٢ السلف
٢٥٨ الكافرات	١٧٦ بنو سليم
٢٣٠ مأجوج	٢٣٠ شاريت
٢٩١، ٢٦٤، ٢٢٧، ٧٣ المتكلمون	٣١٢ بنو عبد شمس
٣١٣ المرتزة	١١١، ٦٧ الشهداء
٣١٣، ٣١١ المساكين	٢٥٩، ٢٤٧ الشياطين
١٩٣، ١٧٦، ١٤٩، ١٢٧ المسلمون	١٣٨ الشيعة
٣١٢، ٣١١، ٢٥٥، ٢٢٤	٦٧ الصابئون
٣٤٧، ٢٥٣، ١٠٨ المشركون	٢٥٨ الصادقون
١٦٦ بنو عبد المطلب	٦٧ الصالحون
٢٥٥ المعلمون	١٦٩، ١٠٠، ٨٤، ٦٠، ٥٨ الصحابة
٢٩٥، ٢٢٢، ٢١٦، ٢٠٠، ٧٢ المفسرون	٣٨٠، ٢٩٠، ٢٥٣
٣٤٧، ٣٢١، ٣٠٧	٢٣٦، ٦٧ الصديقون
٣٣٩ المقربون	٣٢٩، ٨٢ الصوفية
١١٢، ٨٧، ٧٦، ٧٥، ٧١، ٧٠ الملائكة	٢٦٥ الظلمة
١٩٥، ١٩١، ١٨٦، ١٧٠، ١٦٢	٢٩٩، ٢٩٨ العباد
٢٦٥، ٢٤٧، ٢٢٩، ٢١١، ٢٠٩	٧٠ العراقيون
٣٣٦، ٣١٥، ٣٠٢، ٢٩٧، ٢٨١، ٢٧٨	٢٩٢، ٢٥٠، ١٢٢، ٩٦، ٧٢ العرب
٣٢٨ الملوك	٣٤٢، ٣٤١، ٣١١
٢٨٩ الممالك	١٢٣، ١١٢، ١١١، ١١٠، ٩٠ العلماء
٣٣٠ منسك	١٩٨، ١٦١، ١٤٤، ١٤٣، ١٣٦
٢١٠، ١٤٩، ١٢٨، ١٢٧، ١١٠ المؤمنون	

٢٢٣	الوزراء	٣٢٤ ، ٣١١ ، ٢٨٩ ، ٢١١	
٢٣٠	يأجوج	٢٥٤	الناس
٣١٦ ، ٢٢٩ ، ٨٠ ، ٦٧	اليهود	٢٣٦ ، ٨٠ ، ٦٧	النصارى
٢٢٦	يهود خير	٣١٢	بنو نوفل
		٣١٢ ، ١٦٦	بنو هاشم

* * *



الصفحة

الاسم

١٧٦	جهينة
٣٠١	حمير
٢٤٨	الشام
٣٤٤	طور سيناء
١٧٩	قبا
٢٩٣ ، ٢٣١	الكعبة
٢٨٩ ، ٢٣٠	مكة
٣٤٤	العراق



<u>الصفحة</u>	<u>القافية</u>	<u>بداية البيت</u>
٢٤٥	الكتائب	ولا عيب فيهم...
٢١٨	سبب	ولو شاء أجنبي الجذع...
١٠٩	المهذب	ولست بمستبق...
٢١٨	الرطب	ألم تر أن الله...
١٣٤	غريب	إذا نطقت...
١٦٢	القدر	أحسن ظنك...
١٦٢	القدر	وسألتك الليالي...
٢٣٨	المنظر	وأنت إذا أرسلت...
٢٤٥	العيس	وبلدة ليس بها..
٢٧٧	مهرق	قد استوى بشر...
٩٩	التجمل	ولا عار إن زالت...
١١٥	ظلم	فمن منح الجهال...



الصفحة

اسم الكتاب

٦٦ ، ٦٥ ، ٦٤ ، ٦٢	الإحياء
١٢٨	تهذيب الأصول
٢٠٢ ، ٦٠	حقيقة القرآن
٢٠٢	القسطاس المستقيم
٢٨٧	قواعد العقائد
٢٤٠	مشكاة الأنوار
٩٤	المقصد الأسنى

* * *



<u>الصفحة</u>	<u>صاحبه</u>	<u>اسم الكتاب</u>
٢٣٨ ، ٩١	الإمام الشافعي	أحكام القرآن
٧١	الإمام أبو بكر الباقلاني	التقريب
١٨٢	البخاري ومسلم	الصحيحان
٦٤	ابن الحداد	الفروع
١٨٥	الزمخشري	الكشاف

* * *



- القرآن الكريم.

حَرْفُ الْأَلِفِ

- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للعلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) الشهير بمرتضى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٩ هـ/١٩٨٩ م).
- الإتيقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) المكتبة الثقافية، بيروت (١٩٧٣ م).
- الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي (٤) دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة (١٩٨٦ م).
- الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان (ت ٣٥٤ هـ) ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩ هـ) قدم له وضبط نصه كمال يوسف الحوق، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ/١٩٨٧ م).
- أحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) جمعه الإمام الكبير الحافظ البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، عرف بالكتاب وكتب مقدمته محمد زاهد بن الحسن الكوثري، وكتب هوامشه الشيخ عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م).
- أحكام القرآن، لأبي بكر بن العربي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد عبد القادر عطا - دار الفكر - دار الكتب العلمية (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٤ م).
- إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) دار الفكر، الطبعة الثالثة (١٩٩١ م).
- الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار لموفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ) تحقيق/ د. علي نويهض دار الفكر بيروت (١٩٧١ م).
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) تحقيق / علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر بالقاهرة دون تاريخ.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) دار الفكر، بيروت (١٣٩٠ هـ/١٩٧٠ م).
- أصول التفسير، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق/ فريال علوان، دار الفكر، الطبعة الأولى (١٩٩٢ م).
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ). دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ.
- أصول التفسير وقواعده للشيخ عبد الرحمن العك، دار النفائس، الطبعة الثالثة (١٤١٤ هـ/١٩٩٤ م).

- الأعلام للزركلي دار العلم للملايين، لبنان، الطبعة السابعة (١٩٨٦ م).
- إجماع العوام عن علم الكلام، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٤) دار الكتب العلمية، طبع (١٩٨٦ م).
- الإملاء عن إشكالات الإحياء للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) ملحق بالجزء الخامس من كتابه الإحياء، دار الفكر، الطبعة الثالثة (١٩٩١ م).
- أيها الولد، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) حققها وعلق عليها وقدمها بمبحث عن آداب المتعلم والعالم علي محيي الدين علي القرعة داغي، طبعة دار الاعتصام (١٩٨١ م).

حَرْفُ الْبَاءِ

- بداية الهداية، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٥) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٨٨ م).
- البرهان في علوم القرآن، لمحمد الزركشي (ت ٧٤٩ م) تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر، الطبعة الثالثة (١٤٠٠ هـ - ١٩٩٠ م).
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت (١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م).

حَرْفُ التَّاءِ

- تاريخ بغداد، للحافظ الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت.
- التبر المسبوك في نصيحة الملوك، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) دراسة وتحقيق / د. محمد أحمد، دمج المركز الإسلامي للبحوث، الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م).
- تذكرة الحفاظ، لأبي عبد الله شمس الدين (ت ٧٨٤ هـ) تحقيق / عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار إحياء التراث العربي، مكتبة الحرم المكي بمكة المكرمة (١٣٧٤ م).
- ترتيب المدارك، للقاضي عياض، تحقيق / مجموعة من الأساتذة، طبعة وزارة الأوقاف المغربية، مطبعة فضالة المحمدية.
- تعريف الأحياء بفضائل الإحياء، للعلامة عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدوسي (ت ١٠٣٨ هـ) ملحق بالجزء الخامس من كتاب الإحياء، دار الفكر، الطبعة الثالثة (١٩٩١ م).
- تفسير الإمام مالك جمع وتحقيق وتقديم، المنشور خطأ: الإمام مالك مفسراً لحמיד لجر، دار الفكر، بيروت (١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م).
- تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر - الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، دون تاريخ.
- تفسير الحسن البصري، جمع وتوثيق ودراسة للدكتور محمد عبد الرحيم، دار الحديث، القاهرة - دار الحرمين للطباعة (١٩٩٢ م).
- تفسير الفخر الرازي، للإمام محمد الرازي (ت ٦٠٤ هـ) دار الفكر، دون تاريخ.

- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) كتب هوامشه وضبطه حسين ابن إبراهيم زهران، دار الفكر (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن محمد بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) تحقيق / مجموعة من الأسانذة، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- تهذيب الأسماء واللغات لمحيي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) إدارة الطباعة، المنيرة، مصر دون تاريخ.
- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى (١٣٢٥هـ).
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) دار الفكر: (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- الجامع الصحيح للترمذي: سنن الترمذي.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) تحقيق/ محمد السقا، دار الفكر، بدون تاريخ.
- الجامع الصغير، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) دار الفكر، بيروت.

حَرْفُ الْحَاءِ

- الحكمة في مخلوقات الله ﷻ، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (١) دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة (١٩٨٦م).
- جواهر القرآن ودرره، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

حَرْفُ الْخَاءِ

- خلاصة التصانيف في التصوف، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٨٦م).

حَرْفُ الدَّالِ

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (ت ٩١١هـ) دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) دار الكتب العلمية، بيروت طبعة (١٩٨٦م).
- درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) تحقيق / د. محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية.
- دقائق التفسير لابن تيمية جمع وتحقيق وتقديم / د. الجليند، الطبعة الأولى (١٩٧٨م) القاهرة.

حَرْفُ الرَّاءِ

- الرد الجميل للإلهية عيسى بصريح الإنجيل، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) تقديم وتحقيق وتعليق/ د. محمد عبد الله الشرقاوي، دار الهداية، مصر، الطبعة الثانية (١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م).
- الرسالة اللدنية، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٣) دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة (١٩٨٦ م).
- الرسالة الوعظية، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٤) دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة (١٩٨٦ م).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) دار الفكر بيروت (١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧ م).
- روضة الطالبين وعمدة السالكين، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي (٢) دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٨٦ م).

حَرْفُ اللَّيْنِ

- سر العالمين وكشف ما في الدارين، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) مطبوع ضمن رسائل الإمام الغزالي رقم (٦) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م).
- سنن الترمذي: الجامع الصحيح (ت ٢٧٩ هـ) حققه وصححه عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت- الطبعة الثانية (١٤٠٣ هـ/ ١٩٩٣ م).
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة: تخريج محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة (١٣٩٨ هـ).
- سنن أبي داود (ت ٢٧٥ هـ) تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دون تاريخ.
- سنن ابن ماجه (٢٠٧ - ٢٧٥ هـ) حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت.
- سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي، دار الجيل، بيروت (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)، دار الحديث، القاهرة (١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م).
- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٦٧٣ هـ) أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة (١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م).

حَرْفُ الشَّيْنِ

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلح عبد الحي بن عماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) دار الفكر (١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٨ م).
- شعب الإيمان: للبيهقي: تحقيق / أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى (١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م).

- شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، تحقيق د. محمد الكبيسي، مطبعة الرشاد، بغداد (١٣٩٠هـ/١٩٧١م).

حَرْفُ الصَّادِ

- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد البخاري دار الفكر، بيروت.
- صحيح البخاري بشرح ابن حجر العسقلاني = الفتح.
- صحيح ابن خزيمة، لابن خزيمة (ت ٣١١هـ) حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له د. محمد الأعظمي، المكتب الإسلامي.
- صفة الصفوة، لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تحقيق/ محمود فاخوري، خرج أحاديثه د. محمد رواس قلعة، دار المعرفة، بيروت.
- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (ت ٢٦١هـ) دار الفكر، بيروت.
- صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، بيروت (١٤٠١هـ/١٩٨١م).

حَرْفُ الطَّاءِ

- طبقات الحفاظ، للسيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق/ علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).
- طبقات ابن الخياط: كتاب الطبقات.
- طبقات الشافعية الكبرى، لتقي الدين السبكي، دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت الطبعة الثانية.
- الطبقات الكبرى، لابن سعد، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر (١٣٩٠هـ/١٩٦٠م).
- طبقات المفسرين، للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي (ت ٩٤٥هـ) راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- طبقات المفسرين، للسيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

حَرْفُ الْغَيْنِ

- غاية النهاية في طبقات القراء، لأبي الخير محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ) عنى بنشره م. بجستراس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).
- الغزالي: للدكتور أحمد الشرباصي، دار الجليل، بيروت، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

حَرْفُ الْفَاءِ

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن حجر العسقلاني رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قرأ أصله تصحيحاً وتحقيقاً وأشرف على مقابلة نسخه المطبوعة والمخطوطة: عبد العزيز بن عبد الله ابن باز، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- فتح القدير الجامع بن فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، عالم الكتب.
- الفرق بن الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، لعبد القاهر البغدادي منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت الطبعة الرابعة (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).
- فضائح الباطنية أو كتاب المستظهري، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) حققه وقدم له. د. عبد الرحمن بدوي، الدار القومية، طبعة (١٩٦٤م).
- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٣) دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة (١٩٨٦م).

حَرْفُ الْقَافِ

- القسطاس المستقيم، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٣) دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة (١٩٨٦م).
- قواعد العقائد في التوحيد، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة (١٩٨٦م).

حَرْفُ الْكَافِ

- كتاب الأربعين في أصول الدين، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) علق عليه / محمد محمد جابر، كتب المقدمة وترجم للمؤلف ونوه بالكتاب محمد مصطفى أبو العلاء، مكتبة الجندي، القاهرة، طبعة (١٩٦٣م).
- كتاب المستظهري، للإمام أبي حامد الغزالي: فضائح الباطنية.
- كتاب الوفيات، لأبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني تحقيق / عادل نويهض دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الرابعة (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
- الكشف عن الحقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ) دار الرشد الحديثة - دار الفكر، بيروت.
- كيمياء السعادة، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٥) دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة (١٩٨٨م).
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين البرهاني فوزي (ت ٩٧٥هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت (١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).

حَرْفُ اللَّامِ

- اللامعقول وفلسفة الغزالي لمحبي الدين غزوز، الدار العربية (١٩٨٨م).
- لسان العرب، لابن منظور، دار الفكر، بيروت، ودار صادر، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).
- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، جمعه محمد فؤاد عبد الباقي، راجعه / د. عبد الستار أبو غدة، المطبعة العصرية بالكويت (١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م).

حَرْفُ أَلِيمٍ

- مدخل السلوك إلى منازل الملوك، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) تحقيق / محمد رياض المالح، مطبعة العلم، دمشق، الطبعة الأولى (١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م).
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح بن جني (ت ٣٩٢ هـ) تحقيق / علي النجدي ناصف والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة (١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م).
- محك النظر، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) تحقيق وضبط وتعليق / د. رفيق العجم، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى (١٩٨٤ م).
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦ هـ) تحقيق / مجموعة من العلماء، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٨ هـ/١٩٨٢ م).
- المستصفي من علم الأصول، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) دار الفكر، بيروت.
- مشكاة الأنوار للإمام أبي حامد الغزالي، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٤) دار الكتب العلمية بيروت (١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م).
- المضمون به على غير أهله، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام أبي حامد الغزالي رقم (٤) دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة (١٩٨٦ م).
- معارج القدس في مدارج معرفة النفس، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) منشورات دار الآفاق الجديدة، الطبعة الرابعة (١٩٨٠ م).
- معارج القدس في مدارج معرفة النفس، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٩ هـ/١٩٨٥ م).
- المعارف العقلية للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) حققه وقدم له عبد الكريم العثمان، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى (١٣٨٣ هـ/١٩١٥ م).
- معاني القرآن، لأبي زكرياء الفراء (ت ٢٠٧ هـ) تحقيق/ أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- معجم البلدان، لشهاب الدين ياقوت الحموي الرومي البغدادي، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر (١٣٧٤ هـ/١٩٥٥ م).
- المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سلمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة وعن مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد، رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ونشره د. أ. ي رنسك. مكتبة بريد في مدينة ليدن (١٩٣٦ م).
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، الطبعة الثالثة (١٤١٢ هـ/١٩٩٢ م).

- معراج السالكين، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (١) دار الكتب العلمية، بيروت طبعة (١٩٨٦م).
- معيار العلم في المنطق، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) طبعة دار الأندلس (١٩٨٣م).
- المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، للعلامة: زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم ابن الحسين العراقي (ت ٨٠٦هـ) بذيّل كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) دار الفكر، الطبعة الثالثة (١٤١١هـ/١٩٩١م).
- مقارنة بين الغزالي وابن تيمية، للدكتور محمد رشاد سالم، دار القلم، الدار السلفية (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).
- مقاصد الفلاسفة أو مقدمة تهافت الفلاسفة، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) تحقيق / سليمان دنيا، دار المعرفة، طبعة (١٩٦١م).
- مقدمة في أصول التفسير، لشيخ الإسلام ابن تيمية، عرض موجز لاتجاهات أشهر التفاسير، لأبي حذيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث بمصر الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م).
- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) دراسة وتحقيق / محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن، القاهرة، طبعة (١٩٨٥م).
- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب المختصر من مكاشفة القلوب الأكبر المنسوب للإمام الغزالي، المطبعة العامرة الشرقية، الطبعة الأولى (١٣٢٣م).
- الملل والنحل، للإمام أبي حامد الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني بهامش الفصل في الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم (ت ٥٤٨هـ) دار الفكر (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).
- المنخول من تعليقات الأصول، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) تحقيق / محمد هيتو، دار الفكر دمشق (١٩٨٠م).
- المنقذ من الضلال، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) تحقيق / د. عبد الحليم محمود مع تقديم في قضية التصوف، دار المعرفة، طبعة (١٩٨٨م).
- منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) تحقيق / د. محمد حلاوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
- موارد الظمآن لابن حبان.
- موطأ الإمام مالك (ت ١٧٩هـ) برواية يحيى بن يحيى بن كثير الليثي الأندلسي، علق عليه في دراسة مقارنة مع فقه الإمام أحمد بن حنبل: د. سعيد اللحام، دار الفكر، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
- مؤلفات الغزالي، للدكتور عبد الرحمن بدوي، مطابع دار القلم، بيروت، وكالات المطبوعات، الكويت، الطبعة الثانية (١٩٧٧م).
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٦٧٣هـ) تحقيق / علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى (١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م).
- ميزان العمل، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) حققه وقدم له د. سلمان دنيا، سلسلة ذخائر العرب (٣٨) دار المعارف بمصر (١٩٦٥م).

حَرْفُ النَّونِ

- نصوص المصطلح النقدي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، للدكتور الشاهد البوشيخي، دار الفكر، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).
- نصيحة من الإمام الغزالي، للإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ) دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥).

حَرْفُ الْوَاوِ

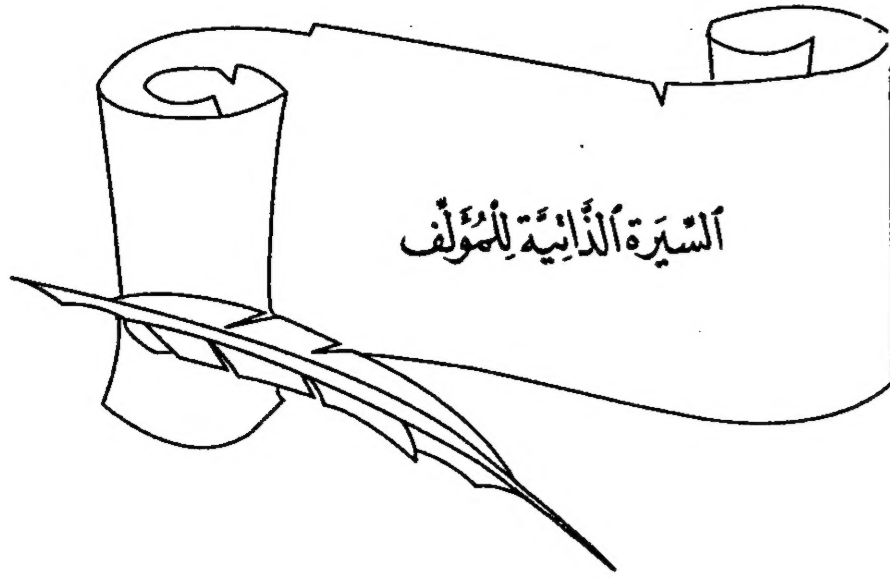
- الوجيز في فقه مذهب الإمام الشافعي، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) وقد تضمن أيضًا بيان مذهب الإمام مالك وأبي حنيفة والمزني والأقوال والأجوبة البعيدة لأصحاب الإمام الشافعي بالرمز إلى كل منها باصطلاح مخصوص، دار المعارف، بيروت (١٩٧٩م).
- الوسيط في المذهب، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) دراسة وتحقيق / علي محيي الدين علي القرعة داغي، دار النصر للطباعة الإسلامية بمصر، الطبعة الأولى.
- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، لابن خلكان (ت ٦٧١هـ) تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

الرسائل الجامعية:

- تفسير سورة المائدة من كتاب: « أحكام القرآن » لابن الفرس، تحقيق وتقديم / د. محمد بن عبد الوهاب أياط، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا تحت إشراف د. الشاهد البوشيخي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).
- تفسير سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) جمع ودراسة: د. أحمد العمراني، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا تحت إشراف د. الشاهد البوشيخي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس (١٤١١هـ / ١٩٩١م).
- تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) من أول سورة الجمعة إلى آخر القرآن الكريم تقديم وتحقيق / د. فيصل مصطفى، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا تحت إشراف / د. الشاهد البوشيخي جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس (١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ١٩٩٢م).
- الطبرسي ومنهجه في التفسير من خلال « مجمع البيان لعلوم القرآن » دكتور / زيان جميلة، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا تحت إشراف / د. الشاهد البوشيخي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

المجلات:

- أبو حامد الغزالي: دراسة في فكره وعصره وتأثيره، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم (٩) (١٩٨٨م).
- حلقة وصل بين الشرق والغرب (أبو حامد الغزالي وموسى بن ميمون) السفر الثاني عشر من مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية (١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م).
- مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، عدد خاص بالدراسات الإسلامية رقم (٧) (١٤١٢هـ / ١٩٩١م).



الاسم: محمد الريحاني.

تاريخ الميلاد: ١٧ مارس (١٩٦٥ م).

الشهادات العلمية:

- شهادة البكالوريا سنة (١٩٨٧ م) بميزة مستحسن.
- شهادة الإجازة في الدراسات الإسلامية سنة (١٩٩٢ م) من جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب بميزة مستحسن.
- شهادة استكمال الدروس (١٩٩٣ م) من نفس الجامعة. وحدة القرآن والحديث.
- شهادة دكتوراه السلك الثالث من نفس الجامعة (١٩٩٧ م) بميزة حسن جداً. وحدة القرآن والحديث.
- باحث بوحدة فقه الأموال في المذهب المالكي من خلال تراث الغرب الإسلامي في قسم الدكتوراه.
- حاصل على تركية المجلس العلمي بمدينة فاس في الوعظ والخطابة.

البحوث المنجزة :

- تحقيق مخطوط لمحمد شقرون المغراوي بعنوان: « الجيش الكمين لقتال من كفر عامة المسلمين ».
- تفسير الإمام الغزالي من خلال كتابه إحياء علوم الدين.
- تفسير الإمام الغزالي « جمع وتوثيق وتقديم » وهو موضوع هذا الكتاب
- مقبل على مناقشة رسالة دكتوراه في موضوع الفقه المالكي عند القاضي عياض « جمع وتوثيق ودراسة ».

رقم الإيداع

٢٠١٠ / ١٤٧٠٩

الترقيم الدولي I.S.B.N

978-977-342-929-4

(من أجل تواصلٍ ببناء بين الناشر والقارئ)

عزيزي القارئ الكريم .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..
نشكر لك اقتناءك كتابنا : « تفسير الإمام الغزالي » ورغبة منا في تواصلٍ ببناء بين
الناشر والقارئ ، وباعتبار أن رأيك مهمٌ بالنسبة لنا ، فيسعدنا أن ترسل إلينا دائماً
بملاحظاتك ؛ لكي ندفع بمسيرتنا سوياً إلى الأمام .

* فهياً مارس دورك في توجيه دفة النشر باستيفائك للبيانات التالية :-

الاسم كاملاً : الوظيفة :
المؤهل الدراسي : السن : الدولة :
المدينة : حي : شارع : ص.ب :
هاتف : / e-mail :

- من أين عرفت هذا الكتاب ؟

☐ أثناء زيارة المكتبة ☐ ترشيح من صديق ☐ مقرر ☐ إعلان ☐ معرض

- من أين اشتريت الكتاب ؟

اسم المكتبة أو المعرض : المدينة : العنوان :

- ما رأيك في الكتاب ؟

☐ ممتاز ☐ جيد ☐ عادي (لطفًا وضع لِم)

- ما رأيك في إخراج الكتاب ؟

☐ عادي ☐ جيد ☐ متميز (لطفًا وضع لِم)

- ما رأيك في سعر الكتاب ؟ ☐ رخيص ☐ معقول ☐ مرتفع

(لطفًا اذكر سعر الشراء) العملة

عزيزي انطلاقاً من أن ملاحظاتك واقتراحاتك سبيلنا للتطوير وباعتبارك من قرائنا
فنحن نرحب بملاحظاتك النافعة ... فلا تتوان ودون ما يجول في خاطرك : -

.....
.....
.....

دعوة : نحن نرحب بكل عمل جاد يخدم العربية وعلومها والتراث وما يتفرع منه ،
والكتب المترجمة عن العربية للغات العالمية - الرئيسة منها خاصة - وكذلك كتب الأطفال .

عزيزي القارئ أعد إلينا هذا الحوار المكتوب على [e-mail:info@dar-alsalam.com](mailto:info@dar-alsalam.com)

أو ص.ب ١٦١ الغورية - القاهرة - جمهورية مصر العربية

لنراسلك ونزودك ببيان الجديد من إصداراتنا

